مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation of Beacons of Intellect

المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية
18 ـ 19 ـ 20 يناير / كانون الثاني 2024 م
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ تطوان / المملكة المغربية

HART CENTRE

كتاب المؤتمر الدولي

المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية

18_19_20 يناير/ كانون الثاني 2024
كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان - المملكة المغربية

إشراف وتنسيق :
د. مصطفى بن أحمد الحكيم / د. خالد صلاح حنفي

منشورات مؤسسة منارات الفكر الدولية / رقم الإيداع القانوني : 2024MO4767
الرقم الدولي المعياري : 978-9920-28-789-0

حقوق النشر محفوظة © 2024

كتاب المؤتمر الدولي:

المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية

18 ـ 19 ـ 20 يناير / كانون الثاني 2024

كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان ـ المملكة المغربية

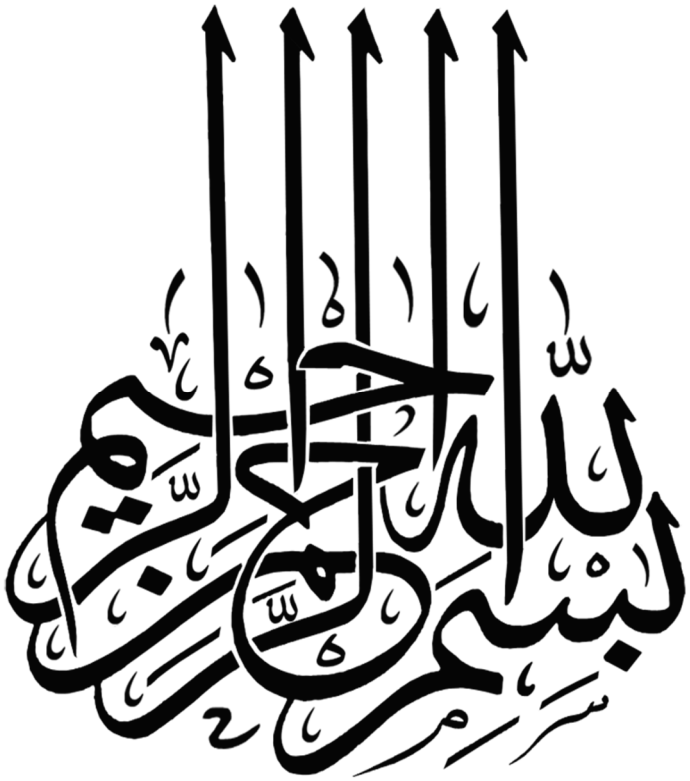
بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المؤتمر الدولي:

المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية

18.19.20 يناير/ كانون الثاني 2024

كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان – المملكة المغربية

إشراف وتنسيق:

د. مصطفى بن أحمد الحكيم

د. خالد صلاح حنفي

رقم الإيداع القانوني: 2024MO4767

الرقم الدولي المعياري: 978-9920-28-789-0

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect

منشورات مؤسسة منارات الفكر الدولية

- **بيانات الفهرسة:**

كتاب المؤتمر الدولي: المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية

إشراف وتنسيق: د. مصطفى بن أحمد الحكيم | د. خالد صلاح حنفي

الطبعة الأولى: أكتوبر 2024 – مؤسسة منارات الفكر الدولية

رقم الإيداع القانوني: 2024MO4767

الرقم الدولي المعياري (ردمك): 978-9920-28-789-0

ملحوظة: جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة منارات الفكر الدولية، ويمنع نسخ أو إنتاج المواد الواردة في الكتاب كله أو بعضه بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة أخرى من وسائل النشر إلا بموجب إذن كتابي من المؤسسة. وتبقى الأفكار والآراء المعبر عنها في الكتاب وجهة نظر لأصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن سياسة المؤسسة.

الموقع الرسمي للمؤسسة : https:// manaratelfikr.org

البريد الإلكتروني: info@manaratelfikr.org

Humanities and Islamic Knowledge and The Development Question

Tetouan, Kingdom of Morocco

18-19-20 January 2024

Proceedings Book

Edited by:

Dr. Mostafa Ahmed El-Hakim

Dr. Khaled Salah Hanafy Mahmoud

Published by

The International Foundation of Beacons of Intellect

Legal Deposit: 2024MO4767

ISBN: 978-9920-28-789-0

Copyright©2024

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation of Beacons of Intellect

الفهرس

كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم (رئيس المؤتمر ورئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية)		8
كلمة الدكتور المعتصم الشارف (نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان ورئيس مركز هارت)		10
كلمة الدكتور خالد صلاح حنفي (رئيس اللجنة العلمية والمدير الأكاديمي للمؤسسة)		12
أرضية المؤتمر (الإشكالية . الأهداف . المحاور)		14
الرئاسة الشرفية | أعضاء اللجنة العليا للمؤتمر | أعضاء اللجنة التنظيمية		17
أعضاء اللجنة العلمية		18
المشاركون حضوريا وعن بعد		21
عنوان الورقة العلمية	الباحث	
الدراسات الشرعية في عصر الإنسان الرقمي	الأستاذ الدكتور جمال شاكر عبد الله	25
الأمن المائي ورهانات التعايش والتنمية (بين الأنا والآخر) في ضوء حديث السفينة: دراسة مقاربة	الأستاذ الدكتور حامد محمد حامد عثمان	40
الايجابية في ضوء السنة النبوية وعلاقتها بتطور الفرد والمجتمع	الدكتور ة إشر اقة إبراهيم محمد أحمد	63
مجالات استثمار علم الاجتماع لتنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر	الباحث عبد المنعم الزكريوي الدكتور هشام تهتاه	93
الأمن السيبر اني والتنمية المجتمعية بالمغرب في عهد الملك محمد السادس	الباحث جمال بيدير	123
التنمية المستدامة في منظور السنة النبوية من خلال أحاديث حفظ الضروريات الخمس: تخريج ودراسة	الدكتور خديجة إسماعيل بشير عثمان	148
التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي	الدكتور ة ريم عبد الرزاق محمد عبدالرزاق	174
هشاشة التنمية ببلدان الساحل الأفريقي في صلتها بنشأة وتعدد حركات التطرف العنيف وتمددها	الباحثة سمية المبتهج	195
دور السياسات العمومية في تحقيق العدالة المجالية -التعليم في جماعة أكادير إداوتنان انموذجا-	الباحثة عائشة ضفر الله	223
الصدق في القرآن الكريم و أثره على الفرد والمجتمع	الدكتور فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج	243
منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي وسؤال التنمية: مقاربة تأسيسية	الدكتور عادل مطرب	266

التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني	الدكتورنجاد رجبوفيتش	289
التّنمية حاصل الكدح الإنسانيّ: في قيم العمل والإبداع واستثمار الزّمن من منظور إسلاميّ	الدكتور نزار صميدة	328
قيم المساواة في السنة النبوية وعلاقتها بالتنمية	الدكتوريوسف بن عبد الله الباحوث	350
التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم سورة يوسف عليه الصلاة والسلام أنموذجا	الدكتور يوسف ابن يعيش	370
التفكك الأسري و أثره على الأسرة وعلاجه في ضوء الكتاب والسنة: دراسة تحليلية	الدكتور مشعل عياده العنزي	395
تقرير إخباري عن المؤتمر	سكرتارية المؤتمر	418

كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم

رئيس المؤتمر

رئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية

تمثل المؤتمرات العلمية فضاءات فسيحة للمذاكرة والمناظرة والمثاقفة الواعية، والنظر العميق، والاستشراف الـمُبْصِر لواقع المجتمعات الإنسانية وآفاق تطورها، كما تشكل محطات لدراسة المشكلات، وحل المقفلات، وعرض الحلول والمخرجات ... وفي هذا السياق جاء تنظيم المؤتمر الدولي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي والموسوم بـ: **" المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية "** هادفا بناء الجسور، وتقوية الصلات بين التخصصات، وتحقيق التكامل المعرفي، وتقوية الالْتِقَائية بين العلوم بما يخدم قضايا الإنسان ويعزز وجوده، ويساهم في تعزيز أمنه وتقوية نسيجه الاجتماعي، وتوظيف العلوم الاجتماعية والإنسانية والشرعية لخدمته، وحل مشكلاته وأزماته.، واستشراف آفاق التطور والتحديث والتنمية.

ولا يفوتني أن أقدم الشكر الجميل والثناء العاطر للرئاسة الشرفية للمؤتمر متمثلة في سعادة **الأستاذ الدكتور بوشتى المومني** رئيس جامعة عبد المالك السعدي، وسعادة **الأستاذ الدكتور مصطفى الغاشي** عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان على رعايتهما الكريمة، والشكر الجزيل **للجنة العليا للمؤتمر**؛ وفي مقدمتهم **سعادة الدكتور المعتصم الشارف المشرف العام على المؤتمر ورئيس مركز هارت**، والشكر موصول لرؤساء اللجان التنظيمية وأعضائها على ما بذلوا من جهود طيبة أسهمت في نجاح فعاليات المؤتمر وانتظام جلساته، وتقوية إشعاعه.

والشكر موصول لسعادة **الدكتور خالد صلاح حنفي** مدير النشر الأكاديمي بمؤسسة منارات الفكر الدولية على إسهامه المبارك في إدارة التحكيم وتنسيق وإخراج هذا الكتاب.

والشكر متوجب في حق **المشاركين** الذين شاركوا حضوريا وعبر منصة زووم، والشكر موصول **للجنة العلمية** التي قوَّمت وحكَّمت وراجعت الأوراق البحثية المقدمة.

كلمة الدكتور المعتصم الشارف

نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

رئيس مركز هارت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فلا يخفى على المشتغلين بجميع صُنُوفِ العلم، أهمية التعاون وبذل الجهود الحثيثة، لتحقيق أقاصي درجات التكامل الممكنة، بين شتى الحقول المعرفية والتخصصات الدقيقة، وذلك لما لهذا التقريب من أدوار حاسمة في تحقيق التنمية الهادفة، في أبعادها الشاملة والمستدامة.

وفي هذا السياق المعرفي المجتمعي، انعقد المؤتمر الدولي: **المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية** بمدينة تطوان المغربية، أيام 18 . 19 . 20 يناير - كانون الثاني 2024، ليلبي نداء تكامل العلوم، ويجمعَ خيرة الدكاترة المبرزين والأساتذة الباحثين على مائدة واحدة، شعارُها "الدراسات الإنسانية والشرعية في خدمة التنمية".

وإننا إذ نجدد جزمنا بأهمية هذا المؤتمر العلمي، نشهد أيضًا بِبُعِدْ نظر المشرفين عليه، ونَقطع بنجاح أعماله؛ كيف لا وقد عُقدت أعمالُهُ في أنسب الأوقات، وفي ملتقى الحضارات (مدينة تطوان)، وجاءت أوراقُهُ البحثيةُ وورشاتُهُ التطبيقية في غاية التنوع والثراء، متناولة بالدرس والتحليل موضوعات مثيرة، ومحققة طموحات كثيرة، ويكفيها من ذلك ما قدمت من رؤى دقيقة ومقترحات سديدة، مِن شأنها أن تقوي روابط العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية، وأن تفتح آفاقًا رحبةً للبحث الأكاديمي من أجل تطويرها وتسديد وجهتها، لتكون أكثر عنايةً واهتمامًا بمشكلات العصر وقضايا التنمية.

والنفس اليوم، في غاية السرور وهي تشاهد ثمرات جهود المشاركين في هذا المحفل العلمي قد جُمعت في كتابٍ فريدٍ، يمثل، حقًّا وصدقًا، أنموذجًا يُحتذى في مجال تجسير العلوم وتلاقح الأفكار، ومثالًا يُقتدى في التقريب بين المعارف الشرعية والإنسانية في سبيل إسعاد الإنسان وإصلاح العمران.

وبهذه المناسبة، لا يفوتني -بصفتي نائبًا للسيد عميد كلية الآداب تطوان ورئيسًا لمركز هارت للدراسات والأبحاث الاجتماعية والتنموية- أن أتقدم بصادق كلماتِ الشكر ومشاعرِ العرفان إلى كل القائمين على شؤون "**مؤتمر المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية**" الدولي، وأخص بالذكر منهم: **الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم** بصفته رئيسًا لهذا المؤتمر، ورئيسًا لمؤسسة منارات الفكر الدولية، **والسيد مصطفى الغاشي** بصفته عميدًا لكلية الآداب تطوان المحتضنة لأشغال المؤتمر، والشكر موصول إلى جميع المشاركين في المؤتمر بدراسات علمية أو ورشات تطبيقية.

نسأل الله تعالى أن ينفع بأعمال مؤتمر "المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية" وأن ييسر لنا سبل تجديد الوصل بالسادة الدكاترة وعموم الباحثين في لقاء علمي قريبٍ، إنه سميعٌ مجيبٌ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الأستاذ الدكتور المعتصم الشارف

نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان/ المملكة المغربية

كلمة الدكتور خالد صلاح حنفي

مدير النشر الأكاديمي بمؤسسة منارات الفكر الدولية

رئيس اللجنة العلمية

يشهد العالم اليوم جملة من التغيرات والتحديات التي تتطلب حلولاً ومقاربات من مختلف العلوم والتخصصات، ومن هنا يبرز دور العلوم الإنسانية والاجتماعية لدراسة المشكلات التي تعاني منها البشرية في الوقت الراهن من صراعات وحروب، وتداعيات لظاهرة التغير المناخي، وتنامي التحديات الناجمة عن الذكاء الاصطناعي، وغزو ثقافي وقيمي، وانتشار اضطرابات وأمراض نفسية مصاحبة لتزايد الاعتماد على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي... كل ذلك يحتاج إلى تكامل بين شتى العلوم للبحث عن الحلول ومحاولة استشراف المستقبل والتنبؤ به.

وفي هذا الإطار، قامت مؤسسة منارات الفكر الدولية بعقد سلسلة من المؤتمرات التي تروم تحقيق التكامل والتنسيق بين الباحثين والعلماء من مختلف التخصصات، وعقدت المؤسسة المؤتمر الدولي بعنوان "**المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية**" بشراكة مع مركز هارت للدراسات والأبحاث الاجتماعية والتنموية بتطوان، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان؛ وذلك بهدف خلق فضاء علمي للنقاش والحوار بين ذوي الاختصاص حول اختيارات التفعيل للبرامج التنموية في البلدان الإسلامية.

هذا وقد انعقد المؤتمر في الفترة من 18 إلى 20 يناير 2024 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان بالمملكة المغربية، وقد جمع بين الصفتين الحضورية والجلسات عن بعد عن طريق منصة الزوم، بحيث يتيسر المشاركة للباحثين من كافة أنحاء العالم، وقد شارك في جلسات المؤتمر العلمية الخمس أكثر من 70

مشاركا من عشر دول وهي (الكويت، الإمارات، السعودية، المغرب، فلسطين، تونس، الأردن، اليمن، صربيا، إسبانيا)، وشهدت تقديم 50 ورقة بحثية توزعت بين 37 مداخلة حضورية، و13 مداخلة عن بعد،

وتنوعت الموضوعات التي تناولها الباحثون لتشمل مدى واسعا من المجالات وهي: التنمية، والتربية الإسلامية، والأمن البيئي، والأمن المائي، وعلوم الشريعة، وعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والحقوق، فضلاً عن الأسرة، وأبرز التحديات التي تواجهها.

ولا أنسى في هذا السياق أن أتقدم بخالص الشكر للسيد الدكتور/ مصطفى بن أحمد الحكيم رئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية على ترشيحي لرئاسة اللجنة العلمية، وأتقدم بخالص التهنئة لمؤسسة منارات الفكر الدولية ومركز هارت وشركائهما، ولكل أعضاء اللجان التنظيمية، والعلمية، ولجان الدعاية والإعلام على نجاح المؤتمر، وخروجه بهذا الشكل المشرف، متمنيا دوام التوفيق والتقدم.

أ.د. خالد صلاح حنفي

أرضية المؤتمر

الإشكالية، الأهداف، المحاور:

تمثل العلوم الإنسانية والاجتماعية مجموع العلوم التي تدرس الإنسان، سواء كحالة فردية أو كتمظهر جماعي، كما أن التنمية تعد الهدف الأسمى والغاية الكبرى التي تسعى كل العلوم للمساهمة في تحقيقها كنظام وجود وحياة يحمي ويحقق كرامة الإنسان ويلبي مختلف حاجاته المادية والمعنوية.

ولا تزال هذه العلوم تشكل رصيداً معرفياً يساهم في بلورة المفاهيم والنظريات حول الإشكالات والقضايا الإنسانية والاجتماعية التي تحتاج لتكاثف مختلف الجهود لمعالجتها والاستجابة لمقتضياتها. وذلك لأن رقي الأمم وتطورها يتوقف على مساهمة الجامعات ومراكز البحث ومؤسساته في دراسة المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في إطار البحث عن الحلول المناسبة للمعضلات البشرية، كل على مستواه ومن منظوره، على أساس أن العلوم لا تتنافس فيما بينها بقدر ما هي تكمل بعضها البعض خدمة للبشرية والإنسانية جمعاء بدون النظر لاختلاف العرق، الدين، الجنس، الطبقة الاجتماعية، ..... وذلك لفهم الماضي، والحاضر، واستشراف المستقبل، في منحى إنساني هادف لخدمة الإنسان وتحقيق متطلبات حياته وكرامته تحت عناوين التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والتربوية...

وحيث أن الشرع يمثل أساس تمثلات واختيارات وسلوكات الأفراد والجماعات في مختلف البلدان الإسلامية، فإن الفعل التنموي ينبغي أن ينطلق من قراءة هذا الواقع نفسه وفهم وتفهم تقاطع وتكامل المعارف الشرعية والإنسانية، إلى جانب استثمار مختلف المعطيات والمستجدات العلمية والتقنية التي تنتجها المؤسسات ذات الاختصاص حول عمليات التنمية وتطور استراتيجياتها الناجحة .

وإذا كان ارتباط الفعل التنموي بتطور المعرفة العلمية، بما فيها العلوم والمعارف الإنسانية الاجتماعية والشرعية، باعتبار ذلك شرطا معرفيا لتقويم نجاعته، وإذا كان ذلك الارتباط الذي يتجه صوبه يقضي بوضع استراتيجية عمل وشراكة واضحة المعالم بين الجامعة ومؤسسات البحث العلمي من جهة، وبين بقية المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ضمن كل مجتمع أو قطر، لضمان نجاح الاختيارات التنموية الهادفة لرفع مستوى عيش الأفراد والجماعات فيها مع احترام خصوصياتها الثقافية والحضارية الفعالة وتثمينها؛ من جهة أخرى فإن نجاح مشاريع التنمية في مختلف الأقطار والمجتمعات ذات الهوية الدينية الإسلامية يفترض بل يفرض، بحكم التواصل الحاصل بين التنظير والواقع، تشجيع جسور التعاون بين

المؤسسات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وجميع المؤسسات ذات الصلة بتدبير الشأن العام. كل ذلك بهدف تطوير وإنتاج المعارف والتخطيطات العلمية التي تخدم الأولويات الاجتماعية والثقافية لتلك المجتمعات .

في سياق هذه الفكرة الأولية، يأتي اقتراح عنوان هذا المؤتمر الدولي بشراكة بين مؤسسة منارات الفكر الدولية ومركز هارت للدراسات والأبحاث الاجتماعية والتنموية بتطوان إلى المؤسسات الجامعية الشريكة والمتعاونة، من أجل خلق فضاء علمي للنقاش والحوار بين ذوي الاختصاص حول اختيارات التفعيل للبرامج التنموية في البلدان الإسلامية.

وفي هذا الإطار نتشرف بدعوة العلماء والباحثين في فروع ومجالات العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية والشرعية للمشاركة بأوراق بحثية لمناقشة عدد من القضايا والمشكلات التي تتصل بموضوع الإنسان والتنمية ودور هذه العلوم والمعارف في توجيه وضبط أهدافها السامية، والتحديات المطروحة وسبل المواجهة ومسارات الحل.

أهداف المؤتمر:

- تبيان أهمية التكامل المعرفي بين التخصصات في سبيل الرقي بالإنسان وتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.
- استشراف مستقبل المجتمعات الإنسانية في مختلف مجالات التنمية الشاملة.
- طرح رؤى استشرافية تطويرية للدراسات الإنسانية والاجتماعية والشرعية لجعلها خادمة للإنسان والتنمية.
- اقتراح البدائل والحلول للتعامل مع مختلف المشكلات الإنسانية والاجتماعية والشرعية.

محاور المؤتمر:

المحور 1: الشباب والتنمية المندمجة، نحو حوار متعدد الثقافات والأجيال

المحور 2: تنوع وتعدد الرؤى المعرفية الإنسانية والشرعية حول التنمية

المحور 3: العلوم الإنسانية والاجتماعية والمعارف الشرعية: قضايا ومفاهيم حول التنمية

الحرية والتنمية / العدل والتنمية / التنمية الشاملة / التنمية المستدامة / الحكامة أو الحوكمة / الحسبة/ ما علاقة التنمية بالأمن/ ما علاقة التنمية بضمائم الأمن ولواحقه (الأمن السياسي، الأمن النفسي، الأمن الاقتصادي، الحرية، المساواة، العدل، الكرامة، الإنصاف...)؟

المحور4: التكامل المعرفي بين الدراسات الاجتماعية والشرعية: مداخل نظرية

المحور 5: مساهمة المؤسسات الاجتماعية التقليدية في الفعل التنموي

المحور 6: الدراسات الاجتماعية والشرعية حول الأمن المجتمعي بمختلف أبعاده (الاقتصادي – البيئي – الروحي...) وعلاقتها بالتنمية

المحور 7 : العدالة المجالية والبيئية ومسألة التنمية الاجتماعية

المحور 8: القيم الإنسانية والشرعية ورهانات التنمية

المحور9: الدراسات الإنسانية والشرعية في عصر الإنسان الرقمي

المحور10: الأدوار الجديدة للمؤسسات الاجتماعية والثقافية في ضوء تطور البحث العلمي

المحور 11: الثقافة والاقتصاد والمجتمع وسؤال التنمية

المحور12: الدراسات الإنسانية والشرعية وإشكالات تنمية المؤسسات والتنظيمات التربوية (الأسرة / المدرسة...)

المحور13: العلوم الإنسانية والشرعية و سؤال التنمية التربوية والروحية والقيمية

المحور14: الدراسات الإنسانية والشرعية و سؤال التنمية العلمية والتكنولوجية

الرئاسة الشرفية للمؤتمر

سعادة الأستاذ الدكتور بوشتى المومني
رئيس جامعة عبد المالك السعدي

سعادة الأستاذ الدكتور مصطفى الغاشي
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

اللجنة العليا للمؤتمر

✍ الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم
رئيس المؤتمر ورئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية

✍ الدكتور المعتصم الشارف
المشرف العام على المؤتمر ورئيس مركز هارت

لجان المؤتمر

✍ لجنة الجلسات العلمية والبيان الختامي:

رئيس اللجنة: د. محمد هنوش | نائبه: د. عبد الرحمن الزكريتي
د. محمد حيتومي | د. عبد الله بربزي | د. سعيد عثماني
د. نادية العشيري | د. محمد التليدي | د. عبد السلام بوغابة

✍ اللجنة التنظيمية:

رئيس اللجنة د. محمد شرايمي | نائبه: د. عادل التباري مطرب
د. كريمة الوزاني | د. طارق حيون | ذ. أحمد لعسيري

✍ لجنة الإعلام والتواصل:

رئيس اللجنة: د. محمد بن أحمد البدوي | نائبه: د. صابر السهولي
د. عثمان بوطيسان | م. عبد الجليل أعمود

الإدارة التقنية للبث المباشر ومنصة زووم: د. عبد الإلاه أبجان
الإدارة الأكاديمية للجلسات العلمية عبر منصة زووم : د. خالد صلاح حنفي
تصوير ومونتاج: م. عبد الله أحمد زكري
القسم الفني والتصميم: م. عبد الرحمن دحمان

أعضاء اللجنة العلمية

الاسم	مؤسسة الانتساب	الدولة
الأستاذ الدكتور خالد صلاح حنفي محمود	كلية التربية – جامعة الإسكندرية	مصر
الأستاذ الدكتور جمال الدين بن حيون: نائب رئيس جامعة عبد المالك السعدي، وعميد كلية العلوم بالنيابة- تطوان		المغرب
الأستاذة الدكتورة مارية بوجداين: عميدة كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية -تطوان		المغرب
الأستاذ الدكتور يوسف السيساوي: جامعة القاضي عياض مراكش		المغرب
الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن الوزان: وكيل كلية التربية - جامعة القصيم		السعودية
الأستاذ الدكتور أنور عمروفيتش عميد كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار		صربيا
الأستاذ الدكتور المعتصم الشارف: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان		المغرب
الأستاذ الدكتور محمد شرايمي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان		المغرب
الأستاذ الدكتور محمد حيتومي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان		المغرب
الأستاذ الدكتور عبد السلام بوغابة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان		المغرب
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الزكريتي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان		المغرب
الأستاذة الدكتورة كريمة الوزاني: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان		المغرب
الدكتور محمد هنوش: جامعة ابن زهر- أكادير		المغرب
الدكتور عبد الله بربزي: جامعة مولاي إسماعيل - مكناس		المغرب
الأستاذة الدكتورة نادية العشيري: جامعة عبد المالك السعدي		المغرب
الدكتور وداد يتكين: جامعة بيله جك شيخ ادبآلي		تركيا
الدكتور أحمد ألكان: جامعة بيله جك شيخ ادبآلي		تركيا
الأستاذ الدكتور محمد بن عبد العزيز صالح الربعي: كلية التربية جامعة القصيم		السعودية
الدكتورة عبلاء بنت محمد عبد الرحمن الربيعان: كلية التربية جامعة القصيم		السعودية
الأستاذ الدكتور فهد بن إبراهيم الضالع: جامعة القصيم		السعودية

الدكتور بكر بن محمد بن بكر عابد: كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة | السعودية
الأستاذ الدكتور هشام تهتاه: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور أحمد هاشم الريسوني: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد الباقي دركال: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد الرحمان فتيحي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية – تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور زكرياء شارية: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الدكتور فهد فلاح الملعبي: وزارة التربية | الكويت
الدكتورة نجاة فالح العازمي : وزارة الأوقاف إدارة الدراسات الإسلامية | الكويت
الدكتور سكينة محمد محمد عبد الحليم: جامعة الملك خالد | السعودية
الدكتور عبد العزيز لخفاوني: كرسي الألسكو للتربية على التنمية المستدامة والموروث الثقافي المبدع
الأستاذة الدكتورة وفاء الكُرفطي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد المحسن شداد: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور ميمون الموساوي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذة الدكتورة فوزية بلال: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذة الدكتورة أسماء أغنضور: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد الرحيم تمحري: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور جواد بومعجون: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذة الدكتورة جميلة بية: جامعة القاضي عياض - مراكش | المغرب
الدكتور محمد مداد الهاجري: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية | الكويت
الدكتورة كلثوم محمد حريد: جامعة الشارقة | الإمارات
الأستاذ الدكتور عبد الإله خليفي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عادل غزالي: جامعة الحسن الثاني - المحمدية | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد الهادي أمحراف: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد الله علي الصيفي: كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية | الأردن
الدكتورة وسن سعد فالح دبيس الرشيدي: كلية الشريعة جامعة الكويت | الكويت
الدكتور أحمد محمود قعدان: أكاديمية القاسمي | فلسطين

الأستاذ الدكتور يحيى علي أحمد فقيهي: كلية التربية – جامعة نجران | السعودية
الدكتور عبد العزيز بن درويش المالكي: كلية التربية - جامعة نجران | السعودية
الدكتور سعيد بن محمد بن ناصر القحطاني: جامعة نجران | السعودية
الأستاذ الدكتور محمد طه الشتوكي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية – تطوان | المغرب
الأستاذ الدكتور عبد العزيز العمراني: كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان | المغرب

المشاركون في المؤتمر

اسم المشارك	البلد	شكل المشاركة
الدكتور صالح عبد الله محمد الشثري	السعودية	مشاركة حضورية
الأستاذ الدكتور علي بن مرزوق الغامدي	السعودية	مشاركة حضورية
الأستاذ الدكتور جمال شاكر يوسف عبد الله	الإمارات	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور يوسف ابن يعيش	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ الدكتور محمد بن علي بن محمد القرني	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور دهام كريم الفضلي	الكويت	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ الدكتور سليمان بن محمد النجران	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ جمال بيدير	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور أحمد بن عبد الله بن أحمد الحصيني	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الباحثة الزهرة الأحراش	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ الدكتور سعيد بن محمد سعد الشهراني	السعودية	مشاركة حضورية
الأستاذ الدكتور حبيب الله بن صالح السلمي	السعودية	مشاركة حضورية
الدكتور عوض حسن علي الوادعي	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عبد الرحمن الزكريتي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور محمد ضاوي العصيمي	الكويت	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ الدكتور أحمد بن سليمان صالح الخضير	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور أحمد مونة	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ الدكتور إبراهيم بن صالح الحميضي	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عبد الواحد أولاد الفقيهي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور خالد بن عبد الله بن علي المزيني	السعودية	مشاركة بحثية حضورية

الدكتور بدر الدين الزيدي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور محمد سعيدان العازمي	الكويت	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور بربزي عبد الله	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور محمد بن عبد الله بن محمد الغامدي	السعودية	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عبد الرحمان اولاد طرادة	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور جعو اني وديع	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور سمير الشحواطي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عادل غزالي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحثة كوثر بكار	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور محمد حيتومي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور محمد هنوش	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحثة فاطمة اسكونض	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحثة سعاد الدحروش	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عبد الفتاح الزهيدي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عمر الكتاوي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحثة سعيدة ادريسي	الكويت	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور عادل التباري مطرب	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الأستاذ الدكتور نور الدين الفقيهي	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحث أحمد لعسيري	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحثة سناء اشهبار	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحث محمد قريبو	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحث أشرف تلوش	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الباحث كريم الديبوش	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتور أحمد محمود قعدان	فلسطين	مشاركة بحثية حضورية

الباحثة نرجس العطار	المغرب	مشاركة بحثية حضورية
الدكتورة يسرى أحمد اليبرودي	الأردن	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتورة إشراقة إبراهيم محمد أحمد	السعودية	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتور نزار صميدة	تونس	مشاركة بحثية عن بعد
الباحثة سمية المبتهج	المغرب	مشاركة بحثية عن بعد
الباحثة عائشة ضفر الله	المغرب	مشاركة بحثية عن بعد
الباحث عبد المنعم الزكريوي	المغرب	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتور هشام تهتاه	المغرب	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتورة فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج	السعودية	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتور يوسف عبد الله الباحوث	السعودية	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتور مشعل عياده العنزي	الكويت	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتورة ريم عبد الرزاق محمد عبد الرزاق	الأردن	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتور حامد محمد حامد عثمان	السعودية	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتورة خديجة إسماعيل بشير عثمان	السعودية	مشاركة بحثية عن بعد
الدكتور نجاد رجبوفيتش	صربيا	مشاركة بحثية عن بعد

الأوراق البحثية المحكمة

الدراسات الشرعية في عصر الإنسان الرقمي

الأستاذ الدكتور جمال شاكر عبد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زايد

الإمارات العربية المتحدة

dr.jamalshaker@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول البحث ما تعيشه البشرية حاليًا من تطورات سريعة في مجال التكنولوجيا الرقمية، ومدى تأثير هذا التطور على جميع جوانب الحياة بما في ذلك الجوانب الدينية والشرعية، والدراسات الشرعية، التي تهتم بفهم وتطبيق الأحكام والقوانين الشرعية، وما تشهده تحولات هامة في هذا العصر الرقمي، هذا البحث يستعرض تأثير التكنولوجيا الرقمية على الدراسات الشرعية وكيف يمكن استفادة الباحثين والعلماء الشرعيين من هذا التطور، وذلك في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الشرعية، البحث العلمي، التكنولوجيا الرقمية

Religious studies in The Age of Digital Human

Dr. Jamal Shaker Abdullah

Zayed University

Abstract:

The research deals with the rapid developments that humanity is currently experiencing in the field of digital technology, and the extent of the impact of this development on all aspects of life, including the religious and Sharia aspects, and Sharia studies, which are concerned with understanding and applying Sharia rulings and laws, and the important transformations witnessed in this digital age. The research reviews the impact of digital technology on Sharia studies and how Sharia researchers and scholars can benefit from this development, in an introduction, three sections, and a conclusion.

Keywords: Sharia studies, scientific research, digital technology.

مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أمّا بعد:

فإنّ البشرية حاليًا في عصر تكنولوجي يشهد تطورات سريعة في مجال التكنولوجيا الرقمية، وهذا التطور له تأثير كبير على جميع جوانب الحياة بما في ذلك الجوانب الدينية والشرعية، والدراسات الشرعية، التي تهتم بفهم وتطبيق الأحكام والقوانين الشرعية، تشهد تحولات هامة في هذا العصر الرقمي، وهذا البحث يستعرض تأثير التكنولوجيا الرقمية على الدراسات الشرعية وكيف يمكن استفادة الباحثين والعلماء الشرعيين من هذا التطور، وسأبيّن ذلك في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1- ما مدى تأثير التكنولوجيا الرقمية في وسائل البحث العلمي الشرعي؟

2- ما التحديات الأخلاقية والقانونية التي يواجهها الباحثون في العلوم الشرعية؟

3- ما هي التطورات التي أحدثتها التكنولوجيا الرقمية في البحث والاجتهاد الفقهي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الواردة في مشكلة الدراسة، وذلك من خلال بيان ومعرفة ما يلي:

1- تأثير التكنولوجيا الرقمية في وسائل البحث العلمي الشرعي؟

2- التحديات الأخلاقية والقانونية التي يواجهها الباحثون في العلوم الشرعية؟

3- التطورات التي أحدثتها التكنولوجيا الرقمية في البحث والاجتهاد الفقهي؟

الدراسات السابقة:

تناول الباحثون المعاصرون هذا الموضوع من جوانب متعددة، ولكن لم أجد من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة فأحببت الكتابة فيه.

خطة البحث:

وقد اقتضى البحث في هذا الجانب أن يكون في مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: التكنولوجيا الرقمية وتغيير الوسائل البحثية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: وسائل البحث والتواصل الرقمي.

المطلب الثاني: التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية.

المبحث الثاني: تحديات وحلول، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحديات الأخلاقية والقانونية.

المطلب الثاني: مواجهة التحديات الأخلاقية والقانونية.

المبحث الثالث: التطورات في البحث والاجتهاد الشرعي، وفيه مطالب:

المطلب الأول: التحقق من الأدلة والمصادر.

المطلب الثاني: البحث عن حلّ للقضايا الجديدة.

الخاتمة أهم النتائج التي توصلت لها في هذا البحث.

والله مِنْ وراء القصد، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع عليم.

المبحث الأول: التكنولوجيا الرقمية وتغيير الوسائل البحثية

المطلب الأول: وسائل البحث والتواصل الرقمي:

تشكل التكنولوجيا الرقمية محورًا حيويًا في عمل العلماء والباحثين، حيث أصبحت لا غنى عنها في كل جانب من جوانب البحث العلمي، وهذا التحوّل الرقمي يتيح لهم الوصول إلى وسائل بحث جديدة وفعالة، مما يعزز سرعة التقدم في ميدان البحث ويسهم في تطوير المعرفة بشكل أعمق، ويتبيّن ذلك من خلال ما يلي:

1. الوصول الفوري إلى المصادر العلمية:

فمن خلال التكنولوجيا الرقمية، أصبح بالإمكان الوصول الفوري إلى مكتبات رقمية ضخمة تحوي العديد من الدوريات العلمية والكتب والأبحاث، ويمكن للعلماء تصفح هذه المصادر بسهولة وسرعة، مما يسهم في توفير الوقت والجهد الذي كان يستهلك سابقاً في البحث التقليدي[1].

2. البحث الذكي وتحليل البيانات:

تُقدِّمُ التكنولوجيا الرقمية أدوات بحث ذكية تعتمد على الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات، ويمكن للباحثين الآن تنقيب البيانات بشكل أعمق واستخراج نتائج أكثر دقة، وهذا يتيح لهم فهم أوجه جديدة من المعلومات ورؤى غير ممكنة في السابق[2].

3. تبادل المعرفة والتعاون العالمي:

من خلال المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، أصبح التواصل بين العلماء والباحثين أسهل وأكثر فاعلية، ويمكن للأفراد مشاركة نتائج أبحاثهم، والتعلم من تجارب الآخرين، مما يعزز التعاون العالمي ويفتح أفقًا جديدًا للتقدم العلمي.

4. التجارب الافتراضية والمحاكاة:

توفر التكنولوجيا الرقمية فرصًا للعلماء لإجراء التجارب الافتراضية والمحاكاة بشكل أكثر دقة، كما يمكنهم استخدام النماذج الرقمية لاختبار فرضياتهم وتحليل النتائج بشكل فعال، مما يقلل من التكلفة والمخاطر المرتبطة بالتجارب الفعلية.

---

[1] **التكنولوجيا الرقمية وتغيير الوسائل البحثية**، د. محمد خليفة، دار المعرفة، 2023: (7-8)

[2] **المصدر نفسه**: (9).

5. حماية الملكية الفكرية:

يوفر البحث الرقمي وسائل لحماية الملكية الفكرية للباحثين، فالتقنيات الرقمية يمكنها تأمين البيانات والنتائج البحثية، مما يحافظ على حقوق الباحثين ويشجع على المزيد من الإسهامات في ميدان البحث[1].

إنّ التحوّل الرقمي الحاصل في مجال البحث العلمي يُظهر أنّ التكنولوجيا الرقمية ليست مجرد وسيلة لتسهيل الحياة اليومية، بل هي أداة حيوية تحدث تحولًا جذريًا في طريقة تنفيذ الأبحاث واكتساب المعرفة، كما يفتح هذا النهج الرقمي أفقًا جديدًا للإبداع والتقدم العلمي، ويعزز دور العلماء والباحثين في تحقيق تطورات مستدامة في ميادين متعددة.

المطلب الثاني: التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية:

يمكن استخدام التكنولوجيا الرقمية لتقديم المواد التعليمية الشرعية عبر الإنترنت، هذا يفتح الباب أمام المزيد من الأشخاص للوصول إلى المعرفة الشرعية والتعلم من خلال الدروس عن بُعد.

يشكل التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية محورًا حيويًا في تحول العملية التعليمية، حيث يتيح هذا النمط الجديد فرصًا متنوعة وفعّالة للطلاب والمعلمين على حد سواء، وسأبيّن هذه الفرص من خلال النقاط التالية:

1- التعليم عن بُعد: الوصول إلى المعرفة في أي وقت ومكان:

مع تقدم التكنولوجيا، أصبح بإمكان الطلاب الوصول إلى المحتوى التعليمي في أي وقت ومن أي مكان، إذ يُتيح التعليم عن بُعد تجاوز الحواجز الزمانية والمكانية، مما يجعل التعلم متاحًا لجميع الطلاب بغض النظر عن موقعهم الجغرافي أو ظروفهم الشخصية.[2].

2- المواد التعليمية الرقمية: تفاعلية ومتنوعة:

تأتي المواد التعليمية الرقمية بتنوع هائل من الصيغ والأشكال، مما يسهم في جعل عملية التعلم أكثر تشويقًا وتحفيزًا، وتشمل هذه المواد الفيديوهات التفاعلية، والمحتوى ثلاثي الأبعاد، والتمارين الإلكترونية، مما يلبي احتياجات الطلاب بطرق متعددة ويُعزز التفاعل والمشاركة[3].

---

[1] **التحول الرقمي في البحث العلمي: فرص وتحديات**، د. أحمد عبد اللطيف، دار الفكر، 2022: (15).

[2] انظر: **التعلم الإلكتروني: أسس ونظريات وتطبيقات**، د. محمد عبد الرازق، دار عالم الكتب، 2021: (12-16).

[3] انظر: **دور المواد التعليمية الرقمية في تحسين التعليم**، د. أحمد محمد، موقع "البوابة العربية للتعليم الإلكتروني" على شبكة الإنترنت، 2022.

3- التفاعل والتواصل: منصات التعلم الاجتماعي:

منصات التعلم عبر الإنترنت توفّر فرصًا للتفاعل الفعّال بين الطلاب والمعلمين، كما يمكن للطلاب التواصل مع بعضهم البعض وتبادل الأفكار والتجارب، مما يعزز بيئة تعلم اجتماعية تشبه البيئة الصفية التقليدية[1].

يُظهر التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية أن التكنولوجيا ليست مجرد أداة تكميلية في مجال التعليم، بل هي محرك للتحول الشامل، حيث يمثل هذا النمط التعليمي فرصة لتوسيع دائرة الوصول إلى التعليم وتفعيل إمكانيات التعلم التفاعلي والشخصي.

[1] انظر: **التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية**، د. محمد خليفة، دار المعرفة، 2023: (3-6)، **أفضل الممارسات في التعليم عن بُعد**، د. محمد عبد الله، موقع "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)"، 2021.

المبحث الثاني: تحديات وحلول

تشكّل التكنولوجيا الرقمية تقدمًا هائلاً في مجال البحث كما ذكرت، لكنّها مع هذا التقدم تواجه العديد من التحديات الأخلاقية والقانونية التي قد تنشأ نتيجة لاستخدام هذه التكنولوجيا في الأبحاث العلمية، وفي محاولة للمحافظة على التوازن بين التطور التكنولوجي والقضايا الأخلاقية والقانونية، يجب على الباحثين والمؤسسات العلمية أن يكونوا واعين لهذه التحديات، وسأقوم ببيان هذه التحديات وكيفية مواجهتها من خلال مطلبين:

المطلب الأول: التحديات الأخلاقية والقانونية[1]:

أولاً: التحديات الأخلاقية:

1. الخصوصية وحماية البيانات:

التكنولوجيا الرقمية تتيح جمع كميات هائلة من البيانات، ويتساءل الباحثون عن كيفية استخدام هذه البيانات دون التأثير على خصوصية الأفراد، وكيف يمكنهم ضمان حمايتها بشكل فعّال.

2. التمييز الذكي والعدالة:

في حين يمكن أن تساعد التكنولوجيا الرقمية في تحليل البيانات بشكل ذكي، يمكن أن تنشأ مشكلات في التمييز والعدالة، فكيف يمكن تجنب التحيز في البيانات والتحليل لضمان عدم إحداث أذى غير متعمد أو تمييز غير عادل؟

3. التحقق من المصادر والأمان:

يعتبر التحقق من مصادر المعلومات وضمان أمان البيانات تحديات أخلاقية كبيرة، كيف يمكن التحقق من صحة المعلومات المستخدمة في البحث؟ وكيف يمكن تأمين هذه المعلومات لحمايتها من الاختراقات والاستغلال؟ [2].

ثانياً: التحديات القانونية:

1. حقوق الملكية الفكرية:

يطرح استخدام التكنولوجيا الرقمية في البحث تساؤلات حول حقوق الملكية الفكرية، خاصة عند استخدام أدوات أو برمجيات متقدمة، كيف يمكن حماية حقوق الملكية الفكرية وتعزيز المشاركة العلمية في نفس الوقت؟

---

[1] **التحديات القانونية والأخلاقية للبحث العلمي في مجال التكنولوجيا الرقمية**، د. أحمد عبد اللطيف، دار الفكر، 2022: (17-21)، **التحول الرقمي في البحث العلمي: فرص وتحديات**، د. أحمد عبد اللطيف: (25-32).

[2] انظر: **أخلاقيات البحث العلمي في مجال التكنولوجيا الرقمية**، د. أحمد محمد، موقع "البوابة العربية للعلوم والتكنولوجيا"، 2022.

2. التعامل مع البيانات الحساسة:

في حالة البيانات الحساسة، مثل البيانات الطبية أو البيولوجية، يطرأ تحدي في كيفية التعامل مع هذه البيانات والامتثال للقوانين واللوائح المتعلقة بحمايتها.

3. التأثير على المجتمع والبيئة:

ينبغي على الباحثين تقييم تأثير أبحاثهم على المجتمع والبيئة. كيف يمكن تقييم وتقليل التأثير السلبي المحتمل لتكنولوجيا البحث الرقمية على المجتمع والبيئة؟

في ظل تقدم التكنولوجيا الرقمية، يشكل تفهم ومواجهة التحديات الأخلاقية والقانونية تحديًا مهمًا للمجتمع البحثي، يتطلب ذلك تطوير إطارات أخلاقية قوية ومتسقة، إلى جانب الالتزام باللوائح والتشريعات المتعلقة بالبحث[1].

إن تحقيق التوازن بين التقدم التكنولوجي والمسؤولية الأخلاقية يساهم في بناء مجتمع بحثي يعتمد على المبادئ الأخلاقية ويسعى إلى تقدم مستدام وفعال.

المطلب الثاني: مواجهة التحديات الأخلاقية والقانونية:

تعتبر البحوث العلمية الشرعية جزءًا أساسيًا من التطور العلمي والتكنولوجي في المجتمعات الإسلامية، ويتطلب التفاعل مع هذه التحديات مهارات خاصة والتزامًا بالقيم الأخلاقية والقوانين الشرعية، ويمكن مواجهة هذه التحديات الأخلاقية والقانونية في البحوث العلمية الشرعية من خلال ما يلي:

1- تحديد الأهداف بشكل واضح:

تكمن أولى التحديات في تحديد الأهداف بشكل واضح وشفاف، يجب على الباحث أن يحدد هدف بحثه بطريقة تتناغم مع القيم والمبادئ الأخلاقية والشرعية، كما يجب عليه أيضًا أن يكون واضحًا حول الطرق التي سيستخدمها لتحقيق هذا الهدف دون تعارض مع المبادئ الأخلاقية[2].

2- الحفاظ على سرية البيانات:

يعد الحفاظ على سرية البيانات أمرًا أخلاقيًا وقانونيًا ضروريًا، فيجب على الباحثين اتخاذ التدابير اللازمة لحماية بيانات المشاركين في البحث وضمان عدم استخدامها بطرق تخالف الأخلاقيات البحثية والقوانين المتعلقة بحماية البيانات.

---

[1] انظر: **المصدر نفسه.**

[2] **التحديات القانونية والأخلاقية للبحث العلمي في مجال التكنولوجيا الرقمية**، د. أحمد عبد اللطيف: (25-31).

3- مراعاة حقوق المشاركين:

يتطلب البحث الشرعي احترام حقوق المشاركين في الدراسة، يجب على الباحث التأكد من حصوله على موافقة مستنيرة من المشاركين وشرح الأهداف والفوائد المتوقعة وكيفية استخدام البيانات التي تم جمعها[1].

4- تقوية الالتزام بالمبادئ الأخلاقية:

يجب على الباحثين تعزيز الالتزام بالمبادئ الأخلاقية من خلال متابعة التطورات الأخلاقية وتفعيل اللجان الأخلاقية المتخصصة في المؤسسات البحثية لضمان تقييم دقيق للأبحاث والمشاريع.

5- مراعاة التشريعات القانونية:

على الباحث أن يكون على دراية بالتشريعات القانونية المتعلقة بالبحث العلمي الشرعي، يجب أن يلتزم الباحث بالقوانين واللوائح المحلية والدولية المتعلقة بالأبحاث وضمان توافق نتائج البحث مع هذه التشريعات[2].

تواجه البحوث العلمية الشرعية تحديات أخلاقية وقانونية تتطلب تفكيرًا دقيقًا والالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية والشرعية، وبتبني النهج الصحيح، يمكن للباحثين تحقيق تقدم علمي يتسق مع القيم الإسلامية والقوانين المعمول بها.

[1] **التحول الرقمي في البحث العلمي: فرص وتحديات**، د. أحمد عبد اللطيف: (33-35).

[2] **التحول الرقمي في البحث العلمي: فرص وتحديات**، د. أحمد عبد اللطيف: (33-35).

المبحث الثالث: التطورات في البحث والاجتهاد الشرعي

هناك تطوّرات عدّة طرأت على البحث العلمي والاجتهاد الشرعي في ظل التكنلوجيا الرقمية أذكرها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التحقق من الأدلة والمصادر:

يمكن استخدام التكنولوجيا الرقمية لتحليل والتحقق من مصداقية المصادر والأدلة الشرعية بشكل أفضل، وهذا يساهم في تحسين جودة البحوث والدراسات الشرعية.

تشكل مصداقية المصادر والأدلة أمرًا حيويًا في عملية البحث واستنتاج الحقائق، خاصة في السياق الشرعي الذي يتطلب دقة وأمانة في التعامل مع المعلومات، في هذا السياق، أصبحت التكنولوجيا الرقمية شريكًا لا غنى عنه في تحليل والتحقق من مصداقية المصادر والأدلة[1].

1. أدوات تحليل النصوص والمضامين:

يستفيد الباحثون والقانونيون من أدوات تحليل النصوص التي تعتمد على التكنولوجيا الرقمية، تتيح هذه الأدوات فحص وتحليل النصوص بشكل فعال لفهم معانيها والكشف عن أي تشويش أو تلاعب.

2. تقنيات استخدام البيانات الرقمية:

تسهم تقنيات الاستفادة من البيانات الرقمية في تحليل الأدلة بشكل أعمق، ويمكن للباحثين تحليل البيانات الكبيرة لاستخدامها كأدلة قوية في البحث واتخاذ قرارات شرعية مستنيرة[2].

3. تقنيات التحليل الإحصائي:

توفر التقنيات الإحصائية الرقمية والتحليل الكمي أساليب قوية لتحليل البيانات وتفسيرها، يُمكن استخدام هذه التقنيات للتأكد من صحة الأدلة واستنتاج نتائج دقيقة.

4. الذكاء الاصطناعي في التحقق من المعلومات:

يُستخدم الذكاء الاصطناعي في تحليل المعلومات وفحص صحة المصادر، يمكن للأنظمة الذكية تحليل أنماط السلوك عبر الإنترنت وتحديد مصادر قد تكون مشبوهة[1].

---

[1] **أثر التقنيات الحديثة على الدراسات الشرعية**، د. محمد رياض، بحث منشور في مجلة الدراسات الشرعية بجامعة القاهرة، العدد 55: (ص:19-23).

[2] **التكنولوجيا الرقمية وتغيير الوسائل البحثية**، د. محمد خليفة: (15-16).

5. التشفير وأمان البيانات:

يلعب التشفير وحماية البيانات دورًا حاسمًا في ضمان سرية ونزاهة الأدلة، تقنيات التشفير تسهم في حماية المعلومات الحساسة والتأكد من أمانها.

6. تقنيات البحث المتقدمة:

تساهم تقنيات البحث المتقدمة، مثل محركات البحث المتقدمة وتقنيات التصفية، في توجيه الباحثين إلى المصادر الشرعية والموثوقة.

تواجه هذه التقنيات التحديات مثل تزايد التلاعب الرقمي وتزوير المعلومات، ويجب على الباحثين والمحققين الابتكار باستمرار وتحديث أساليب التحقق للتعامل مع هذه التحديات[2].

تظهر التكنولوجيا الرقمية كأداة فعّالة في تحليل والتحقق من مصداقية المصادر والأدلة الشرعية، ويمكن أن تساهم هذه التقنيات في تحقيق نتائج دقيقة وموثوقة، مما يعزز النزاهة والعدالة في العمليات القانونية والبحث العلمي.

المطلب الثاني: البحث عن حلّ للقضايا الجديدة:

إنّ تطور التكنولوجيا يعني أنّ هناك قضايا جديدة تطرح نفسها في العصر الحالي والتي لم تكن معروفة في السابق، وهذا يتطلب من العلماء والباحثين الشرعيين الاجتهاد والبحث الشرعي للعثور على حلّ ملائم ومعاصر.

تعتبر التكنولوجيا الحديثة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التقدم في مجال البحث العلمي، وتلعب دوراً بارزاً في تسهيل استكشاف وفهم القضايا الشرعية الإسلامية الجديدة. يعكس هذا المقال دور التكنولوجيا الحديثة في تيسير عملية البحث العلمي حول القضايا الشرعية الإسلامية وتقديم حلول مستدامة.

1. البحث الإلكتروني وقواعد البيانات الشرعية:

يتيح البحث الإلكتروني والوصول إلى قواعد البيانات الشرعية الإلكترونية للعلماء والفقهاء فرصة استكشاف القضايا الشرعية بشكل أوسع وأسرع، ويمكن الوصول إلى آلاف المصادر والآراء بلمسة زر، مما يسهم في جعل البحث أكثر شمولاً وتنوعاً[1].

---

[1] **الذكاء الاصطناعي وتأثيره على البحث العلمي**، د. محمد عبد الرازق، دار عالم الكتب، 2021: (7-10)، وقد تمّ عقد مؤتمر في جامعة عين شمس عام 2022، بعنوان: "الذكاء الاصطناعي وتأثيره على البحث العلمي"، تناول فيه المشاركون هذا التأثير وكفية الاستفادة منه.

[2] **التكنولوجيا الرقمية وتغيير الوسائل البحثية**، د. محمد خليفة: (15-16).

2. تقنيات تحليل النصوص الشرعية:

تقنيات تحليل النصوص الشرعية تساعد على فحص وفهم النصوص الدينية بطرق أكثر دقة، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي وتقنيات تعلم الآلة لاستخلاص المعاني والأحكام الشرعية من النصوص بطريقة تسهم في تبسيط البحث[2].

3. تقنيات الفحص الإلكتروني للأدلة:

يمكن استخدام تقنيات الفحص الإلكتروني للأدلة في تحليل صحة المصادر والأدلة المقدمة، يتيح ذلك للباحثين تحديد مدى موثوقية المعلومات والتأكد من صحة الأدلة المستخدمة في البحث.

4. التواصل عبر الإنترنت والمنصات الرقمية:

تساهم وسائل التواصل عبر الإنترنت في تيسير التواصل بين العلماء والفقهاء في مختلف أنحاء العالم. يمكن للمنصات الرقمية أن تكون منبرًا لمناقشة القضايا الشرعية وتبادل الآراء والأبحاث بشكل فوري.

5. التقنيات الحديثة في التعليم الشرعي:

تعزز التقنيات الحديثة في مجال التعليم الشرعي فهم الطلاب للقضايا الشرعية، فتطبيقات الواقع الافتراضي والتعلم الإلكتروني تساعد في توفير تجارب تعلم مفصلة ومستدامة.

6. تقنيات البحث المتقدمة في العلوم الشرعية:

تستخدم تقنيات البحث المتقدمة مثل التحليل الإحصائي ونظم المعلومات الجغرافية في فحص البيانات الشرعية وتقديم رؤى أوسع حول التوجيهات والاتجاهات[3].

تظهر مع هذا التقدم التكنولوجي تحديات تتعلق بالخصوصية والأمان، وتواجه الحاجة إلى التحديث المستمر للقوانين والتشريعات المتعلقة بالبحث الشرعي، إلا أنها تفتح أيضًا آفاقًا جديدة للبحث والفهم العلمي الأعمق في ميدان القضايا الشرعية.

---

[1] **استخدام تقنية الحاسب في العلوم الإسلامية والعلوم المساندة، د. عبد الله مبارك آل سيف، منشور في النت، ومنه نسخة في شبكة الألوكة: (15-17).**

[2] **مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية: ضوابط ومحاذير، دراسة حديثية نظرية تطبيقية، سامي الخياط، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب 2017: (65-66).**

[3] **مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية: ضوابط ومحاذير، دراسة حديثية نظرية تطبيقية، سامي الخياط: (65-66). التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الو اقع والمأمول، د. إبراهيم الريس، منشور في النت، ومنه نسخة في شبكة الألوكة: (10-24)، التقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية، مدحت عبد الباري وهشام السبع، نشر في المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية. (مجلد2، العدد 3)، ص: (4-5).**

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث تَوَصَّلْتُ إلى النتائج الآتية:

أولاً: تشكل التكنولوجيا الرقمية محورًا حيويًا في عمل العلماء والباحثين، حيث أصبحت لا غنى عنها في كل جانب من جوانب البحث العلمي، وهذا التحوّل الرقمي يتيح لهم الوصول إلى وسائل بحث جديدة وفعالة.

ثانياً: يشكّل التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية محورًا حيويًا في تحول العملية التعليمية، حيث يتيح هذا النمط الجديد فرصًا متنوعة وفعّالة للطلاب والمعلمين على حد سواء.

ثالثاً: تشكّل التكنولوجيا الرقمية تقدمًا هائلاً في مجال البحث كما ذكرت، لكنّها مع هذا التقدم تواجه العديد من التحديات الأخلاقية والقانونية التي قد تنشأ نتيجة لاستخدام هذه التكنولوجيا في الأبحاث العلمية، فمن التحديات الأخلاقية: الخصوصية وحماية البيانات، التمييز الذكي والعدالة، التحقق من المصادر والأمان، ومن التحديات القانونية: حقوق الملكية الفكرية، التعامل مع البيانات الحساسة، التأثير على المجتمع والبيئة.

رابعاً: لمواجهة التحديات الأخلاقية والقانونية لا بد من اتباع ما يلي: تحديد الأهداف بشكل واضح، الحفاظ على سرية البيانات، مراعاة حقوق المشاركين، تقوية الالتزام بالمبادئ الأخلاقية، مراعاة التشريعات القانونية.

خامساً: هناك تطوّرات عدّة طرأت على البحث العلمي والاجتهاد الشرعي في ظل التكنلوجيا الرقمية، ومنها: التحقق من الأدلة والمصادر، البحث عن حلّ للقضايا الجديدة، وقد ذكرت تفصيل ذلك في ثنايا البحث.

المراجع:

1. أثر التقنيات الحديثة على الدراسات الشرعية، د. محمد رياض، بحث منشور في مجلة الدراسات الشرعية بجامعة القاهرة، العدد 19.
2. أخلاقيات البحث العلمي في مجال التكنولوجيا الرقمية، د. أحمد محمد، موقع "البوابة العربية للعلوم والتكنولوجيا"، 2022.
3. استخدام تقنية الحاسب في العلوم الإسلامية والعلوم المساندة، د. عبد الله مبارك آل سيف، منشور في النت، ومنه نسخة في شبكة الألوكة.
4. أفضل الممارسات في التعليم عن بُعد، د. محمد عبد الله، موقع "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)"، 2021.
5. التحديات القانونية والأخلاقية للبحث العلمي في مجال التكنولوجيا الرقمية، د. أحمد عبد اللطيف، دار الفكر، 2022.
6. التحول الرقمي في البحث العلمي: فرص وتحديات، د. أحمد عبد اللطيف، دار الفكر، 2022.
7. التعلم الإلكتروني: أسس ونظريات وتطبيقات، د. محمد عبد الرازق، دار عالم الكتب، 2021.
8. التكنولوجيا الرقمية وتغيير الوسائل البحثية، د. محمد خليفة، دار المعرفة، 2023.
9. التعليم عن بُعد والمواد التعليمية الرقمية، د. محمد خليفة، دار المعرفة، 2023.
10. التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول، د. إبراهيم الريس، منشور في النت، ومنه نسخة في شبكة الألوكة.
11. التقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية، مدحت عبد الباري وهشام السبع، نشر في المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية. (مجلد2، العدد 3).
12. دور المواد التعليمية الرقمية في تحسين التعليم، د. أحمد محمد، موقع "البوابة العربية للتعليم الإلكتروني" على شبكة الإنترنت، 2022.
13. الذكاء الاصطناعي وتأثيره على البحث العلمي، د. محمد عبد الرازق، دار عالم الكتب، 2021.
14. مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية: ضوابط ومحاذير، دراسة حديثية نظرية تطبيقية، سامي الخياط، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب 2017.

الأمن المائي ورهانات التعايش والتنمية
(بين الأنا والآخر) في ضوء حديث السفينة: دراسة مقاربة

الأستاذ الدكتور حامد محمد حامد عثمان

جامعة الطائف

المملكة العربية السعودية

hamidusman1966@hotmail.com

ملخص البحث:

تناقش صفحات هذا البحث مشكلة أزمة سد النهضة ومحاولة علاجها في ضوء حديث السفينة، وهي تعتبر مشكلة دينية، سياسية، اجتماعية، أخلاقية كبيرة تتعلق بصلاح وفساد ركبان سفينة نهر النيل الذين يعيشون على متنها وهم أكثر من ثلاث دول – مصر والسوادان وإثيوبيا...وغيرهم، ويأتي ذلك وفق منهج وصفي قائم على التحليل والمناقشة والنقد والاستنتاج، وقد توصلت الى نتائج مهمة أهمها ما يأتي:

1- أن التعايش السلمي فضلا عن كونه مطلبا شرعيا وأسلوبا حياتيا وأساسا حضاريا للتفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، فهو أداة نفسية تعود بالفائدة على الإنسان ذاته.
2- من مقتضيات حصول التعايش السلمي ضرورة الوعي بالذات أولا، ثم فهم الآخر، ثم الدعوة إلى تقديم الأنا على حقيقتها أمام الآخر.
3- من القيم الضرورية لبناء التنمية المستدامة في المجتمع إقامة مبادئ الحرية والعدالة والإحساس بالمسؤولية.
4- تجسيد معنى المواطنة والحفاظ على قيمها في حديث السفينة من أبرز دلائل النبوة.
5- ضرورة التعاون بين دول النهر عن طريق تبادل المعلومات المرتبطة بالنهر، والإخطار المسبق يصدر من الدولة التي تنوى إقامة مشروع مائي على النهر، وعدم التسبب في الاخطار والاضرار للدول المجاورة.
6- عدم جواز التصرف الأحادي الصادر من أثيوبيا بشأن إقامة سد النهضة؛ لأن مصر والسودان لهما حقوق في مياه النيل وعدم الأضرار بحصتهما المائية بموجب قواعد وأحكام القانون الدولي الخاصة بالأنهار، والاتفاقيات الخاصة بمياه النهر.

الكلمات المفتاحية: الأمن المائي- حديث- دراسة مقاربة –التعايش السلمي

Water Security and challenges of Peaceful coexistence

(Between the other and me)

In light of the words of the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, about the ship's society

An analytical study

Prof. Dr. Hamed Mohamed Hamed Othman

Professor of Postgraduate Studies in Interpretation and Qur'anic Sciences at the College of Sharia and Law

Taif University - Kingdom of Saudi Arabia

1445 AH - 2024 AD

ABSTRACT :

The points of this research problem discuss the Renaissance Dam crisis and the attempt to treat it through the words of the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, about the ship's society, which is a religious, political, and social problem, largely shared by the righteousness and corruption of the Nile River ship's passengers who live on board, who are more than three countries - Egypt, Sudan, Ethiopia...and others, and then a specific and descriptive approach based on analysis, discussion, and production, and I reached important results, the most important of which are the following:

-1Peaceful coexistence has become known as a legal demand, a way of life, and a civilized basis for understanding between members of one society. It is a psychological tool that benefits humans in the first place.

Peace is one of the requirements of achieving coexistence because of awareness for the first time, then understanding the other, then events to present the ego as it is in front of the other.

Among the basic values for building commercial development in society are the principles of freedom, justice, and sensitivity to responsibility.

The embodiment of a light meaning based on its values in the modern vehicle is one of the most prominent aspects of prophecy.

There was no cooperation between the river countries through the exchange of information, there during the day, and prior notification of requests from the state that specifies a project on the river, and not causing dangers and damage to the surrounding area.

-It is not legally permissible to delegate judicial powers from Ethiopia, including the construction of the Renaissance Dam. Because Egypt and Sudan have rights to the waters of the Nile and do not have their water share under the rules and provisions of international law related to rivers and agreements related to river water.

Keywords: peaceful coexistence- water security- analytical study

المقدمة:

فمما لا شك فيه أن إثارة الحديث حول موضوع (الأمن المائي ورهانات التعايش والتنمية بين الأنا والآخر في ضوء حديث السفينة)؛ إنما يتأتى من منطلق ضرورة العمل بأصول الحضارة الإنسانية ومبادئها في الرسالات السماوية عموما، ورسالة الإسلام على الخصوص، والتي من أبرزها عمارة الأرض، وعدم الإفساد فيها، وفي إطار مفاهيمي يعنى بتحقيق التنمية وحصول الأمن والاستقرار، والتعايش السلمي بين الأفراد والأمم في الأوطان.

ولقد جاءت نصوص القرآن الكريم بما يعزز بناء هذا المقصد الأسمى وينميه، قال تعالى على لسان هود عليه السلام: " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود61) ، والآية توضح -كما يفهم منها-دور الانسان في الحياة وعلاقته بما حوله وبرنامجه فيها. والعمارة نقيض الخراب والافساد، وهي تعني جعل الشيء واستعماله على النحو الذي ينتفع به ويحقق الغرض منه.

ولاشك أن السعي الحثيث نحو تحقيق التعايش السلمي، والتنمية المستدامة؛ من أبرز ملامح المجتمع المسلم وخصائصه، وذلك وفق آفاق المقاصد القرآنية العظمى، والتوجيهات النبوية السامية الداعية إلى التآزر، والتعاضد، والتعايش المشترك، وتقديم النفع للآخرين...الخ، ومن ثم فإن المفسدين في الأرض ماديا ومعنويا، والمنحرفين فكريا وسلوكيا من أفراد الأمم؛ لابد وأن تطال آثارهم السيئة بالضرورة كلّ أفراد الأمة، فالفرد مسؤول عن نفسه وعن الأمة، والأمة مسؤولة عن مجموعها وأفرادها، قال تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) الحج :43 ، ويستفاد من الآية الكريمة أن أهم المقاصد والغايات المطلوبة للشارع الحكيم، هي (حفظ الأرض من الفساد)، كما أن وسيلة الدفع هذه تمثل جوهر الحرية الفطرية التي جبل الإنسان عليها وتؤيدها شريعة الإسلام السمحة.

وبإنعام النظر -فيما سبق-نرى بوضوح تجسد هذه المعاني والدلالات السامية كلها في حديث السفينة الذي رواه النعمان بن بشير – رضي الله عنه – عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا"(1).

وبشكل أكثر تفصيلا فإن هذا الحديث المبارك تتجسد في أحد مفاهيمه صورة ارتهان مصير سفينة المجتمع، بنوعية ما يجري فيها من أفعال وتصرفات؛ بل وبما يعتلج في أعماق نفوس الركبان من أحاسيس

[1] - البخاري، محمد بن اسماعيل: الجامع الصحيح المختصر كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة...، رقم الحديث(2493) (882/2)، وكتاب: الشهادات، باب القرعة في المشكلات حديث رقم 2540، 954/2. ورواه ابن حنبل، أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، مسند النعمان بن بشير، رقم الحديث (18361) (310/30)، ورواه الترمذي في سننه (مرجع سابق)، كتاب الفتن وقال حسن صحيح رقم الحديث (2173) (40/4)، ورواه البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو في مسنده، مسند النعمان بن بشير، رقم الحديث (3251) (211/8).

وأفكار، وطموحات وآمال. فبقدر ما تتسم به هذه المعاني وتلك التصرفات من ارتباط بجوهر الفطرة واستقامتها واستوائها؛ يكون نصيبها من السلامة والصلاح، واقترابها من شاطئ الأمان، والعكس صحيح تماما؛ أي بقدر ما تتلون أحاسيس ركاب سفينة المجتمع وأفكارهم وطموحاتهم وآمالهم بالقتامة والاعوجاج، وتوصم أعمالهم وتصرفاتهم بالفساد والعار والانحراف عن جادة الصواب، يكون نصيب السفينة وحظها من الأهوال والأخطار التي تهدد سلامتها في الصميم، فتهلك بها ولو بعد حين.

مشكلة الدراسة:

وفي ظل الواقع المعيش نرى نازلة أزمة سد النهضة تتفاقم على سطح سفينة نهر النيل، وركبان السفينة وهم أكثر من ثلاث دول – مصر والسوادان وإثيوبيا...وغيرهم - يعيشون على ظهرها في وعكة دينية، سياسية، اجتماعية، اخلاقية كبيرة تتعلق بصلاح وفساد السفينة ومن عليها، وتلك الأزمة وغيرها من الأزمات ممن هو على شاكلتها تعد نازلة شرعية سياسية معضلة صعبة وخطيرة، والحاجة الى حلّها ماسّة ومُلحّة؛ من هنا تأتي أهمية الكتابة في هذا البحث الموسوم ب" (الأمن المائي ورهانات التعايش والتنمية بين الأنا والآخر في ضوء حديث السفينة – دراسة مقاربة-) محاولين –بإذن الله تعالى- قدر الجهد- تنزيل المفاهيم والدلالات المستنبطة من حديث السفينة على الواقع المعيش في ظل هذه النازلة.

أهمية البحث:

1- تستقي هذه الدراسة أهميتها كونها تناقش موضوعاً مهما للغاية يتعلق بملامح ومظاهر التعايش ورهانات التنمية في ظل المخاوف الطارئة على الأمن المائي في ضوء السنة النبوية (حديث السفينة).
2- تسهم الدراسة في حل بعض المشاكل الأمنية التي تواجه المجتمعات المسلمة, وخاصة قضية التزاحم والتعارض بين الإحساس بالمسؤولية تجاه الذات وتجاه الآخرين وبين الاستبداد بالرأي وترجيح المصلحة الشخصية على مصلحة المجتمع.
3- تفتح هذه الدراسة الآفاق للمختصين الشرعيين؛ لاستنباط الأصول الشرعية في جميع مناحي الحياة من خلال البحث والاستقصاء في السنة النبوية المطهرة.

أهداف البحث:

1- بيان وجوه الاعجاز النبوي المتعلقة بحفظ نظام التعايش وتعزيز قيم التنمية من خلال حديث السفينة.
2- بيان أهمية الإحساس بالمسؤولية وأثره في تحقيق الأمن والتنمية المستدامة لدى المجتمع المسلم
3- التعرف على كيفية حفظ نظام التعايش واستشراف آفاق التنمية في ظل الرهانات والتحديات
4- التعرف على الأبعاد المقاصدية والقيم الحضارية للتعايش السلمي والتنمية في التصور الإسلامي عموما وفي السنة النبوية على وجه الخصوص.
5- رفع الوعي الانساني بمعرفة حقه في الماء؛ فبه يحيا الانسان وبدونه يفنى وتهدر كرامته.

منهج البحث:

وطبيعة هذا البحث تقتضي أن نسلك فيه المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء واستنباط المعاني والدلالات من النصوص الشرعية التي أشارت إلى الموضوع وربطها بقضية الأمن المائي في ظل الواقع المعيش.

خطة البحث:

ينقسم البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

المقدمة وفيها: مشكلة الدراسة وأهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطته والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث وتحته مطالب:

المطلب الاول: مفهوم التعايش وخصائصه.

المطلب الثاني: حول حديث السفينة.

المطلب الثالث: مفهوم الأمن المائي.

المطلب الرابع: مفهوم التنمية.

المبحث الأول: التعايش في السفينة وتحقيق التنمية في ضوء المقاصد العامة للإسلام وتحته مطالب:

المطلب الاول: التعايش في السفينة وحفظ نظام العمران والاصلاح في الأرض.

المطلب الثاني: التعايش في السفينة وتحقيق المواطنة.

المطلب الثالث: التعايش في السفينة وحقوق التنمية.

المبحث الثاني: حفظ نظام التعايش في السفينة في ظل مبادئ الشريعة.

المبحث الثالث: التعايش في السفينة ورهانات التنمية وتحته مطالب:

المطلب الأول: مخاطر التعسف في استعمال الحقوق المشروعة.

المطلب الثاني: طرق مقترحة للعلاج.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

الدراسات السابقة:

انطلاقاً من أدبيات البحث العلمي التي تنص على أن الدراسة الحالية ينبغي أن تتقاطع تقاطعاً جوهرياً مع الدراسات السابقة وان يكون موضوعها له علاقة مباشرة مع موضوعه[1] أقول: فإنه ولا شك ثمة دراسات سابقة تتقاطع مع دراستنا الحالية في تناول دراسة حديث السفينة، لكن ثمة فروقا واختلافات جوهرية وهي أن جميع تلك الدراسات لم تتناول تنزيل مفهوم الحديث على نازلة من نوازل الواقع المعيش وهي ازمة سد النهضة وهذا يعد فرقا جوهريا ودراسة جديدة في هذا المجال، وإن كنت لا استغني عنها كمراجع لهذه الدراسة.

[1] – صالح، عبد الله عبد الرحمن، وآخرون: المرشد في كتابة البحوث التربوية (ص240)

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث

وتحته مطالب:

المطلب الاول: مفهوم التعايش وخصائصه

التعايش لغة: يقال:(عيش) العين والياء والشين أصل صحيح يدل على حياة وبقاء، والمعيشة: الذي يعيش به الإنسان: من مطعم ومشرب وما تكون به الحياة. والأرض معاش للخلق، فيها يلتمسون معايشهم. (1) وهي مصدر صناعي على وزن تفاعل الذي يفيد وجود العلاقة المتبادلة بين الطرفين. ([2])

التعايش اصطلاحا: يبدو أن له مفاهيمَ متعددة تختلف بحسب اصطلاح اهل كل فن:" فهو عند أهل السياسة معناه: اتفاق ضمني بين مجموعتين أو حزبين أو دولتين على عدم اللجوء إلى الحرب لتسوية الخلاف بينهما، ويجب أن نفرق بين التعايش والسلام إذ أن الطرفين المتعايشين يظلان حذرين وفي أغلب الأحيان معاديين لبعضهما البعض لكنهما يقبلان أن اختلاف أيديولوجيتهما ونظامهما الاجتماعيين لا يسبب وحده اندلاع الحرب بينهما."(3). وفي معجم المصطلحات السياسية: عبارة استعملت بكثرة خلال الحرب الباردة للدلالة على أن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة رغم فوارق نظامهما يمكنهما أن يتعايشا دون اللجوء إلى الحرب. وقد تستعمل العبارة أيضا بمعنى حاجة خصمين إلى التفكير في حل سلمي يرضي الطرفين والعيش بسلام. ([4])

ثانيا: خصائص التعايش السلمي

والتعايش الذي يريده الإسلام له خصائصه المميزة وهي على النحو الآتي:

1-أن يقتصر التعايش فيما يتعلق بالمعيشة البحتة بين الناس التي تفرضها طبيعة الحياة البشرية وحاجاتها الفطرية.

2-إن التعايش في المفهوم الإسلامي لا يقتضي محبة أو ولاء أو اعترافاً بالصحة الكاملة لمبادئ الآخرين وأديانهم.

3-ألاّ يتضمن شيئا من التنازل عن أمر من أمور الدين بحجة ترغيبهم في الدخول في الإسلام أو إعطاء صورة حسنة عن الإسلام أو بأي تعليل آخر.

إنه لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسّس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائها، ولكنّ الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التعارف بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها، وهو خاضع للسياسة الشرعية العملية التي يقدرها أهل الحل والعقد من أهل الخبرة والعلم والدين.

---

[1]- ابن فارس، احمد: مقاييس اللغة، كتاب العين، باب العين والياء وما يثلثهما. 3/ 7

[2]- معلوف، الأب لويس: قاموس المنجد: ص 213 مادة عيش

[3]- أنيس، ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة عيش، 126/1. والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مادة عيش ص 312.

[4]- معجم المعاني الجامع 3/ 57 مادة عيش انظر: https://www.almaany.com

المطلب الثاني: حول حديث السفينة وتحته فروع:

الفرع الاول: نص الحديث وتخريجه وتصنيفه ورو اته

أولا:- قال الإمام محمد بن اسماعيل البخاري :حدَّثنا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حدَّثني زَكَرِيَّاءُ قَالَ سَمِعْتُ عامِراً يقُولُ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بنَ بَشِيرٍ رَضِي الله تَعَالَى عنهُما عنِ النَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ مَثَلُ القائِمِ عَلَى حُدُودِ الله والْوَاقِعِ فِيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفينَةٍ فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاهَا وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها فكانَ الَّذِينَ فِي أسْفَلِها إذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا علَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً ولَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنا فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أرَادُوا هلَكُوا جَميعاً وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَميعاً.

مطابقته للتَّرْجَمَة فِي قَوْله: (استهموا على سفينة).

ثانيا: -تخريج الحديث: الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (139/3) حديث رقم " 2493"، وأخرجه أيضا في كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، 954/2 حديث رقم 2686 بلفظ:" مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها..." عَن عمر بن حَفْص بن غياث عَن أَبِيه عَن الْأَعْمَش عَن عامر الشّعبِيّ بِهِ. وأخرجه الترمذي في "كتاب الفتن" باب" منه"([1]) عَن أَحْمد بن منيع عَن أبي مُعَاوِيَة عَن الْأَعْمَش بِهِ، وَقَالَ: حسن صَحِيح. حديث رقم "2264 " بلفظ " مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها ... الخ " وأخرجه أحمد في مسنده :4/ 268، في مسند الكوفيين، مسند النعمان بن بشير، رقم الحديث (18361) (310/30) ...وغيرهم.

ثالثا: -تصنيف الحديث ورواته: هذا الحديث تعددت نقلته عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه-وانفرد بروايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل النعمان بن بشير؛ لذا فإن هذا الحديث يعد من الأحاديث الغريبة غرابة مطلقة ([2])

الفرع الثاني: الجانب البلاغي في الحديث

لقد حوى الحديث المبارك جملة من الوجوه البلاغية المتنوعة نشير إلى أبرزها باختصار:

1-الطباق في جمعه بين «القائم» و«الواقع»، وبين: «أعلاها» و«أسفلها»، وبين: "هلكوا" و"نجوا".

---

[1] - أي يندرج تحت باب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر. وهو الباب الذي قبله

[2] - والنعمان بِفَتْح الْبَاء الْمُوَحدَة: هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، ويكنى أبو عبد الله أحد صحابة الرسول، وكان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرًا فأتت به أمه (أخت عبد الله بن رواحة) تحمله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبشرها بأنه سيعيش حميدًا ويُقتل شهيدًا ويدخل الجنة"، وروَى عن النّبي صَلَّى الله عليه وسلم، وعن خالد بن عبد الله بن رَواحة، وعُمر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، روَى عنه ابنه محمد، ومولاه سالم، وعُروة، والشَّعبي، والسَّبيعي، وأبو قلابة، وخَيْثمة بن عبد الرَّحمن، وسِماك بن حرب، وآخرون. وقال أَبُو مسْهرٍ، عن شعبة بن عبد العزيز: كان قاضي دمشق بعد فضالة بن عبيد، وقال سماك بن حرب: استعمله معاوية على الكوفة، وكان مِنْ أخطب مَنْ سمعت. وقال الهيثم: نقله معاوية من إمرة الكوفة إلى إمرة حمص، وضَمّ الكوفة إلى عبيدالله بن زياد، وكان بالشَّام لما مات يزيد بن معاوية. ولما استخلف معاوية بن يزيد، ومات عن قُرْب دعا النعمانُ إلى ابن الزَّبير ثم دعا إلى نفسه، فواقعه مروان بن الحكم بعد أن واقع الضَّحاك ابن قيس، فقتل النّعمان بن بشير؛ وذلك في سنة خمس وستين. العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة 346/6

2-الاستعارة في قوله: «القائم على حدود الله»، وهي استعارة مكنية، شبهت فيها المعاصي بوهدة من الأرض محدودة وحولها رجال يحرسونها، ويمنعون الناس من الوقوع فيها، ثم حذف المشبه به وأتى بلازمة من لوازمه وهي الحدود. ونفس الشيء يقال في قوله: «الواقع فيها»

3-الكناية في قوله: «أخذوا على أيديهم»، فإن الأخذ على اليد كناية عن استعمال القوة، كما ذكر الحافظ ابن حجر في حديث: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوما"[1]، حيث قال: "قوله «تأخذ فوق يديه» كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول"

4-التشبيه التمثيلي في قوله: «مثل القائم على حدود الله...» إلخ، هنا يُمَثِّلُ حالَ مَن يفهَمُ رسالته، ويُحسن أداء مُهمَّته في الحياة، ومَن لا يدور بخلده دِينٌ، ولا قِيَمٌ، وهمُّه نفسُه ومصلحتُه ذاته، وهو تشبيه معقول بمحسوس؛ شبهت فيه الهيئة الحاصلة من قيام المسلمين بواجبهم في تغيير المنكر بالهيئة الحاصلة من قيام أهل السفينة بمنع من يريد خرقها من الإقدام على ما يريد، كما شبهت الهيئة الحاصلة من التقاعس عن تغيير المنكر بحال أهل السفينة إن تركوا من يريد خرقها يفعل ما يشاء. ([2])

المطلب الثالث: مفهوم الأمن المائي

تعريف الأمن في اللغة:

قال ابن فارس: " الهمزة، الميم، والنون، أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق " ([3]). وقال الزمخشري: " فلان أمنة، أي: يأمن كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته ". وقيل: "إن الأمان والأمانة بمعنى: قد أمنتُ؛ فأنا أمن، وآمنت غيري من الأمن، والأمان. والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة...، والمأمن: موضع الأمن، والآمن: المستجير ليأمن على نفسه "([4])

ومن خلال ما تقدم من معاني لغوية يتضح لنا أن كلمة الأمن لها عدة إطلاقات:

فهي تعنى الطمأنينة وعدم الخوف، أو الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الغير.

تعريف الأمن اصطلاحا: تباينت التعريفات الاصطلاحية للأمن؛ لتباين المشارب السياسية والتنوع في النظرة واختلاف التصورات بين: الكتاب والعلماء وخبراء السياسة، يقول الجرجاني: " الأمن هو: عدم توقع مكروه في الزمن لآتي". [(5)] وقد جعل الجرجاني التعريف منصبا على عدم توقع مكروه، وهو بمعناه العام يشمل النفس،

---

[1] -صحيح البخاري كتاب المظالم باب: انصر أخاك ظالما أو مظلوما حديث رقم 2311

[2] - محمود، سعد تركي شيخ: موسوعة الحسبة، مقال بعنوان تأملات في حديث سفينة النجاة على موقع: http://www.almohtasb.com/ بتصرف.

[3] - ابن فارس، احمد: مقاييس اللغة بيروت، لبنان – 1999 م، مادة أمن 133/1

[4] - الزمخشري، محمود جار الله: أساس البلاغة، بيروت –دار الفكر 1979 م ص 10

[5] الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تونس، السداد التونسية، ط1، سنة 1971م، ص 20.

والعرض، والمال، والعقل والدين، وهي الكليات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها. أما التعبير " بالزمان الآتي"؛ فيعني ما يشمل المستقبل القريب والبعيد. وقيل: هو الإجراءات الأمنية التي تُتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشآتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج [1] وقيل غير ذلك. [2]

أما عن تعريف الأمن المائي كمركب وصفي إضافي، فيعرف بأنه: الكمية المتوفرة من الماء الجيد والكافي للصحة والإنتاج ومتطلبات الحياة، مقرونا بالمستوى الملائم من الخطر المتعلق بالماء. [3]

[1] - الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، بيروت ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1985 م 331/1

[2] - رضوان، اسماعيل، وزميله: الأمن في السنة النبوية، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الاسلامية العدد الاول 2012 م ص45

[3] - خدام، منذر: الأمن المائي العربي الواقع والتحديات، لبنان-بيروت، دراسات الوحدة العربية 2001 م ص 12. وانظر موسوعة ويكبيديا الحرة على موقع الانترنت:

المبحث الأول: التعايش في السفينة في ضوء المقاصد العامة للإسلام

وتحته مطالب:

لا شك أن مبدأ التعايش السلمي فوق أرض الوطن بين الجنسيات والطوائف المتعددة له علاقات وطيدة بالمقاصد العامة للإسلام، ومن ثم فقد أفردنا لهذا المقصد هذا المبحث لدراستها بإمعان في ضوء حديث السفينة.

المطلب الأول: التعايش في السفينة وحفظ نظام العمران

يرى ابن عاشور: أن المقصد الأعلى من نزول القرآن هو تحقيق الصلاح على المستوى الفردي، والجماعي، والعمراني، مستدلا بقوله تعالى:" وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "النحل:٨٩، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية"([1]).ويفصل ذلك في موضع آخر فيقول: "المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"([2])

كما أن المقاصد العليا للتشريع تعني بالمثل العليا وتحقيقها، ومن المثل العليا: العدل والمساواة، والتعاون والتعارف، وأن الأصل في الإسلام؛ السلام وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم، والتعايش السلمي لا يتحقق إلا في جو من الكرامة الانسانية والعدل والحرية في المعتقد والعمل والحركة مع المساواة. وأن المقصد من وراء ذلك هو التعارف لتحقيق الخلافة الحقة في الأرض. ([3])

هذا؛ ولا شك أن حقوق ذلك الإنسان المهيمن على هذا النظام العمراني وحدة واحدة متكاملة، ولا يمكن فصل حقه في الحصول على المياه عن باقي الحقوق، إذ الحصول على المياه أصبح واحداً من الحقوق الأصيلة في مجال حقوق الإنسان. ([4])

إذن؛ فنحن إذا ما أردنا تنزيل هذه الحقائق على واقع السفينة وجدنا أن الحفاظ على حياة الإنسان (الركبان جميعا)، وتحقيق العمران الحضاري المنشود فوق ظهر السفينة؛ مرهون بالدرجة الأولى بتحقيق الأمن المائي، وحصول كل فرد من ركبانها على حصته التي تكفيه من المياه في كافة شؤون حياته-دونما تشاحن أو تزاحم؛ لأن الكل إنسانٌ، وحياتهم وسلامتهم جميعا يحكمها وطن واحد وهو السفينة ومصير واحد وهو (مرساها).

---

[1]- ابن عاشور، محمد الطاهر: "التحرير والتنوير، 38/1

[2]- نشوان، قائد: دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور، ص10 وما بعدها " اطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الدراسات القرآنية بكلية معارف الوحي والعلوم الانسانية –الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا. مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة العدد 4- 2012

[3] – العوضي، عبد العزيز: القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية ص 12

[4] - سميح الزين ، أميمة : الماء حق من حقوق الانسان ، مجلة جيل حقوق الانسان العدد الاول ص 115 بتصرف يسير . انظر موقع: https://jilrc.com/

المطلب الثاني: التعايش في السفينة والمحافظة على الأرض محل الخلافة والعمران (الوطن والمواطنة)

شاءتْ إرادة المولى -سبحانه- هذا التّنوع والاختلاف بين البشر، ولكنّه أراده تنوّعاً يثري الحياة ويزيدها عطاءً وبناءً وتعارفاً وتآلفاً، مثلما احترم الإسلام حقّ الإنسان بالانتماء لقومه وعشيرته؛ فأقرّ كذلك مبدأ المواطنة، وقد جاء القرآن الكريم يُؤصّل لهذه المفاهيم والمبادئ في غير موضع في سوره وآياته، ومن ذلك قول الله سبحانه: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ" الحجرات: 13 التّعارف المراد بالآية الكريمة هو التعارف الذي يقوم على التناصح والتناصر بالحقّ، والتعاون في مهمّة عمارة الأرض.([1]). ومهمة العمارة هنا- كما يصورها حديث السفينة - تتجسد في وجوب المحافظة على كيان السفينة(الكيان المادي والكيان الروحي) وجوبا عينياً، انتماءً وتشريفاً، بل إن شئت فقل: حفاظا على الهوية الوطنية والملاذ الآمن، وذلك باعتبارها الوطن الحاضن للجميع والأم الحنون على رعيتها، فحب الوطن والانتماء إليه والدفاع عنه غريزة نفسية فطرية إنسانية قال تعالى : " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً " النساء : 66، وقال صلى الله عليه وسلم - مخاطباً مكة حين وداعها، في يوم فتح مكة: (مَا أَطْيَبَكِ من بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ؛ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) ([2])

والمواطنة تتجسد من خلال علاقة تربط الفرد بدولته التي ينتمي إليها يحددها قانون تلك الدولة، يتمتع بحقوق ويترتب عليه واجبات تجاه هذه الدولة، ولا تتحقق المواطنة الحقة إلا بتساوي جميع المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات، وتتاح أمام الجميع نفس الفرص (3)

المطلب الثالث: التعايش في السفينة وحقوق التنمية

التنمية لغة: هي النمو وارتفاع الشيء من مكانه إلى مكان آخر (4).

التنمية اصطلاحا: والتنمية بصفة عامة كما عرفتها هيئة الأمم المتحدة هي:" مجموعة من الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الأهالي مع السلطات العامة، من أجل تحسين مستوى الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات الوطنية والمحلية، وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها والتشارك إيجابيا في الحياة القومية، ولتساهم في تقدم البلاد.[5] ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التنمية

---

[1] - ريان، د. ريم : مقال بعنوان " تفسير قوله تعالى " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " اغسطس 2018 م ،على شبكة الانترنت : https://mawdoo3.com/

[2] - الترمذي، احمد بن عيسى: سنن الترمذي، كتاب المناقب باب فضل مكة على سائر البلاد 679/5 حديث رقم (3926) وقال حسن صحيح وصححه الالباني في صحيح سنن الترمذي 590/3 برقم 3926.

[3] - جنكو، د.علاء الدين عبد الرزاق: المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة ، العراق ، كوردستان العراق – جامعة التنمية البشرية: على موقع :http://neelain.edu.sd/m ص 34، 36باختصار.

[4] -انيس ، ابراهيم " المعجم الوسيط – مرجع سابق - 67/1

[5] -الفقي، محمد عبد القادر: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية، الامانة العامة لندوة الحديث، من موقع نبي الرحمة على موقع : http://nadwa-hadith.com/ar

المستدامة في الإسلام أكثر شمولا من الأنظمة المعاصرة، فالنظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية"[1] وهذا ما يرمي اليه مفهوم حديث السفينة. وهناك شواهد في القرآن والسنة تتناول مفهوم التنمية المستدامة منها: قوله تعالى: " كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"الأعراف:12 فالآية تشير الى الأساس الذي يقوم عليه مفهوم التنمية المستدامة، أي الوسطية في الاستغلال والانتفاع بالثروات والموارد الطبيعية دون إسراف أو تبذير. وقوله تعالى: " والسماء رفعها ووضع الميزان " الرحمن :7 بمعنى أثبت العدل في كل شيء، والميزان هو التوازن في الخلق وفي كل شيء وهذا هو أصل التنمية المستدامة.

ومن السنة: ما روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها" فهذه دعوة صريحة من رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الغرس والزرع والتشجير، ولأهمية هذا العمل في الإسلام دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القيام به حتى وإن قامت الساعة، والغرس والزرع والتشجير من أهم أعمال المحافظة على البيئة والمحيط الحيوي للإنسان والتي بدورها تسهم في تنمية الفكر التنموي المستدام لدى عامة الناس.[2]

[1] -زغدود، سهيل وزملاؤه : التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي. كلية العلوم الاقتصادية – باتنة – الجزائر-على موقع: https://portal.arid.my/Publications

[2] - المرجع السابق بتصرف.

المبحث الثاني: حفظ نظام التعايش في السفينة في ظل مبادئ الشريعة

لا شك أن الحرية، والعدالة، والمسؤولية، مبادئ إسلامية عظمى لها علاقات وطيدة وخطيرة بمجالات حياتنا المختلفة لاسيما مجالات التنمية والتعايش السلمي بين الشعوب المختلفة في الأوطان.

والحرية في الإسلام لا تتصور إلاّ مقيدة؛ لأن الحرية ليست انطلاقاً من القيود، بل هي معنى لا يتصور في الوجود إلا مقيداً، فالحر كما سبق تعريفه: هو الشخص الذي تتجلى فيه معاني الإنسانية العالية، الذي يضبط نفسه ويحترم حقوق الآخرين، ولا يعاملهم إلا بالحسنى، وبما يجب أن يعاملوه به بل يسمو عليهم بالتسامح، ولا يكون عبداً لهواه، ولا أسيراً لشهواته بل يكون سيد نفسه مالكاً لزمامها [1].

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن مجاراة ركبان السفينة لجميع ما سبق ووضعهم قيودا تضبط تصرفات وحريات جميع الركبان، هو من المصلحة العامة التي يقتضيها التعايش بأمان بين الجميع؛ حيث إن الاستقلال بالرأي عن الجماعة – خاصة في الأمور المتعلقة بكيانهم جميعا- قد يؤدي الى كوارث لا تحمد عقباها، بل إلى وصمة عارٍ تلحق بالجميع شرعاً، وقد أشار الى ذلك المعنى ما جاء في حديث السفينة في قوله صلى الله عليه وسلم : " فقالوا: لو أنَّنا خرَقْنا في نصيبنا خَرْقًا"، فلو سكت شركاء السفينة عمن أراد خرقها كانوا هم وإياه في الهلاك سواء، ولم يتميز المفسد في الهلاك من غيره، ولا الصالح منهم من الطالح، وكذلك إذا سكت الناس عن تغيير المنكر عمهم الله بعذاب من عنده، ووجب تعذيب العامة بذنوب الخاصة حيث ظهر المنكر ولم يغيروه، ومصداق ذلك قوله تعالى:" وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً" الأنفال:25، وقوله صلى الله عليه وسلم :«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»([2]).

وفي قولهم : (ولم نُؤذِ مَن فوقنا) الذي يُوحِي بسَلامة قَصْدِهم، وعدَم خبث صُدورهم، أنَّهم بهذه الكلمات أظهروا حُسْنَ طويَّتهم، وسُمُوَّ غرَضِهم، وعِفَّة لسانهم؛ غير أنَّ النية الحسنة لا تصحح العمل الفاسد، بل ولا ينبغي أن تسهم فيه أصلا، بل وكان يجبُ أنْ يُؤخَذ هذا الرأي في ظِلِّ مشورة جميع ركَّاب السفينة: أعلاهم وأسفلهم، ولا يقتصر على جماعةٍ دُون أخرى؛ لأنهم يعيشون في مركبٍ واحدٍ، ولغيرهم رأيٌ معتبر ومصالح رئيسة تتعلق بمصير حياتهم، ولهم رؤيةٌ وتصوُّر، فمن الخطأ أنْ يَفرِضَ المرءُ رأيَه على غيره مهما كانت نيَّته؛ قال حافظ إبراهيم:

رَأْيُ الْجَمَاعَةِ لا تَشْقَى البِلادُ بِهِ ♦♦♦ رَغْمَ الْخِلافِ وَرَأْيُ الفَرْدِ يُشْقِيهَا ([3])

---

[1] - أبو زهرة، محمد: في المجتمع الإسلامي ص17، وانظر: بابللي، محمود: الإنسان وحريته في الإسلام ص135.

[2] - السجستاني، سليمان بن الأشعث: سنن ابي داوود كتاب الملاحم باب الفتن حديث رقم (3835) والالباني: السلسلة الصحيحة (مرجع سابق) حديث رقم 1564

[3] - ابراهيم، حافظ، الشاعر: القصيدة العمرية، انظر موسوعة ويكبيديا: https://ar.wikipedia.org/ . وانظر: احمد، جمال عبد العزيز: المسؤولية الجماعية في الاسلام في ضوء حديث السفينة، مقال على الانترنت: https://www.alukah.net/ بتصرف واختصار.

ومن الملاحظ أن ورود الخرق هنا في الحديث كان في معرض الاستعارة فهو من باب التمثيل وليس على سبيل الحقيقة؛ إذ أن حديث السفينة كله من باب ضرب الأمثال أصلا، إذن فالخرق أمرٌ افتراضي ويجوز أن يحل محله بناء سدٍ مثلا – كما هو الحال في سد النهضة بدولة إثيوبيا – فالدول الثلاث (مصر والسودان وإثيوبيا) وهم ركبان سفينة نهر النيل يجمعهم وطن واحد وهو نهر النيل، ومصالح مشتركة من خلاله، ومع كون كل منهم يتمتع بحقه الكامل في الحرية في التصرف فيه؛ إلا أنها حرية مقيدة ومنضبطة بضوابط -كما ذكرنا آنفا- ، ولا يجوز في حق أي دولة منهم أن تستقل برأي أو إجراء يتعلق بالنهر إلا من خلال أخذ رأي بقية الدول الثلاث حتى ولو كانت مصلحة خاصة تتعلق بنصيب إحداهن.

هذا؛ والعدل قيمة عظمى ومبدأ ضروري لاستقامة الحياة ومحور أساس في بناء المجتمعات، ودافع قوي لنهضتها.

كما ورد في بيان ذلك قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" النحل:90، فهذه الآية تصور لنا عناصر العدل الاجتماعي الذي يجب أن ترسوا في الأمة جذوره وتعلو مظاهره ويستقر في ضمائر الناس سلطانه وحكمه. بل أكد القرآن العظيم على إقامة مبدأ العدل الأخلاقي الذي ينهض حكما بين المرء ونفسه في معاملة الناس حتى ولو كانت بينه وبينهم حزازات شخصية ويتضح ذلك في قوله تعالى:" وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى" المائدة:8 وفي قوله تعالى:" وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى" الأنعام :152. ومن هنا وفي إطار مبدأ المساواة في القيمة الإنسانية حرم الإسلام التفريق بين الناس على أساس الدين أو اللون أو العرق أو اللغة، وحينما كانت قيمة الإنسان ترتبط تماما بمدى علاقته بخالقه ومستخلفه كانت التقوى هي المعيار للكرامة قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحجرات :13 ويقول صلى الله عليه وسلم: "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[1].

وإذن؛ فقيمة العدل ينبغي أن يتسم بها كل فرد من ركبان السفينة فضلا عن أن يكون مبدأً عاما يسود مجتمع السفينة في الجملة؛ ومن هنا فإن رغبة أي فريق من ركبان السفينة في إجراء أو مباشرة أي عمل يخصه ينبغي أن يراعي فيه مدى تحقيق المصلحة للفريق الآخر فضلا عن تجنب مضرته. وهذا المبدأ هو ما صرح به حديث السفينة في قوله صلى الله عليه وسلم: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة " فقوله: "استهموا على سفينة" إشارة إلى أن الاقتراع وسيلة مهمة من وسائل تحقيق العدالة بين الناس في الأمور التي يمتنع فيها توافق الجميع على شيء واحد، وقد يظهر فيها التشاحن. وقد تحققت العدالة بالاستهام (الاقتراع) فعلا؛ حيث لم تكن هناك فرصة لأي فريق منهم أن يستأثر بأعلى السفينة مثلا دون الفريق الآخر - أن كانت فيه مزية – كما يشعر بذلك ظاهر الحديث .فلربما يسهل على من

[1]. صحيح مسلم (مرجع سابق) كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر رقم 2699

هو بأعلى السفينة الحصول على حصته من الماء دون تعب أو عناء على عكس من هم بأسفلها فيضطرون الى الصعود بالأعلى ثم يهبطون الى الاسفل وفي ذلك مشقة واضحة، بل وربما يؤذون من فوقهم كما صرح بذلك الحديث نفسه في قوله صلى الله عليه وسلم : " فكان الذين في أسفَلِها إذا استَقَوْا من الماء، مَرُّوا على مَن فوقَهُم، ...ولم نُؤذِ مَن فوقَنا" وجه الدلالة من هذا الحديث: أن الذين في أسفل السفينة يستعملون نصيبهم وحقهم؛ لكن لما أرادوا أن يستعملوه على وجه غير مشروع؛ لأنه يضر الجماعة ضررًا عظيمًا لايتكافأ مع مصلحة شربهم، وترك إيذاء الفريق الأعلى، اعتبره الشارع منكرًا يجب أن يمنعوا عنه([1])

هذا؛ -وبالقياس مع الفارق ([2])، -فقد اقتضت عدالة السماء -وفق ما قضاه الله في الازل-أن تكون أثيوبيا في أعلى السفينة – حيث يمكنها أن تنعم بموارد النيل وخيراته دونما عناء أو تعب، بينما السودان ومصر وغيرهما من دول حوض النيل في أسفلها – ويمكنهم أن ينعموا بخيرات النيل –أيضا دون عناء-لكن؛ فقط في حال الرضا والانسجام التام مع من هم في أعلى السفينة (إثيوبيا).

أما في حال التنازع وعدم الانسجام لأمر ما قد يحدث فيحصل التهديد بالعطش والحرمان من الزراعة والاستغلال بقطع المياه عن سكان الأسفل؛ حيث تتحكم أثيوبيا في موارد الماء، إذ يمكنها أن تخرق خرقا في نصيبها (بناء سد النهضة) بحجة التنمية والاستثمار...الخ، وأيا كانت حجتهم، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة، والحجة المذكورة في الحديث الشريف في قولهم: (ولم نؤذ من فوقنا) رمز له دلالات وأبعاد؛ فهو -من وجه ما- على فرض حسن النية- يشير الى الأدب الجم والخلق العالي وهو حينئذٍ رحمة وشفقة، وهذا مطلب محمود، ومن وجهٍ ما- على فرض سوء الطّوية والسريرة – يشير الى الإنزواء والانطواء على النفس، والتباعد وعدم الاكتراث بالآخرين، وهذا بدوره قد يؤدي الى الشحناء والتباغض، ومع ذلك؛ فلو أن هذا التباعد قد حصل فلا يمنع مطلقا من تحقيق العدالة بين أبناء السفينة قال تعالى : " وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " المائدة : 8 ، لكن أثيوبيا في الواقع يستعملون أسلوب المراوغة في التفاوض وابرام عقود الاتفاق ولم يراعوا قضية الايذاء لمن هم شركاؤهم في السفينة، وهنا يتحتم التمسك بمبدأ تحقيق العدالة والضرب بيد من حديد على يد الظالم كما أفاد بذلك لفظ " الأخذ" الصريح في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " فإنْ تركُوهم وما أرادوا هلَكُوا جميعًا، وإنْ أخَذُوا على أيدِيهم نجَوْا ونجَوْا جميعًا".

من هنا؛ وتأسيسا على ما سبق نرى الإسلام يحمّل جميع هذه المسؤوليات على عاتق الإنسان فقط. فهو الذي يخلق المجتمعات، وعمله هو الذي يرسم الخطط، ويحدِّد المسؤوليات، ويسبب المشاكل والصعوبات قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" الرعد:11 وقال تعالى:" ظَهَرَ الْفَسَادُ

[1] - نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي (مقال على الانترنت): https://www.alukah.net/sharia

[2] - حيث إن التمثيل بقضية سد النهضة في أثيوبيا هنا من باب مفهوم المخالفة لما ورد في الحديث الشريف _ إذ أن من هم بأسفل السفينة في الحديث الشريف هم من أرادوا إيذاء من فوقهم -لكنه مثل نبوي شريف ينطبق تماما مضربه مع مورده على قضية سد النهضة قطعا. والحديث الشريف قطعا له مقاصد شرعية وأبعاد دلالية ينبغي أن تراعى عند الاستنباط والتنزيل على الواقع المعيش.

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الروم:41 وعلى ضوء ذلك؛ يتضح أن الغرَض من التشبيه هنا في قوله صلى الله عليه وسلم : " مَثَلُ القائِمِ على حُدُودِ الله والواقِعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استهَمُوا على سفينةٍ" هو استِنهَاضِ العَزائِم، واستِحثَاث الهِمَمِ على إنكار المنكر، والعمل على مَنْعِه قبل وُقوعِه، والسعي وَراء دفْعه بكلِّ قُوَّةٍ ممكنةٍ؛ وعدَم تَرْكِ ذَوِي الرُّؤَى الضعيفة - وإنْ كانوا أصحابَ نَّوايا صحيحة - دُون توعيةٍ أو تنبيه أو تبصيرٍ؛ لأنَّهم لو تركُوهم فلن يَسلَمُوا هم أنفسهم؛ لأنَّ البَلاء يَعُمُّ الجميع، وغرق السفينة - وهي الحياة والمجتمع بِمَن فيه وما فيه - سيَنالُ كلَّ فردٍ من أفراده، وذلك لسَعادة الناس وصالحهم فُرادى وجماعات، وفيها كنايةٌ عن المسؤوليَّة الجماعيَّة في الإسلام، وأنَّ المجتمع مسؤولٌ عن ضَياع القِيَمِ، وإهمال الأخلاق بعدَم الضَّرْبِ على يد الفاسقين الخارجين عن حُدود الله.([1])

[1] - انظر : احمد، جمال عبد العزيز : المسؤولية الجماعية في الاسلام في ضوء حديث السفينة، مقال على الانترنت : https://www.alukah.net/ بتصرف واختصار.

المبحث الثالث: التعايش في السفينة ونظرية التعسف في استعمال الحق المشروع ومبادئ التعاون الدولي

أولا: معنى التعسُّف في استعمال الحق

قسم علماء الشريعة الحقوق إلى ما هو حق العامَّة، وضابطه: ما يتعلق به النفع العام للمجتمع من غير اختصاص بأحد؛ كالانتفاع بالطريق العام، والأنهار العامة، والمساجد، وهذا يثبت للناس جميعًا حق الانتفاع به والدفاع عنه. الثاني: الحق الخاص، وهو ما تتعلَّق به مصلحة خاصَّة للفرد؛ كحقِّه في ملكه، أو في ولايته على ولده، وميَّزوا بين الحقَّين: بأنَّ الأول: لا يمكن تمليكه ولا إسقاطُه، والثاني: يمكن تمليكه وإسقاطه. والتَّعسف في استعمال الحق عموما هو: استعمال الحق على وجه غير مشروع، فالمفروض أن الحق أمر مشروع ومباح الاستخدام؛ ولكن الذي استعمله نحا في ذلك نحوًا غير مشروع، وفرق بين التَّعسف وبين الفعل الضار أو الامتناع الضار؛ لأن الأخيرين أمر غير مشروع، أي ممنوع ومحرم من أول الأمر. ([1])

= مبادئ التعاون الدولي بين دول المجرى المائي عموما ونهر النيل خصوصا.

ومن أسس مبادئ التعاون العادل عند استخدام المجرى المائي الدولي، أن يتم الاتصال بين دول المجرى المائي، وذلك لتوافر المعلومات ولتلافي التعارض بين مصالح الدول القائمة، والمحتملة الحدوث بينها عند استخدام المجرى المائي وهذا يعد من أهم المبادئ الأساسية التي يستند اليها النظام القانوني للاستخدام غير الملاحي للمجاري المائية والذي تضمنته قواعد هلسنكي 1966 م، وإعلان استوكهلم 1972 م، كما تضمنته اتفاقية شبك المجاري المائية 1997م ومعاهدة وقاعدة برلين 2004 م [2]. ومن أهم هذه الاتفاقيات: اولا: برتوكول روما والموقع في روما في 15ابرايل عام 1891 م بين روما بريطانيا نيابة عن (مصر والسودان) وايطاليا عن (إثيوبيا). حيث يهدف هذا البرتوكول إلى تعيين مناطق نفوذ لهاتين الدولتين في شرق أفريقيا، حيث تنص المادة الثالثة منه على أن تتعهد الحكومة الإيطالية بعدم إقامة أية منشآت لأغراض الري على نهر عطبرة يكون من شأنها تعديل تدفق مياه، كذلك يتناول البرتوكول ضرورة التفاوض والتشاور بين الدولتين النيل على نحو محسوس قبل القيام بأية مشروعات لاستغلال النهر.

ثانيا: اتفاقية :1902حيث تم توقيع عدد من الاتفاقيات في أديس أبابا بين بريطانيا وأثيوبيا وبين بريطانيا وايطاليا بشأن تعيين الحدود بين السودان) الإنجليزي المصري (وأثيوبيا واريتريا حيث قضت المادة الثالثة من الاتفاقية بين إثيوبيا والسودان بشأن الحدود بينهما على أن يتعهد الامبراطور «منيليك »الثاني ملك

---

[1] - انظر: أبو سنة، احمد فهمي: مقال "نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الاسلامي https://www.alukah.net/sharia

[2] -والتي تنص على وجوب التعاون بين الدول في المواد 8، 9 لنصوص هذه الاتفاقية وطبقا للمواد 11 و12و27 و28 نجد أن هناك التزاما بالتعاون بين الدول يحكم تصرفات المجرى المائي وهى تقضي بالالتزام بالتبادل المنظم للبيانات والمعلومات، والالتزام بالإعلان عن التدابير التي تؤثر على حالة المجرى المائي، والالتزام بالإخطار عن المخاطر والخطر انظر: مغاوري شحاتة دياب: موارد المياه في الوطن العربي إدارتها وتنميتها، مجلة السياسة الدولية، مج 39 –ع 58 أكتوبر 2004ص85.وانظر: الموازنة بين إرادة الدولة المشاطئة المنفردة في إقامة السدود المائية وعدم الإضرار بالدول الأخرى سد النهضة نموذجا د/ شريف عبد الحميد مجلة العلوم الشرعية والقانونية – جامعة الطائف – العدد 2 جمادى الأولى 1444 هـ ص29

الحبشة في ألا يصدر أو يسمح بالتصريح بأي تعليمات بأي تعليمات بإقامة من أي عمل على النيل الأزرق أو بحيرة تانا أو نهر السوباط مما يؤدى إلى إعاقة تدفق مياه أي منهما إلى نهر النيل ما لم يوافق على ذلك مسبقا حكومة بريطانيا والسودان" [1]

رابعا: اتفاقية الاستغلال الكامل لمياه النيل 1956: فقد تم إبرام هذه الاتفاقية بين مصر والسودان ،1959 فبعد استقلال السودان تقدمت باعتراضها على اتفاقية 1929ء على أساس أنها تمت بناء على اتفاق سياسي، لهذا قامت مفاوضات بين مصر والسودان توصلت إلى التوقيع على اتفاق في شأن الانتفاع الكامل من مياه النيل في نوفمبر 1959 بهدف تنظيم استغلال مياه النيل لقواعد القانون الدولي للأنهار الدولية، واستغلال إقامة الاستغلال الأمثل وفقا لمشروع السد العالي في مصر، وكذلك الروصيرص في السودان لقواعد القانون الدولي للأنهار الدولية.[2]

أصول مسائل الإساءة في استعمال الحق وتطبيقاتها على حديث السفينة

وأصول مسائل التعسف في استعمال الحق حصرها العلماء في أربعة أصول وليس هذا موضع ذكرها بالتفصيل وما يهمنا هو ذكر الأصول التي قد ترتبط بوجه ما بقضية سد النهضة وهي:[3]

الأصل الاول: أن يستعمل الإنسان حقه لكن دون احتراس وتثبت فيما يمكن فيه الاحتراس، فيفضي هذا إلى الإضرار بالغير. ([4])، وهذا الأصل قد ينطبق – من زاوية ما – على حديث السفينة، إن شئت فقل ينطبق قياسا على نازلة سد النهضة وذلك في حال مالم تتخذ إثيوبيا كافة الدواعي الأمنية والاحتياطات اللازمة في حال لا قدر الله انهيار السد، وربما يحدث ذلك في حال إذا استمرت إثيوبيا في أسلوبها المتغطرس في الحوار مع دول الجوار (وهم المواطنون المستحقون للعيش بأمان معها على ظهر سفينة النهر) والتعنت في الانفراد بالرأي دون محاولة الوصول الى حلول ترضي جميع الأطراف، وتحقق العدالة بين الجميع.

الأصل الثاني: أن يستعمل الإنسان حقًّا يقصد به تحقيق مصلحة له فتترتب عليه مفاسد وأضرار لاحقة بالغير، وهي أعظم من هذه المصلحة أو مساوية لها، وهذا الأصل ربما يكون هو أقرب هذه الأصول تجسيدا ومطابقة لنازلة سد النهضة، حيث إن إثيوبيا قد أعلنت أن الهدف من إقامة السد هو التنمية والاستثمار من خلال توليد الطاقة الكهربية، والاستثمار والتنمية حقهما المشروع ولا منازعة في ذلك؛ لكن شريطة ألا يكون في استعمال هذا الحق المشروع ضرر أو إضرار بالآخرين فعن عُبادةُ بنُ الصَّامتِ رَضِي اللهُ عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم "قضَى"، أي: حكَم وأمَر "أنْ لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ" ([5])، هذا هو رأي الشارع الحكيم في

---

[1] -المرجع السابق ص 43

[2] -المرجع السابق ص 45

[3] - انظر في هذا الأصل: "المغني" لابن قدامه في البيع، و"نيل الأوطار" في البيع، و"الدر"، وابن عابدين في "الشفعة". وانظر: مقال: نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الاسلامي https://www.alukah.net/sharia

[4] - الموافقات" جـ1 في بحث الحيل، جـ4 في سد الذرائع، و"تنقيح الفصول" للقرافي في آخر الكتاب - "إعلام الموقعين" في بحث سد الذرائع جـ3 وانظر: مقال : نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الاسلامي (مرجع سابق) https://www.alukah.net/sharia

[5] - الالباني، عبد الرحمن: صحيح سنن ابن ماجة حديث رقم 1909

المسألة إذا كان الحق المشروع في الأمور الخاصة؛ فما بالنا لو كان في الأمور العامة التي يشترك فيها جميع الناس كالأنهار مثلا – كما هو حال نهر النيل .. وقضية سد النهضة -فإن الخطب أعظم ولا ينبغي التهاون في ذلك بأي حال، وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال: " فإنْ تركُوهم وما أرادوا هلَكُوا جميعًا، وإنْ أخَذُوا على أيدِيهم نجَوْا ونجَوْا جميعًا".

المطلب الثاني: حلول مقترحة للعلاج

أولا: الدعوة الصريحة للدولة المتسببة في الضرر (الركبان في اعلى السفينة) الى الالتزام بالاتفاقيات والمواثيق والعهود الدولية في التبادل المنتظم للمعلومات والإخطار المسبق بشأن التدابير المراد القيام بها.

ثانيا: يقترح اشراك الدول التي قد يصيبها الضرر في المساهمة والشراكة في مشاريع التنمية بأي وجه من الوجوه مع الدولة المتسببة في الضرر من شأنه تفادي الاضرار قطعا؛ لزيادة الحرص على عدم الاضرار بالنفس فضلا عن الاضرار بالغير إن لزم الأمر. (يعني اشراك مصر والسودان في مشاريع التنمية في اثيوبيا أو تبادل المصالح بينها جميعا مثلا).

ثالثا: في حالة تأزم المفاوضات بين الأشقاء في الوصول الى حل عادل يرضي جميع الأطراف المتنازعة؛ الرجوع الى حكم (من أهله ومن أهلها) أي من الأقربين الدوليين الذين تربطهم علاقات دينية أو عرقية أو مصالح مشتركة بين الأطراف المعنية تستخدم للضغط على الدولة المتسببة في الضرر وتهديدها بفض المصالح معها أو الضغط عليها في حال غطرستها بأي طريق كان ولو اقتضى الأمر أن يكون حلا عسكريا، عملا بقوله تعالى: " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. الآية " وكما يشر اليه نص الحديث فالخيار الوحيد أمام المتغطرس هو الضرب على يديه بقوة حتى يرجع عن بغيه.

نتائج البحث:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فبعد أن انتهينا بفضل الله تعالى من هذا البحث المبارك يسعدني أن أسطر النتائج التالية:

7- إن التعايش السلمي فضلا عن كونه مطلبا شرعيا وأسلوبا حياتيا وأساسا حضاريا للتفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، فهو أداة نفسية تعود بالفائدة على الإنسان ذاته.

8- من مقتضيات حصول التعايش السلمي ضرورة الوعي بالذات أولا، ثم فهم الآخر، ثم الدعوة إلى تقديم الأنا على حقيقتها أمام الآخر.

9- من القيم الضرورية لبناء التنمية المستدامة في المجتمع إقامة مبادئ الحرية والعدالة والإحساس بالمسؤولية.

10- تجسيد معنى المواطنة والحفاظ على قيمها في حديث السفينة من أبرز دلائل النبوة.

11- ضرورة التعاون بين دول النهر عن طريق تبادل المعلومات المرتبطة بالنهر، والإخطار المسبق يصدر من الدولة التي تنوى إقامة مشروع مائي على النهر، وعدم التسبب في الاخطار والاضرار للدول المجاورة.

12- عدم جواز التصرف الأحادي الصادر من أثيوبيا بشأن إقامة سد النهضة؛ لأن مصر والسودان لهما حقوق في مياه النيل وعدم الأضرار بحصتهما المائية بموجب قواعد وأحكام القانون الدولي الخاصة بالأنهار، والاتفاقيات الخاصة بمياه النهر.

توصيات البحث :

1- الانطلاق من النصوص الشرعية في بحث أي قضية دينية أو دنيوية، وجعلها نقطة الارتكاز في بناء المواقف حولها، والأساس الذي يُراعَى في تحديد مسيرة البحث فيها؛ دعوة قرآنية.

2- نهيب بالمؤسسات التعليمية ضرورة التركيز على معالجة التحديات الأمنية في كافة المجالات وخاصة ما يتعلق منها بالواقع المعيش.

المراجع:

أولا: القرآن الكريم

1. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (المتوفى: 852هـ): تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت، ط دار الكتب العلمية -الطبعة الأولى 1415 هـ
2. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، تح، مشهور حسن، جدة ط دار ابن الجوزي، الطبعة الاولى، 2008 م
3. الأمن المائي العربي الواقع والتحديات: منذر خدام، لبنان-بيروت، دراسات الوحدة العربية 2001
4. الأمن في السنة النبوية: اسماعيل رضوان وزميله، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الاسلامية العدد الاول 2012 م
5. الإنسان وحريته في الإسلام: محمود محمد بابللي، بيروت، ط المكتب الاسلامي ط الاولى 1982 م
6. تأملات في حديث سفينة النجاة: سعد تركي محمود، موسوعة الحسبة، مقال بعنوان على موقع: http://www.almohtasb.com/.
7. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، تونس، ط دار السداد التونسية 2002م
8. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تونس، السداد التونسية، ط1، سنة 1971م.
9. تنقيح الفصول في الاصول مع شرحه: احمد بن ادريس بن عبد الرحمن القرافي (ت 684 هـ): بيروت ط دار الفكر 2009
10. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن المعروف (بتفسير السعدي): عبد الرحمن السعدي، بيروت، ط مؤسسة الرسالة –عام0 200 م ط 1
11. الجامع المسند الصحيح المختصر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المشتهر ب (صحيح البخاري): محمد بن اسماعيل البخاري، القاهرة ط مصطفى الحلبي سنة 1327 هـ
12. حرية الرأي في الإسلام – مقاربة في التصور والمنهجية: محمد عبد الفتاح الخطيب، قطر، ط، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية 2007 م
13. دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور: د/ قائد نشوان، اطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الدراسات القرآنية بكلية معارف الوحي والعلوم الانسانية –الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة العدد 4-2012
14. سنن ابي داوود: سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني (202 – 275 هـ)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الاولى 1438 هـ، 2017 م
15. سنن الترمذي: احمد بن عيسى الترمذي، الكتب الستة، ضبط وتعليق ومراجعة رائد صبري، السعوديةط دار الحضارة للنشر والتوزيع 2015 م

16. صحيح سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الالباني، الرياض ط مكتبة المعارف ط الاولى 1997 م
17. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح، نظر الفاريابي-جدة ط دار طيبة 2007م
18. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817 هـ: تح محمد العرقسوسي، بيروت ط مؤسسة الرسالة 1426هـ-2005 م
19. قراءة في حديث السفينة: عبد المجيد مسعود، مقال بعنوان " على موقع:https://www.oujdacity.net
20. القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية: عبد العزيز العوضي، بحث مقدم لندوة:" فقه رؤية العالم والعيش فيه . المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة" المنعقدة في سلطنة عمان، برعاية وزارة الاوقاف والشؤون الدينية عام 1434هـ-2013 م.
21. الماء حق من حقوق الانسان: د/ أميمة سميح الزين، مجلة جيل حقوق الانسان العدد الاول انظر موقع: https://jilrc.com/
22. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت ط دار الفكر 1412هـ
23. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): الناشر: دار الفكر، بيروت -لبنان ط الأولى، 1422هـ -2002م
24. مسند احمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، بتحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت ط مؤسسة الرسالة 2009
25. المسؤولية الجماعية في الاسلام في ضوء حديث السفينة: جمال عبد العزيز احمد، على الانترنت: https://www.alukah.net/
26. المعجم الوسيط: ابراهيم أنيس وآخرون: القاهرة، ط دار المأمون الطبعة الاولى 1972 م
27. المغني: عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، تح عبد المحسن التركي، بيروت ط دار عالم الكتب، ط الثالثة، 1417 هـ، 1997 م
28. مقاييس اللغة: احمد بن فارس، ط دار الحديث – القاهرة -2005 م
29. الموازنة بين إرادة الدولة المشاطئة المنفردة في إقامة السدود المائية وعدم الإضرار بالدول الأخرى سد النهضة نموذجا د/ شريف عبد الحميد مجلة العلوم الشرعية والقانونية – جامعة الطائف – العدد 2 جمادى الأولى 1444 هـ
30. المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة: د.علاء الدين عبد الرزاق جنكو، العراق، كوردستان العراق – جامعة التنمية البشرية: على موقع:http://neelain.edu.sd/m
31. الموافقات في أصول الشريعة: الحافظ ابراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، (ت 790هـ): "تح مشهور حسن القاهرة -الجيزة، ط دار ابن عفان 2008 م
32. نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الاسلامي: احمد فهمي أبو سنة 2008 م https://www.alukah.net/sharia

الايجابية في ضوء السنة النبوية وعلاقتها بتطور الفرد والمجتمع

الدكتورة إشر اقة إبراهيم محمد أحمد

جامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

eshragaebrahim@hotmail.com

ملخص البحث:

تعتبر الإيجابية من أهم أسباب تطور ورُقي المجتمعات الإنسانية ، ذلك أنها تدفع بالطاقات البشرية إلى تحقيق الحياة الكريمة على وجه الأرض، وقد هدفت الدراسة إلى بيان معنى الإيجابية وأهميتها، وذكر الأدلة التي تدعو لها من السنة النبوية ، كما هدفت الدراسة إلى بيان أثر الإيجابية على تطور الفرد والمجتمع ، والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي ؛ بتحليل النصوص والأدلة الشرعية وربطها بمباحث البحث ومطالبه ، ووفقِها توصلت الباحثة إلى نتائج البحث والتي من أهمها: أن السنة النبوية اشتملت على كثير من النصوص التي تدعو إلى الإيجابية وتنبذ العجز والسلبية، وأن الإيجابية تعني تسلح المسلم بالأعمال الصالحة والقرب من الله تعالى، ومما أوصت به الباحثة الباحثين والمهتمين بالمنهج النبوي ،المزيد من البحوث التي تربط بين علوم السنة النبوية والعلوم الحديثة والمستجدات العصرية ،و إنشاء المزيد من المراكز البحثية والعلمية التي تُعنى بربط الدراسات الشرعية والمجتمعية بالتنمية وتقدم المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الإيجابية ـ السنة النبوية ـ الفرد ـ المجتمع

The Positivity in Light of the Prophetic Tradition and its Relationship to Individual and Societal Development

Dr. Eshraga Ibrahim Mohammed Ahmed

Associate Professor

Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia

eshragaebrahim@hotmail.com

ABSTRACT:

Positivity is considered one of the most important factors in the development and advancement of human societies, as it propels human energies towards achieving a dignified life on Earth. The study aimed to clarify the meaning and importance of positivity and to cite evidence from the Prophetic tradition that advocates for it. Additionally, the study aimed to illustrate the impact of positivity on individual and societal development. The research methodology employed in this study is descriptive-analytical, analyzing texts and religious evidence and linking them to the research topics and demands. Based on this methodology, the researcher arrived at several key findings, including: The Prophetic tradition encompasses numerous texts that advocate for positivity and reject helplessness and negativity. Positivity entails arming Muslims with righteous deeds and drawing closer to Allah. The researcher recommends further research linking Prophetic teachings with modern sciences and contemporary developments. Moreover, she suggests establishing more research centers dedicated to linking religious and societal studies with development and the progress of communities.

Keywords: Positivity - Prophetic Tradition - Individual - Society

المقدمة:

فقد حث الدين الإسلامي على الإيجابية ودعا إليها، وذلك من خلال كثير من النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية ، قال تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] وقال تعالى﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] وجاء في الحديث قوله (ص) " «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»[3] فالإيجابية هي الركيزة الأساسية والدافع الذي يحقق به المسلم طموحاته من أمور الدنيا والآخرة ، والمسلم الملتزم بما أمر الله ورسوله المتجنب لما نهيا عنه؛ هو الفرد الإيجابي الصالح لنفسه ومجتمعه ، ولأهمية هذا الموضوع كان اختياري للمشاركة بهذه الورقة البحثية تحت عنوان "الإيجابية في ضوء السنة النبوية وعلاقتها بتطور الفرد والمجتمع"

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1. ما المقصود بالإيجابية؟

2. ما الأحاديث التي تدل على الإيجابية ، وما درجتها؟

3. ما دور السنة النبوية في الحث على الإيجابية وتفعيلها في المجتمع؟

4. هل إيجابية الفرد تقود إلى إيجابية المجتمع؟

5. ما علاقة الإيجابية بتطور المجتمع ونمائه؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية الموضوع لأمور كثيرة منها:

1. الرغبة في تأصيل مصطلح الإيجابية من خلال نصوص السنة النبوية ، باعتباره من المصطلحات الحديثة والمعاصرة.

---

[1] سورة الجمعة ، آية 10.

[2] سورة التوبة ، آية 105.

[3] مسند أحمد 251/20 ح12902، رجاله ثقات.

2. عدم وجود دراسات وأبحاث علمية كافية في هذا الموضوع المهم.

3. بيان أن الفكر الإسلامي له أصل في مجلات العلوم الإنسانية.

أهداف البحث:

1. بيان معنى الإيجابية في اللغة والاصطلاح .

2. ذكر الأحاديث التي تدل على الإيجابية ، وبيان درجتها.

3. بيان دور السنة النبوية في الحث على الإيجابية.

4. بيان أن إيجابية الفرد تقود إلى إيجابية المجتمع وتطوره.

5. توضيح العلاقة والتلازم بين تفعيل الإيجابية ورفعة المجتمع ونمائه.

الدراسات السابقة:

وقفت على أبحاث مختصرة عن الإيجابية والتفكير الإيجابي في السنة النبوية هي:

1. قيم الإيجابية في الأحاديث النبوية المستنبطة من كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري وتصور مقترح لتدريسها ، د/ عبد الله بن محمد الغدوني . جامعة القصيم . كلية التربية.

2. أسس التفكير الإيجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء السنة النبوية ، د/ سعيد صالح الرقيب ، بحث علمي مقدم في مؤتمر تنمية المجتمع تحديات وآفاق . الجامعة الإسلامية . ماليزيا 2008م.

وهناك كتب لها علاقة بالموضوع منها:

1. قوة التفكير الإيجابي . محمد عادل عبد العزيز ، الطبعة الأولى 2011 ، نشر جمعية وادي التكنولوجيا.

2. التفكير الإيجابي والتفكير السلبي دراسة تحليلية ، د. إبراهيم الفقي . الراية للتوزيع والنشر . القاهرة.

3. كتاب الإيجابية وأهميتها في الحياة ، الشيخ السيد طه أحمد.

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي والذي يتم من خلاله التأمل في النصوص الشرعية والشواهد التي تتصل بموضوع البحث، واستخراج الدلالات الشرعية والقيمية المتعلقة بموضوع البحث.

إجراءات البحث:

1.كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني وتوثيقها في الهامش.

2.تخريج الحديث من مصدر واحد، إن كان في الصحيحين أو غيرهما، مع توضيح درجة الحديث إن كان خارج الصحيحين.

3.توثيق النصوص من مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر ، اشتملت المقدمة على مشكلة البحث ، وأهميته ، وأهدافه والدراسات السابقة، ومنهجه ، وإجراءاته ، وخطته.

التمهيد: مفهوم الإيجابية.

المبحث الأول : دعوة الإسلام إلى بناء الشخصية الإيجابية للمسلم ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : ربط الإيجابية بالإيمان.

المطلب الثاني: دفع المسلم نحو الكلام الإيجابي.

المطلب الثالث: الحوار الإيجابي مع النفس.

المطلب الرابع: اختيار الأسماء التي تحمل المعاني الإيجابية.

المبحث الثاني: حث السنة النبوية إلى الإيجابية المجتمعية ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : حث السنة على الترابط والتعاضد بين أطراف المجتمع.

المطلب الثاني: النظرة الإيجابية إلى أخطاء الغير وتقصيرهم.

المطلب الثالث : حث المسلم على المشاركة في الأعمال المجتمعية.

المبحث الثالث : الدعوة إلى المبادرة بالأعمال الصالحة ونبذ السلبية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: المبادرة بالأعمال الصالحة.

المطلب الثاني: نبذ السلبية، وعدم احتقار ما قلّ من العمل.

المبحث الثالث: الأدوات والوسائل التي تقود إلى الإيجابية.

المبحث الرابع : أثر الإيجابية على تطور ونهضة المجتمع.

التمهيد: وفيه مفهوم الايجابية

تعريف الإيجابية لغة:

"يقال: هو أجوب دعوة أي أسرع إجابة ، وأنفذ إلى مظان الإجابة. استجاب الله دعاءه: قبله وقضى حاجته"[1]. و "(تجاوب) الْقَوْم جاوب بَعضهم بَعْضًا ، واستجابه: اسْتَجَابَ لَهُ وأطاعه فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ"[2] و (أَجَابَهُ) وَ (أَجَابَ) عَنْ سُؤَالِهِ وَالْمَصْدَرُ (الْإِجَابَةُ) وَالِاسْمُ (الْجَابَةُ) كَالطَّاعَةِ وَالطَّاقَةِ. يُقَالُ: أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً. وَ (الْإِجَابَةُ) وَ (الِاسْتِجَابَةُ) بِمَعْنًى وَمِنْهُ (اسْتَجَابَ) اللَّهُ دُعَاءَهُ. وَ (الْمُجَاوَبَةُ) وَ (التَّجَاوُبُ) التَّحَاوُرُ[3].

تعريف الإيجابية اصطلاحاً:

"هي سمة من سمات الشخصية وتعنى الخروج من التمركز حول الذات إلى الانفتاح على العالم الخارجي ، والرغبة الحقيقية في إصلاح الذات وإصلاح المجتمع ، ووجود إرادة التغيير للأفضل ، والقدرة على التفاعل الجيد مع الآخرين." [4]

المبحث الأول : دعوة الإسلام إلى بناء الشخصية الإيجابية للمسلم، وتحته مطالب:

المطلب الأول : ربط الايجابية بالإيمان:

الإيمان يقود ويدعو للإيجابية ، فقد رُبط الايمان بالعمل في معظم آيات القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحا يُدْخِلْهُ جَنَّٰت تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾[5] وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْۢ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرا﴾[6] وقد جاء في حديث أبي ذر قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ»[7] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ

---

[1] معجم متن اللغة ، أحمد رضا، 595/1.

[2] المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون 145.144/1

[3] مختار الصحاح للرازي 63/1.

[4] الإيجابية وأهميتها في الحياة. السيد طه أحمد ص2

[5] سورة الطلاق آية 11

[6] سورة الكهف آية 88

[7] أي جاهل بما يجب أن يعمله ولم يكن في يديه صنعة يكتسب بها ، النهاية في غريب الحديث والأثر 26/2

عَلَى نَفْسِكَ»[1]،" والمعنى تساعد الصانع في صنعته، والمحتاج في حاجته، وتعين الضعفاء وأهل البطالة. قال: يا رسول الله، لو أني ضعفت قوتي عن هذه المساعدة، فماذا أفعل لأسهم في الخير؟ قال: تكف شرك عن الناس، وتمسك لسانك وجوارحك عن الأذى، فتحسن بذلك إلى نفسك، وتحميها من السيئات والآثام"[2] ومما يدل على ربط الأعمال الإيجابية بالإيمان ما جاء في الحديث «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ[3]»[4] "فهذا الحديث شديد في الحض على ترك أذى الجار، ألا ترى أنه عليه السلام أكد ذلك بقسمه ثلاث مرات أنه لا يؤمن من لا يؤمن جاره بوائقه، ومعناه أنه لا يؤمن الإيمان الكامل، ولا يبلغ أعلى درجاته من كان بهذه الصفة، فينبغي لكل مؤمن أن يحذر أذى جاره ويرغب أن يكون في أعلى درجات الإيمان، وينتهى عما نهاه الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحضا العباد عليه"[5] "فإن الأمن على النفس والمال والعرض من نعم الله الكبرى، وأقرب الناس تهديدا لهذا الأمن هو الجار، لأن الحذر منه أصعب من الحذر من غيره، والضرر منه أشد خطرا من الضرر من غيره، إنه يعرف كثيراً من الخفايا, ويكشف كثيراً من الأستار، ويطلع على كثير من العيوب، إنه أعلم بمواطن الضعف، وأقدر على توصيل الأذى"[6] وجاء في حديث آخر «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»[7] " فالإسلام يحرص على استتباب الأمن، ونشر الطمأنينة والاستقرار بين أبناء المجتمع الواحد، لأن هذا يؤدي إلى رفعة المجتمع وتطوره، لهذا جعل مسالمة الجار من الإيمان، وجعل حبس النفس عن أذى الجار من الإيمان، بل جعل خوف الجار من الجار دليلا على ضعف إيمان الجار الذي بعث الخوف، وإن لم يصل ضرره لجاره بالفعل"[8] فالإحسان إلى الجار وإكرام الضيف واختيار الألفاظ الطيبة عند الكلام هي من الإيجابية التي دعا اليها السلام وهي بدورها تؤدي إلى نتائج ايجابية من أهمها بث الحب والثقة بين الناس، أما أذية الجار بالقول أو الفعل وعدم القيام بالواجب تجاه الضيف وعدم التزام الصمت عند عندما يكون أفضل من الكلام ؛ هي من السلبية التي نهى عنها الشرع لأنها تقود لنتائج سلبية وتهدم ما جاء الاسلام لبنائه من تماسك المجتمع ورفعته.

[1] صحيح مسلم ح 136

[2] فتح المنعم شرح صحيح مسلم 268/1

[3] أي غوائله وشروره

[4] صحيح البخاري ح 6016

[5] شرح صحيح البخاري لابن بطال 222/9

[6] فتح المنعم شرح صحيح مسلم 170/1

[7] صحيح مسلم ح 77

[8] فتح المنعم شرح صحيح مسلم 170/1

المطلب الثاني: دفع المسلم نحو الكلام الايجابي:

حثت السنة النبوية المسلم أن يكون إيجابياً في خطابه وكلامه ، فالكلام الإيجابي يقوي النفس بجلب الثقة ويزيد من الراحة النفسية للفرد ، كما له سحر كبير في نفع القلوب وإعمارها بالحب ، وبالمقابل نهت السنة عن الكلام السلبي والألفاظ غير الطيبة ،والتي تعود بالضرر على الفرد و المجتمع ، فقد جاء في الحديث " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ[1]، وَلَا الطَّعَّانِ[2]، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ[3] "[4] فالمؤمن كامل الايمان لا يتصف بالصفات السلبية الواردة في الحديث والتي نهى عنها الشرع، فلا يكون طعاناً يُكثر الطعن في أعراض الناس وأنسابهم ، ولا لعاناً يقع في الأعراض والأنساب بالشتم، والسباب ؛ فيكون منبوذاً من الناس في الدنيا ويفقد ما أعده الله للمؤمنين في الآخرة ، فقد جاء في الحديث «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[5] ولا يكون المسلم بذيء اللسان ، فالإسلام أمرنا بحسن الأخلاق ونهانا عن سيئها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً فقد جاء في الحديث " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»[6] و الفحش والبذاء هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ما يكون ذلك في ألفاظ الجماع وما يتعلق به، فإن أهل الخير يتحاشون عن تلك العبارات ويُكنّون عنها."[7] "فالفحش والبذاء مذموم كله، وليس من أخلاق المؤمنين "[8] وإن من شر الناس من اجتنبه الناس مخافة فحشه كما جاء في الحديث " إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[9]، وحتى يكون المؤمن ايجابياً قولاً وعملاً لابد له من المدارة والتغافل عن الهفوات والزلات فقد جاء في الحديث «مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ»[10]و" المدارة من أخلاق المؤمنين وهى خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول ،وذلك من أقوى أسباب الألفة وسل السخيمة."[11] "والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل"[12] وينافي المداراة الكلام السلبي الذي نهى عنه الشرع ، وهو " الخوض في الباطل، و الكلام في المعاصي، كذكر مجالس الخمر، ومقامات الفساق، فقد جاء

[1] وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء. النهاية في غريب الحديث والأثر 255/4

[2] أي وقاعا في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما النهاية في غريب الحديث والأثر 127/3

[3] البذاء: المباذاة، وهي المفاحشة ، المرجع السابق 110/1

[4] مسند أحمد ح 3948، اسناده صحيح ، ورجاله رجال الصحيح، محمد بن يزيد، وأسود بن عامر ، وابن عياش وجميعهم ثقات.

[5] صحيح مسلم 2598

[6] صحيح البخاري 3559

[7] مختصر منهاج القاصدين 167/1

[8] المرجع السابق 230/9

[9] صحيح البخاري ح 6131

[10] صحيح ابن حبان ح 471

[11] شرح صحيح البخاري لابن بطال 305/9

[12] فتح الباري لابن حجر 528/10

عن أبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ»[1] وقريب من ذلك الجدال والمراء وهو كثرة الملاحاة للشخص لبيان غلطة وافحامه، والباعث على ذلك هو الترفع ،فينبغي للإنسان أن ينكر المنكر من القول، ويبين الصواب، فإن قبل منه وإلا ترك المماراة، هذا إذا كان الأمر معلقاً بالدين، فأما إذا كان في أمور الدنيا، فلا وجه للمجادلة فيه، وعلاج هذه الآفة بكسر الكبر الباعث على إظهار الفضل، وأعظم من المراء الخصومة، فإنها أمر زائد على المراء."[2]

ومن الكلام السلبي الذي ينافي الايجابية في القول،" السخرية والاستهزاء، ومعنى السخرية: الاحتقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحَك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالشارة والإيماء، وكله ممنوع منه في الشرع، ورد النهى عنه في الكتاب والسنة"[3] قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4] "

ومن حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن {لا يسخر قوم من قوم} بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم"[5] ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[6] والاحتقار يكون بالقول والفعل وكله منهي عنه وهومن السلبية التي تنافي الإيجابية التي دعا اليها الشرع. ومن الأحاديث التي تُؤصل لإيجابية القول التي دعت إليها السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[7] "فيقتضي حصر المسلم فيمن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمراد بذلك المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب، فإن سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبة، فإن أذى المسلم حرام باللسان وباليد، فأذى اليد: الفعل، وأذى اللسان القول."[8] فمن سلم المسلمون من لسانه ويده ،إسلامه أفضل من إسلام غيره ممن ليس كذلك، لاشتراكهما في الإتيان بحقوق الله في الإسلام من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

[1] صحيح البخاري ح 6477.

[2] مختصر منهاج القاصدين 166/1

[3] المرجع السابق 168/1

[4] سورة الحجرات آية 11

[5] تفسير السعدي 801/1

[6] صحيح مسلم ح 2564.

[7] صحيح البخاري ح 6484

[8] فتح الباري لابن رجب 39.38/1

ونحو ذلك، وامتاز أحدهما بالقيام بحقوق المسلمين، فصار هذا الإسلام أفضل من ذاك.."[1] "والمسلم الكامل هو الذي يسلم الناس من شروره وأذاه، وفي هذا الحديث الشريف يبين الإسلام الركن السلبي، أو ركن الترك والكف، حيث يدعو في هذا الحديث إلى كف الأذى وحجب الشرور والبوائق ."[2]، ومن الخطاب الايجابي الذي دعا اليه الاسلام إفشاء السلام بين المسلمين فقد جاء في الحديث " أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[3] "ومعنى تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف أي تسلم على كل من لقيته عرفته أم لم تعرفه ولا تخص به من تعرفه كما يفعله كثيرون من الناس"[4] " وجمع في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام، لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس كان خيراً ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل"[5] " وقوله ومن لم تعرف أي لا تخص به أحداً تكبراً أو تصنعاً بل تعظيماً لشعار الإسلام ومراعاة لأخوة المسلم "[6] "وإفشاء السلام لغير المعرفة من المؤمنين مفتاح التآلف، وباب المودة، وإفشاؤه بين المتعارفين يمكن الألفة، ويوثق المحبة، وإفشاؤه بين المتباعدين المتنافرين يرفع الوحشة، ويزيل الصدود ويجلب الرضا، ويخلق التقارب والتفاهم، ويقرّب الوفاق والالتئام، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم: أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ تحاببتم إذا لم ينعقد بينكم حب من قبل، ويزداد حبكم إذا كنتم متحابين، ويرتفع البغض والشحناء، ويحل محلهما الود والصفاء إذا كنتم متدابرين"[7] .وجاء في حديث أبي هريرة «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[8] قال النووي: "فقوله صلى الله عليه وسلم ولا تؤمنوا حتى تحابوا معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب، وفي الحديث الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف والسلام أول أسباب التألف ومفتاح استجلاب المودة وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين"[9] ومن الأقوال التي تنافي الإيجابية نشر الأقوال والمصطلحات السلبية التي تدعو إلى الخوف والفزع بين أفراد المجتمع فقد جاء في الحديث " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ "[10] "ومن الكلام الإيجابي الذي دعت

---

[1] المرجع السابق 41

[2] فتح المنعم شرح صحيح مسلم 159/1 بتصرف يسير.

[3] صحيح البخاري ح12

[4] شرح النووي على مسلم 10/2

[5] فتح الباري لابن رجب 43/1

[6] فتح الباري لابن حجر 56/1

[7] فتح المنعم 201/1

[8] صحيح مسلم ح 93

[9] شرح النووي على مسلم 36/2

[10] صحيح مسلم ح 2623

اليه السنة إبداء النصيحة من المسلم لأخيه إذا استنصحه وأن يصدقه القول في ذلك ولا يُخفي عليه ما يضره في أمر دينه أو دنياه، فقد جاء في الحديث «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1] قال النووي: "وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يحب لهم ما يجب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات "[2] وبذلك يكون المسلم ايجابياً بإسداء النصيحة إلى إخوانه من المسمين بالقول والفعل وهو ما دعت إليه السنة النبوية. ومن الأحاديث التي تدعو للإيجابية في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»[3] فيدل الحديث على "الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير "[4] ومن إيجابية القول التي تؤدي إلى تماسك المجتمع وقوته ،عدم نشر الإشاعات والأكاذيب كما يحدث اليوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي من نشرِ للأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم ،وكذلك نشر الأكاذيب والمواقف السيئة من الأقوال والصور وغيرها بغرض نشر الخوف وزعزعة الأمن في المجتمع من أجل كسب مالي أو اجتماعي أو غيره فقد نهى الشرع عن ذلك ،كما في الحديث «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[5]

المطلب الثالث: الحوار الإيجابي مع النفس:

دعت السنة النبوية للحوار الإيجابي مع الذات، حيث يحسن بالمسلم أن يكون إيجابياً مع نفسه وتطلعاته وما يرجوه من أمور الدنيا والآخرة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن كما جاء في الحديث «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» [6] والفأل لا يكون إلا فيما يسر ، بخلاف التطير والتشاؤم؛ لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التطير وأقرّ الفأل واستحسنه وهو من الإيجابية التي دعا إليها الشرع. وكل تفسير إيجابي ، وحمل للأمور على أفضلها في المواقف التي يمر بها المسلم هو من باب الحوار الإيجابي مع النفس ؛ لذلك دعت إليه السنة وإلى ربط كل ما يحدث للمسلم

[1] صحيح مسلم ح 95

[2] مسلم بشرح النووي 39/2

[3] صحيح مسلم ح 1732

[4] مسلم بشرح النووي 41/12

[5] صحيح البخاري ح 6018

[6] صحيح البخاري ح 5776

من أمور في حياته بالإيمان ؛ لتحدث له الراحة النفسية والقناعة والرضى، فقد جاء في الحديث «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» فالسراء تقابل بالشكر ، والضراء تقابل بالصبر وهذا عمل إيجابي يجعل المسلم يقبل ما يقع عليه من أقدار مهما كان نوعها، وثقلها على النفس؛ وذلك ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى. ومن الحوار الإيجابي الرضا بالقضاء والقدر وتفسير ما يقع على المسلم من أقدار تفسيراً طيباً متفائلاً فقد جاء في حديث الرجل الذي زاره النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال له : «لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَعَمْ إِذًا»[1] فهنا الرجل لم يكن ايجابياً في كلامه فكان رده سلبياً على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت النتيجة سلبية. ومما يدعم الحوار الإيجابي مع الذات ويجعل المسلم إيجابياً حسن الظن بالله تعالى ، فقد جاء في الحديث «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ»[2] وجاء في الحديث القدسي " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "[3] فكل ما يقع على المسلم من أقدار هي من عند الله سبحانه وتعالى ومن تقديره ، وقبول المسلم ورضاه بها هو من باب حسن الظن بالله تعلى، والقناعة والرضا بأن الله تعالى يختار له الخير دائماً وإن كان على غير هواه ، فعلى المسلم أن يحسن الظن بربه ويتفاءل بحسن النتائج وما ينتظره من خيري الدنيا والآخرة. ويكون ذلك بالصبر على المكاره وتسليم الأمور إلى الله تعالى ، وذلك لا يأتي إلا بالحوار الإيجابي مع النفس واستشعار نتائج الصبر وما أعده الله للصابرين، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4] "فإن من جمع بين ذكر الله وشكره، واستعان بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به، ودفع ما يرد عليه من المحن فقد هُدي إلى الصواب ووُفِق إلى الخير، وإن هذه المعية التي أوضحها الله بقوله: إن الله مع الصابرين فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب. فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال"[5] وكذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[6] " ومن وفقه الله للصبر عند وجود المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولاً وفعلاً واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقاً لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: {وبشر الصابرين} أي:

[1] صحيح البخاري ح 3616

[2] صحيح مسلم ح 2877

[3] صحيح البخاري ح 7405

[4] سورة البقرة 153

[5] فتح القدير للشوكاني 184/1

[6] سورة البقرة آية 155

بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب. فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة"[1]

المطلب الرابع: اختيار الأسماء التي تحمل المعاني الايجابية:

من دواعي البناء الإيجابي لشخصية المسلم اختيار الاسم الحسن للطفل من قبل والديه، لأن الاسماء تشحذ الهمم على التأسي بالقدوة، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»[2] على اسم أبيه إبراهيم الخليل تيمناً وتبركاً، وقد حث صلى الله عليه وسلم الى التسمية بالأسماء الطيبة كما جاء في الحديث "وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلاَمٌ فَسَمَّاهُ القَاسِمَ، فَقُلْنَا: لاَ نَكْنِيكَ أَبَا القَاسِمِ وَلاَ كَرَامَةَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ»[3] وفي آخر «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»[4] "أي إن أرضى أسمائكم عند الله تعالى هذان الاسمان؛ لأن في الأول اعترافًا بالعبودية والتذلل والخضوع وفي الثاني اعترافًا بالرحمة العامة الشاملة لكل مخلوق ،برها وفاجرها علويها وسفليها، دنيويها، وأخرويها، وأيضًا في الأول تفاؤل بأن يكون المسمى عابدًا له تعالى، وفي الثاني مظهرًا للرحمة الإلهية"[5] "ويلحق بهذين الاسمين كل ما كان مثلهما، مثل: عبد الملك، وعبد الصمد، وعبد الغني."[6]ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، ويدعو إليه، ويكره التشاؤم وينهى عنه، ويحذر منه، دعا إلى التسمية بالأسماء الحسنة، والتي توحي بالفأل الحسن، وكان إذا رأى صاحب الاسم الحسن تفاءل واستبشر به خيراً فقد استبشر النبي صلى الله عليه وسلم بسهيل بن عمرو عندما جاء مقبلاً يوم الحديبية فقال" لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ"[7] ونهى عن التسمية بالأسماء القبيحة، والتي توحي بالتشاؤم، ولم يكتف بهذه الدعوة، بل كان إذا جاءه صاحب اسم مكروه غيره إلى محبوب، وإذا جاءه صاحب اسم قبيح حوله إلى حسن، فقد جاء في الحديث "عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ» قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ المُسَيِّبِ: «فَمَا زَالَتِ الحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ"[8] "قال بن التين :معنى قول بن المسيب فما زالت فينا الحزونة يريد اتساع التسهيل فيما يريدونه، وقال الداودي يريد الصعوبة في أخلاقهم"[9] وذلك لعدم اتباعه لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم ،

[1] تفسير السعدي 75/1

[2] صحيح مسلم ح 2315

[3] صحيح البخاري ح6186

[4] صحيح مسلم ح 2132

[5] الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 10/22

[6] المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم 5/ 453

[7] صحيح البخاري 2731

[8] صحيح البخاري ح 6190

[9] فتح الباري لابن حجر 575/10

وجاء في الحديث "عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: يَا شِهَابُ، قَالَ: "أَنْتَ هشام"[1] لأن الشهاب من النار والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفأل الحسن، كما جاء في الحديث" عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقُولُ: " لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَلَمْ يُدْرِكِ الْإِسْلَامُ أَحَدًا مِنْ عُصَاة قُرَيْشٍ غَيْرَ مُطِيعٍ " وَكَانَ اسْمُهُ عَاصِي فَسَمَّاهُ مُطِيعًا يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[2] وفي الحديث "أَنَّ ابْنَةً لِعُمَرَ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا عَاصِيَةُ فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيلَةَ"[3] فجميع هذه الأحاديث تبين هدي السنة المحمدية ودعوتها لاختيار الأسماء التي تدل على الايجابية لأن الطفل يتأثر نفسياً باسمه وكنيته ، فنجد بعض الأطفال يعانون من أسمائهم وألقابهم ؛فتسبب لهم حرجاً عظيماً كلما تعرف عليهم أحد أو ذُكر اسم بعضهم على الملأ، وقد يؤدي ذلك إلى الانطواء والعزلة وكراهية الاسم ولوم من سماه به، بعكس الأسماء الطيبة الحسنة التي تحمل معان الخير ، فهي توقظ في وجدان صاحبها المعاني السامية والمشاعر النبيلة ، وتشعره بالعزة والفخار باسمه واحترام ذاته ووالديه ومن سماه به ."وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها ؛فإن صاحب الاسم غير الحسن قد يستحي من اسمه وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضاده ولهذا ترى أكثر السفل أسماؤهم تناسبهم وأكثر العلية أسماؤهم تناسبهم"[4] "فالأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل"[5]

[1] صحيح ابن حبان ح 5823 وهو حديث حسن.

[2] مسند أحمد ح 15409 بإسناد صحيح.

[3] صحيح مسلم ح 2139

[4] تحفة المودود بأحكام المولود 147/1

[5] زاد المعاد في هدي خير العباد 307/2

المبحث الثاني: حث السنة النبوية إلى الايجابية المجتمعية، وفيها مطالب:

المطلب الأول: حث السنة على الترابط والتعاضد بين أطراف المجتمع:

دعت السنة النبوية إلى الترابط المجتمعي والتعاون بين أفراده ، والذي ينتج عنه التماسك والقوة والتطور ، فقد اثبتت التجارب الواقعية أن المجتمع القوي الإيجابي المنتج هو المجتمع المترابط المتراص ، الذي يسند أفراده بعضهم البعض ؛كما جاء ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى"[1] قال القاضي عياض: فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضا"[2] كما جاء في الحديث أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"[3] فهذه الأحاديث وغيرها تمثل التجسيد الواضح للإيجابية التي يدعو إليها الإسلام.ومن وسائل الإيجابية المجتمعية التي حثت إليها السنة النبوية نشر الحب بين أفراد المجتمع، فقد جاء في الحديث «لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»[4] فهذا الحديث يدل على ثمرة عظيمة من ثمرات الحب في الله وهي وقوع حلاوة الإيمان في قلب المسلم ،وهي درجة لا تُنال إلا بسلامة القلب وكثرة الطاعات والإخلاص فيها .

ومن ثمرات الحب في الله في الآخرة أن الله تعالى قرّب المتحابون وجعلهم في ظل عرشه فقد جاء في الحديث "إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[5]" قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق، قال وهذا قول الأكثرين وقال عيسى بن دينار معناه كفه من المكاره وإكرامه وجعله في كنفه وستره ومنه قولهم السلطان ظل الله في الأرض وقيل يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب"[6] و جاء في حديث آخر سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ...."[7] " "فالحب هو الميل إلى الشيء وهو نوعان جبلي يغرسه الله في القلب بأسباب أو بدون أسباب فيحس صاحبه بميل لا سلطان له على دفعه ولا على

[1] صحيح البخاري ح 6011

[2] فتح الباري لابن رجب 10/ 439.

[3] صحيح مسلم ح 2585

[4] صحيح البخاري ح6041.

[5] صحيح مسلم ح 2566.

[6] شرح النووي على مسلم 16/ 123.

[7] صحيح البخاري ح 660.

الحد منه ،والنوع الثاني مكتسب بتناول أسبابه وتوافر دواعيه ؛فحسن الصورة وجمال الصوت وحسن المعاملة والصلاح والنفع ورفع الضر ،كل ذلك من أسبابه غالباً فحب الصالحين حب مكتسب ناشئ من حب الصلاح نفسه وكما قالوا إن أي شيء لا يحب لذاته بل لصفة فيه وإذا كان حب الصالحين حبا لصلاحهم كان حبا لله تعالى وحبا لطاعاته وحب المسلم لله يؤدي إلى حب الله للمسلم وإكرامه له "[1] فقد جاء في الحديث" أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ"[2] فحب المسلم لأخيه المسلم في الله يولد حب الله له ، وإذا أحب الله تعالى العبد قربه إليه، وأعانه على فعل الطاعات، والقربات، وأبعده عن كل ما يغضبه فقد جاء في الحديث القدسي " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "[3] "قال الخطابي: هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ،وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعي إلى الباطل برجله"[4] فالحب في الله من الوسائل التي تقود إلى الإيجابية في القول وفي العمل فإذا أحب المسلم أخاه المسلم فينبغي أن يعلمه بذلك لتزيد أواصر المحبة والود بينهما فقد جاء في الحديث: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: «هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَاكَ؟ »، قَالَ: لَا، قَالَ: «قُمْ أَعْلِمْهُ»، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، قَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ"[5]، ومن الوسائل التي تدعو إلى الايجابية المجتمعية وتزيد من الترابط بين أفراد المجتمع إعانة المسلم لأخيه المسلم بتنفيس كربه، وقضاء حاجاته ،وأن يجده بجانبه متى ما احتاج اليه ، فقد جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قوله: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.... »[6]والتنفيس يكون بإعانة المسلم على إزالة كربته

[1] فتح المنعم شرح صحيح مسلم 28/10.

[2] صحيح مسلم ح 2567.

[3] صحيح البخاري ح 6502.

[4] فتح الباري لابن حجر 344/11.

[5] صحيح ابن خزيمة ح571، إسناده حسن لغيره، علي بن الحسين: قال أبو حاتم: ضعيف الحديث، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره المؤلف في "ثقاته"، وقد توبع، وباقي رجاله على شرط الصحيح.

[6] صحيح مسلم ح 2699.

أو مساعدته في ذلك ، والكربة قد تكون مادية تحتاج إلى بذل المال وغيره ،وقد تكون معنوية بتوجيه المسلم ونصحه بما يفيده في أمور دينه ودنياه، أما التيسير على المعسر فيكون بتأخير سداد دينه أو بالتنازل عنه أو عن بعضه ، وستر المسلم يكون بالتجاوز عن هفواته وعدم فضحه ونشرها بين الناس والله يكون معيناً للعبد في أموره بالتوفيق والسداد ما كان في عون أخيه ومساعدته ومساندته ، وكل هذا من الإيجابية التي دعت إليها السنة النبوية، وفي الحديث «لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1] قال القاضي: "يحتمل وجهين أحدهما أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف ، الثاني ترك محاسبته عليها وترك ذكرها قال والأول أظهر"[2]

المطلب الثاني: النظرة الايجابية إلى أخطاء الغيروتقصيرهم:

دعا الإسلام إلى الأناة والحلم وعدم العجلة ، وجعل ذلك من الحكمة التي يجب أن يتصف بها المسلم، وقد حثت السنة على ذلك كما جاء في حديث ابن عباس قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (للأشجِ أَشجِ عَبد القَيس: إنَّ فِيكَ لَخصلَتين يُحبُهما الله الحِلم والأنَاة)[3] والعلاقة بين الحلم والأناة والإيجابية واضحة ؛فالمتصف بهما لا يستعجل الأمور والعواقب ، بل يتحقق ويتحرى قبل إقرار الحق أو إبطال الباطل، وبذلك يقل الخطأ والتصادم بين الناس. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحقق من وقوع الخطأ قبل التعامل معه ومعالجته، فقد جاء في الحديث دَخَلَ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتَ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «قُمْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ»[4] فهنا تحقق صلى الله عليه وسلم من وقوع الخطأ وهو عدم صلاة الرجل للركعتين ثم وجهه للسلوك الصحيح. وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الذي جاء يشتكي قطع قرابته له ، فقد جاء في الحديث: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[5] وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[6] "ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه ،وقيل معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملّ يحرق أحشاءهم"[7] فهنا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم عالج الموقف بطريقة إيجابية حيث طمأن الرجل

[1] صحيح مسلم ح2590.

[2] فتح المنعم شرح صحيح مسلم لموسى شاهين 69/10

[3] البخاري في الأدب المفرد، وهو حديث صحيح.

[4] صحيح البخاري ح 931.

[5] الملّ: الرماد الذي يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج ، النهاية في غريب الحديث والأثر 361/4

[6] صحيح مسلم ح 2558.

[7] مسلم بشرح النووي 16/ 115.

وبيّن له ما ينتظره من الأجر والثواب نظير صبره على قرابته ، وما ينتظرهم من الوعيد والعقاب نتيجة فعلهم معه ، ومما يدل على النظرة الايجابية لأخطاء الغير في السنة النبوية ما جاء في رد النبي صلى الله عليه وسلم على ملك الجبال عندما خيَّره بأن يطبق الأخشبين على من رد دعوته ووجد منهم الاذية الحسية والمعنوية، إلا انه صلى الله عليه وسلم نظر على الجانب الايجابي بأن يخرج من أصلاب هؤلاء الكفرة من يوحد الله ويعبده ،كما جاء في الحديث: عن "عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[1] ومن الإيجابية ما جاء في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ[2] بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"[3] قال النووي :" فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم ودفع السيئة بالحسنة"[4] وفي الحديث ما يدل على الإيجابية في الفعل والقول التي كان يمتاز بها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت إلى جفاء قول الإعرابي ولا إلى قسوة فعله وإنما رد عليه بالابتسامة والضحك وتلبية طلبه، وكان هذا هو دأب النبي صلى الله عليه وسلم في معالجته للأخطاء التي تقع من الأعراب خاصة، ومن أبلغ الصور في ذلك ما ورد بشأن الإعرابي الذي بال في المسجد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقد جاء في الحديث أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[5] فهنا أمر الصحابة بأن يتركوه حتى يكمل بوله ثم عالج الأمر بأن أمر بتطهير المكان بالماء، وليس هذا فحسب بل وجه الصحابة بأن يكونوا ميسرين ؛لأن التيسير من الصفات الإيجابية بعكس التعسير والتنفير، ووجه الأعرابي وبيّن له الحكم الشرعي المتعلق بفعله دون توبيخ أو تحقير .

[1] صحيح البخاري ح 3231.

[2] أي جذبه، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير 1/ 235.

[3] صحيح مسلم ح 1057.

[4] شرح النووي على مسلم 7/ 147.

[5] صحيح البخاري ح 220.

المطلب الثالث: حث المسلم على المشاركة في الأعمال المجتمعية:

دعت السنة النبوية المسلم إلى الإيجابية المجتمعية التي تتمثل في مشاركته في كل أعمال البر في مجتمعه، فهذه المشاركة تفيد المسلم في دينه ودنياه كما تفيد غيره، ومن ذلك ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»[1]وفي رواية وإذا استنصحك فأنصح له. فهذا الحديث يدل على حث المسلم على المشاركة في مجتمعه على أكثر من وجه:

1. رد السلام: "شرع الله السلام بين عباده ليستأنسوا، فلا يستوحش مسلم من مسلم، ولينمو الود، وتزداد المحبة والتآلف، وقد بين صلى الله عليه وسلم المطالب بالبدء بالسلام، لئلا يكون للناس حجة، ولئلا يلقي بعضهم التبعة على بعض، ولئلا يتكاسل البعض في انتظار ابتداء البعض، فقال: ليبدأ الصغير سناً بالسلام على الكبير، والمار ماشياً أو راكباً على القاعد والمضطجع، والقليل عدداً على الكثير"[2] "وابتداء السلام سنة ورده واجب فإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم، فإن كان المسلّم عليه واحداً تعين عليه الرد وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم فإذا رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين والأفضل أن يبتدئ الجميع بالسلام"[3]

2. عيادة المريض : "عيادة المريض وسيلة إلى العبرة والمؤانسة، عبرة للزائر ومؤانسة للمريض، وإن حضور من أدركه الموت أكثر اتعاظاً، فالزائر يرى الميت وقد تحشرجت أنفاسه، وضاق صدره بروحه، ويراه وقد بلغت الحلقوم، ينظر إليه ولا يستطيع مساعدته بشيء، ينظر الحبيب الحي إلى حبيبه وقد شخص بصره وتجمدت جفونه، فلا يملك إلا أن يغمض له عينيه، وإلا أن يلقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله"[4]وكذلك تعود على الزائر بالثواب والأجر العظيم من الله تعالى فقد جاء في الحديث «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»[5]

3. اتباع الجنائز: فالموت مصيبة كما ورد ذلك في القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[6] لذلك حث الإسلام أصحاب المصيبة على الصبر والاحتساب، وأمر غيرهم بالمشاركة في تجهيز

[1] صحيح البخاري ح 1240.

[2] فتح المنعم 469/4.

[3] مسلم بشرح النووي 140/14.

[4] المرجع السابق، 181/4.

[5] صحيح مسلم ح 2568.

[6] سورة المائدة ،الآية 106.

الجنازة وتشييعها والصلاة عليها "ففي ذلك من الاعتبار والاتعاظ ما يدفع للعمل الصالح والاستعداد لمثل ذلك المصير، فضلاً عما في ذلك من إعانة لأهل الميت ومساعدة لهم، ومشاركة في مصابهم، يضاف لكل ذلك ما يعود على الميت نفسه من هذه المشاركة، إذ الصلاة عليه دعاء له، وذكره والأسى بفراقه ثناء واستغفار وشفاعة، يُرجى له بها الفضل من الله والرحمة والرضوان"[1]

4. إجابة الدعوة: "والدعوة إلى الوليمة تجمع بين السلام والطعام، والإجابة إليها تجمع الأمرين السلام والطعام، وقد شرع الإسلام الدعوة إلى الطعام في كل وقت بصفة عامة، وزادها تأكيداً في مناسبات خاصة، وجعلها أساساً من أسس إشهار النكاح وإعلانه، فكانت وليمة العرس، ومن بعدها وليمة الولادة "العقيقة"، وإطعام بمناسبة الختان، وإطعام عند إتمام البناء، وإطعام عند القدوم من السفر، وإطعام عند فرح وسرور ونعمة كبرى، وإطعام عند المصيبة، ومأدبات في أوقات مختلفة دون مناسبة، وأمر الشارع من يدعى إلى ضيافة من هذه الضيافات أن يجيب، وليعلم أن ما بعث الداعي إلى الدعوة إلا صدق المحبة، والسرور بحضور المدعو، والتحبب إليه بالمؤاكلة، وإقامة الطعام كعهد أمان بينهما، وقد يتبرك به أهل الطعام وقد يتجملون وينتفعون بحضوره"[2] لذلك كان إجابة المسلم دعوة أخيه المسلم ومشاركته له أفراحه تمثل قمة الترابط والإيجابية التي دعت إليها السنة.

5. تشميت العاطس: وهو أن يدعو المسلم لأخيه المسلم بالرحمة من الله تعالى إذا حمده العاطس.
6. إبداء النصيحة:" وإذا استنصحك معناه طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه ولا تداهنه ولا تغشه ولا تمسك عن بيان النصيحة "[3]، ومن أعمال البر التي يستحب للمسلم أن يشارك مجتمعه فيها تعليم الجاهل وحضور مجالس العلم حيث يجتمع مع اخوته من طلبة العلم والعلماء في أحب المجالس إلى الله تعالى فيفيد ويستفيد ، قال صلى الله عليه وسلم "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[4] ففي الحديث " فضل العلماء على سائر الناس. وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله، لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه، قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ[5]) "[6]وكلما كان الإنسان قريباً من ربه بفعل الطاعات والبعد عن المعاصي كان إيجابياً فاعلاً في مجتمعه لأن القرب والقبول عند الله يعقبه قبولاً عند خلقه كما جاء في الحديث " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ:

[1] فتح المنعم 228/4.
[2] المرجع السابق 568/5.
[3] مسلم بشرح النووي 143/14.
[4] صحيح البخاري ح71.
[5] سورة فاطر الآية 28.
[6] شرح صحيح البخاري لابن بطال 154/1.

فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ "[1] ومعنى الحديث "أن الله تعالى إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه، فاعرف منزلتك من الله تعالى بمنزلتك من الناس، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما لله عندك ،وأصل هذا أن خشية الله تبعث على طاعته في خلقه، وطاعته في خلقه تبعث على محبته، فلذلك كانت محبتهم دليلاً على خيره وخشيته، وبغضهم دليلاً على شره وقلة مراقبته"[2] وقيل " أن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبدًا أعلم كل مرضي عنه عنده سبحانه بحبه إياه؛ لئلا يتعرض واحد منهم ببغض من يحبه الله، فيبدأ جل جلاله بإعلام جبريل ليكون جبريل موافقًا فيه محبة الله عز وجل، وليعلم أهل السماء ليكونوا عابدين لله بمحبة ذلك الإنسان متقربين إليه بحبه"[3]

[1] صحيح مسلم ح 2637.

[2] أدب الدين والدنيا للماوردي ص138.

[3] الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة 262/7.

المبحث الثالث: الدعوة إلى المبادرة بالأعمال الصالحة ونبذ السلبية، وتحته مطالب:

المطلب الأول : المبادرة بالأعمال الصالحة:

حثت السنة النبوية إلى الإيجابية ، ودعت المسلم إلى القيام والمبادرة بالأعمال الصالحة، وأن لا يدع فرصة تأتيه إلا ويغتنمها فيما يفيد أمر دينه ودنياه فقد جاء في الحديث : "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ "[1] «ففي الشباب قوة وعزيمة فإذا هرم الإنسان وشاب ضعفت القوة وفترت العزيمة وفي الصحة نشاط وانبساط فإذا مرض الإنسان انحط نشاطه وضاقت نفسه وثقلت عليه الأعمال وفي الغنى راحة وفراغ فإذا افتقر الإنسان اشتغل بطلب العيش لنفسه والعيال، وفي الحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال فإذا مات العبد انقطعت عنه أوقات الإمكان»[2] قال ابن حجر:« وهو متضمن لنهاية قصر الأمل وأن العاقل ينبغي له إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن أن أجله مدركه قبل ذلك، فعليه أن يعمل ما يلقى نفعه بعد موته ويبادر بالعمل الصالح؛ فإن المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيُخشى على من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد»[3]

كما حثت السنة إلى المبادرة بالأعمال الصالحة والإكثار منها قبل وقوع الفتن ، واختلاط الحق بالباطل كما جاء في الحديث «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[4]ففي الحديث « الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف صلى الله عليه وسلم نوعاً من شدائد تلك الفتن وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه ،وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب»[5]،ومما يدل كذلك على حث السنة النبوية على المبادرة والمسارعة بالعمل الصالح ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم " إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ[6] فَلْيَغْرِسْهَا " [7]والإكثار من الأعمال الصالحة والطاعات اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم «فكان يقوم . عليه الصلاة والسلام . أحياناً أكثر الليل، وأحياناً نصف الليل، وأحياناً ثلث الليل؛ لأنه .

---

[1] مستدرك الحاكم ح 7846. وقال على شرط البخاري ومسلم ،ووافقه الذهبي.

[2] الضياء اللامع من الخطب الجوامع لابن عثيمين 314/2

[3] فتح الباري لابن حجر 235/11، بتصرف يسير.

[4] صحيح مسلم ح118.

[5] شرح النووي على مسلم 133/2.

[6] الفسيلة : النخلة الصغيرة، القاموس المحيط ، الفيروز آبادي.

[7] مسند أحمد ح 12902، إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

عليه الصلاة والسلام . يعطي نفسه حقها من الراحة مع القيام التام بعبادة ربه . صلوات الله وسلامه عليه ، فكان يقوم أدنى من ثلثي الليل . يعني فوق النصف، ودون الثلثين -ونصفه وثلثه؛ حسب نشاطه . عليه الصلاة والسلام .؛ وكان يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر من طول القيام؛ أي يتحجر الدم فيها وتنشق»[1]

المطلب الثاني: نبذ السلبية وعدم احتقار الأعمال الصالحة القليلة:

حثت السنة النبوية المسلم إلى الإيجابية ونبذ السلبية في أقواله وأفعاله ليكون فاعلاً في مجتمعه نافعاً لنفسه ولغيره ؛لينال خيري الدنيا والآخرة ،فقد جاء في الحديث:«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[2] أي لا تعجز أن تجتهد وتأخذ بالأسباب التي أمر بها الشرع مع الاستعانة والتوكل على الله ، فالعجز والكسل سلبيه نهى عنها الشرع ؛لأنها تؤثر على رصيد المسلم ووضعه في علاقته مع الله ؛ فتفوته الكثير من فرص الخير والأجر بسبب سلبيته وكسله، وتؤثر على علاقته بمجتمعه فلا يكون فاعلاً مؤثرا في غيره. قال النووي: « معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة »[3]وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من العجز والكسل ،وهذا يمثل قمة الإيجابية ونبذ السلبية كما جاء في الحديث:« اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[4] وقد حثت السنة المسلم بأن يكون إيجابياً مع أهله في بيته "فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيته في خدمة أهله، يحلب الشاة، يخصف النعل، يخدمهم في بيتهم" [5] كما جاء في الحديث :"سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ "[6] وفي آخر «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"[7] ويجب على المسلم أن لا يقلل من شأن أعمال البر أو يستصغرها فقد تكون عند الله عظيمة، فقد جاء في الحديث "تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» وجاء في آخر«يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ[8]»[1]

---

[1] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين 69/2.

[2] صحيح مسلم 2664.

[3] شرح النووي على مسلم 215/16.

[4] صحيح مسلم ح 2706.

[5] شرح رياض الصالحين ،لابن عثيمين 529/3.

[6] مسند أحمد ح 25341، وهو حديث صحيح.

[7] سنن الترمذي ح 3895. وهو حديث صحيح.

[8] الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيقال فرسن شاة، والذي للشاة هو الظلف. النهاية،429/3.

المطلب الثالث : الأدوات والوسائل التي تقود إلى الايجابية:

من أهم الوسائل التي تقود إلى الإيجابية اخلاص النية لله تعالى وطلب المثوبة منه وحده ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]فقد يدرك الأنسان بنيته ما لا يدرك بعمله ؛ "وذلك أن الله عز وجل يخلد المؤمن في جنته بنيته لا بعمله، ولو جزي بعمله؛ لم يستوجب التخليد؛ لأنه عمل في سنين معدودة، والجزاء يقع بمثلها وأضعافها، وإنما يخلده الله عز وجل بنيته؛ لأنه كان ناوياً أن يطيع الله عز وجل أبداً لو أبقاه أبداً، فلما اخترمه دون نيته؛ جزاه عليها التخليد أبداً، وكذلك الكافر نيته شر من عمله؛ لأنه كان ناوياً أن يقيم على كفره أبداً، فلما اخترمه الله عز وجل دون نيته؛ جزاه التخليد في جهنم أبداً"[3]، ومن وسائل الإيجابية عدم استصغار العمل ، فقد يرى المسلم أن العمل بسيطاً وهو عند الله عظيما كما جاء في الحديث «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[4]ومن وسائل الإيجابية عدم استصغار الذنوب والمعاصي فقد جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المُوبِقَاتِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ»[5]ومن وسائل الإيجابية عدم تكليف النفس بما لا تطيق والبعد عن التنطع والغلو في العبادة ؛ لأنه قد يؤدي ذلك إلى الفتور والتكاسل عما يجب عليه من واجبات ، قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وجاء في الحديث «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»[6]ومن وسائل الإيجابية استشعار المسلم لواجباته الشرعية وأنه سوف يسأل عنها مسؤولية فردية كما جاء في القران الكريم ، قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[7]﴾ وقال تعالى ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[8]

المطلب الرابع : أثر الإيجابية على تطوروتنمية المجتمع:

للإيجابية آثار ومنافع عظيمة على المجتمعات ، فالفرد الإيجابي يحرص على أداء ما عليه من حقوق تجاه ربه ، ونفسه ، ومجتمعه ، فهو شخص مسؤول يؤدي واجباته بإخلاص وتفانٍ ؛ لأنه يخشى الله ويستشعر قول

---

[1] صحيح مسلم ح 1030.

[2] سورة المائدة الآية 27.

[3] المجالسة وجواهر العلم ، للدينوري 202/4.

[4] صحيح مسلم ح 2626.

[5] صحيح البخاري ح 6492.

[6] صحيح مسلم ح 782.

[7] سورة الأنعام ، الآية 164.

[8] سورة مريم ، الآية 95.

النبي صلى الله عليه وسلم «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1] ويعلم أن الله سائله عما يصدر عنه من قول أو عمل، قال تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ فيسعى جاهداً لإرضاء ربه بالإتقان والإخلاص ، وبهذا يكون قد شارك في رُقي المجتمع وتطوره فبالقول الإيجابي ينتشر الحب بين أفراد المجتمع فتقل المشاعر السلبية ويكون المجتمع أكثر تماسكاً وتكاتفاً تحقيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]وبالعمل فإن الفرد الإيجابي المسؤول الملتزم بدينه يبعد عن كلما حرمه الشرع من المعاملات ، فلا رشوة ، ولا تعاملات ربوية ، ولا أكل لأموال الناس بالبطل ، ولا هدر لأموال الدولة فيما لا يحل له ، وبذلك يكون لبنة صالحة في بناء المجتمع وتطوره.

[1] صحيح البخاري ح 2558.

[2] صحيح مسلم ح 2586.

الخاتمة :

في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا الوصول إلى النتائج التالية:

1. الإيجابية تعني التكاتف والتعاضد بين أفراد المجتمع في التعاون على البر والتقوى ، وما يفيد في أمور الدين والدنيا ، وهذا يؤدي إلى تنمية المجتمع وتطوره

2. السنة النبوية اشتملت على كثير من النصوص التي تدعو إلى الإيجابية وتنبذ العجز والسلبية.

3. الإيجابية تعني تسلح المسلم بالأعمال الصالحة والقرب من الله تعالى.

4. الإيجابية تَحِدُ من الوقوع في اليأس والقنوط الذي حذر منه الإسلام .

5. الإيجابية هي أساس رفعة وتطور المجتمع.

6. تنمية المجتمع تعني أن يشارك جميع أفراده في نهضته ورفعته ، وهذه هي الإيجابية التي جاء بها الإسلام والتي وردت بشأنها النصوص في السنة النبوية .

7. كل جهد بشري للارتقاء بالإنسان في فكره أو سلوكه ، له أصل في السنة النبوية.

التوصيات:

1. توصي الباحثة الباحثين والمهتمين بالمنهج النبوي بالمزيد من البحوث التي تربط بين علوم السنة النبوية والعلوم الحديثة والمستجدات العصرية.

2. إنشاء المزيد من المراكز البحثية والعلمية التي تُعنى بربط الدراسات الشرعية والمجتمعية بالتنمية وتقدم المجتمعات.

3. أن تتبنى مؤسسات علمية العمل على تأصيل العلوم والمصطلحات المستجدة ؛ حتى يتمكن العلماء والدعاة من مخاطبة الناس بلغة ومصطلحات عصرهم.

فهرس المراجع والمصادر:

*الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ،محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

*أدب الدنيا والدين ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)الناشر: دار مكتبة الحياة ،بدون طبعة ،تاريخ النشر: 1986م.

*الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)

المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، 1409 .

*الإفصاح عن معاني الصحاح،يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: 560هـ)المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمدالناشر: دار الوطن سنة النشر: 1417هـ

*الإيجابية وأهميتها في الحياة. السيد طه أحمد.

*تحفة المودود بأحكام المولود ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)المحقق: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: مكتبة دار البيان – دمشق الطبعة: الأولى، 1391 – 1971

*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي(المتوفى: 1376هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر:مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م

*الجامع الكبير - سنن الترمذي ،المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي،

أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ، سنة النشر: 1998 م.

*الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، 1422هـ .

*زاد المعاد في هدي خير العباد ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م.

*شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ،الطبعة: 1426 هـ

*شرح صحيح البخارى لابن بطال ،ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م

*صحيحُ ابن خُزَيمة ،أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ)تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

*الضياء اللامع من الخطب الجوامع ،محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م

*فتح الباري شرح صحيح البخاري ،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379

فتح الباري شرح صحيح البخاري ،زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة ،الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

*فتح القدير ،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى - 1414 هـ

*فتح المنعم شرح صحيح مسلم ،الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ،الناشر: دار الشروق الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م

*القاموس المحيط ،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

*الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، ،الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : 333هـ) المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) ،تاريخ النشر : 1419هـ

*مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ)،قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق عام النشر: 1398 هـ - 1978

*المستدرك على الصحيحين ،أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، 1411 – 1990

مسند الإمام أحمد بن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

*معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) ،أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت ، عام النشر: [1377 - 1380 هـ]

*المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ،أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ)،حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال ،الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)،الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م

*المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة.

*المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثانية، 1392.

*النهاية في غريب الحديث والأثر،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م ،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

مجالات استثمار علم الاجتماع لتنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر

الدكتور هشام تهتاه الباحث عبد المنعم الزكريوي

فرقة البحث في العلوم الشرعية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

المملكة المغربية

h.tahtah@uae.ac.ma abmounaim88@gmail.com

ملخص البحث:

يجمع الأصوليون على حاجة الاجتهاد الفقهي، في كل عصر، إلى موارد متنوعة تتصل، بعلوم الشرع من جهة، وبالمعارف المعينة على إدراك أحوال الناس وعوائدهم من جهة أخرى، وقد حظيت علوم النص الشرعي - منذ عهود التدوين الأولى- بعنايةٍ جليلةٍ من قِبل السادة العلماء، بيد أن تعاقب الأزمان وتطور أحوال العيش قد كشف عن تضخم العناية بعلوم الخطاب على حساب فقه الواقع، وهو ما أدى بالاجتهاد الفقهي إلى أن ينحو بعض الأحايين نحو التجريد والتقليد والانكماش.

ولقد أسهم ظهور علم الاجتماع، بنصيب وافر، في الكشف عن كثيرٍ من خفايا الظواهر الإنسانية، وساعد على إدراك خصائصها البنيوية، وتفهُّم آثارها الاجتماعية، واستخلاص سننها الحضارية، فأثبت بذلك أنه من العلوم الإنسانية القادرة على إمداد الاجتهاد الفقهي برصيد منهجي ومعرفي يعيد له نشاطه، ويسعفه على مواكبة قضايا العصر والإجابة عن مشكلات الناس. ومع هذا فإن الحركة الفقهية، في العصور المتأخرة، قد غفلت عن التفتيش في رحاب علم الاجتماع، ولم تستثمر مناهجه ونتائجه حق الاستثمار. وبعيدا عن منطق التنافسية والغلبة بين علم الفقه وعلم الاجتماع، فإن هذه الورقة البحثية تسعى إلى رصد مجالات قمينة بتسخير علم الاجتماع في تنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر وإثماره؛ سواء من جهة الخدمة أو الفحص والنقد.

الكلمات المفتاحية: الاجتهاد الفقهي المعاصر – علم الاجتماع – التكامل المعرفي – النقد.

Areas for investing sociology to develop contemporary jurisprudence

Abdelmounaim Zakrioui

Dr. Hicham Tahtah

Faculty of Arts and Human Sciences, Tetouan

Abstract:

Fundamentalists agree on the need of fiqh jurisprudence, in every era, for various resources related to the sciences of Sharia on the one hand, and to the knowledge that helps to understand the conditions of people and their returns on the other hand, and the sciences of the Sharia text-since the early eras of codification - have received great attention by scholars, but the succession of times and the development of living conditions have revealed the inflation of attention to the sciences of discourse at the expense of the jurisprudence of reality, which led Fiqh jurisprudence to tend towards abstraction, intimidation, imitation and contraction .

The emergence of Sociology has contributed, with an ample share, to revealing many of the subtleties of human phenomena, helped to realize their structural characteristics, understand their social effects, and derive their age of civilization, thus proving that it is one of the humanities capable of supplying jurisprudence with a systematic and cognitive balance that restores its activity, helps it keep abreast of the issues of the time and answer people's problems. However, the Fiqh movement, in late Times, has overlooked the inspection in the field of sociology, and its approaches and results have not been invested properly. Apart from the logic of competitiveness and predominance between jurisprudence and sociology, this kind of research seeks to monitor areas that can be used by sociology in the development of contemporary jurisprudence and its fruit, whether in terms of service or examination and criticism.

Keywords: contemporary jurisprudence-sociology - cognitive integration-criticism

مقدمة:

الاجتهاد الفقهي آلية أساسية لتحريك أحكام الشرع في حياة الناس وضمان مجاراتها لكل المستجدات، ووسيلة لإبراز شمولية الدين وهيمنته على مناحي الحياة البشرية. وقد أجمع الأصوليون على حاجة المجتهد الماسة لعلوم متنوعة، لتحقيق حسن الأداء في مهمته، تتصل بعلوم الشرع، من جانب، وبمعرفة أحوال الناس وعوائدهم من جانب آخر، وقد عرفت الأولى عناية كبيرة في تحصيل الملكة الفقهية، قابله ضعف اهتمام بفقه الواقع، الذي حازت فيه العلوم الاجتماعية قصب السبق، فأسهمت بنصيب وافر في الكشف عن حقائق الواقع الإنساني، والدفع به صوب التنمية الشاملة.

وقد أدرك المعاصرون من المفكرين والأصوليين خطورة هذا الإهمال في تغييب الشريعة عن مجالات مهمة من الحياة، وطرحوا قضية الإمداد والاستمداد بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية، وغيرها، للبحث والمناقشة، سعيًا منهم لبعث روح التجديد في الممارسة الاجتهادية، فكثر الحديث وتعاقب التأليف في مشروعية هذا التلاقح، وحدوده، وكيفياته، وآثاره المحتملة على العلوم الشرعية خاصة. بيد أن أكثر هذه الجهود قد استُفرغت في العموميات، وقلَّ النبشُ في المداخل الموصلة إلى تحقيق هذا التكامل فعليا. وهذه الورقة البحثية المختصرة ستتناول بعض مجالات الإفادة من علم الاجتماع في تسديد الاجتهاد الفقهي المعاصر؛ ممارسةً وإنتاجًا.

ومن أهداف البحث: التعريف بالاجتهاد الفقهي المعاصر، وبعلم الاجتماع، والكشف عن بعض أوجه الإفادة من الأخير في إثمار الأول، والتفتيش عن مجالات الاجتهاد الفقهي التي يمكن لعلم الاجتماع أن يتفاعل معها خدمة وفحصا.

وعليه، فإن إشكالية الموضوع الكبرى يمكن اختصارها في السؤال الآتي: ما هي مجالات استثمار معطيات علم الاجتماع في تنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر وتسديده؟ وكيف يمكن تحقيق ذلك؟

وقد جزأنا هذا الإشكال إلى ثلاثة أسئلة جزئية، وهي:

- ما المقصود بالاستثمار، والاجتهاد الفقهي المعاصر، وعلم الاجتماع؟
- ما هي بعض أوجه استثمار علم الاجتماع في تنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر؟
- ما هي مجالات الاجتهاد التي يمكن استثمار علم الاجتماع فيها؟

وقد عالجنا تفاصيل الموضوع في مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، معتمدين منهج الوصف في تعريف المفاهيم، ومنهجَيْ الاستقراء والتحليل في الكشف عن مواطن الإفادة وبيان كيفيات الاستثمار.

المحور الأول: مدخل مفاهيمي

في البدء، لابد من توضيح المفاهيم المفتاحية الواردة في عنوان الدراسة، تسهيلا لولوج تفاصيل الموضوع، فما المقصود بالاستثمار، والاجتهاد الفقهي المعاصر، وعلم الاجتماع؟

1- معنى الاستثمار

الثاء والميم والراء أصل واحد، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، ثم يحمل عليه غيره استعارة. قال ابن دريد. وثمر الرجل ماله أحسن القيام عليه. ويقال في الدعاء: " ثمر الله ماله " أي نماه.[1]

فالمادة تدل على معنى التولد، والإنماء، والإنتاج. و (الألف والسين والتاء) زائدة، كثر استعمالها في معان: أحدها: الطلب حقيقة، الثاني الصيرورة حقيقة[2]. والجهد المبذول لإنتاج شيء أو الحصول عليه يعد طلبا، والصيرورة استحالة من حال إلى حال. و(الاستثمار) استخدام الأموال في الإنتاج إما مباشرة بشراء الآلات والمواد الأولية وإما بطريق غير مباشر كشراء الأسهم والسندات.[3]

ولم يحتفل الأصوليون بإيراد تعريفات اصطلاحية للاستثمار، مع رواجه الكبير في بعض مصنفاتهم، فقد توسع الإمام الغزالي في استعمال اشتقاقاته، فعبر عن الحكم بالثمرة، وعن الأدلة بالمثمرات، وعن المجتهد بالمستثمر، وعن طرق تحصيل الأحكام بالاستثمار. ويقصد أغلب الأصوليين به: استفادة الأحكام من الأدلة والمصادر الشرعية[4]، وهو معنى مجازي يدل على الجهد المبذول لاستنباط الحكم الشرعي، وليس الطلب الحقيقي. وقد ورد عند بعض المتأخرين بمعنى التوظيف والتنمية.[5]

---

[1] بن فارس، أحمد بن زكرياء (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1399هـ - 1979م، 388/1.

[2] الحملاوي، أحمد بن محمد (ت 1351هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، د ت، ص 35.

[3] مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة،100/1.

[4] انظر مثلا: الغزالي أبو حامد (ت 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، ص (174-180-280-342).

والآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، 1402 هـ

[5] خلاف عبد الوهاب. علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»، د ت، ص 244. والخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2001م، ص 176. وجغيم، نعمان، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، 1435 هـ - 2014 م، ص19.

2- الاجتهاد الفقهي المعاصر:

قال الفراهيدي: «الجهد: ما جهد الإنسان من مرض، أو أمر شاق فهو مجهود [والجهد لغة بهذا المعنى] والجهد: شيء قليل يعيش به المقل على جهد العيش. والجهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تأل عن الجهد فيه»[1].فمعاني الاجتهاد اللغوية الأساسية ثلاثة: هي المشقة، وبذل الوسع، وبلوغ الغاية.

واصطلاحا عرفه الشاطبي (ت790ه) بقوله: " هو استفراغ الوسع في تحصيل العلم أو الظن بالحكم."[2]

وعرفه ابن بدران (ت1346ه) بأنه " استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه"[3].

والمتأمل في تعاريف القدامى يجدها تحدد الاجتهاد بمكونات أساسية ثلاث:

أولها: بذلُ الجهد واستفراغُ الوسع، ويشير هذا المعنى إلى النشاط الذهني والممارسة الفكرية المضنية للمجتهد، بحيث يتم استبعاد أي نشاط عادي كاستنباط حكم من نص واضح الدلالة قطعي الثبوت أو نقل الحكم دون كلفة نظر.

الثاني: هو المحصلة المعرفية من هذا الجهد، وقد اختلفوا فيها حسب رؤية كل واحد إلى طبيعة الحكم المتوصل إليه، أهو المراد يقينا أم أنه ظن بالمراد، فعبر أغلبهم بتحصيل الظن، وقال الغزالي بتحصيل العلم، بينما اكتفى آخرون بتعبيرات شاملة كدرك الأحكام الشرعية، ولكن ما يجمعهم هو أن الغاية من هذا النشاط هو التحصيل الذهني للأحكام الشرعية.

لذلك اهتم الأصوليون بوضع قواعد فهم النصوص الشرعية والاستنباط منها، وبيان طرق الجمع والترجيح بين المتعارضات منها. ولم يعيروا حيثيات تنزيل هذه الأحكام وربطها بالواقع ذات القدر من العناية. وقد استدرك بعض المعاصرين على هذه التعاريف لتشمل هذا الجزء، فأورد أبو زهرة تعريفا للاجتهاد قائلا:

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (3/ 386).

[2] - الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790 ه)، الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م: 51/5.

[3] الدمشقي، عبد القادر بن بدران، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، صححه وقدم له وعلق عليه عبد الله بن عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية "1401ه-1981م"، ص 367.

هو "استفرغ الجهد وبذل غاية الوسع، إما في استنباط الأحكام الشرعية، وإما في تنزيلها".[1] فيلتئم بذلك الجانب النظري بالشق التطبيقي في الاجتهاد.

أما مسمى الفقه فإنه "يدل على إدراك الشيء والعلم به".[2] وهو أيضا الفهم[3]، والفهم الدقيق، فهم غرض المتكلم، وهو الفطنة[4]، ومن تعريفاته الاصطلاحية الشهيرة ما نقلهُ الزركشي(ت 794هـ) في البحر المحيط، قال: «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية».[5] فالفقه علم ذو موضوع خاص يتعلق بأحكام الأفعال الصادرة عن أناس، عقلاء عالمين بما لهم وما عليهم، ومميزين قادرين على الاضطلاع بمهامهم التكليفية، بصفاتهم الفردية أو الجماعية، وله وظيفة شمولية تتجلى في ربط المخلوق بالخالق سبحانه وتعالى، عبر الاستعمار الأمثل للأرض، وتنفيذ مهام الاستخلاف على أفضل الوجوه، وتزكية النفوس، بالعمل الشامل لأبعاد الجنان واللسان والأركان، وتقويم هذه الأفعال وفق القواعد الشرعية والأخلاقية، وضوابط مقاصد الشريعة الإسلامية.

أما وصف [المعاصر] قال فيه ابن فارس «العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة: فالأول دهر وحين، والثاني ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث تعلق بشيء وامتساك به».[6]فالمعاصر اسم فاعل من الفعل المزيد عاصر الدال على المشاركة.

أما [الاجتهاد الفقهي المعاصر] مركبا، فقد لا يظفر الباحث في تعريفه إلا بأحاديث عن بداية طوره، أو مجموعة من الخصائص التي تميزه عن غيره من الأطوار، ولم يحفل المؤلفون فيه-حسب اطلاع الباحث- بتحديد ماهيته، ويكتفون بذكر تعريف الاجتهاد لغويا واصطلاحيا. وركز البعض في محاولة تقريب مفهوم الاجتهاد الفقهي المعاصر على التحقيب الزمني لتطور الاجتهاد، من أجل الوقوف على بداية المعاصر منه، واختلفوا في تقسيم أطواره،[7] وآخرون ربطوا بدايته بأحداث معينة[1].

---

[1] أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص379.

[2] «مقاييس اللغة»، م س، (4/ 442).

[3] الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، (5/ 263).

[4] بن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، (4/ 128).

[5] الزركشي، بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، (1/ 34).

[6] معجم مقاييس اللغة، (4/ 340)

[7] انظر: الحجوي، محمد بن الحسن، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط،1345/1340 هـ في أربعة أجزاء خص كل جزء بطور، أولا طور التكوين والطفولية، ثم طور الشباب، وبعده طور الكهولة، وأخيرا طور الهرم.

وأما من الناحية الإجرائية، فيقصد بالاجتهاد الفقهي المعاصر في هذه الدراسة، تلك الممارسة الفكرية العملية المستوفية للجهد، من قبل المجتهد أو المؤسسة الاجتهادية، لتحصيل الأحكام الشرعية، من الأدلة المعتبرة، وتنزيلها على الوقائع في العصر الحاضر، محتكمةً إلى مقاصد الشريعة، ومستنيرةً بمختلف أنواع العلوم والمعارف الانسانية.

والاجتهاد الفقهي المعاصر يمكن إطلاقه على الممارسة التي يتم بها فهم النصوص واستنباط الأحكام وتطبيقها على الوقائع، كما يمكن إطلاقه على ثمرة الاجتهاد، وهي مجموع الأحكام والفتاوى والأقضية، وتطبيقاتها.

ومجال الاجتهاد الفقهي المعاصر هو النصوص الشرعية من حيث ما يثبت بها من أحكام ظنية، وهي التي لا يأثم المجتهد إن أخطأ في اجتهاده فيها، ويثاب ضعفا إن أصاب، وما يتوصل إليه، هي معرفة ظنية، لكن المكلف يقطع بوجوب العمل بها، لأن المطلوب من المجتهد بذل الجهد وليس التوصل الحتمي للمراد الإلهي.

تعريف علم الاجتماع:

علم الاجتماع (**sociology**) اسم مركب من كلمتين (**socius**) وتعني الرفيق أو الشريك، و(**Logia**) وتعني الخطاب أو العلم.[2] ويؤكد ريمون آرون «أحد المشتغلين بعلم الاجتماع في فرنسا أن علم الاجتماع يتميز بأنه دائم البحث عن نفسه، وأن أكثر النقاط اتفاقا بين المشتغلين به هي صعوبة تحديد علم الاجتماع،[3] كما أورد "بيتروم سروكين" في مؤلفه "النظريات السوسيولوجية المعاصرة " عام 1928 آراء أكثر من ألف عالم وباحث في علم الاجتماع، الأمر الذي يجعل من الصعوبة تحديد من نجح منهم في تعريف علم الاجتماع.[4] وسنعرض لبعضها فيما يلي:

---

[1] السايس، محمد علي، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت: صص 148-149. وزيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 12، 1995م، من ص 126 إلى129. والخن، مصطفى سعيد، دراسة تاريخية للفقه وأصوله، والاتجاهات التي ظهرت فيها، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق – سوريا، ط 1، 1494هـ/1984م: ص 134. و أبو العينين ، بدران ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1968م: صص 106-107. وخلاف، عبد الوهاب، خلاصة التشريع الإسلامي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت دت: صص 103-104.

[2] تيما شيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة د محمود عودة، د محمد محمود الجوهري، السيد محمود الحصني، ومحمد علي محمد، مراجعة وتقديم د محمد عاطف غيث، منشور ضمن سلسلة: علم الاجتماع المعاصر، الكتاب الثاني، دار المعارف، مصر، الطبعة 1، 1970م: ص4.

[3] رمون أرون، المجتمع الصناعي، ترجمة، فكتور ياسيل، منشورات عويدات بيروت،1965 ص9.

[4] د. محمد الجوهري وآخرون، دراسة علم الاجتماع، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية 1975 ص ص 13-14.

وعرفه أوجست كونت بقوله:" ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسته"[1] معتبرا هذه الظواهر من قبيل الظواهر الفلكية والفزيائية والعضوية التي تعتبر موضوعا للعلوم الطبيعية.

أما دوركايم فيعرف علم الاجتماع بأنه:" علم النظم الذي يبحث في طائفة محددة من الظواهر، ويمكن معرفة الظواهر الاجتماعية بأنها تنطوي على قوة قاهرة خارجية، وتباشر هذا القهر على أفراد المجتمع أو يمكن أن تباشره عليهم"[2] والنظم عنده تشمل جميع المعتقدات وأنواع السلوك التي تفرضها الحياة الجمعية، وتتسم بخصائص القهر والعموم والاستقلال التام عن الصور الفردية.

وعرفه جون لويس فابياني بأنه "مجموعة من المعارف التي تتناول الظواهر الاجتماعية، سواء كان ذلك بشكل تفاعلات بين الأفراد أو بفعل القوة التي تمارس عليهم من قبل الهياكل الاجتماعية التي تحدد ميولهم للتصرف وتموضعهم في مواقع أكثر أو أقل استقرارًا. تتشابك هذه المعارف حول التحقيق في ظروف الحياة والممارسات".[3]

ومع التسليم بوجود تباينات كثيرة ارتبطت بتحديد هذا العلم وموضوعه، وفرضتها طبيعة نشأته وتطوره، ومدى تأثره بالمرجعيات الفكرية والحضارية التي أحاطت به، مثل الدين والفلسفة والعلوم الطبيعية، كما تأثر بطبيعة التغيرات التي طرأت على المجتمع الإنساني، ولا تزال تواصل تأثيرها عليه، وبالظروف الاجتماعية والثقافية لكل رائد من رواده، وجعلته ابتداء يرتبط في خبرته بمجتمع دون غيره. زد على كل هذا حالة المنهج العلمي في كل فترة من الفترات التاريخية التي مر بها العلم.[4]

وعلم الاجتماع يتناول مواضيع مهمة مثل الثقافة وتنوعاتها، والقيم والمعايير، والتنشئة والأدوار الاجتماعية، وأنماط المجتمعات ومستوياتها، والتغيرات الاجتماعية، وتأثيراتها وأسبابها، والتفاعلات الاجتماعية بمختلف تمظهراتها ، والظواهر الاجتماعية المتعلقة بالجنوسة، والحياة الجنسية، والعائلة، والجريمة، والانحراف، والهجرة، والطبقية، والفقر، والرفاه، والعمل والحياة الاقتصادية، والمنظمات،

[1] تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها، وتطورها، ص30-31.

[2] دوركايم، إميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1950م، ص45.

[3] La sociologie, histoire, idées ,courants , Jean-Louis fabiani, Editions ouvrages science humaines de synthèse ,2021 :p9

[4] المرجع: عبد المعطي عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مجلة عالم المعرفة، العدد 44، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت،1998م: ص 15.

والتنظيم، والحكم، والسلطة، والسياسة، والإعلام والتواصل، والتربية والدين، والفضاءات الحضرية والقروية والنمو السكاني والأزمات الإيكولوجية،[1] وغيرها من المواضيع المرتبطة بالإنسان في بعده الاجتماعي.

وهي مواضيع أساسية للاجتهاد الفقهي يتناولها بالحكم، أو يستفيد منها في سياق تحصيله للأحكام وتطبيقها في واقع الناس.

[1] انظر: غدنز، أنطوني، علم الاجتماع، تقديم وترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.

المحور الثاني: أوجه استثمار علم الاجتماع في الاجتهاد الفقهي المعاصر

هناك عدة أوجه لاستثمار علم الاجتماع في الاجتهاد الفقهي المعاصر منها على سبيل المثال:

الاستثمار بحكم المصاهرة والاجتماع:

ويكون هذا بين المعارف التي تشكل وحدة معرفية فيما بينها، فالاجتهاد الفقهي باعتباره مبحثا أصوليا مثمرا في الفقه تجمعه صلة القربى بعلم الاجتماع لانتسابهما إلى وحدة معرفية واحدة، هي العلوم الإنسانية. فيتقاسمان الكثير من السمات التي تميز الظواهر الاجتماعية، التي تعتبر موضوع الحقلين، مثل عدم الثبات، والتعقيد، وتأثير الإرادة الواعية للإنسان، وسياقات الحياة فيها، بما ينعكس على المنهج في مقاربتهما المختلفين وضرورة استحضار المرونة، والفهم العميق، والعوامل الذاتية والأسباب الموضوعية، كما أن نتائجهما عبارة عن معارف ظنية ونسبية محكومة بعوامل الزمان والمكان والذوات، ولكنها ذات فوائد عملية واضحة، الشيء الذي ييسر أمر الإفادة بينهما؛ امدادًا واستمدادًا، وهو الوجه التالي.

الاستثمار بالخدمة والنقل:

ثمة مستويات عديدة يمكن أن يتحقق من خلالها هذا الوجه من الاستثمار، فمن ذلك: إعارة المفاهيم، والإسعاف بالبيانات والمعلومات، وتقديم النتائج العلمية لإتمام البناء عليها، واعتماد النظريات والمناهج لتعميق فهم القضايا المشكِلة والمسائل العويصة؛ ومن هذا القبيل: إمكانية استعانة الفقهاء بمناهج علم الاجتماع الكمية والكيفية لتفهُّم أحوال الناس النفسية، وأوضاعهم الاجتماعية، وكل ما من شأنه أن يعين الاجتهاد الفقهي المعاصر -أفرادًا ومؤسسات-على براعة الإفتاء وحسن القضاء.

الاستثمار عن طريق التفاعل والتكامل:

ويمكن الاستفادة من علاقات التفاعل والتكامل بين الاجتهاد الفقهي المعاصر وعلم الاجتماع في معالجة عدة قضايا معاصرة كما في حماية الأطفال المتخلَّى عنهم من خلال وضع مخططات علمية تحفظ حقوقهم، وتسهم في تجويد خدمات مؤسسات الرعاية الاجتماعية المكلفة بإيوائهم، ومن ذلك أيضا صَوْنُ حقوق

المستهلك، وحماية البيئة؛ وغيرها من القضايا التي يتداخل فيها الفقه مع علوم أخرى. (التداخل التخصصي – والعابر للتخصص)[1].

الاستثمار بقصد بالفحص والنقد:

وذلك بأن تصير بعض حيثيات الاجتهاد الفقهي ومعيقاته وتأثيراته موضوعات لعلم الاجتماع، يتناولها بالدرس والتحليل لأغراض سوسيولوجية وابستمولوجية نافعة، ومن أوجه نفعها تنشيطُ الحركة الاجتهادية وتسديدها.

وعلى هذا فإن استثمار علم الاجتماع لتنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر يمكن أن يدرج تحت عنوانين كبيرين: استثمار خدمة وإعمال، واستثمار فحص ونقد.

[1] همام، محمد، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، بيروت، 2017م، صص87-89.

المحور الثالث: علم الاجتماع آلية لخدمة الاجتهاد الفقهي، وأداة لفحص ونقد مؤثراته و آثاره

1. خدمة علم الاجتماع للاجتهاد الفقهي المعاصر:

إن خدمة علم الاجتماع للاجتهاد الفقهي المعاصر من جهة كونه مساعدا، متعددة الوجوه، وللكشف عن بعضها، لابد من تحليل الممارسة الاجتهادية، لتعرف المواضع المتاحة لاستثمار معطيات علم الاجتماع، تدقيقا للتصورات، أو توسيعا للفهوم، أو توجيها للاستنباط، أو تسديدا للتطبيقات.

إن القائم بالاجتهاد، فردا أو مؤسسة، يعتمد على ثلاث عمليات أساسية هي الفهم، والاستنباط، والتنزيل، ولكل عملية أسسها وآلياتها وقواعدها، منها ما حدد بدقة وشمول على مستوى المبادئ والضوابط، ومنها ما يحتاج لمزيد من التقعيد خصوصا في مجال التنزيل، فالفهم والاستنباط قد عني بهما الأصوليون عناية بالغة من حيث تقعيد أصول فهم النصوص الشرعية، فأكدوا على ضرورة الاحتكام إلى قواعد لسان العرب، ودلالات ألفاظه، كما رتبوا المدارك الشرعية، وبينوا كيفيات الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة في الظاهر، إلا أن هذه القواعد الأصولية رغم جودتها لم تمنع من استرسال الاختلاف وتفرُّعه، وهو ما حرك أذهان المجتهدين المقاصديين إلى البحث عن كليات قطعية هادية للمراد الإلهي، تضيق هوة الاختلاف، لأنها مقاصد الشريعة وغاياتها.

والسؤال الذي يطرح أمام هذا الجهد الجبار، أين يمكن أن نجد المدخل لعلم الاجتماع في عمليتي الفهم والاستنباط؟

لابد من الإقرار، بداية، بأن العمليات الاجتهادية متداخلة ومتزامنة وتؤثر إحداها في الأخرى، وتقديمها بهذا الفصل والترتيب هو تعسف منهجي فرضته مقتضيات الدراسة فقط.

أ. خدمة علم الاجتماع للاجتهاد في عملية فهم النصوص وتصور القضايا.

لما كان الفهم عبارة عن «تصور المعنى من لفظ المخاطب»[1] فقد انبرى الأصوليون إلى الاستعانة بما استطاعوا من الضوابط اللغوية والمنهجية المجنبة لسوء الفهم من اللفظ، ووضعوا لذلك قواعد دقيقة ضَمَّنُوهَا مصنفات علم أصول الفقه.

[1] الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م، ص 169.

ولا يخفى أن علومًا حديثةً قد اهتمت بعملية الفهم، وكيفية تكونها، من أبرزها علم النفس اللغوي، وعلم النفس التربوي، ففي علم اللغة النفسي يعرف الفهم بأنه "عملية تفاعل يلعب فيها القارئ والنص والسياق دورا أساسيا، حيث يقوم القارئ بعملية إنتاج للمعنى وذلك بتفسير محتوى النص انطلاقا من معلوماته وأفكاره الشخصية ومن خلال ما يرمي إليه من عملية القراءة."[1]

ويعرف أيضا بأنه " عملية بنائية نشطة، يستخدم فيها القارئ دلالات وإشارات السياق، والقرائن النحوية الموجودة، وخبرته وخلفيته المعرفية السابقة لبناء المعنى واستنتاج المعاني الصريحة والضمنية الواردة في النص."[2]

وحول هذه النقطة تقول بريت ماري بارت **Britt – Mari BARTH** :" إن ما يعرفه الفرد و طريقة معرفته له تؤثر على الطريقة التي يتعامل بها مع النص. فليس محتوى النص هو الذي يؤثر على المتعلم، ولكن المعلومات التي يمتلكها هذا الأخير هي التي تمكنه من فهم معنى النص".[3]

والفارق بين التصورين كبير، فالأول يرى أن النص هو منطلق الفهم، ودور الذات هو انطباع معاني الألفاظ فيها، وبالتالي ركز على ضبط الألفاظ ودلالتها وسياقاتها ودرجة وضوحها وثبوتها، ولذلك فمدخلية الوقائع في الفهم لا يعتبر إلا بقدر ضئيل.

أما الرأي الثاني فيرى أن عملية الفهم نشاط بنائي فعال للذات وأن الذي يحدد مستوى فهم النص ودرجته ليس طبيعة محتوى النص ودرجة وضوحه، ولكن طبيعة المعلومات الأولية التي تمتلكها الذات والمتعلقة بمحتوى النص، ولذلك فإن مجمل الخبرات والتجارب والمعارف المكتسبة، وأيضا الأهداف والغايات، بالإضافة لمعطيات النص، تعتبر مؤثّثات للفهم. والدراسة السوسيولوجية للواقع والخبرات والتجارب والمعارف، سيكشف مدى أثرها في تكوين التصورات، لدى المجتهدين، ومصدر هذه التأثيرات، وتأثير الأهداف على توجيه التمثلات حول القضايا.

[1] BLOOM (B. S); Caractéristiques individuelles et apprentissage scolaire, Paris, Fernan Nathan, 1979

[2] د سامية، محمد عبد الله، استراتيجيات الفهم الأسس والنماذج، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى،1436ه/2015م، صص 22-23.

[3] SAINT – ONGE (M); Moi, j'enseigne, mais eux, comprennent – ils, Lyon, Chronique sociale, 2 Ed, 1993

كما أن توظيف المعارف الاجتماعية في الفهم سيساعد على توسيع معاني النصوص وإيجاد مصداقات أخرى غير تلك المستخلصة بالفهم البياني اللغوي والسياقي. ونسوق لذلك مثالا توضيحيا ليتضح به المقصود:

لقد فهمت القوة من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا استطعتم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخيل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، بمعنى السلاح والرمي والخيل والحصون، وجمع الشوكاني هذه المعاني في تفسيره للآية قائلا: «أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال: الرمي والسيوف والسلاح. وأخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن عباد بن عبد الله بن الزبير في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال: أمرهم بإعداد الخيل. وأخرج أبو الشيخ، والبيهقي في الشعب، عن عكرمة في الآية قال: القوة ذكور الخيل، والرباط الإناث. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد مثله. وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في الآية قال: القوة الحصون، ومن رباط الخيل قال: الإناث»،[1] وقد خصصوا الرمي من المصاديق الأخرى بناء على روايات عن الرسول ﷺ تُفَسِّرُ القوة بالرمي، والركوب.[2]

إن هؤلاء المفسرين فهموا القوة بناء على واقع العلاقات الاجتماعية، القائمة حينذاك والأبعاد الحضارية التي كانوا يعيشون فيها، فلم يكن باستطاعة تفكير المجتهدين في أحكام الحرب، والعلاقات مع الأعداء، الخروج عن هذا النمط الحياتي لمجتمع صحراوي، تشكل فيه الخيول الوسيلة الخاطفة، والرمي أشرف طرق المواجهة مع العدو وأسلمها. ورد عن القرطبي (ت761هـ) قوله: "فإن قيل: إن قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ كان يكفي؛ فلِمَ خصّ الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان.. خصّها بالذكر تشريفا».3 وسلك الثعالبي (ت875هـ) ذات المنزع في تفسيره الجواهر الحسان، فقال: «ولما كانت السهامُ من

[1] الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ، (2/ 367).

[2] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310 هـ)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م:11/ 244.

[3] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964م، ج 8، ص 35 و 37.

أنجع ما يتعاطى في الحرب وأَنْكَاه في العدو وأَقْربه تناولاً للأرواح، خصّها صلّى الله عليه وسلّم بالذكر والتنبيه عليها».[1]

وقد أخذ هذا الفهم صبغة مطلقة على مدى زمني ممتد عرف فيه استقرارًا على مستوى العلاقات الاجتماعية، والركود الحضاري. ولكن عندما تغيرت الأمور والأوضاع، برزت إشكالات على هذ الفهم، أثار بعضها شهاب الدين الآلوسي (ت1270هـ) بقوله:" وأنت تعلم أن الرامي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو لأنهم استعملوا الرمي بالبنادق والمدافع ولا يكاد ينفع معهما نبل. وإذا لم يقابلوا بالمثل عمّ الداء العضال واشتد الوبال والنكال وملك البسيطة أهل الكفر والضلال. فالذي أراه والعلم عند الله تعالى تعيّن تلك المقابلة على أئمة المسلمين وحماة الدين، ولعل فضل ذلك الرمي يثبت لهذا الرمي لقيامه مقامه في الذب عن بيضة الإسلام ولا أرى ما فيه من النار للضرورة الداعية إليه.. ولا يبعد دخول مثل هذا الرمي في عموم قوله سبحانه ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾."2 وورد عن رشيد رضا (ت1354هـ) أن الرمي الوارد في الحديث النبوي يعم الرمي الحديث، بدلالة عموم اللفظ أو إطلاقه. ولكن هذا التوجيه اللغوي لفهم القوة بقاعدة الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا يفسر سبب تخصيص الرمي عن باقي أنواع السلاح، ولا يبرر الاقتصار حاليا على الأسلحة الحديثة دون القديمة. لأن اللفظ العام يتيح العمل بهما معا.

وبما أن الواقع الاجتماعي، وموازين القوى فيه فرض توجيهات لم تعرف من قبل، فحمل عبد العزيز الخياط مفهوم لفظ القوة في الآية على العرف، قائلا: "أن العرف قد تبدل وازداد مشمول القوة بأمور مستحدثة كاستعمال الأسلحة الحديثة لذلك فإن اللفظ يحمل على الأمور المستحدثة المتعارف عليها".[3] ومثل ذلك ما رآه عبد الكريم زيدان، وهو أن إعداد القوة يختلف باختلاف درجة الاستطاعة في كل زمان ومكان. "فما كان يكفي في الزمن القديم من الأسلحة لم يعد كافيا في الوقت الحاضر...فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن الكريم وبحكمه القاطع الصريح أن يأخذوا بإعداد القوة بمقاييسها في

[1] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن (ت 875)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ: (3/147-148).

[2] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج 10، ص 25.

[3] د العزيز الخياط: نظرية العرف، مكتبة الأقصى، عمّان، 1397 هـ 1977 م، ص 66.

العصر الحديث"[1]. وكذا ذكر أبو شريعة بأن "المراد بالقوة ما يناسب كل عصر بحسبه، والرمي بأي نوع من السلاح غير المبيد".[2]

هكذا يتضح أنه بفضل التطور الحديث للواقع الاجتماعي والتقني الحربي، أدرك العلماء المعنى الجديد لمفهوم الآية بالشكل الذي أخرجها عن الفهم التقليدي، إذ تمّ التعويل على المعنى اللغوي للفظة "القوة" والابتعاد عن المعنى الظاهر المتلبّس ببيان الأحاديث، مثل تلك التي ترفع من شأن الرمي وركوب الخيل واعتبارهما من الحق،[3] مع أن أصل المخاطَب الذي قصده الخطاب بالعناية والاهتمام هو ذلك المجتمع الذي كانت صحاريه وبواديه تجول فيها الخيول. فقرينة ﴿ومن رباط الخيل﴾ فضلاً عن الأحاديث الخاصة بمعنى القوة؛ تقصّر من المد الذي يرفع المدلول إلى ما يتجاوز المكان والزمان إلى غير حدود. فمن الطبيعي على هذا أن يغلب على عقلية المجتمع القديم تحديد القوة بالرمي، لا سيما أن الإنسان كان لا يفكر عادة إلا ضمن هذه العلاقات، في حين أصبح الحكم الحالي أمراً مغايراً، لتغير الواقع.[4]

أما تصور القضايا، "فهو الفهم المحكم، وتمام الدراية بالواقعة لأن الحكم عليها لا يستقيم إلا بحصول صورتها في الذهن، واستجلاء ماهيتها بصورة عارية عن اللبس".[5]

وعملية الفهم هذه، تتم في سياق اجتماعي، بناء على أسئلة واردة من أشخاص أو مؤسسات، أو عبر قضايا نازلة بالمجتمع، تدفع المجتهدين (أفرادا ومؤسسات)، للاستفادة من معطيات علم الاجتماع، ومن نتائج دراساته ليبنوا رؤى تتسم بالوضوح والعملانية.

وهذا ما يسميه أحد المفكرين بالفهم الاجتماعي للنص قائلاً: «ويأتي دور الفهم الاجتماعي للنص حين ينتهي دور الفهم اللفظي واللغوي له، فإن الفقيه في الدرجة الأولى يحدد المعطى اللغوي واللفظي للنص، ثم بعد أن يعرف معنى اللفظ يسلِّط عليه الارتكاز الاجتماعي ويدرس المعنى بالذهنية الاجتماعية المشتركة... فيظهر له من النص أشياء جديدة، لم تكن تبدو على مستوى الدرجة الأولى في حدود الفهم اللغوي».[6]

---

[1] المفصل في أحكام المرأة، ج 4، ص 417.

[2] اسماعيل ابراهيم أبو شريعة: نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، 4031هـ 1981 م، ص .77

[3] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، م س، 36/8.

[4] محمد يحيا، جدلية الخطاب والواقع، ص71.

[5] الريسوني، قطب، صناعة الفتوى المعاصرة، ص287.

[6] محمد باقر الصدر، الاجتهاد والحياة، إعداد محمد الحسيني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، 1997م، ص 164.

وعلم الاجتماع من بين العلوم التي تقدم تفسيرا معقولا، وتحليلا دقيقا للظواهر المحيطة بالإنسان، وخاصة الظواهر الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية. «لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية، ومن هنا فإن نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة واستقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى».[1]

وأكد العلماء المعاصرون على أهمية علم الاجتماع لمعرفة الناس ومعرفة الواقع، وهذه المعرفة بما تقدمه من نتائج، تصبح ضرورة شرعية، وعدم الاعتماد عليها يحرم المجتهد من التعرف على ساحة عمله وتضيع عليه خارطة الطريق.[2] على أساس أن يكون الفهم الاجتماعي منضبطا بالقيم الأخلاقية الإسلامية ومقاصده الشرعية.

ب. خدمة علم الاجتماع للاجتهاد في عملية الاستنباط

الاستنباط أصله النبط وهو الماء المستخرج من البئر.[3]

واصطلاحا عرفه الجرجاني (ت816هـ) قائلا: «استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة".[4]. والاستنباط مرحلة بين الفهم والتنزيل، يروم فيها المجتهد انتزاع الحكم الشرعي من الدليل، وهو مسار تطبيقي للقواعد الأصولية والضوابط الاجتهادية لبلوغ الحكم.

إن المجتهد في عملية الاستنباط بعد أن يتصور القضية الفقهية، ينحو جهة الدليل (نصا كان أو غيره)، لينتزع الحكم الشرعي منه مستخدما مقومات المنهج الأصولي، ومن هذا الجهد يتحصل على أحكام مجردة تتعلق بماهيات الظواهر، دون الغفلة عن ملابساتها، فترتيب الأحكام على ردة مكلفٍ ما -مثلا- واجب كلما تحقق وصف الكفر في شخصه، فالحكم في هذه المرحلة يتبع الأوصاف الثابتة المنضبطة، مع الاطلاع الواسع على الحيثيات المحيطة بتفاصيل الحادثة.

إن استنباط الأحكام مرحلة وسطى، يُتبعها المجتهدُ بإجراءات أخرى شديدة الاتصال بواقع المجتمع وكليات الشرع، منها: تخريج المناط، وتنقيحه، وتحقيقه، ثم النظر في مدى توافق الحكم الجزئي مع كليات الشريعة العظمى ومصالحها الكبرى . ومن سلك غير هذا الطريق فليس بفقيه في اصطلاح أهل العلم، بل

[1] انتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، ترجمة وتقديم فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 2001م،ص 47.

[2] حسنة، عمر عبيد، تأملات في الواقع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى،1990، ص20-21.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ب ط).

[4] الجرجاني، عبد القاهر، التعريفات، ص 22.

يعزل ويعزر ويؤدب، وإذا رجعنا إلى قضية الردة، ومحصنا النظر في مسالك تحريرها من قِبل أهل التحقيق من الفقهاء، ألفيناها في غاية التحري والاحتياط، لأنهم لا يتسرعون في قتل المرتد حتى يجيلون النظر في موازينه العقلية، وأحواله النفسية، ودواعي كفره، وهل غُرر به؟ بل ويستتاب ثلاثا على الصحيح، ويدرأ قتله بأدنى شبهة؛ لأن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة كما هو مقرر...

وقد يرد اعتراض، بأن هذا مجال لا دخل فيه لعلم الاجتماع، ولا غيره من العلوم، فهو مورد خالص لعلم الأصول. وردا عليه نتساءل: هل الحكم الشرعي المستنبط يكتسب حجيته من مصدره الجزئي فقط، أم لابد من النظر في توافقه مع الكليات والمآلات أيضا؟ بمعنى هل الحكم الشرعي المستنبط يكون صالحا للتطبيق بمجرد انتزاعه من الدليل؟ بحيث يشكل الأخير المستند الكافي الذي يثبت له هذه الصلاحية، ويستغني عن أي تقويم أو اختبار على أساس آخر؟

المجتهد في استنباطه للحكم لابد أن يتجه بنظره نحو قطبين متكاملين، النصوص والأدلة من جهة والكليات المقاصدية ومراعاة المآلات من جهة ثانية.

وأثار الإمام الشاطبي -وغيره- هذه المسألة بقوله" فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات، عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إذ محال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها، فمن أخذ بنص مثلا في جزئي معرضا عن كليته فقد أخطأ، كما أن من أخذ بالجزئي معرضا عن كليه فهو مخطئ، كذلك من أخذ بالكلي معرضا عن جزئيه".[1]

فالحكم المستنبط عند الإمام الشاطبي وسائر فقهاء الإسلام لا يكتسب الحجية من المصدر الجزئي (النص) فقط، بل لابد من اختبار مقوماته الذاتية وما يختزنه من قوة تشريعية للتنزيل، وكذا ما يتوقع له من قابلية استشرافية على الصمود والاتساق مع الواقع، وتجنب ما قد تفضي إليه عملية التنفيذ من اضطراب وفتن، وما قد ينجم عن ذلك من أضرار وإحباط. قبل تقريره وذلك بالنظر « إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعا لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك. فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية. وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى

[1] الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر الطبعة الثانية،1395ه/1975م،3ج،ص8.

استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب جار على مقاصد الشريعة".[1]

إذن نلاحظ أن اعتبار المآل في عملية الاستنباط أمر ضروري في توجيه الحكم الشرعي وحتى تغييره، واعتبار المآل ليس تشريعا للمستقبل، بل هو للحكم على وضع حاضر، يعتمد في تقويمه على نتائج محققة أحيانا، وعلى ما يستشرفه المجتهد من نتائج وآثار محتملة أحيانا أخرى. وفي هذا المقام لابد أن يحضر علم الاجتماع بقوة ، حسب نوعية المواضيع، إذ قد تكون بعض الحالات بسيطة تتطلب معرفة عامة وخبرة حياتية معينة، ولا تستدعى تتبعا عميقا، ولكن القضايا العامة المعقدة، لا تكفي فيها الملاحظة العابرة ولا المعايشة، بل تستلزم دراسات علمية مسحية أو تاريخية متعددة، فإذا ضربنا مثلا، مجتهدا (فردا أو مؤسسة) يود استنباط حكم حول التعددية الحزبية، فبعد أن يستقرئ النصوص والأدلة الأخرى، سينظر في واقع و مآلات هذه الآلية، آنذاك لابد له من الاطلاع على البحوث والدراسات حول الروح العامة للعصر التي أنتجت التعددية، وفرضت العمل بها، والاطلاع على التجارب الإنسانية وخصوصياتها، السابقة منها والحالية، الناجحة والفاشلة، والإحاطة بطبيعة المجتمع وبنياته والفاعلين فيه، والدراسات عن التغيرات والتحولات وأرضية الدولة التي ستحتضن هذه الالية، ومقوماتها، وإمكانيات استيعاب هذه الممارسة، أو رفضها وغيرها من الأوضاع الثقافية والقيمية ... التي ستساعده على التعرف على الفرص والإكراهات، فيوازن بين المصالح والمفاسد، ليخلص للحكم الشرعي بخصوصها، وقس على ذلك في العديد من القضايا.

ت. خدمة علم الاجتماع للاجتهاد الفقهي في عملية التنزيل

إن عملية التنزيل تختلف عما يسبقها، فإذا كان المجتهد في عملية الاستنباط يأخذ بعين الاعتبار القدر المشترك بين أفراد عديدين من الناس، أو بين عينات مختلفة من الحالات، فيبنى الحكم على ذلك القدر المشترك، فيكون شاملا، وملائما لأوضاع تتوفر فيها مواصفات معينة، تماما مثل تصميم هندسي نموذجي لبناية يراعي خصوصيات ومعايير البناء السليم، ويمكن وضعه في أماكن مختلفة.

فعملية التنزيل لها تعلق شديد بالواقع ومشخصاته، والحكم في هذه المرحلة يتحول إلى إجراءات ملموسة، ويتحرك مع الأفراد والجماعات خطوة خطوة، وحالة حالة، وهذه الحركية، تفرض تكييفات، وتغييرا لوتائر التطبيق، فقد تند حالة أو مجموعة أو فرد عن الحكم الأصلي، فيحل محله حكم تبعي، وقد

[1] الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، م س، ج 4، ص 194 195.

يرافقه، تدرج، أو تقديم، أو تأخير، أو توسيع أو تضييق، لأن الغاية الأساسية هي تحقيق المصلحة العاجلة والآجلة للناس، وتتبع الحكم حسب ما يثمره من منافع، أو يخلقه من تعسير، أو يجلبه من تيسير.

وتحقيقا لذلك يتم التوسل بطائفة من الأصول الاجتهادية كالاستحسان، والمصلحة المرسلة، والعرف الصحيح، وسد الذرائع، مع الحرص على الاحتكام إلى المقاصد الشرعية وقواعدها الكلية، مثل "لا ضرر ولا ضرار"، "الضرورات تبيح المحظورات"، " والحاجة تقدر بقدرها"...

ومنذ عصر الرسالة إلى حدود عصر النهضة، كانت الأمور الحياتية على درجة من البساطة، والتحولات الاجتماعية تتسم بنوع من البطء، وقد تحكم الفقهاء في مستجداتها، فكانت اجتهاداتهم تتنزل على الوقائع مراعية ثوابت الشريعة، وموائمة لمتغيرات الواقع، موظفين في ذلك ثقافتهم الموسوعية، وخبراتهم الاجتماعية، ومعايشتهم للناس في أنديتهم وأسواقهم ومساجدهم، والاختلاط بهم في أفراحهم وأتراحهم. فكان تطبيق الأصول السالفة أمرا ميسورا.

أما اليوم فصارت هذه الشؤون في تسارع مع الزمن، والتحول طال القيم وأنماط العيش وطرق التفكير، والثقافة، والبنيات والأدوار الاجتماعية، والممارسات والمؤسسات، ولم يعد بالإمكان إجراء الأحكام الشرعية على الوقائع بالأدوات السالفة، فالواقع أضحى معقدا ومركبا، ويحتاج لتحليل وتركيب، ولتكامل المعارف والرؤى، والاستراتيجيات التي تضمن تحقق النتائج المرجوة من حمل التصرفات على الأحكام.

وعدم الاهتمام الكافي بهذه المرحلة، بما تتطلبه من إعداد للشروط، وتهيئة للنفوس والسلوك، ومراعاة للتغيرات، سيؤدي لنتائج معاكسة للمقصود من تطبيق أحكام الشرع، وخير دليل على ذلك ما آل إليه التطبيق الحرفي والمفصول عن السياق، للأحكام الشرعية، من طرف بعض الجماعات المدعية لبناء الدولة على أسس إسلامية من تداعيات فظيعة على مستوى البلاد والعباد، فقدمت صورة مشوهة وغير حضارية عن المشروع الإسلامي.[1]

ونورد هاهنا بعض الخطوات المنهجية[2] التي من شأنها أن تسدد عملية تنزيل الأحكام، ومنها ستتضح مدى الحاجة فيها لعلم الاجتماع:

[1] انظر: النجار، عبد المجيد، فقه التدين فهما وتنزيلا، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد23، جمادى الأولى1410هـ، ص100 وما بعدها.

[2] انظر بعضا من هذه القواعد في: الريسوني، قطب، صناعة الفتوى المعاصرة، صص 280-285

- **تهيئة المناخ الاجتماعي لتنزيل الأحكام:** ويتم ذلك بدراسة طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، من أجل إعطائه بعض الأحكام دون بعض، تبعاً لأهميتها، أو للنتائج الكبيرة التي تنتج منها، فقد يقتصر على تطبيق حكم واحد دون باقي الأحكام، فيفسح، بعد مدة، المجال لتطبيق أحكام أخرى بكل يسر وسلاسة، بعد أن يتم استيعاب المقاصد الكبرى للتشريع الأول، ونستشف هذه القاعدة من وصية للرسول ﷺ لأحد أصحابه، فقد رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ:« لا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ :لا تَغْضَبْ»[1].ولم يضف إليها شيئاً لأنّه رأى ـ بثاقب نظره ـ أنّ العصبية هي المشكلة ذات الأولوية في المجتمع الذي يعيش فيه هذا الرجل، بحيث لو تفادى آثارها ونتائجها لاستطاع أن يجعل من نفسه إنساناً مستقيماً طيّباً، فقدم لنا درساً في مراعاة الظروف الطبيعيّة التي يعيشها الإنسان أو المجتمع الذي يراد إصلاحه.

- **مراعاة قدرات المكلف في تنزيل الأحكام:** ورد في سيرة النبيّ محمّد ﷺ أنّه كان يفتحص عقلية الشخص الذي يريد هدايته وإرشاده ويتعرّف إلى ظروفه، وإلى طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، والجماعات الذين يرتبط بهم، والعادات التي يعتادها، ثمّ يعطيه التوجيه المناسب بالمقدار الذي ينسجم مع هذه الأمور جميعاً، ففي حديث مروي عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى إذا دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: "خمس صلوات في اليوم والليلة" قال: هل على غيرهن؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "وصيام شهر رمضان" قال: هل علي غيره؟ قال: "لا إلا أن تطوع" قال: وذكر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزكاة؛ فقال: هل علي غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أفلح إن صدق"»[2].

ويتبين مراعاة النبي ﷺ لطاقة هذا الرجل، الذي لم يتعرف بعد على الأبعاد المقاصدية لتشريعات الدين الجديد، وينظر إليها على أساس أنها مشاق، فبدأ معه بالصلاة، ولو اكتفى بها لأقره النبي ﷺ، وأضاف تكاليف أخرى بناء على استعداده لتحملها، إلى أن اكتفى بالزكاة، وقطع على نفسه ألا يزيد أو ينقص. فدعا له الرسول ﷺ بالفلاح.

---

[1] رواه البخاري في الصحيح، رقم الحديث:6116.

[2] ابن عَبْدِ البر، أبو عُمَر يُوسُف، التَّقصّي لما في المُوَطَّأ مِنْ حَدِيْثِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، اعتَنَى بهِ فيصل يوسف أحمد العلي - الطَّاهِر الأَزْهَرخُذَيْري، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت العدد 52، الطبعة الأولى، 1433هـ - 2012 م، (1/ 251).

- **دراسة نقاط القوة والعوائق:** وهي قاعدة مهمة في تنزيل أحكام غير المألوفة في وسط ما، ولكن قد تكون في هذا الوسط، قيم أو عادات إيجابية، يتم استثمارها وإبرازها، كأرضية تمهد للحكم، وقد تكون فيه أيضا معيقات على درجات من التحدي، فيتم البدء بتنحية السلوكيات التي لها ارتباط ضعيف بالفرد أو المجتمع، ثم الذي يليه، ويترك القوي الارتباط إلى أن تتحكم وتسري في النفوس معاني الأحكام التشريعية الجديدة، فيسهل بعدها التعامل معها. وقد استخدم مشركو قريش هذه القاعدة مع الشاعر الأعشى عندما قدم على رسول الله يريد الإسلام، وهم على خبرة كاملة بنقاط قوته وما ستمنحه من ذيوع للدين في العرب إن أسلم، فبادروه بنقاط ضعفه، وقيل له بأن محمدا ﷺ يحرم عليه الزنا والربا والقمار، ولم يأبه، وعندما بلغوا الخمر تردد وتولى، ليكمل شرب زق، وفي رجوعه لقي حتفه، ولم يسلم، وعلى هذا فإن إمعان النظر في الدعامات والمعيقات أمر أساسي في تنزيل الحكام الشرعية.

- **المرحلية والتدرج:** يتمثل التدرُّج في تنزيل مجموعة من الأحكام نجوما، أو في طبيعة كلّ حكم على حدة، فالناس لا يتقبلون دوما عنصر المفاجأة بالحكم، وخصوصا إذا لم يألفوا هذه الأحكام، فلابد، قبل ذلك، من تهيئة الأجواء النفسية، والتمهيد التدريجي، تماما كما حصل في تنزيل حكم الخمر، فالأحكام تكاليف يتطلّب الالتزام بها قوّة إيمانية، وقناعة فكرية، ومرونة تطبيقية يحتاج الانسان والمجتمع إلى الاعتياد عليها.

- **التنزيل بالأولويات:** هذه القاعدة تعتمد على ملاحظة أكثر المشاكل تعقيداً وإلحاحاً على حياة الشخص والمجتمع، لمعالجتها، بالدرجة الأولى، وإعطائها الأفضلية في التوجيه من أجل أن يكسب الإنسان مناعة وقوّة يستطيع أن يتغلّب بها على بقية المشاكل بسهولة، وعدم مراعاتها، ينتج ردود فعل عكسية في حالة التركيز على فرض أو رفض سلوكات ليست على درجة عالية من الأهمية مع الأفراد أو الجماعات التي لم تتشبع بالإيمان، ومعاني الصبر والتضحية تماما كما نلاحظه في تركيز بعض الجماعات على إلزام الناس بنوع من اللباس، وحرصهم على هدم القبور، وتحريم الموسيقى بكل صنوفها، في أوساط لم تألف بعض هذه المظاهر، أو تعد بعضها جزءا من نمط عيشها الحضاري.

- **التأجيل:** والمقصود بالتأجيل العدول عن تطبيق الحكم الشرعي في زمن معين حتى يحين ظرف آخر مناسب، فيُعاد فيه ذلك الحكم إلى التطبيق. مثاله: إيقاف حد السرقة زمن المجاعة، وعدم إيقاع الحدود على المحاربين المسلمين خلال مواجهة العدو، حفاظا على منعة المسلمين وقوتهم.

- **التنزيل المؤسساتي للأحكام:** خصوصا الأحكام العامة، لأن تنزيل الحكم قد يترك للفرد، كما لو تعلق بمسألة منفردة مثلا، فيأتي منه حسب قوة تدينه، أما تنزيل الحكم العام فأعقد منه إذ يستلزم دراسة وتقويما خاصا، لوضعه، وردود الفعل المنتظرة، وآثاره المترتبة عنه.

-**الإفادة من التغذية الراجعة** أثناء تنزيل الأحكام، فتنزيل الحكم سيرورة، تعطي مؤشرات عن بوادر إثماره، أو مؤشرات عن مآل غير الذي وضع لتحقيقه، فيكون بمثابة تقويم تكويني لتعديل في الحكم الإجرائي أو شروط تطبيقه.

والمتتبع الحصيف، يجد تحت هذه القواعد الإجرائية، مشاريع بحوث ميدانية وتوثيقية، كمية وكيفية، لعلم الاجتماع، لا تنضب، بحيث ينور السبل للمجتهدين لإعمال قواعد تنزيل الأحكام، وتسويغ اختياراتهم، ويكون بمثابة أصل من أصول فقه الإجراء، بما يحقق المقاصد من تشريع الأحكام في حياة الأفراد والمجتمعات.

2. استثمار علم الاجتماع لفحص المؤثرات في الاجتهاد الفقهي و آثاره

في هذ المحور سيُتناول الاجتهاد الفقهي كمنتج، والمقصود منه المجتهدون أفرادا ومؤسسات، وكمنتَج، وهي مجموع الأحكام التي تمخضت عن النشاط الاجتهادي، والتي يتخذ علم الاجتماع جوانب منهما موضوعات للبحث.

أ. تناول علم الاجتماع للقائمين على الاجتهاد:

إن الفئة المباشرة لعمليات الاجتهاد الفقهي يمكن تقسيمها إجمالا إلى نوعين: مجتهدون أفراد ومجتهدون يشتغلون في مؤسسات، يتميزون بحكم طبيعتهم البشرية بتنوع انتماءاتهم الاثنية، والجنسية، والجغرافية، والثقافية، والمذهبية، وأوضاعهم الاجتماعية وأدوارهم، وتنشئتهم، وأمزجتهم، واتجاهاتهم، ومواقفهم، وأهدافهم، وباستقلالهم أو تبعيتهم، هذه المحددات قد تفسر الكثير من فسيفسائية الاجتهاد الفقهي المعاصر، فالدراسة السوسيولوجية والمقارنة لتأثيرات هذه المحددات في تشكل الاتجاهات والمدارس والآراء الاجتهادية، سيساهم في تسليط النور على قواعد اجتهادية وسمات تميز هذه الآراء عن تلك، فنقف على الفقه الحضري بمذاق حضري، والفقه القروي بمسحة القروي، وكذلك الحال مع الفقه المغربي والمشرقي والفارسي والأوروبي.. ومن خلالها على الخصوصيات المنهجية، والاختيارات الأصولية، التي ستغني الساحة الاجتهادية المعاصرة بما ستتيحه من بدائل، تراعي التنوع والخصوصيات، وتحافظ على الوحدة المقاصدية للتشريع.

كما سيتيح، هذا التناول، معطيات وحقائق أمام المجتهدين للتفكير الملي في وسائلهم وطرقهم التواصلية، وستستفيد المؤسسات الاجتهادية ومجالس الإفتاء أيضا من فرص لتطوير أدائها، وفعاليتها، بالإفادة من بحوث علم الاجتماع حول تنظيم المؤسسات الحديثة، وتطوير علاقاتها الداخلية والخارجية، وسيولتها التواصلية، وتحديث طرق إدارتها ومناهج اشتغالها.

وأيضا يمكن لعلم الاجتماع أن يتناول الجانب الاجتماعي والقيادي من حياة الفقهاء المجتهدين، فعطاء المجتهدين لم ينحصر في استنباط الأحكام، بل كانت لهم أدوار اجتماعية، واقتصادية وسياسية، لم يسلط عليها الضوء بنفس القدر الذي تم به التعاطي مع منجزهم العلمي في الفقه، فمن المفيد قراءة أدوارهم القيادية، وفهم تجاربهم في مسيرة التنمية البشرية، بما لها من إيجابيات وما عليها من سلبيات، ولا شك أن ذلك سيفيد في تعزيز التكامل بين مختلف الفاعلين لتحقيق التمكين والإعمار في الكون.[1]

ب. تناول علم الاجتماع لمنتوج الاجتهاد الفقهي

جُعلت الأحكام الشرعية الاجتهادية لتحقيق مصالح الناس في الدنيا والاخرة، فهي التي تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات، وتعمل على صيانة الحقوق والواجبات، ووسائل لتحقيق المقاصد العليا، فهي ليست غايات تطلب في حد ذاتها، بالدرجة الأولى، بل لما تحفظه من نفس ودين وعقل ومال وعرض، ونجاة من الأهوال يوم العرض. والشرائع قوامها المجتمع، ولأجله وضعت، فلا يستقيم إلا بها، وهي لا تجري إلا في قنواته السليمة.

فالدراسة السوسيولوجية يمكنها تناول الأحكام الشرعية من حيث تأثيرها في تشكيل القيم والعادات في المجتمع، أو كيف يتفاعل الفرد معها، وكيف تؤثر على حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية، فالأحكام الشرعية غالباً ما تستند إلى قيم وأخلاق دينية محددة، ويمكن لهذه القيم أن تشكل أساسًا للتصرفات الفردية والجماعية في المجتمع، وتسهم في تعزيز القيم الاجتماعية المشتركة وتشجيع الأخلاقيات التي تتماشى مع المفاهيم الفقهية، مما يؤدي إلى تشكيل هويات اجتماعية مشتركة بين أفراد المجتمع، وتشكيل اللحمة الاجتماعية والتضامن، كما "أن قبول القوانين وضمان استمراريتها رهين بأن تكون مسبوقة

[1] المختار، عبد الرحمان أحمد، الحياة الاجتماعية للعلماء فيما بين عامي (50هـ/670م و150هـ/767م) من خلال كتابي سير أعلام النبلاء للذهبي، والمنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بإشراف د. عبد الرحمان عبد الواحد الشجاع، جامعة صنعاء، سنة 1420هـ/1999م، من الفصل الثاني إلى الفصل السادس.

بدراسات لمجمل الظروف المحيطة بالمجتمع، فالقواعد القانونية التي لا تعبر عن القيم الأخلاقية الراسخة في المجتمع، ولا تجد استحساناً في المجتمع، ومن ثمة يكون وجودها جامداً على مستوى الواقع".[1]

ويمكن أن تدرس الأحكام الشرعية من ناحية تأثيرها في تنظيم العلاقات الاجتماعية العائلية، كما في قضايا الزواج والطلاق والحقوق والواجبات الأسرية، وخاصة من حيث وظائفها وأدوارها.[2]

ويمكن للبحث السوسيولوجي أن يدرس تأثير الأحكام الفقهية في النظام الاقتصادي والتجاري، وإلى أي مدى تفرض ضوابطها الشرعية في توجيه الأعمال والممتلكات والعروض التجارية[3] والمالية، ومدى إسهامها في تكريس المؤسسات الملتزمة بمعايير الشرع.

ويمكن للبحث السوسيولوجي أيضا أن يكشف عن الدور الذي تؤديه الأحكام الشرعية في توجيه سلوك الفرد اليومي، يشمل ذلك قضايا مثل الأكل والشرب والعمل واللباس، والنوم وتصرفات الحياة اليومية مع الآخرين، والمشاركة في الفعاليات الاجتماعية، مثل التضامن والتعاون وغيرها.

كما يمكن للبحث السوسيولوجي أن يبحث في مدى تأثير تطبيق الأحكام الشرعية على المستويات الكبرى، المحلية والإقليمية، السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والثقافية، وإلى أي حد تُؤْخذ بعين الاعتبار في المخططات والمشاريع التنموية الشاملة.[4]

هذه بعض المجالات التي يمكن أن يفيد بها علم الاجتماع الاجتهاد الفقهي المعاصر، وهي كثيرة وممتدة ومتنوعة، بتعدد وامتداد وتنوع الظواهر الفقهية الاجتماعية، وعلى ضوء نتائج هذه الدراسات العلمية يمكن تلمس مدى تحقق الأبعاد المقاصدية والمصالح الدنيوية المراعاة في استنباط الأحكام الشرعية، أو في تنزيلها على الوقائع والحالات المعينة.

---

[1] أحمد بو حماد، المرجعية الأخلاقية لفكرة الآداب العامة في القانون، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، عدد 25 ، 2019، ص9.

[2] انظر: الجوير، إبراهيم، الأسرة والمجتمع دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص40.

[3] انظر مثلا: أمل أحمد محمود الحاج حسن، المنافسة التجارية في الفقه الإسلامي وأثرها على السوق، إشراف د. جمال الكيلاني، أطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر في الفقه والتشريع بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2012/05/13 م.

[4] انظر: زبيدة، سامي، الإسلام الدولة والمجتمع، ترجمة عبد الإله النعيسي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى،1995م، الفصلان الأول والثاني.

خاتمة:

نرجو أن تكون هذه الورقة البحثية قد كشفت عن بعض وجوه الإفادة من علم الاجتماع في تنشيط الاجتهاد الفقهي المعاصر وتسديده، ومن ذلك الإعانة على فهم النصوص الشرعية واستنباط أحكامها المرعية، وتنزيلها من المستوى التجريدي إلى الصياغة الواقعية، ومن الصياغة الواقعية الاستشرافية إلى الإجراءات التنزيلية والممارسة الفعلية، وتقييم أداء المجتهدين، وتوسيع وظائف المنتوج الفقهي.

ومن خلاصات هذا البحث ونتائجه:

- التأكيد على أهمية توظيف العلوم الاجتماعية في تنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر.

- مفهوم الاستثمار لغة واصطلاحا يوحي بدلالات التولد، والإنتاج، والتوظيف، والتنمية، وهي مداخل مهمة من شأنها أن تُسعف على إحكام الربط بين علم الاجتماع والاجتهاد الفقهي المعاصر.

- مفهوم الاجتهاد الفقهي المعاصر ينبغي ألا تفترق فيه مقومات الدرس الأصولي عن الاجتهاد التنزيلي في القضايا المستجدة.

- استثمار علم الاجتماع في الاجتهاد الفقهي المعاصر يتخذ عدة أوجه، منها: طريق الخدمة بالنتائج، والمفاهيم والمناهج، أو بالتكامل والتفاعل في تدارس قضايا المجتمع، أو بالفحص والنقد والتسديد.

- استثمار علم الاجتماع في الاجتهاد الفقهي المعاصر يتم على صعيدين:

- داخلي: استثمار خدمة، في عمليات الفهم والاستنباط والتنزيل.
- خارجي: استثمار فحص ونقد، يتناول المجتهدين أفرادا ومؤسسات، وتأثيرات الأحكام المتحصلة من العملية.

وفي الأخير **توصي الدراسةُ الباحثين** في علم الاجتماع، بإيلاء أهمية للبحوث التي تتعلق بالفقه والفقهاء، لما ستقدمه من إضافة لتنمية الاجتهاد الفقهي المعاصر، والتكامل بين الحقول المعرفية لحل القضايا الراهنة.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم برواية ورش.
- صحيح، البخاري.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، التَّقصّي لما فِي المُوَطَّأ مِنْ حَدِيْثِ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم)، اعتَنَى بهِ: فيصل يوسف أحمد العلي -الطاهر الأَزْهَرخُذَيْري، مجلة الوعي الإسلامين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد 52، الطبعة الأولى، 1433هـ - 2012 م.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1399هـ - 1979م.
- أبو العينين، بدران المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة 1968م.
- أبو زهرة، محمد أصول الفقه، دار الفكر العربي، د.ت.
- أبو شريعة، اسماعيل ابراهيم: نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، 4031هـ **1981** م.
- أحمد بو حماد، المرجعية الأخلاقية لفكرة الآداب العامة في القانون، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، عدد 25، 2019.
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، 1402 هـ
- أمل أحمد محمود الحاج حسن، المنافسة التجارية في الفقه الإسلامي وأثرها على السوق، إشراف د. جمال الكيلاني، أطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر في الفقه والتشريع بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين ،2012/05/13 م.
- بن بدران، عبد القادر الدمشقي، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، صححه وقدم له وعلق عليه عبد الله بن عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ،1401هـ/1981م.

- بن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
- تيما شيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة د محمود عودة، د محمد محمود الجوهري، السيد محمود الحصني، ومحمد علي محمد، مراجعة وتقديم محمد عاطف غيث، منشور ضمن سلسلة: علم الاجتماع المعاصر، الكتاب الثاني، دار المعارف، مصر، الطبعة 1، 1970م.
- الثعالبي، عبد الرحمن، الواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ
- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.
- جغيم، نعمان، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة الأولى، 1435هـ - 2014
- الجوهري، محمد وآخرون، دراسة علم الاجتماع، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية 1975.
- الجوير، إبراهيم، الأسرة والمجتمع دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.
- الحجوي، محمد بن الحسن، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط،1345/1340هـ.
- الخن، مصطفى، دراسة تاريخية للفقه وأصوله، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.
- سايس، محمد علي، وتاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.
- حسنة، عمر عبيد، تأملات في الواقع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى،1990.
- حملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، د ت.
- خادمي، نور الدين، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2001م.
- خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية، بمصر، د ت.
- خلاف، عبد الوهاب خلاصة التشريع الإسلامي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت دت.

- خياط، العزيز، نظرية العرف، مكتبة الأقصى، عمّان، 1397 هـ 1977 م.
- دوركايم، إميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1950م.
- رمون أرون، المجتمع الصناعي، ترجمة، فكتور ياسيل، منشورات عويدات، بيروت، 1965.
- الريسوني، قطب، صناعة الفتوى المعاصرة، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1435هـ /2014م.
- زبيدة، سامي، الإسلام الدولة والمجتمع، ترجمة عبد الإله النعيسي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى،1995م.
- الزركشي، بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م
- زيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 12، 1995م.
- سامية، محمد عبد الله، استراتيجيات الفهم الأسس والنماذج، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى،1436هـ/2015م.
- سايس، محمد علي تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.
- الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر الطبعة الثانية،1395هـ/1975م.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م..
- عبد المعطي عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مجلة عالم المعرفة، العدد 44، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت،1998م.
- غدنز، أنطوني، علم الاجتماع، تقديم وترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.
- الغزالي أبو حامد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.

- الفراهيدي، الخليل، كتاب العين، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- قرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964م .
- مصطفى إبراهيم / الزيات أحمد / حامد عبد القادر / النجار محمد، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة،100/1.
- المختار، عبد الرحمان، الحياة الاجتماعية للعلماء فيما بين عامي (50هـ/670م و150هـ/767م) من خلال كتابي سير أعلام النبلاء للذهبي، والمنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بإشراف د. عبد الرحمان عبد الواحد الشجاع، جامعة صنعاء، سنة 1420هـ/1999م.
- النجار، عبد المجيد، فقه التدين فهما وتنزيلا، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد23، جمادى الأولى1410هـ.
- همام، محمد، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، بيروت،2017م.
- يحيا محمد، جدلية الخطاب والواقع. منشور على موقع: **https://www.fahmaldin.net/index.php?id=136** تاريخ الاسترجاع 2024/01/20.

المراجع باللغة الأجنبية

- SAINT – ONGE (M); Moi, j'enseigne, mais eux, comprennent – ils ? Lyon, Chronique sociale, 2 Ed, 1993
- BLOOM (B. S); Caractéristiques individuelles et apprentissage scolaire, Paris, Fernan Nathan, 1979.
- Jean-Louis fabiani La sociologie, histoire, idées ,courants , Editions ouvrages science humaines de synthèse ,2021.

الأمن السيبراني والتنمية المجتمعية بالمغرب في عهد الملك محمد السادس

الباحث جمال بيدير

باحث بسلك الدكتوراه بكلية الشريعة فاس

المملكة المغربية

jamal.baydir@usmba.ac.ma

ملخص البحث:

يشكل الأمن السيبراني والتنمية المجتمعية جزءًا لا يتجزأ من التطور الرقمي. إذ يرتبط الأمن السيبراني بحماية البيانات والبنية التحتية الرقمية، مؤثرًا على جميع جوانب الحياة، كما تعتمد التنمية المجتمعية على تعزيز الاقتصاد الرقمي وتمكين الأفراد داخل المجتمع. ويلعب الأمن السيبراني دورًا حاسمًا في تحقيق التنمية، حيث يسهم في استخدام آمن للتكنولوجيا والاستفادة من إمكانياتها. وفي المغرب، تستثمر الحكومة بشكل كبير في تطوير البنية التحتية السيبرانية، مع التركيز على الأمن السيبراني كعامل أساسي لتحقيق التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: الأمن السيبراني- التنمية المجتمعية- التحول الرقمي- البنية التحتية الرقمية- الاقتصاد الرقمي

Cyber Security and the Societal Development in Morocco in the rule of King Mohammed VI

Mr. JAMAL BAYDIR

Sidi Mohamed Ben Abdellah University

Abstract :

Cybersecurity and community development are integral parts of the digital evolution. Cybersecurity is linked to the protection of data and digital infrastructure, impacting all aspects of life. On the other hand, community development relies on promoting the digital economy and empowering individuals within society. Cybersecurity plays a crucial role in achieving development by ensuring a secure use of technology and maximizing its opportunities. In Morocco, the government is investing heavily in developing digital infrastructure, with a focus on cybersecurity as a key factor for achieving sustainable development.

Keywords: Cybersecurity- Social development- Digital transformation- Digital infrastructure- Digital economy

مقدمة:

يعد الأمن السيبراني والتنمية المجتمعية جزءين لا يتجزءان من العالم الرقمي المتقدم. حيث يرتبط الأمن السيبراني بحماية البيانات والمعلومات والبنية التحتية الرقمية من التهديدات الإلكترونية، ليس على المستوى التقني فحسب، بل يمتد تأثيره إلى جميع جوانب حياة الأفراد والمجتمعات.

وعلى الجانب الآخر، ترتكز التنمية المجتمعية على تعزيز الاقتصاد الرقمي والتمكين الرقمي للأفراد والمؤسسات. إذ يشمل توفير فرص العمل وتعزيز التعليم والتواصل عبر الإنترنت. كما يسهم الاقتصاد الرقمي في نمو الاقتصاد وتحقيق التقدم.

لذا فإن الأمن السيبراني يلعب دورا حاسما في تحقيق التنمية، حيث تسمح حماية البيانات والمعلومات بالاستفادة الآمنة من التكنولوجيا والاستفادة من إمكانياتها بدون التعرض للتهديدات الإلكترونية التي تؤثر سلبا على التطور المجتمعي والاقتصادي.

بشكل عام، إن الأمن السيبراني والتنمية المجتمعية يشكلان تفاعلاً مهمًا. لذا يجب أن تعمل الحكومات والمؤسسات والأفراد سويًا على تعزيز الأمن السيبراني والمساهمة في التنمية المستدامة.

ويعتبر المغرب واحدًا من الدول التي تستثمر بشكل كبير في تطوير البنية التحتية السيبرانية وتعزيز الاقتصاد الرقمي، بهدف توفير فرص اقتصادية للشباب وتمكينهم من المشاركة في التنمية. حيث أصبحت المملكة المغربية تعيش تحولات تنموية هامة ترتبط بتطور التكنولوجيا واعتماد التحول الرقمي. إذ يعتبر الأمن السيبراني عاملا أساسيا لتحقيق هذه التنمية بشكل مستدام وفعال.

واستجابة للتحديات السيبرانية، اتخذت الحكومات المغربية المتعاقبة استراتيجيات بمقاربات قانونية وأمنية وسياسية لحماية البيانات والبنية التحتية السيبرانية، بهدف خلق بيئة رقمية آمنة تعزز الثقة بين المؤسسات والمستهلكين، مما يعزز التنمية المجتمعية.

إن الأمن السيبراني يمثل عنصرا أساسيا في تعزيز التنمية المجتمعية في المغرب، حيث يسهم في تمكين الشباب من الاندماج في مخطط التنمية وتوفير فرص اقتصادية وتعزيز الاستدامة.

الطرح الإشكالي:

تحمل مشكلة البحث في هذا السياق تساؤلا محوريا حول مدى تأثير الأمن السيبراني على التحول التنموي، وما إذا كان يشكل عاملا محفزا للتطور المجتمعي في المغرب.وبمعنى آخر،كيف يمكن أن يؤثر الأمن السيبراني على التنمية المجتمعية في المغرب خلال عهد الملك محمد السادس؟

هذا الطرح الإشكالي يركز على التفاعل بين مفهوم الأمن السيبراني والتنمية المجتمعية، وكيف يمكن للأمن السيبراني أن يكون عاملا محفزا أو مثبطًا لتحقيق أهداف التنمية في المجتمع المغربي. كما يعكس هذا الطرح التحديات والفرص التي يمكن أن تنشأ من تطور التكنولوجيا واعتماد التحول الرقمي في المغرب، وكيف يمكن للسياق السيبراني أن يؤثر على مسارات التنمية المجتمعية؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف هذا التأثير وتحليل تحديات وفرص التنمية المجتمعية في سياق الأمن السيبراني، وذلك من خلال:

- فهم كيف يمكن أن يكون الأمن السيبراني عنصرا أساسيا لضمان استدامة التنمية المجتمعية في المغرب.
- تحليل التهديدات السيبرانية على المستوى المحلي والإقليمي وكيف يمكن أن تؤثر على مشاريع التنمية.
- دراسة تطور المنظومة القانونية والإطار التنظيمي في مجال الأمن السيبراني بالمغرب وكيف يمكن أن تسهم في تحقيق التنمية المجتمعية.
- تسليط الضوء على المشاريع والمبادرات في مجال التحول الرقمي وكيف تتماشى مع أهداف التنمية المجتمعية؟

منهج البحث:

يستند البحث إلى منهج استقرائي وتحليلي، حيث سيتم جمع ومراجعة المعلومات والبيانات من مصادر مختلفة، بما في ذلك الأبحاث السابقة والتقارير والمستندات الرسمية. وسيتم تحليل هذه المعلومات لفهم التأثيرات والتحديات والتحولات المتعلقة بالأمن السيبراني والتنمية المجتمعية في المغرب.

خطة البحث:

تتضمن الدراسة تحليلًا مفصلًا للمواد المرجعية والبيانات الثانوية لفهم تأثير الأمن السيبراني على التنمية المجتمعية في المغرب. حيث سيتم استخدام أساليب البحث الاستقرائي والتحليل النوعي للتعمق في مفهوم الأمن السيبراني وأهميته في سياق التنمية المجتمعية، وذلك وفق الخطة التالية:

المبحث الأول: أمن المعلومات وتأثيره على التنمية المجتمعية

المطلب الأول: الأمن السيبراني عنصر أساسي للتنمية: سيتم من خلاله استكشاف كيف يمكن أن يكون الأمن السيبراني عاملا حاسما لضمان استدامة التنمية المجتمعية في المغرب، والدور الذي تلعبه التكنولوجيا وتكنولوجيا المعلومات في تمكين المجتمع وتحقيق أهداف التنمية، مع استعراض التقنيات والاستراتيجيات المستخدمة لضمان الأمن السيبراني وكيف يمكن تكاملها مع جهود التنمية المجتمعية، وتقييم التعاون مع منظمات دولية وإقليمية في مجال الأمن السيبراني؟ وكيف يمكن أن يكون لهذا التعاون تأثير على التنمية المجتمعية؟

المطلب الثاني: التحديات السيبرانية المحلية والإقليمية: يشمل تحليل التهديدات السيبرانية التي تواجه المغرب على المستوى المحلي والإقليمي وكيف يمكن أن تؤثر على مشاريع التنمية.

المبحث الثاني: رؤية الملك محمد السادس وتحولات التنمية المجتمعية والسيبرانية بالمملكة المغربية

المطلب الأول: تطور **المنظومة القانونية للأمن السيبراني في المغرب:** ستتم دراسة تطور المنظومة القانونية والإطار التنظيمي في مجال الأمن السيبراني بالمملكة المغربية وكيف يمكن أن تسهم في تحقيق التنمية المجتمعية؟

المطلب الثاني: المشاريع الوطنية للتحول الرقمي: يتم فيه تسليط الضوء على المشاريع والمبادرات التي أطلقتها المملكة في مجال التحول الرقمي وكيف تتماشى مع أهداف التنمية المجتمعية.

المبحث الأول: أمن المعلومات وتأثيره على التنمية المجتمعية

يولي المغرب أهمية كبيرة للتحول الرقمي وتطوير التكنولوجيا الحديثة كجزء أساسي من جهود التنمية، وتشدد المملكة المغربية على أهمية الأمن السيبراني كعنصر حيوي في تحقيق هذا التحول، لكونه يمثل الأساس لبناء الثقة الرقمية وتشجيع الاعتماد على الخدمات الرقمية، مع التركيز على ضرورة تحقيق التوازن بين استفادة التكنولوجيا وحماية المعلومات. وبالرغم من الفرص الكبيرة التي يوفرها التحول الرقمي، إلا أنه يحمل أيضا تحديات ومخاطر مرتبطة بأمن المعلومات، خصوصا في ظل الانتقال الرقمي الذي شهدته مختلف المؤسسات والإدارات والشركات في تدبير أنشطتها اليومية، مما يؤكد على ضرورة استحضار المخاطر والتحديات الناجمة عن تقصير في برامج حماية البنيات التحتية والبيانات الشخصية من التهديدات السيبرانية.

المطلب الأول: الأمن السيبراني عنصر أساسي للتنمية بالمملكة المغربية

انخرطت المملكة المغربية على غرار معظم دول العالم في موجة الحراك الرقمي الذي يفرضه تطور وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات الحديثة، والتوسع الكبير لاستعمال شبكة الإنترنت، وبالتالي يكون المجال الأكثر تأثرا بهذا الانفتاح على العالم عبر الفضاء السيبراني هو مجال التنمية المستدامة بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية الإدارية، فما هي أدوار الأمن السيبراني في مختلف هذه المجالات؟

أولا: الأمن السيبراني والاقتصاد

إن الحديث عن دور الأمن السيبراني في تأهيل الاقتصاد يحيل بالأساس إلى التحول الذي يعرفه هذا الأخير من الاقتصاد التقليدي إلى الاقتصاد الرقمي المتطور، أي: "الاقتصاد القائم على التكنولوجيا الرقمية ويرتكز على عدة مكونات، منها البنية التحتية التكنولوجية، والأجهزة، والبرمجيات، والشبكات، بالإضافة إلى الآليات الرقمية التي تتم من خلالها الأعمال التجارية والاقتصادية، ومنها التجارة الإلكترونية، والمعاملات

الإلكترونية التي تتم بالكامل على شبكة الإنترنت"[1]. وحسب مديرية الاقتصاد الرقمي بالمغرب، فإن الرقمنة تعد دعامة استراتيجية رئيسية تساهم في التحول الاقتصادي والاجتماعي للمملكة[2]، ذلك لأن دمج التقنيات الرقمية يفتح من جهة آفاقا تنموية جديدة ويعزز النمو الاقتصادي في المملكة، ويشجع الشركات على المنافسة من خلال تحسين كفاءة الإنتاج وتوجيه العروض بمرونة لتلبية احتياجات السوق. ومن جهة أخرى، يمكن أن يُسهم التحول الرقمي في ابتكار فرص عمل جديدة وتعزيز الدخل للمواطنين. وذلك لا يتحقق إلا من خلال تطوير قطاعات جديدة بإدماج تقنية المعلومات والاتصالات والتجارة الإلكترونية، وهذا بدوره سيُنشئ فرص عمل للشباب ويعزز فرص التوظيف. ومن جهة ثانية، يُسهم توسيع نطاق الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالتقنيات الرقمية في زيادة تدفق العملات الأجنبية وتعزيز التبادل التجاري مع الأسواق الدولية. وهذا سيُسهم بشكل كبير في تقوية الاقتصاد الوطني وتحقيق التنمية الشاملة.

رغم كل هذه المزايا يبقى الاقتصاد الرقمي من أكثر المجالات عرضة للتهديدات والمخاطر، وتكفي الإشارة هنا إلى أن أكبر عدد من الجرائم السيبرانية وأكثرها شيوعا هي تلك المتعلقة بسرقة الأموال، و"النصب والابتزاز"[3]، لذا يعتبر الأمن السيبراني عنصرًا أساسيًا للتنمية من خلال حماية الاقتصاد الرقمي من التحديات والمخاطر، وذلك بتوفير بيئة رقمية آمنة للاستثمار في الابتكار وتطوير الأعمال عبر الإنترنت، وحماية البيانات والمعلومات[4] الخاصة بالأفراد والشركات من الاختراق والسرقة، وضمان خصوصياتها[5]

[1] الاقتصاد الرقمي والتحول نحو المجتمعات الذكية في المنطقة العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ESCWA، دبي، فبراير 2017، ص 5

[2] ، المهام والمحاور الرئيسية لمديرية الاقتصاد الرقمي، عن موقع وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارةhttps://www.mmsp.gov.ma/ar/economie-num%C3%A9rique اطلع عليه بتاريخ 07-11-2023 على الساعة 16:52

[3] مكافحة جرائم مواقع التواصل الاجتماعي على ضوء مجموعة القانون الجنائي، الفاهم دنيا، مجلة الاسماعيلية للدراسات القانونية والقضائية، العدد الأول، فبراير 2019، ص ص 77-82، ص 77

[4] Cyber sécurité: Approche Capacitaire,MAHJOUBI MOUNIR, publiée sur https://www.confiance-numerique.fr/brochure-capacitaire-cybersecurite-acn-fieec-gicat-hexatrust 24/01/2018 ,consulté le 17/05/2023 à 17:45 , téléchargeable, p 5 du pdf

[5] الأمن السيبراني بالمغرب: الواقع والتحديات،مليح يونس، عن الموقع www.hespress.com/854211.html اطلع عليه بتاريخ 2023/05/17 على الساعة 17:52

وسلامتها[1]، وبناء الثقة الرقمية لدى الفاعلين الاقتصاديين، والتي تلعب دورًا حاسمًا في تعزيز التنمية الاقتصادية.

ثانيا: الأمن السيبر اني والبعد الاجتماعي للتنمية

يقصد هنا بالبعد الاجتماعي المرتبط بالفضاء السيبراني والتنمية: "تأثير المخاطر الاجتماعية والتهديدات السيبرانية في تشكيل بنية المجتمع ومنها زيادة الجرائم المستحدثة، تهديد البنية التحتية، تهديد القيم والأخلاق، استهداف الأمن القومي، تصدير أزمة ثقة في الحكومة والأجهزة"[2]. وذلك لأن التكنولوجيا الرقمية والشبكية اختزلت المسافات بين بلدان العالم، وتجاوزت مفهوم الحدود الجغرافية، ويسرت مجال التواصل بين أفراد المجتمع الواحد وبين مجتمعات العالم، وأحدثت نمطا جديدا من المجتمع يسمى "المجتمع الافتراضي"، الذي يعنى "كل حالة ذات صلة بالفضاء التخيلي بشقه المادي المتمثل في إبداع سبل جديدة في هندسة تكنولوجيات الافتراضي، وبشقه الاعتباري، يضم أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء أخرى جديدة"[3].

لقد أصبحت العلاقات الاجتماعية مع التطور الرقمي والشبكي تكتسي طابعا مختلفا تماما على ما كانت عليه داخل المجتمع التقليدي الذي يرهن تقدمه وتطوره بتقدم وتطور نسقه في الإطار الزمني الذي يحدده، حيث كانت أشكاله تخضع "للنزعة التفاعلية" القائمة على التفاعل بين مكونات النسق الداخلي للمجتمع[4]. إذ تمكنت التكنولوجيا الرقمية من تغيير شكل التواصل بشكل كبير، حيث ساهمت الشبكات الاجتماعية وتطبيقات الرسائل في جعل التواصل مع أفراد المجتمعات أسهل وأسرع. والمغرب لم يكن في منأى عن هذه

[1] الضوابط الآساسية للأمن السيبراني، الهيئة الوطنية للأمن السيبراني، المملكة العربية السعودية، 2018، ص، 8، تم تحميله من الموقع: https://ega.ee/wp-content/uploads/2019/03/Essential-Cybersecurity-Controls.pdf بتاريخ 18-05-2023 على الساعة 14:54

[2] الأمن السيبراني: الأبعاد الاجتماعية والقانونية، تحليل سوسيولوجي، فوزي إسلام، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد السادس والخمسون، العدد الثاني، ماي 2019، ص ص 99-139، ص 104

[3] الإعلام والفضاء الإلكتروني، عبد الحميد صلاح وعاطف يمنى، أطلس للنشر والانتاج العالمي، الطبعة الأولى، الجيزة 2015، ص 129

[4] العلاقات والجماعات الااجتماعية في المجتمع الافتراضي، يصرف حاج، مجلة آفاق فكرية، المجلد الرابع، العدد الثامن، مارس 2018، ص ص 234-246، ص 238

الدينامية التي عرفتها التنمية الاجتماعية في العصر الحديث تحت تأثير الفضاء السيبراني والرقمي، كما لامست التكنولوجيا أهم الجوانب المرتبطة بالتنمية في المغرب في بعدها الاجتماعي، نذكر منها تأثر مجال التعليم خصوصا بعد الجائحة[1]، حيث تأثر القطاع بشكل كبير، فوجد المغرب نفسه أمام واقع مفروض وضرورة ملحة إلى تعليم بديل للتعليم الحضوري، فلجأ إلى التعليم عن بعد باستعمال " وسائط أو أساليب الاتصالات التقنية المختلفة"[2]، فكانت الحاجة أكثر إلى الأمن السيبراني لحماية البنيات التحتية المستعملة من الإتلاف، وغلق الباب في وجه كل أشكال النصب والاحتيال والتطرف والإرهاب الإلكتروني التي يمكن أن تنتج إثر استعمال المواقع الإلكترونية والمنصات الرقمية وتطبيقات التواصل الاجتماعي، في غياب المراقبة من طرف الجهات الوطنية المختصة بأمن الفضاء الإلكتروني.

نفس التحول شهده قطاع الصحة، خصوصا بعد صدور "مرسوم الطب عن بعد"[3]، والذي يشمل الاستشارة الطبية عن بعد، وطلب الخبرة عن بعد، والمراقبة الطبية عن بعد، والمساعدة الطبية عن بعد، ثم الإجابة الطبية.

ثالثا: الأمن السيبراني والبعد الإداري والخدماتي للتنمية

أكد التقرير العام للنموذج التنموي الجديد لسنة 2021 على الدور الأساس للرقميات في التنمية لكونها "ترفع من منسوب الثقة بين المواطن والمقاولات والدولة من خلال مساهمتها في جعل العلاقة بين الدولة والمواطن والدولة والمقاولة أكثر انسيابية وشفافية"[4] وذلك بتسهيل الولوج إلى المعلومة وتجويد الخدمات المقدمة

[1] التعليم عن بعد رصد وتخطيط، السلامي فاطمة و اخدجو فاطمة، Revue Linguistique et Référentiels Interculturels, volume 2, n° 2, Décembre 2021، ص ص 344-349، ص 344

[2] "التعليم عن بعد رصد وتخطيط"، مرجع سابق، ص 345

[3] مرسوم رقم 2.18.378 الصادر في 11 من ذي القعدة 1439، 15 يوليوز 2018، في شأن الطب عن بعد، المنشور في الجريدة الرسمية عدد 6694، بتاريخ 12 ذو القعدة 1439، 26 يوليوز 2018

[4] تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، التقرير العام للنموذج التنموي الجديد، الرباط، أبريل 2021، ص 135

من خلال "المنصات المخصصة للخدمات" [1]. كما يقر التقرير على ضرورة تطوير آليات الأمن السيبراني خاصة في الجانب المتعلق بتكوين الكفاءات في المجال وفي الجانب القانوني، بهدف مكافحة الجرائم الإلكترونية وتحصين الملكية الفكرية وتدبير حماية المعطيات الشخصية[2].

إن الرقمنة، كما أكد على ذلك المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، تعد "رافعةً حقيقيةً لتحقيق التحول وتسريع وتيرة التطور، وتساهم في الارتقاء بجودة التفاعل بين المرتفقين والإدارات، والرفع من الإنتاجية وتعزيز تنافسية الاقتصاد المغربي وتقليص الفوارق الاجتماعية والمجالية"[3]، إلا أن هذا لا يمكن أن يحصل إلا في بيئة رقمية سليمة ومحصنة من المخاطر السيبرانية وبفضل استراتيجية محكمة للأمن السيبراني.

المطلب الثاني: التنمية والتحديات السيبرانية بالمملكة المغربية

تواجه المملكة المغربية تحديات سيبرانية متنوعة تتعلق بالأمن السيبراني والحماية الرقمية، تحول دون تحقيق تنمية مستدامة موازية للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها العالم، ويمكن تقسيم هذه التحديات إلى تحديات تقنية وأخرى ذات علاقة بسياسة تدبير قطاع الرقمنة في مجال التنمية.

أولا: التحديات التقنية

أ- ضعف البنية التحتية: معلوم أن التنمية الشاملة تتحقق بانخراط جميع الفاعلين وإدماج كل مكونات المجتمع في مسلسل التقدم والتطور، إلا أن الأمر في المغرب يعرف تدنيا ملحوظا خصوصا في الجانب المتعلق بالرقمنة، إذ يسجل المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي سنة 2021 أن ما يقارب" 6 ملايين من المواطنات والمواطنين غير منخرطين في مسلسل الرقمنة"[4] الذي تشهده المملكة المغربية، وذلك راجع لعدة

[1] المرجع نفسه، ص 135

[2] المرجع نفسه، ص 136

[3] نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، إحالة ذاتية رقم 2021/52، بتاريخ 29 أبريل 2021، ص 9، تم تحميل الوثيقة من الموقع https://www.cese.ma بتاريخ 09-11-2023 على الساعة 09:12

[4] المرجع نفسه، ص 18

أسباب أهمها ارتفاع تكلفة الإنترنت الثابت، وضعف استعماله خصوصا في العالم القروي، ونقص التجهيزات وعدم جاهزية الشبكات.

إن التحديات المرتبطة بالبنية التحتية للاتصالات تنتج عنها مخاطر عديدة تتمثل في الاختراق والوصول غير المصرح به إلى "نظام معالجة آلية للبيانات باستخدام الحاسوب"[1]، ثم إلى انتشار تهديدات من مستويات أكثر خطورة من طرف المجرمين السيبرانيين، حيث "أدت العولمة والتقدم التكنولوجي إلى إضعاف البنية التحتية، وبالتالى جعلتها هدفاً محتملاً لهجمات إرهابية، حيث تُواجه البلدان مخاطر حقيقية، للأعداء أن يستغلوا مواطن الضعف التى تعانى منها أنظمة المعلومات الدقيقة. فهم يسعون إلى تعطيل البنية التحتية والموارد الأساسية من أجل تهديد الأمن القومى"[2]. مما يؤثر سلبا على وتيرة سير مخطط التنمية المرتبط بالأساس بالاستقرار الأمني والسياسي للبلد.

ب- النقص على مستوى إتقان التعامل مع الأدوات الرقمية[3]: جاء في الرسالة الملكية السامية: " تتطلب الرقمنة، كخيار اقتصادي، توفير كفاءات بشرية كافية ومختصة، وتكريس هذه الثقافة لدى مختلف فئات المجتمع، مع تطوير بنيات تحتية تقنية قادرة على مواكبة التطور المتسارع في هذا القطاع"[4]. وفي هذا السياق يسجل المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي ضعفا كبيرا في هذا المجال المهم، إضافة إلى "تقادم البروفايل الإداري"[5] حيث يشكل النقص في مهارات التعامل مع الأدوات الرقمية عائقًا كبيرًا أمام التنمية في العديد من الجوانب، فعلى مستوى فرص الشغل والتمكين الاقتصادي أصبحت الوظائف تتطلب مهارات متطورة وكفاءات متجددة في التكنولوجيا الرقمية، وواعية بحجم المخاطر وأنواع الجرائم السيبرانية التي تهدد

[1] جريمة الاحتيال عبر شبكة المعلومات الدولية: دراسة مقارنة النظام السعودي والقانون الأردني، الطريف غادة عبد الرحمان، نصيرات وائل محمد، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 19، يونيو 2018، ص، 94

[2] الأبعاد الاجتماعية والقانونية، تحليل سوسيولوجي، مرجع سابق، ص، 108

[3] نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، مرجع سابق، ص 18

[4] مقتطف من الرسالة الملكية السامية التي وجهها الملك محمد السادس إلى المشاركين في أشغال اجتماع التجمع الإفريقي لوزراء المالية ومحافظي البنوك المركزية للدول الإفريقية الأعضاء في البنك وصندوق النقد الدوليين بمراكش، بتاريخ 05 يوليوز 2022

[5] البيروقراطية الرقمية: تأثيرات رقمنة الخدمات العمومية في المغرب،زعنزن عبد الرفيع، مبادرة الإصلاح العربي، أبريل 2023، ص 7

القطاع، مع تملك كفايات وقدرات المواجهة. وعلى المستوى الاجتماعي والولوج إلى الخدمات، فإن أكبر التحديات السيبرانية التي تواجه المملكة هي "ضعف الثقة في المعاملات الإلكترونية"[1]، بسبب غياب نظام فعّال وبسيط لتحديد هوية المستخدمين والموظفين، كما أن عدم وجود إجراءات رسمية وفعّالة للتحقق من الهوية يترك المجال مفتوحًا للتلاعب والاحتيال، فضلا على كون ضعف تأمين الخدمات الرقمية يتسبب في إشعار الأفراد بعدم جدوى تبني التكنولوجيا ويتيح الفرصة للتهديدات الأمنية واختراق خصوصية البيانات تلقى بظلالها على الثقة في الخدمات الرقمية.

[1] المرجع نفسه، ص 7

المبحث الثاني: رؤية الملك محمد السادس وتحولات التنمية المجتمعية والسيبرانية بالمملكة المغربية

في العصر الرقمي الحالي، أصبحت التنمية السريعة والفعالة تعتمد بشكل كبير على التكنولوجيا الرقمية والإنترنت. وفي هذا السياق، يأتي التحول الرقمي كرافعة أساسية لتحقيق التنمية والازدهار الشامل في المملكة المغربية. وكما جاء في الخطاب الملكي السامي: " فالتكنولوجيا الرقمية تشكل بالفعل، تحولا بنيويا في مقاربتنا للعالم الذي يحيط بنا، إذ تسمح بتطوير أنماط إنتاجية واستهلاكية جديدة، من شأنها أن تخلق المزيد من مناصب الشغل، وأن تشكل مصدرا للرفع من فرص الاستثمار. كما تشكل الوسائط الرقمية قنوات متميزة للرفع من مستوى الشمول المالي، وتوسيع مجال التغطية الصحية والاجتماعية"[1]. ويعكس هذا التحول، المفهوم الواسع للتحول نحو مجتمع واقتصاد مبنيين على التكنولوجيا والأنظمة الرقمية. حيث تلعب التكنولوجيا والإنترنت دورًا حيويًا في تطوير القطاعات الاقتصادية والاجتماعية وزيادة التنافسية الوطنية والدولية.

ويعد التحول الرقمي في المغرب أكثر من مجرد مفهوم، إذ يمثل رؤية واضحة لمستقبل البلاد. حيث يعتمد على الرقمنة واستخدام التكنولوجيا الرقمية في جميع جوانب الحياة والأعمال. كما تتضمن هذه الرؤية مجموعة من الأهداف التي تشمل إضافة إلى تطوير المنظومة القانونية، تطوير بنية التحول الرقمي، وزيادة سرعة توسيع تغطية الإنترنت وتحسين البنية التحتية الرقمية.

المطلب الأول: تطور المنظومة القانونية للأمن السيبراني في المغرب

تسعى المملكة المغربية إلى الريادة في مجال الأمن السيبراني، حيث تظهر الأولويات الوطنية تركيزاً كبيراً على هذا الجانب. وتأتي هذه الرؤية في سياق تقدم البنية التكنولوجية والاقتصادية في البلاد. إذ تبذل المملكة

[1] مقتطف من الرسالة الملكية السامية التي وجهها الملك محمد السادس إلى المشاركين في أشغال اجتماع التجمع الإفريقي لوزراء المالية ومحافظي البنوك المركزية للدول الإفريقية الأعضاء في البنك وصندوق النقد الدوليين بمراكش، بتاريخ 05 يوليوز 2022

جهودًا مكثفة للحفاظ على استقرار بيئتها السيبرانية وحماية المواطنين والمصالح الوطنية من تحديات التهديدات السيبرانية المتنوعة.

وتجسد التشريعات والسياسات القانونية في المغرب الالتزام الجاد بضمان الأمان السيبراني، حيث يتجلى ذلك من خلال إرساء ترسانة قانونية قوية تهدف إلى حماية البنية التحتية السيبرانية ومكافحة الجرائم الإلكترونية، بشكل متناغم مع التحديات المتزايدة والتطورات التكنولوجية السريعة، وتقدم حلاً شاملاً لمواجهة التهديدات السيبرانية.

فعلاوة على توقيع المملكة المغربية على مجموعة من الاتفاقيات الدولية في مجال الأمن السيبراني، كانخراطها في اتفاقية بودابست (2001) سنة 2014[1]، عززت المملكة ترسانتها القانونية خصوصا القانون الجنائي المعلوماتي بمجموعة من القوانين المتعلقة بالجريمة السيبرانية المرتبطة "بنظم المعالجة الآلية للمعطيات"[2]، من أهمها:

1- القانون رقم 07.03 المتعلق بالمس بنظم المعالجة الآلية للمعطيات: يأتي هذا القانون لتتميم القانون الجنائي فيما يتعلق بالجرائم المتعلقة بنظم المعالجة الآلية للمعطيات، ولمواءمة "مجموعة القانون الجنائي مع المقتضيات التي أتى بها القانون المتعلق بمكافحة الإرهاب"[3]، ثم انسجاما مع التشريعات والقوانين الدولية التي صادق عليها المغرب[4].

[1] ظهير شريف رقم 1.14.85 صادر في 12 من رجب 1435 (12 ماي 2014) بتنفيذ القانون رقم 136.12 الموافق بموجبه على اتفاقية الجرائم المعلوماتية، الموقعة ببودابست في 23 نوفمبر 2001 وعلى البروتوكول الإضافي لهذه الاتفاقية الموقع بستراسبورغ في 28 يناير 2003. الجريدة الرسمية عدد 6260 الصادرة بتاريخ 29 رجب 1435 (29 ماي 2014)،

[2] القانون رقم 07.03 المتعلق المس بنظم المعالجة الآلية للمعطيات الصادر في 16 رمضان 1424 الموافق 11نونبر 2003 الجريدة الرسمية عدد 5171 بتاريخ 2003/12/22، ص 4284

[3] خصوصيات الجريمة الإلكترونية على ضوء التشريع والقضاء المغربي، مجلة القانون والأعمال الدولية، مسامح زكرياء، جامعة الحسن الأول، https://www.droitetentreprise.com/20573/#_ftnref6 اطلع عليه بتاريخ 10-11-2023 على الساعة 11:19

[4] المرجع نفسه

2- "القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية"[1]: يأتي هذا القانون "متمما ومعدلا لظهير الالتزامات والعقود"[2]، ويتميز "بتجانسه مع الاتفاقيات الدولية"[3]، ويشمل "صحة المحررات المعدة بشكل إلكتروني أو الموجهة بطريقة إلكترونية"، و"النظام القانوني المطبق على التوقيع الإلكتروني المؤمن والتشفير والمصادقة الإلكترونية"، ويهدف إلى (حماية سرية المعلومات والمعطيات القانونية من التحريف والتزوير)[4]، وضمان "سلامة وتأمين التعاملات الإلكترونية"[5]،

3-"القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي"[6]: بمقتضاه تم إحداث "اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي CNDP"[7]، والتي تعمل على "التحقق من أن عمليات معالجة المعطيات الشخصية تتم بشكل قانوني وأنها لا تمس بالحياة الخاصة أو بحقوق الإنسان الأساسية أو بالحريات"[8]. كما أنه على أساسه صادقت

[1] الظهير الشريف رقم 1.07.129 الصادر في 19 ذي القعدة 1428 (30 نونبر 2007) بتنفيذ القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، الجريدة الرسمية رقم 5584 بتاريخ 25 ذو القعدة 1428 (06 دجنبر 2007)، ص، 3879

[2] المعلومة القانونية، قراءة حول القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، الشرقاوي بلال، https://alkanounia.info/?p=9295#_ftnref4 اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 12:00

[3] المعلومة القانونية، قراءة حول القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، مرجع سابق، اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 12:11

[4] قراءة في القانون المغربي للتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، منتديات شبكة قانوني الأردن، مالك مصطفى، http://www.lawjo.net/vb/showthread.php?37621 اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 11:48

[5] المعلومة القانونية، قراءة حول القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، مرجع سابق، اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 12:11

[6] الظهير الشريف رقم 1.09.15 الصادر في 22 من صفر 1430 (18 فبراير 2009) بتنفيذ القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، الجريدة الرسمية عدد 5711 بتاريخ 27 صفر 1430 (23 فبراير 2009)، ص، 552

[7] موقع اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي: https://www.cndp.ma/ar/cndp/qui-sommes-nous/commision.html اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 12:45

[8] المرجع نفسه، اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 12:49

المملكة المغربية على "الاتفاقية الأوروبية رقم 108 المتعلقة بحماية الأشخاص الذاتيين اتجاه المعالجة الآلية للمعطيات ذات الطابع الشخصي"[1].

4- القانون رقم 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني[2] : تم إعداد هذا القانون من طرف "إدارة الدفاع الوطني"[3]، بعد الموافقة السامية لجلالة الملك، وقد تطرق بشكل مفصل إلى المفاهيم المرتبطة بالأمن السيبراني، وميز فيما بينها[4]، "كالجرائم السيبرانية"، و"التهديد السيبراني"، و"حادث الأمن السيبراني"، و"أزمة الأمن السيبراني"، و"البنيات التحتية ذات الأهمية الحيوية" و"قطاع الأنشطة ذات الأهمية الحيوية"، أو "نظام المعلومات"، ثم "نظام المعلومات الحساس". وقد تم بموجبه إحداث "السلطة الوطنية للأمن السيبراني"[5] محددا أدوارها الرئيسية خصوصا في "حماية البنية التحتية الحيوية وإرساء الحكامة الوطنية للأمن السيبراني"[6]، و الإشراف على عملية "الافتحاص لنظم المعلومات الحساسة"[7].

المطلب الثاني: المشاريع الوطنية للتحول الرقمي

قطعت المملكة المغربية أشواطا مهمة في التحول الرقمي، ولا زالت تنخرط في مجموعة من أوراش الإصلاح المرتبطة بمجال التنمية الشاملة، كما جاء في الخطاب الملكي السامي: "وبرغم المكتسبات المهمة التي حققناها على مستوى المشاريع المهيكلة الكبرى، وخاصة في مجالات الصناعة والفلاحة والبنيات التحتية والطاقات المتجددة وغيرها، فإن النموذج التنموي الذي رسمناه قد بلغ مداه، ولم يعد قادرا على تحقيق

[1] الظهير الشريف رقم 1.14.150 الصادر في 22 غشت 2014 بتنفيذ القانون رقم 46.13 الموافق بموجبه على الاتفاقية الأوروبية 108 المتعلقة بحماية الأشخاص الذاتيين اتجاه المعالجة الآلية للمعطيات ذات الطابع الشخصي الموقعة بستراسبورغ في 28 يناير 1981، الجريدة الرسمية عدد 6292 بتاريخ 22 ذو القعدة 1435 (18 شتنبر 2014)، ص، 6914

[2] الظهير الشريف رقم 1.20.69 الصادر في 4 ذي الحجة 1441 (25 يوليوز 2020) بتنفيذ القانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني، الجريدة الرسمية عدد 6904 بتاريخ 09 ذو الحجة 1441 (30 يوليوز 2020)، ص، 4160

[3] مذكرة تقديمية للقانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني،المملكة المغربية، إدارة الدفاع الوطني، تم تحميل الوثيقة من الموقع الإلكتروني لإدارة الدفاع الوطني: https://www.dgssi.gov.ma/sites/default/files/attached_files/note_de_presentation_de_la_loi_05-20_sur_la_cybersecurite_version_ar.pdf بتاريخ 15-08-2023 على الساعة 12:42

[4] المادة 2 من القانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني

[5] المادة 1 من القانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني

[6] المادة 1 من القانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني

[7] المادة 20 من القانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني

التنمية الشاملة، والاستجابة لانتظارات المواطنين، بسبب صعوبات كثيرة، من بينها ضعف أداء الإدارة، وقلة الكفاءة والابتكار، وافتقادها لقواعد الحكامة العمومية الجيدة"[1]. وتأكيدا على الدور الذي تلعبه التكنولوجيا الحديثة في التنمية فقد أكد جلالته على ضرورة تعميم الرقمنة في الإدارة، حيث قال: "وتعد الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة عاملا حاسما في الارتقاء بالعمل الإداري، إذ ينبغي التوجه نحو تعميم الإدارة الرقمية، وتوفير الخدمات عن بعد، والولوج المشترك للمعلومات من طرف مختلف القطاعات".

وعلى هذا الأساس، ومن أجل تعزيز الدينامية التي يشهدها الانتقال الرقمي باعتباره رافعة أساسية للتنمية، ومنذ تأسيس "المديرية العامة لأمن نظم المعلومات"[2] في 21 شتنبر 2011، والتي أصبح من اختصاصها تأمين اليقظة التقنية في مجال الأمن السيبراني، و"تطوير الأنظمة الضرورية لتشغيل نظم مؤمنة لفائدة الإدارات والمؤسسات العمومية"[3]، وجهت المملكة المغربية جهودها نحو تطوير "الاقتصاد الرقمي وخلق فرص شغل للكفاءات في مجال تكنولوجيا المعلومات"[4]، من خلال إحداث وتأهيل وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة، والتي أطلقت سنة 2021 "المخطط التوجيهي للتحول الرقمي للإدارة"[5]، يروم إعداد بنيات تحتية لتكنولوجيا الاتصال آمنة مدعومة بترسانة قانونية متينة، وتأهيل مجال الأمن السيبراني[6]، وإتاحة الخدمات الرقمية للمواطنين بشكل يضمن "أمن المعلومات وموثوقيتها وتراعي الحقوق المتعلقة بحماية المعطيات ذات الطبيعة الشخصية"[7].

---

[1] الرسالة السامية التي وجهها الملك محمد السادس إلى المشاركين في المنتدى الوطني للوظيفة العمومية العليا، الذي نظمته وزارة إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية، بالصخيرات، يوم 27 فبراير 2018، تم الاطلاع عليها بموقع رئاسة الحكومة www.cg.gov.ma بتاريخ 10-11-2023 على الساعة 12:08

[2] www.dgssi.gov.ma/ar/dgssi اطلع عليه بتاريخ 08-11-2023 على الساعة 19:32

[3] المرجع نفسه، اطلع عليه بتاريخ 08-11-2023 على الساعة 19:45

[4] حصيلة وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة برسم سنة 2022، وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة، ص 36، تم تحميل الوثيقة من موقع الوزارة https://www.mmsp.gov.ma بتاريخ 4-11-2023 على الساعة 23:11

[5] حصيلة وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة برسم سنة 2021، وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة، ص 50، تم تحميل الوثيقة من موقع الوزارة https://www.mmsp.gov.ma بتاريخ 4-11-2023 على الساعة 23:14

[6] رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج"، مرجع سابق، ص 8

[7] حصيلة وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة برسم سنة 2021، مرجع سابق، ص 52

وتنسجم هذه الجهود مع توجه النموذج التنموي الجديد الذي يعتبر الرقمنة رافعة مهمة من رافعات التغيير، وورشا أساسيا من "الأوراش التحولية لإطلاق النموذج التنموي الجديد"[1]. حيث يوصي "بتأهيل البتيات التحتية الرقمية للصبيب العالي والعالي جدا الثابت والمحمول"[2]، على نطاق واسع، وتطوير المنصات الرقمية وإتاحتها لكل المواطنين لتيسير حياتهم اليومية، وكذا تأهيل الكفاءات البشرية في المجال مع تقوية الترسانة القانونية التي تعزز الثقة الرقمية للمستخدمين والسيادة الرقمية للمملكة[3]. وقد تم الشروع في تنزيل هذه التوصيات في إطار "الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي "المغرب الرقمي 2030""[4].

وفي سنة 2022 أبرم المغرب عددا من الاتفاقيات في مجال "ترحيل الخدمات" مع عدد من الشركات العالمية الكبيرة مثل (NTT DATA وBELL CANADA وFUSION BPO وEIDS)[5]، حيث ستوفر "5050 منصب شغل مباشر وقار بحلول سنة 2026"[6]، في مختلف مناطق المملكة، كما وقعت اتفاقية مماثلة مع شركة " HCL Technologies الهندية"[7]، وكذا تطوير"مشروع المستثمر الأمريكي (FAR Group) ، الذي سيمكن من خلق 3000 منصب شغل في مجال ترحيل المهارات المهنية (BPO)"[8]. وفي نفس السياق عمل المغرب على تطوير"مشروع ORACLE" الذي سيمكن من خلق1000 منصب شغل في مجال هندسة المعلوميات"[9].

[1] تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع، مرجع سابق، ص 135

[2] نفس المرجع، ص 136

[3] تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع، مرجع سابق، ص 136

[4] الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي تروم تحديد الاحتياجات ذات الأولوية وضمان ملاءمتها لرهانات الرقمنة، البوابة الوطنية maroc.ma، www.maroc.ma اطلع عليه بتاريخ 10-11-2023 على الساعة 15:59

[5] حصيلة وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة برسم سنة 2022، مرجع سابق، ص 36

[6] نفس المرجع، ص 37

[7] نفس المرجع، ص 38

[8] نفس المرجع، ص 37

[9] نفس المرجع، ص 41

خاتمة:

ختاما، يتبين بوضوح أن الأمن السيبراني والتنمية يشكلان جوانب لا يمكن إهمالها في سياق التقدم الرقمي المتسارع الذي يشهده المغرب. حيث يعتبر الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات وتعزيز الأمن السيبراني جزءًا لا يتجزأ من رحلة التحول الرقمي والتنمية المستدامة.

إن الجهود التي تقوم بها المملكة المغربية في تطوير البنية التحتية السيبرانية وفي تبني سياسات فاعلة للأمن السيبراني تعكس التزاماً ببناء مستقبل مستدام ومتقدم، وطموحا لتحقيق توازن مثالي بين التقدم التكنولوجي وضمان الحماية والأمن للمواطنين والهياكل الوطنية، من خلال فهم عميق للتحديات السيبرانية وباعتبار الأمن السيبراني عنصراً أساسياً.

يكمل الارتباط الوثيق بين الأمن السيبراني والتنمية بتعزيز الفرص الاقتصادية وتوفير بيئة آمنة للاستثمار والابتكار. كما أن تحقيق التوازن بين تمكين الفرد الرقمي وحمايته يمثل تحدياً، ولكنه أيضاً يمثل فرصة لتحقيق تطور شامل ومستدام.

في نهاية المطاف، يعد الاستثمار في الأمن السيبراني أحد ركائز التنمية المجتمعية، وهو عنصر أساسي لتعزيز الثقة في استخدام التكنولوجيا وتحقيق الازدهار الشامل، وبناء مجتمع قائم على الابتكار والتطوير المستدام.

توصيات:

بناءً على موضوع الأمن السيبراني والتنمية في المغرب، يمكن تقديم التوصيات التالية:

1. **تعزيز التعليم التقني والرقمي:**

- تعزيز برامج التعليم التقني والرقمي في المدارس والجامعات لضمان توفير مهارات تكنولوجيا المعلومات للشباب.

- دمج البرامج التقنية الخاصة بالأمن السيبراني في التعليم لضمان تحضير الشباب لمواكبة التطورات التكنولوجية.

2. **تعزيز التوعية بالأمان السيبراني:**

- تنظيم حملات توعية موسعة حول مخاطر الأمان السيبراني وكيفية الوقاية منها.
- توجيه الجهود نحو تثقيف المجتمع حول أهمية حماية بياناتهم الشخصية والمعلومات الحساسة.

3. **تعزيز التشريعات السيبرانية:**

- مراجعة وتحديث التشريعات السيبرانية لمواكبة التطورات التكنولوجية وتعزيز الحماية القانونية للمعلومات والخصوصية.
- تشديد العقوبات على انتهاكات الأمان السيبراني لتعزيز فعالية الردع.

4. **تعزيز التعاون الدولي:**

- تعزيز التعاون الدولي في مجال الأمان السيبراني لمواجهة التحديات العابرة للحدود.
- المشاركة الفعّالة في المنظمات الدولية والشبكات الإقليمية ذات الصلة لتبادل المعرفة والخبرات.

5. **تعزيز الابتكار وريادة الأعمال:**

- دعم الابتكار وريادة الأعمال في مجال الأمان السيبراني لتشجيع على تطوير حلول فعّالة.
- تشجيع على تأسيس شركات ناشئة تعمل في مجال أمان المعلومات وتقنيات الحماية السيبرانية.

6. **تعزيز شراكات القطاع العام والخاص:**

- تشجيع على شراكات فعّالة بين الحكومة والقطاع الخاص لتبادل المعلومات والخبرات في مجال أمن المعلومات، وتطوير حلول مشتركة.
- دعم الشركات الخاصة للاستثمار في مجالات الأمان السيبراني وتقنيات الحماية.

المراجع:

الخطابات الملكية:

1- الرسالة السامية التي وجهها الملك محمد السادس إلى المشاركين في المنتدى الوطني للوظيفة العمومية العليا، الذي نظمته وزارة إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية، بالصخيرات، يوم 27 فبراير 2018

2- الرسالة الملكية السامية التي وجهها الملك محمد السادس إلى المشاركين في أشغال اجتماع التجمع الإفريقي لوزراء المالية ومحافظي البنوك المركزية للدول الإفريقية الأعضاء في البنك وصندوق النقد الدوليين بمراكش، بتاريخ 05 يوليوز 2022

المراجع القانونية:

1- الظهير الشريف رقم 1.07.129 الصادر في 19 ذي القعدة 1428 (30 نونبر 2007) بتنفيذ القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، الجريدة الرسمية رقم 5584 بتاريخ 25 ذو القعدة 1428 (06 دجنبر 2007)

2- الظهير الشريف رقم 1.09.15 الصادر في 22 من صفر 1430 (18 فبراير 2009) بتنفيذ القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، الجريدة الرسمية عدد 5711 بتاريخ 27 صفر 1430 (23 فبراير 2009)

3- الظهير شريف رقم 1.14.85 صادر في 12 من رجب 1435 (12 ماي 2014) بتنفيذ القانون رقم 136.12 الموافق بموجبه على اتفاقية الجرائم المعلوماتية، الموقعة ببودابست في 23 نوفمبر 2001 وعلى البروتوكول الإضافي لهذه الاتفاقية الموقع بستراسبورغ في 28 يناير 2003. الجريدة الرسمية عدد 6260 الصادرة بتاريخ 29 رجب 1435 (29 ماي 2014)

4- الظهير الشريف رقم 1.14.150 الصادر في 22 غشت 2014 بتنفيذ القانون رقم 46.13 الموافق بموجبه على الاتفاقية الأوروبية 108 المتعلقة بحماية الأشخاص الذاتيين اتجاه المعالجة الآلية للمعطيات ذات

الطابع الشخصي الموقعة بستراسبورغ في 28 يناير 1981، الجريدة الرسمية عدد 6292 بتاريخ 22 ذو القعدة 1435 (18 شتنبر 2014)

5- الظهير الشريف رقم 1.20.69 الصادر في 4 ذي الحجة 1441 (25 يوليوز 2020) بتنفيذ القانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني، الجريدة الرسمية عدد 6904 بتاريخ 09 ذو الحجة 1441 (30 يوليوز 2020)

6- الجريدة الرسمية عدد 5171 بتاريخ 2003/12/22، ص ، 4284القانون رقم 07.03 المتعلق المس بنظم المعالجة الآلية للمعطيات الصادر في 16 رمضان 1424 الموافق 11نونبر 2003

7- المرسوم رقم 2.18.378 الصادر في 11 من ذي القعدة 1439، 15 يوليوز 2018، في شأن الطب عن بعد، المنشور في الجريدة الرسمية عدد 6694، بتاريخ 12 ذو القعدة 1439، 26 يوليوز 2018

المراجع باللغة العربية :

1- الأبعاد الاجتماعية والقانونية، تحليل سوسيولوجي، فوزي إسلام، الأمن السيبراني: المجلة الاجتماعية القومية، المجلد 56، العدد الثاني، ماي 2019

2- الإعلام والفضاء الإلكتروني، عبد الحميد صلاح وعاطف يمنى، أطلس للنشر والانتاج العالمي، الطبعة الأولى، الجيزة 2015

3- الاقتصاد الرقمي والتحول نحو المجتمعات الذكية في المنطقة العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ESCWA، دبي، فبراير 2017

4- الأمن السيبراني: الأبعاد الاجتماعية والقانونية، تحليل سوسيولوجي، فوزي إسلام، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد السادس والخمسون، العدد الثاني، ماي 2019

5- البيروقراطية الرقمية: تأثيرات رقمنة الخدمات العمومية في المغرب،زعنزن عبد الرفيع، مبادرة الإصلاح العربي، أبريل 2023

6- تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، التقرير العام للنموذج التنموي الجديد، الرباط، أبريل 2021

7- التعليم عن بعد رصد وتخطيط، السلامي فاطمة و اخدجو فاطمة، Revue Linguistique et Référentiels Interculturels, volume 2, n° 2, Décembre 2021

8- الضوابط الآساسية للأمن السيبراني، الهيئة الوطنية للأمن السيبراني، المملكة العربية السعودية، 2018، ص، 8، تم تحميله من الموقع:

https://ega.ee/wp-content/uploads/2019/03/Essential-Cybersecurity-Controls.pdf

9- الطريف غادة عبد الرحمان، جريمة الاحتيال عبر شبكة المعلومات الدولية: دراسة مقارنة النظام السعودي والقانون الأردني، نصيرات وائل محمد، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 19، يونيو 2018

10- العلاقات والجماعات الااجتماعية في المجتمع الافتراضي، يصرف حاج، مجلة آفاق فكرية، المجلد الرابع، العدد الثامن، مارس 2018

11- مكافحة جرائم مواقع التواصل الاجتماعي على ضوء مجموعة القانون الجنائي، الفاهم دنيا، مجلة الاسماعيلية للدراسات القانونية والقضائية، العدد الأول، فبراير 2019

12- نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، إحالة ذاتية رقم 2021/52، بتاريخ 29 أ[ريل 2021

المقالات بالمو اقع الإلكترونية:

1- Cyber sécurité: Approche Capacitaire,MAHJOUBI MOUNIR, publiée sur https://www.confiance-numerique.fr/brochure-capacitaire-cybersecurite-acn-fieec-gicat-hexatrust 24/01/2018 ,consulté le 17/05/2023 à 17:45 , téléchargeable, p 5 du pdf

2- الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي تروم تحديد الاحتياجات ذات الأولوية وضمان ملاءمتها لرهانات الرقمنة، البوابة الوطنية maroc.ma، www.maroc.ma اطلع عليه بتاريخ 10-11-2023 على الساعة 15:59

3- الأمن السيبراني بالمغرب: الواقع والتحديات،مليح يونس، عن الموقع www.hespress.com/854211.html

4- حصيلة وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة برسم سنة 2021، وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة، ص 50، تم تحميل الوثيقة من موقع الوزارة https://www.mmsp.gov.ma بتاريخ 4-11-2023 على الساعة 23:14

5- حصيلة وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة برسم سنة 2022، وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة، ص 36، تم تحميل الوثيقة من موقع الوزارة https://www.mmsp.gov.ma بتاريخ 4-11-2023 على الساعة 23:11

6- خصوصيات الجريمة الإلكترونية على ضوء التشريع والقضاء المغربي، مجلة القانون والأعمال الدولية، مسامح زكرياء، جامعة الحسن الأول، https://www.droitetentreprise.com/20573/#_ftnref6 اطلع عليه بتاريخ 10-11-2023 على الساعة 11:19

7- قراءة في القانون المغربي للتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، منتديات شبكة قانوني الأردن، مالك مصطفى، http://www.lawjo.net/vb/showthread.php?37621 اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 11:48

8- مذكرة تقديمية للقانون 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني،المملكة المغربية، إدارة الدفاع الوطني، تم تحميل الوثيقة من الموقع الإلكتروني لإدارة الدفاع الوطني:

https://www.dgssi.gov.ma/sites/default/files/attached_files/note_de_presentation_de_la_loi_05-20_sur_la_cybersecurite_version_ar.pdf بتاريخ 15-08-2023 على الساعة 12:42

9- المعلومة القانونية، قراءة حول القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية، الشرقاوي بلال، https://alkanounia.info/?p=9295#_ftnref4 اطلع عليه بتاريخ 14-08-2023 على الساعة 12:00

10- المهام والمحاور الرئيسية لمديرية الاقتصاد الرقمي، عن موقع وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة

https://www.mmsp.gov.ma/ar/economie-num%C3%A9rique

11- موقع www.dgssi.gov.ma/ar/dgssi

12- موقع اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي:

https://www.cndp.ma/ar/cndp/qui-sommes-nous/commision.html

13- موقع رئاسة الحكومة www.cg.gov.ma

التنمية المستدامة في منظور السنة النبوية
من خلال أحاديث حفظ الضروريات الخمس
تخريج ودراسة

الدكتور خديجة إسماعيل بشير عثمان

جامعة القصيم- كلية العلوم والآداب بالأسياح

المملكة العربية السعودية

fraslmhmwd50@gmail.com

ملخص البحث:

تناولت هذه الدراسة موضوع التنمية المستدامة في السنة النبوية من خلال استقراء الأحاديث ودراستها ، ومن المعروف أن هذا النمط من أنماط التنمية يُعَدّ إحدى الغايات التي تسعى دول العالم قاطبة إلى الوصول إليها، واتخاذ كل التدابير اللازمة لتحقيقها، باعتبار أنها الوسيلة المثلى لتحقيق التقدم الحضاري المنشود بشتى صوره ، ولقد تم تصوير فكرة التنمية المستدامة بأنها المنقذ لوضع العالم فمن أجلها عقدت الندوات والقمم ، ونظمت المؤتمرات ،وأجريت الدراسات والبحوث وصنفت بأنها فكرة مبتكرة رغم تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم لها منذ أربعة عشر عام قال :(إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا. (ومع هذا لم تنل حظها من الدراسة والتأصيل الشرعي لذلك يعرض هذا البحث لقضية التنمية المستدامة ، استناداً إلى ما ورد في السنة النبوية من أحاديث شريفة ذات صلة بهذه القضية،. وقد كان سبب اختيار الباحثة لهذا الموضوع هو الحاجة الماسة إلى إبراز دور السنة النبوية في هذا النمط من أنماط التنمية. اتبعت الباحثة في الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي وذلك بتتبع النصوص الواردة في السنة في الضروريات الخمس ذات الصلة بالموضوع وتتكون خطة البحث من مقدمة و مبحثين ، المبحث الأول يتحدث عن مفهوم الدراسة (التنمية المستدامة والضروريات الخمس)والثاني تخريج ودراسة الأحاديث الواردة في التنمية المستدامة من خلال موضوع الضروريات الخمس ثم خاتمة البحث والنتائج ، ومن أهمها (أن التنمية المستدامة مطلب إنساني وأن السنة النبوية وضعت تعاليم وتشريعات إذا التزم بها المسلم كفيلة بأن تقوده إلى تحقيق التنمية المستدامة والرفاهية والخير للأجيال الحالية والقادمة ، ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية : التنمية، المستدامة ، الضروريات الخمسة

Sustainable development from the perspective of the Prophet's Sunnah through the hadiths about preserving the five essentials (Graduation and study)

Dr. Khadija Ismail Bashir Othman

Qassim University - College of Arts and Sciences, Al-Asiyah

2024 AD -1445AH

Abstract :

This study dealt with the topic of sustainable development in the Sunnah of the Prophet by extrapolating and studying the hadiths. It is known that this type of development is one of the goals that all countries of the world seek to reach, and take all necessary measures to achieve it, considering that it is the best means to achieve the desired civilizational progress in various ways.

The idea of sustainable development has been portrayed as the savior of the world's situation. For its sake, seminars and summits were held, conferences were organized, studies and research were conducted, and it was classified as an innovative idea despite the encouragement of the Prophet, may God bless him and grant him peace, fourteen years ago. He said: (If the Hour comes and there is a seedling in the hand of one of you, then if he is able for it not to come until he plants it, then let him plant it.) However, it has not received its share of study and legal rooting, so this research presents the issue of sustainable development, based on the noble hadiths mentioned in the Sunnah of the Prophet, which are relevant to this issue. The reason for the researcher choosing this topic was the urgent need to highlight the role of the Prophet's Sunnah in this type of development. The researcher followed the inductive-deductive approach by following the texts contained in the Sunnah regarding the five essentials related to the topic.

The research plan consists of an introduction and two sections. The first section talks about the concept of the study (sustainable development and the five essentials), the second is a graduation and study of the hadiths contained in sustainable development through the topic of the five essentials, then the conclusion and the results, the most important of which are (Sustainable development is a human demand and that the Prophet's Sunnah established teachings and legislation that, if a Muslim adheres to them, are sufficient to lead him to achieving sustainable development, prosperity and goodness for current and future generations), then a list of sources and references.

Keywords: development, sustainable, the five essential

المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وبعد :
لقد من الله علينا بنزول القران الذي هدانا الى سبيل الخير والرشاد وآتى النبي صلى الله عليه وسلم السنة المشرفة التي جاءت مفسرة للقرآن مبينة المشكل منه ولقد رتب الله سبحانه وتعالى أحكام يخاطب بها خلقه بها مقاصد جليلة واهتم العلماء بجمعها في علم خاص وهو علم المقاصد الذي يقوم بجلب المصالح ودرء المفاسد وجاءت بتطبيقات عملية كثيرة في شتى حقول العلم والمعرفة وتعد التنمية من العلوم المعاصرة التي لاقت اهتماما بالغاً ومن أهم فروعها التنمية المستدامة وهي هدف تسعى اليه جميع دول العالم قاطبة في عصرنا الحاضر ساعية بذلك الى تحقيق مستوى معيشة أفضل للأفراد والمجتمعات وتحقيق النهضة والتطور في كافة مجالات الحياة للأجيال الحاضرة مع الحفاظ على الموارد الطبيعية للأجيال القادمة هنا تكمن فكرة الاستدامة .، من هنا جاءت فكرة الدراسة حيث يسعى الباحث الى ابراز مظاهر التنمية المستدامة في السنة النبوية من خلال أحاديث الضروريات الخمسة .

أسئلة الدراسة :

ما مفهوم التنمية المستدامة ؟
ما المقصود بالضروريات الخمس؟
ما هي وسائل حفظ الضروريات الخمس؟
ما الأحاديث التي تشير الى التنمية المستدامة من خلال مقصد الضروريات الخمس وما درجتها؟

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في تطرقها لموضوع حيوي أصبح يشغل حيز كبير من الفكر العالمي ألا وهو موضوع التنمية المستدامة وما له من أهمية وقيمة كبيرة في مجال التنمية وربطه بالتشريع الإسلامي للمحافظة على حق الحياة للأجيال الحالية والقادمة ، لذا فإن الدين الإسلامي يحث على تنمية الإنسان وبنائه، وعلى إعمار الأرض والحفاظ على ثرواتها، كل ذلك وفق المنهج الرباني الحكيم وضوابط شرعه بما يضمن طيب الحياة في الدارين، وهو ما يجب أن يتجلى في الخطاب الدينى، الذى من شأنه محاربة معوقات التنمية التي تأتى على راسها الجهل وغياب الوعى أو تزييف الوعى بغرس المفاهيم الخاطئة فى عقول الشباب وأبناء الأمة.

أهداف الدراسة :

التعريف بمفهوم التنمية المستدامة .
التعريف بمقصد الضروريات الخمس.
معرفة وسائل حفظ الضروريات الخمس.
تخريج ودراسة الأحاديث التي تشير الى التنمية المستدامة من خلال مقصد الضروريات الخمس ومعرفة درجتها.

منهج الدراسة :

* اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي وذلك بتتبع الأحاديث النبوية من خلال أحاديث الضروريات الخمس التي تشير الى مفهوم التنمية المستدامة على سبيل المثال وليس الحصر.

إجراءات البحث:

* كتابة الآيات بخط المصحف العثماني وعزو الايات القرآنية الى سورها.

*تخريج ودراسة أحاديث الضروريات الخمس التي تشير للتنمية المستدامة من مظانها والحكم عليها مع ذكر أهميتها.

* اذا كان الحديث من الصحيحين (البخاري ومسلم) أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه دون دراسة الاسناد، وان كان في غيرهما أدرس الإسناد وأحكم عليه بما يليق حسب قواعد علم الجرح والتعديل .

* ترجمة الرواة من كتب التراجم واعتمد على قول ابن حجر في الغالب في كتابه (تقريب التهذيب)في معرفةحال الراوي اذا كان الحديث من الكتب الستة.

* ترجمة اللفظ الغريب من كتب غريب الحديث اذا دعا الأمر.

دراسات سابقة :

لم يقف الباحث في حدود اطلاعه على دراسة شملت التنمية المستدامة في سنة النبوية بصورة مستقلة ومفصلة وقد وقفت على بعض الدراسات تتحدث عن جانب أو أكثر في التنمية المستدامة

1-دراسة بعنوان ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية ، د. محمد الفقي بحث مفدم للندوة العلمية الثالثة حول (قيم الحضارة في السنة) كلية الدراسات العربية دبي 2007

ركزت الدراسة على الجانب البيئي من خلال الأحاديث التي تحث على عمارة الأرض ودراستي تناولت مفهوم التنمية المستدامة من خلال المقاصد الضرورية الخمسة في السنة النبوية

2-ا لمؤتمر التاسع لوزراء البيئة في العالم الإسلامي، الذي تنظمه وزارة البيئة والمياه والزراعة بالتعاون مع منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)،جدة 2002 قدمت الدراسة مجموعة من المبادئ والمفاهيم العامة للتنمية المستدامة من خلال تأصيلها من القرن الكريم وخرجت بسمع مواد تمت صياغتها ضمن مخرجات المؤتمر ركزت على مظاهر التنمية المستدامة وعوامل تحقيقة وأهدافها من نصوص القران مع التركيز على الجوانب البيئية؟

3-التنمية المستدامة من منظور الثقافة العربية الإسلامية ،أبو زنط غنيم وماجدة عثمان ، مجلة دراسات العلوم الإدارية ، عمان – الأردن 2009م36 ،ع1،2009، ص20

تحدثت الدراسة عن التنمية المستدامة في الموروث العربي الإسلامي مع الاستدلال بعدد قليل جدا من الأحاديث لا يتجاوز تسعة أحاديث ، أم دراستي استدلة بأحاديث مستفيضة من السنة للدلالة على التنمية المستدامة .

4- الإسلام والتنمية المستدامة: رؤى كونية جديدة ، أ.د.عودة راشد الجيوسي ، تقدمة : الأمير الحسن بن طلال ، ترجمة : جمانة وليد واخرون ،الناشر مؤسسة فريدريش ايبرت مكتب الأردن والعراق 2013

توصلت الدراسة الى أن التنمية المستدامة في الإسلام تقوم على أربعة مبادئ وهي الحكم الرشيد والإحسان ورأس المال ومكافحة الفساد ،ركزت على الجانب العام في الإسلام كالاخلاق والقيم ودراستي ؤكزت على الجانب التأصيلي الحديثي.

5-الإسلام والتنمية المستدامة تأصيل في ضوء الفقه الإسلامي ، مصطفى عطية جمعة ، دار شمس للنشر القاهرة ، مصر ط1 2017.

ركزت الدراسة على التأصيل الفقهي ودراستي على التأصيل الحديثي.

-وقفت على دراسات أخرى تناولت التنمية في الأسلام بشكل عام أو أحد فروعها كالاقتصادية والإجتماعية والبشرية وغيرها ولم تطرق للتنمية المستدامة بصفة خاصة .

خطة الدراسة :

المقدمة بعناصرها التي تتمثل في أسئلة الدراسة وأهمية الموضوع وأهدافه ومنهج البحث والدراسات السابقة وهيكل يتكون من مبحثين ومطالب وخاتمة ومصادر.

المبحث الأول مفهوم الضروريات والتنمية المستدامة فيه مطلبان.

المطلب الأول : تعريف الضروريات لغة وإصطلاحاً .

المطلب الثاني : تعريف التنمية المستدامة لغة وإصطلاحاً.

المبحث الثاني: تخريج ودراسة أحاديث الضروريات الخمس وأهميتها وربطها بالتنمية المستدامة فيه خمسة مطالب .

المطلب الأول: تخريج ودراسة أحاديث حفظ الدين .

المطلب الثاني : تخريج ودراسة أحاديث حفظ النفس .

المطلب الثالث : تخريج ودراسة أحاديث حفظ العقل .

المطلب الرابع : تخريج ودراسة أحاديث حفظ النسل .

المطلب الخامس تخريج ودراسة أحاديث حفظ المال .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : تعريف التنمية المستدامة لغة وإصطلاحاً

المطلب الأول :تعريف التنمية لغة وإصطلاحاً

أولاً: تعريف التنمية لغة

وهي مصدر للفعل نما ، أنمى، نمَّى

نما الشيء ينمو وينمي ازداد. ونمى الحديث ينمي ارتفع ونماه([1])

"نَمَا النباتُ حتى بلغَ باعًا طولًا ثم نَمَا حتى بلغ قامَةَ رجلٍ ارْتِفَاعًا"([2])

أنمى الله مالك: أكثره، ونميت الحديث إلى غيري أي: أسندته ورفعته، وكذا نميت الرجل إلى أبيه، أي: نسبته، وانتمى هو إليه، ونميت الحديث مشددةً، أي: بلغته على وجه النميمة والإذاعة به([3])

أنمى صلواته أَعم صلواته ،أتم صلواته أوفى صلواته ،أدوم صلواته أخْلص صلواته

أنور صلواته([4]).نمَّى إنتاجه : زاده وكثره ورفع معدله ، نمَّى الأمر: طوره ، ونمَّى ذاكرته :أنعشها وقواها ([5])

ثانياً : التنمية إصطلاحاً

نَمَّيْتُ الشَّيْءَ تَنْمِيَةً جَعَلْتُهُ يَنْمُو. فَالإِْنْمَاءُ وَالتَّنْمِيَةُ: فِعْل مَا بِهِ يَزِيدُ الشَّيْءُ وَيَكْثُرُ.

لا يخرج استعمال الفقهاء له عن المعنى اللغوي، وشرع الإسلام تنمية المال حفاظا عليه لمصلحة مالكه ومصلحة الجماعة وهو من مقاصد الشريعة وتنمية المال تكون بالزراعة والتجارة والصناعة ([6])

التنمية:

عملية معقدة شاملة تضم جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والايدولوجية.

ظاهرة اجتماعية نشأت مع نشأة البشر المستقر فزاد الإنتاج وتطورت التجارة وظهرت الحضارات المختلفة على أرض المعمورة.

نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغيرات في الفرد والجماعة والتنظيم من حيث المعلومات والخبرات ومن ناحية الأداء وطرق العمل، ومن ناحية الاتجاهات والسلوك مما يجعل الفرد والجماعة صالحين لشغل وظائفهم بكفاءة وإنتاجية عالية.

وقد أصطلحت هيئة الأمم المتحدة عام 1956 على تعريف التنمية بأنها «العمليات التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن([1]).

---

[1]-حاشية الصبان (أبو العرفان محمد بن علي الصبان ١٢٠٦هـ ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417هـ ،ج3) باب المعرب والمبني ،153/1

[2]-النحو المصفى (محمد عيد،ط1 ،مكتبة الشباب ، القاهرة ،1975) / باب التمييز 479/1

[3]-عمدة الكتاب(لابي جعفر النحاس 338هـ،ط1، دار بن حزم 1425هـ) /باب النوادر 438/1

[4]- ا لالقاظ الكتابة والتعبير لابن المرزبان 330هـ،م ط1،ركز جوهرة القدس عمان 1412هـ) / باب مطلب في وصف الكتب البليغة 46/1

[5]- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. أحمد مختار ،عالم الكتب ط1 2008م (2289/3)

[6]- الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف ،ط 2 /باب التعريف 63/7

تعريف الأمم المتحدة للتنمية 1986 حسب إعلان الحق في التنمية هو عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية تهدف الى تحقيق التحسن المتواصل لرفاهية السكان والأفراد والتي يمكن عن طريقها إعمال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية دون تمييز بسبب العنصر أو اللغة أو الدين [2] يختلف تعريف التنمية من مجال لاخر حسب المجال المضافة اليها مثل التنمية الاقتصادية ، التنمية الاجتماعية ، التنمية السياسية [3]

التعريف الذ أقرته الأمم المتحدة

ثالثاً: تعريف الاستدامة لغة

مصدر دوم، ديم: ماء دائم: ساكن. والدَّوْمُ مصدر دامَ يدوم. ودامَ الماءُ يدومُ دَوْماً وأَدَمْتُه إدامةً إذا سَكَّنتُه، وكُلُّ شيءٍ سَكَّنْتَه فقد أدَمْتَه. والدِّيمةُ: المطر الذي يدوم دوماً يوماً وليلةً أو أكثر.

[وفي حديث عائشة: أنّها سُئِلَت هل كان رسول الله- صلى الله عليه وسَلَّم يُفَضِّلُ بعض الأيام على بعض فقالت: كان عمله دِيمةً] [4] د وم: دَامَ الشَّيْءِ يَدُومُ دَوْمًا وَدَوَامًا وَدَيْمُومَةٍ ثَبَتَ وَدَامَ غَلَيَانُ الْقِدْرِ سَكَنَ وَدَامَ الْمَاءُ فِي الْغَدِيرِ أَيْضًا وَفِي حَدِيثٍ «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ» أَيْ السَّاكِنِ وَدَامَ يُدَامُ مِنْ بَابِ خَافَ لُغَةٌ وَدَامَ الْمَطَرُ تَتَابَعَ نُزُولُهُ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَدَمْتُهُ وَاسْتَدَمْتُ الْأَمْرَ تَرَفَّقْتُ بِهِ وَتَمَهَّلْتُ قَالَ الشَّاعِرُ (1)

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمْهُ ... فَمَا صَلَّى (2) عَصَاكَ كَمُسْتَدِيمِ

أَيْ مَا قَوَّمَ أَمْرَك كَالْمُتَأَنِّي الْمُتَمَهِّلِ وَاسْتَدَمْت غَرِيمِي رَفَقْتُ بِهِ وَقَوْلُ النَّاسِ اسْتَدَامَ لُبْسَ الثَّوْبِ أَيْ تَأَنَّى فِي قَلْعِهِ وَلَمْ يُبَادِرْ إلَيْهِ وَجَازَ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذًا مِنْ قَوْلِهِمْ اسْتَدَمْتُ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ إذَا انْتَظَرْت مَا يَكُونُ مِنْهُ وَأَسْتَدِيمُ اللَّهَ عِزَّكَ يَتَعَدَّى إلَى مَفْعُولَيْنِ وَالْمَعْنَى أَسْأَلُهُ أَنْ يُدِيمَ عِزَّكَ وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ حِصْنٌ بَيْنَ مَدِينَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَيْنَ الشَّامِ وَهُوَ أَقْرَبُ إلَى الشَّأْمِ وَهُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ الشَّأْمِ وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَدَالُهُ مَضْمُومَةٌ وَالْمُحَدِّثُونَ يَفْتَحُونَ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ الْفَتْحُ خَطَأٌ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ إنَّمَا سُمِّيَتْ بِاسْمِ دُومَى بْنِ إسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - لِأَنَّهُ نَزَلَهَا وَسَكَنَهَا وَهُوَ مَضْبُوطٌ بِالضَّمِّ لَكِنْ غُيِّرَ وَقِيلَ دُومَةُ.[5]

---

[1]-السبتي، وسيلة، تمويل التنمية المحلية في إطار صندوق الجنوب (دراسة واقع المشاريع التنموية في ولاية بسكرة، مذكرة ماجستير في الاقتصاد غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية 2004، ص 3.

[2]- اعلان الحق الصادر عن الأمم المتحدة عام 1986 ص3

[3]- التنمية البشرية في السنة النبوية دراسة موضوعية ، سمح طه الغندور ، رسالة ماجستير كلية أصول الدين قسم الحديث وعلومه الجامعة الإسلامية ،غزة ،2011 ص3 بتصرف

[4]-العين (لأبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي 170هـ ، دار مكتبة الهلال 2008) / باب الدال (86/8)

[5]- المصباح المنير (لأحمد الفيومي 770هـ ،ط1، دار المعارف -القاهرة نسخة الشاملة 2016هـ)/ باب دوم (204/1)

رابعاً: تعريف الاستدامة إصطلاحاً

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» قَالَ مَالِكٌ: " لَا أَرَى قَوْلَهُ: مَا لَمْ يُحْدِثْ، إِلَّا الْإِحْدَاثَ الَّذِي يَنْقُضُ الْوُضُوءَ "،قالَ مَالِكٌ وَإِنَّمَا يَعْمَلُ الرَّجُلُ مَا دَامَ حَيًّا فَإِذَا مَاتَ فَقَدِ انْقَضَى الْعَمَلُ([1]).

في عام 1987م، عرفت لجنة بريندتلاند التابعة للأمم المتحدة، الاستدامة على أنها " تعني تلبية حاجات الحاضر دون المساس بقدرات الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها الخاصة."(2).

وتطلق كلمة الاستدامة على جميع جوانب الحياة التي يرجى بقاؤها وللحيلولة دون نضوبها ونفاذها كالموارد الطبيعية (3).

المطلب الثاني : تعريف الضروريات لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الضروريات لغة

ض ر ر :ضروريّ [مفرد]: اسم منسوب إلى ضَرورة: كلّ ما تمسّ إليه الحاجة خلاف الكماليّ "النوم ضروريّ للإنسان" ° الضَّروريّات: الحاجات التي يعتقد المستهلك أنها ذات منفعة أساسيّة إذا قورنت بغيرها، وعكسها الكماليَّات.مَضَرَّة [مفرد]: ج مَضَرَّات ومَضَارُّ: ضَرَر، أذى، ما يَلحق بالإنسان من ضيقٍ أو مرضٍ، عكس منفعة "([4])

ثانياً:تعريف الضروريات إصطلاحاً

- الضَّرُورِيَّاتُ: جَمْعُ ضَرُورِيٍّ وَالضَّرُورِيَّاتُ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ هِيَ: الْأُمُورُ الَّتِي لاَ بُدَّ مِنْهَا فِي قِيَامِ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، بِحَيْثُ إِذَا فُقِدَتْ لَمْ تَجْرِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا عَلَى اسْتِقَامَةٍ، بَل عَلَى فَسَادٍ وَتَهَارُجٍ، وَفَوْتِ حَيَاةٍ، وَفِي الْأُخْرَى فَوْتُ النَّجَاةِ وَالنَّعِيمِ، وَالرُّجُوعُ بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ (1) وَهِيَ: حِفْظُ الدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالْعَقْل، وَالنَّسَبِ، وَالْمَال، وَهَذَا التَّرْتِيبُ بَيْنَ الضَّرُورِيَّاتِ مِنَ الْعَالِي إِلَى النَّازِل هُوَ مَا جَرَى عَلَيْهِ فِي مُسَلَّمِ الثُّبُوتِ وَشَرْحِهِ (2) . وَهُوَ - أَيْضًا - مَا جَرَى عَلَيْهِ الْغَزَالِيُّ فِي الْمُسْتَصْفَى مَعَ اسْتِبْدَال لَفْظِ النَّسْل بِلَفْظِ النَّسَبِ([5])

---

[1]- الاستذكار(للقرطبي ،ط1، دار الكتب العلمية -بيروت 1421ه) / باب انتظار الصلاة (298/2)

[2]- الأمم المتحدة – الاستدامة www.un.org/ar/122274

[3]- دائرة التنمية الاقتصادية حكومة رأس الخيمة ، النشرة الاقتصادية ، العدد45 ، نوفمبر 2015،ص19

[4]-معجم اللغة العربية المعاصرة(لأحمد مختار ط1، عالم الكتب: القاهرة 2008)1357/2

[5]-الموسوعة الفقهية الكويتية (وزارة الأوقاف -الكويت) 207/28

المبحث الثاني: تخريج ودراسة أحاديث الضروريات الخمس وأهميتها وربطها بالتنمية المستدامة

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: تخريج ودراسة أحاديث حفظ الدين

أولاً: أهمية حفظ الدين

إن المتفحص للقضايا التي يجب مراعاتها للقيام بعملية التنمية المستدامة يجد أن هذه القضايا مأمور بحفظها ومراعاتها في نصوص الشرع وفي المصالح الضرورية بأقسامها الخمسة ،قضايا التنمية المستدامة الهدف منها تحقيق مصالح الإنسان وذلك بحفظ الكليات الخمسة و تثبيت أركانها وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر، والرذيلة والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف.

ومن أجل حفظ الدين شُرع الإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، وسائر الأعمال والأقوال التي تحقق الدين في النفوس والحياة، كالأذكار والقربات والوعظ والإرشاد والنصح وبناء المساجد والمدارس، وتبجيل العلماء والمصلحين والدعاة وغير ذلك(1).

الأحاديث الواردة وسائل حفظ الدين:

أولا : ترسيخ اليقين بأصول الإيمان وأركانه، وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ وقد جاء في حديث جبريل المشهور في تعريف الإيمان: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)[2].

ثانيا : القيام بأصول العبادات، وأركان الإسلام؛ من صلاة وزكاة وصوم وحج، بعد النطق بالشهادتين وقال صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ على خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)(3)

وله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى: (وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ (4)حَتَّى أُحِبَّهُ) (5)

ثالثاً: إيجاب الدعوة إلى الله، وحمايتها، وتوفير أسباب الأمن لحَمَلَتِها؛ ومن الأحاديث الحاثة على الدعوة إلى

---

[1]- كتاب علم المقاصد (للخادمي ط1 ،مكتبة العبيكان 1421،ج1)، أقسام المقاصد الضرورية ، المكتبة الشاملة ص81

[2]- مسلم (هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري 261ه) كتاب الطهارة / باب معرفة الايمان والإسلام (36/1/ح8)

[3]-البخاري(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري 256ه) كتاب الايمان/ باب قول النبي بني الإسلام على خمس (11/1/ح8)ومسلم كتاب الايمان / باب قول النبي .. (45/1/ح21)

4-والأَصْل فِي النَّفْل مَا تطوع بِهِ الْمُعْطِي مِمَّا لَا يجب عَلَيْهِ وَمِنْه قيل لصَلَاة التَّطَوُّع نَافِلَة وَيُقَال تَنْفَلت اذا صليت غير الْفَرْض فَكَأَن الْأَنْفَال شئ خص الله بِهِ الْمُسلمين ان لم يكن لغَيرهم من الْأُمَم السالفة.قريب الحديث لابن قتيبة 229/1

[5]-البخاري كتاب الرقاق/ باب التواضع (8/ 105/ح6502).

الله تعالى، دَّثَنَا مُسَدَّدٌ[1]، حَدَّثَنَا يَحْيَى[2]، عَنْ شُعْبَةَ[3]، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ[4]، مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ[5]، عَنْ أَبِيهِ[6]، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ[7]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» [8]، وما وصَّى به أُمَّته قائلًا: (فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)(9)

رابعاً: تشريع الجهاد؛ تمكينًا للدِّين، ودرءًا للعدوان، وحمايةً للاعتقاد؛وكان يقول صلى الله عليه وسلم كذلك: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) (10)

خامسا:تشريع عقوبة الرِّدَّة؛ حماية لحرمةِ الدِّين وجدية الاعتقاد، وحتى لا يُقدم على الإسلام إلاَّ بعد قناعةٍ تامة، فالإسلام لا يُكرِه أحدًا على اعتناقه، والارتداد قد يكون ذريعةً إلى إدخال الخلل في صفوف المسلمين من أجل ذلك شرِعت عقوبة الرِّدة على لسان النبيِّ صلى الله عليه وسلم حيث قال: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ) (11)

سادساً:محاربة الابتداع في الدِّين، ومقاومة المبتدعين، والبدعة: (هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي[12]) والنبي صلى الله عليه وسلم هوأول مَنْ حارب

---

[1]- مسدد ابن مسرهد ابن مسربل ابن مستورد الأسدي البصري أبو الحسن روى عن فضيل بن عياض ومهدي بن ميمون وروى عنه البخاري ومسلم ثقة حافظ التقريب1(أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ط1، دار الرشيد: سوريا 1406هـ)/528 التهذيب(لابن حجر) 107/10

[2]- يحيى ابن سعيد ابن فروخ بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة التميمي أبو سعيد القطان البصري ثقة متقن حافظ إمام قدوة من كبار التاسعة مات سنة ثمان وتسعين [ومائة] روى عن شعبة وسفيان الثوري وعنه ابته محمد ومسدد التقريب591/1،التهذيب317/11

[3]- شعبة بن الحجاج الحافظ أبو بسطام العتكي أمير المؤمنين في الحديث ثقة ثبت،روى عن عمر بن سليمان العمري وعنه ،الكاشف(محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين، أبو عبد الله الذهبي،ط1، دار القبلة :جدة1413هـ) 485/1 ، التهذيب338/4

[4]- عمر بن سليمان العدوي بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان وعنه شعبة وابن علية ووثقه بن معين والنسائي، الكاشف 62/2 ، التهذيب 458/7

[5]- عبد الرحمن" بن أبان بن عثمان بن عفان الأموي المدني، روى عن أبيه وعنه عمر ابن سليمان قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات،التهذيب 130/6

[6]- "بخ م4- أبان" بن عثمان بن عفان الأموي أبو سعيد ويقال أبو عبد الله. روى عن أبيه وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد, وعنه ابنه عبد الرحمن وعمر بن عبد العزيز وأبو الزناد والزهري ونبيه بن وهب وغيرهم. قال عمرو بن شعيب: "ما رأيت أعلم بحديث ولا فقه منه", وعده يحيى القطان في فقهاء المدينة, وقال العجلي: "ثقة من كبار التابعين"، التهذيب 96/1

[7]-زيد بن ثابتة صحابي ،الحكم على الحديث : صحيح جميع رواته ثقات.

[8]- أبو داود في كتاب العلم / باب فضل نشر العلم (323/3 ح3660)

[9]- البخاري، كتاب الحج / باب الخطبة أيام منى (2/ 176/ح1741)؛ ومسلم كتاب القسامة / باب تغليظ ترحيم الدماء ، (3/ 1306/ح30)

[10]- البخاري كتاب الإيمان / باب (فان تابوا وامنوا ..) (1/ 14/ح25)؛ ومسلم كتاب الإيمان/باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا (1/ 53/ح36).

[11]- البخاري في كتاب استتابة المرتدين / باب حكم المرتد (9/ 15/ح6922).

[12]- التعريفات(للجرجاني ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ) (43/1)

الابتداع في الدِّين بقوله: (خَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ[1] ضَلاَلَةٌ) وفي رواية: (أَحْسَنُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ) .وفي رواية: (مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بها وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) [2]

المطلب الأول: التنمية المستدامة من خلال أحاديث حفظ النفس (الأهمية والتخريج والدراسة)

أولا: أهمية حفظ النفس

إزهاق النفس أو ضررها بأي وسيلة من الوسائل يتنافى مع تعاليم التنمية المستدامة كما يتنافى مع مقاصد الشارع ففي الأمر بحفظ النفس فهو أحد المقاصد الضرورية هدفه تحريم كل ما يضر النفس البشرية أو يتسبب في معاناتها فقد إهتمت الشريعة بحفظ النفس وذلك بتحريم الاعتداء عليها لان حق الحياة في الإسلام هبة من الله عز وجل لا يجوز المساس به فيجب على كل راعي رعاية الأنفس وصيانتها وتوفير البيئة الصحية الامنة الملائمة لها وقد حفظ الشرع النفوس من جانبين الوجود والعدم .

أوَّلًا: وسائل المحافظة على النَّفس من "جانب الوجود"

1- الحث على التَّكاثر والتَّناسل: وإيجاد النفوس لِتَعْمُرَ العالَم، وتُشَكِّل بذرة الحياة الإنسانية في الجيل الخالف، فشُرِع الزواج على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ[3]، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ[4]، أَخْبَرَنَا مُسْتَلِمُ بْنُ سَعِيدٍ [5]ابْنَ أُخْتِ مَنْصُورِ بْنِ زَاذَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ [6]يَعْنِي ابْنَ زَاذَانَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ[7]، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ[8]، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ

---

[1]-البِدْعة: كلّ مُحْدَثة. وَيُقَال: سِقَاء بَدِيع أَي جَدِيد. وَكَذَلِكَ زِمام بديع. وأفادني المنذريّ لأبي عُمَر الدُوريّ عَن الْكسَائي أَنه قَالَ: البِدْع فِي الشرّ وَالْخَيْر.تهذيب اللغة للهروي 142/2

[2]- البخاري كتاب الاعتصام /باب الاقتداء بسنن رسول الله (92/9 ح7277) ، مسلم كتاب الجمعة / باب تخفيف الصلاة (592/2 ح43)

[3]- م د ت ق - أحمد" بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النكري البغدادي أبو عبد الله, روى عن حفص بن غياث وجرير وهشيم ويزيد بن هارون, روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي ثقة حافظ من العاشرة مات سنة ست وأربعين التقريب 77/1،التهذيب10/1

[4]- زيد ابن هارون ابن زاذان السلمي مولاهم أبو خالد الواسطي ثقة متقن عابد من التاسعة مات سنة ست ومائتين التقريب 606/1

[5]- مستلم بن سعيد الثقفي الواسطي (1) ، ابن أخت منصور بن زاذان روى عن خاله منصور وروى عنه يزيد بن منصور ، صدوق عابد ربما وهم من التاسعة 4 ، تهذيب الكمال (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي المزي 742هـ ،ط1 ، دار الرسالة العالمية 1425هـ) 429/27 التقريب 527/1

[6]- نصور" بن زاذان2 الواسطي أبو المغيرة الثقفي مولاهم روى عن ميمون بن أبي شبيب ومعاوية بن قرة وعنه مستلم بن سعيد قال عبد الله بن أحمد عن أبيه شيخ ثقة وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائي ثقة وقال العجلي رجل صالح متعبد كان ثقة ثبتا، التهذيب 306/10

[7]- معاوية" بن قرة بن إياس بن هلال بن رياب المزني أبو إياس البصري روى عن أبيه ومعقل بن يسار المزني وأبي أيوب الأنصاري وعدة روى عنه ابنه إياس وابن ابنه المستنير بن أخضر وسيعد بن منصور قال معين ثقة وكذا قال العجلي والنسائي وأبو حاتم وقال بن سعد كان ثقة ، التهذيب 216/10

[8]-صحابي

امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا، قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ» ([1])

([2])وقد نوَّه الإسلامُ بالعلاقة المُقدسة بين الزوجين واعتبرها آيةً من آيات الله، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ([3])

2- بيان الحلال والحرام :

فعند استقراءِ الأحكام الشرعية وفحْصِها نجد أنها جميعها شُرِعتْ لتحقيق مصلحة الإنسان، إما بجلب النفع له،وإما بدفع الضُّر عنه. العقول ليست لها صلاحيةُ الاستقلال بإدراك المصالح، ولا بتقدير المنافع والمَضار؛ لذا ليس للإنسان أن يُحرّمَ شيئًا ولا يُحِلَّه إلاَّ اعتمادًا على أحكام الشرع وقواعده، حدّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ صَبِيحٍ([4])، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ([5])، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ شَرِيكٍ الْمَكِّيَّ([6])، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ([7])، عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ([8])، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ([9])، قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَ أَشْيَاءَ وَيَتْرُكُونَ أَشْيَاءَ تَقَذُّرًا،» فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، فَمَا أَحَلَّ [ص:355] فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ ([10])فقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ([11]) لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ

---

[1]-الحكم على الحديث : حسن فيه مستلم بن سعيد صدوق.

[2]- أبو داود كتاب النكاح / باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (220/2 ح2050)

[3]-[الروم: 21].

[4]- محمد بن داود بن صبيح (1) ، أبو جعفر المصيصي روى عن أبي نعيم الفضل بن دكين وروى عنه أبو داود السجستاني، تهذيب الكمال للمزي 175/25/ح5203 قال النسائي لا بأس به وقال ابن حجر ثقة فاضل ، التهذيب لابن حجر 154/9/ح225

[5]- الفضل" بن دكين وهو لقب واسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي مولى آل طلحة أبو نعيم

[6]- محمد بن شريك المكي (1) ، كنيته أبو عثمان.

روى عن: حميد بن قيس المكي، وسليمان الأحول وعنه الفضل بن دكين ، قال أحمد وابن معين وأبو زرعة ثقة ، تهذيب الكمال 369/25 ، التهذيب 221/9

[7]-عَمْرو بن دِينَار الجُمَحِي مَوْلَاهُم أَبُو مُحَمَّد الْمَكِّيّ الْأَثْرَم أحد الْأَعْلَام عَن العبادلة وكريب وَمُجاهد وأبي الشعثاء وَخلق وَعنهُ قَتَادَة وَأَيوب وَخلق قَالَ ابْن الْمَدِينِيّ لَهُ خَمْسمِائَة حَدِيث قَالَ مسعر كَانَ ثِقَة ثِقَة ثِقَة قَالَ الْوَاقِدِيّ مَاتَ سنة (8) خمس عشرَة وَمِائَة ،خلاصة التذهيب (أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي، صفي الدين923هـ، المطبعة الكبرى الميرية ببولاق :القاهرة 1301ه)288/1

[8]-جابر" بن زيد الأزدي اليحمدي أبو الشعثاء الجوفي1 البصري روى عن بن عباس وابن عمر وعنه قتادة وعمرو بن دينار ويعلى بن مسلم وقال بن معين وأبو زرعة ثقة قال البخاري وغيره مات سنة "93" ، التهذيب 38/2

[9]-ابن عباس : صحابي، الحكم على الحديث : صحيح جميع رجاله ثقات.

[10]- أبو داود (هو :سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني 275ه)كتاب الأطعمة/ باب ما لم يذكر تحريمه (3/ 354/ح3800) .

[11]-الشُّبْهَةُ) الِالْتِبَاسُ. وَ (الْمُشْتَبِهَاتُ) مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتُ،مختار الصحاح للرازي 161/1

وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ)([1]).

ثانيًا: وسائل المحافظة على النَّفس من "جانب العدم:"

وجَب المحافظة على كرامة الآدمي بمنع القذف والسَّب، ومما جاء فيه، قوله صلى الله عليه وسلم: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللِّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ)([2]) وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا)([3]).

حرَّم الإسلام قتلَ النفس سواء قَتَل الإنسانُ نفسَه أو غيرَه، وفي ذلك يقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، والمُفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)([4])، والوعيد الأخروي يشمل قتل الإنسان نفسَه؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ عُذِّبَ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ)([5]) وقال النبي صلى الله عليه وسلم - فيمَنْ قتل معاهَدًا: (مَن قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)([6])

إعلان الجهاد؛ حِفظًا للنفوس، وحماية للمستضعفين؛ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: (خَرَجَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى الْخَنْدَقِ، فإذا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ في غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فلم يَكُنْ لهم عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذلك لَهُم، فَلَمَّا رَأَى ما بِهِمْ من النَّصَبِ وَالْجُوعِ قال: اللهم إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخرة فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ والمهاجرة.فَقَالُوا مُجِيبِينَ له: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا على الْجِهَادِ ما بَقِينَا أَبَدًا([7])

شُرِعَ للإنسان أن يُدافع عن نفسه إذا هاجمه مَنْ يُريد الاعتداء عليه، دون تحمُّل أيَّة مسؤولية إذا مات المُهاجم، أو أصابه أذى، وثبت أنه كان يريد الاعتداء عليه؛ ويدل عليه:في رواية: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ) ([8]).

---

[1]- البخاري،كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه (1/ 20/ح52)؛ ومسلم كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات واللفظ له، (3/ 1219/ح1599

[2]- البخاري كتاب الأدب المفرد / باب ليس المؤمن بالطعان (1/ 116)، (ح312).

[3]- البخاري، في كتاب المغازي/ باب حجة الوداع (5/ 176/ح4403)

[4]- البخاري كتاب الديات / باب قوله تعالى أن النفس بالنفس (9/ 5)، (ح6878).

[5]- البخاري كتاب / باب شرب السم والدواء به (7/ 139/ح5778).

[6]- البخاري كتاب الجزية / باب إثم من قتل معاهدا (4/ 99/ح3166).

[7]- البخاري كتاب الجهاد / باب التحريض على القتال (4/ 25/ح2834).

[8]- الترمذي(و الإمام الحافظ: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك التِّرمِذي. 270هـ)، أبواب الديات /باب من قتل دون ماله (4/ 30)، (ح1485)

المطلب الثاني: التنمية المستدامة من خلال أحاديث حفظ العقل (الأهمية والتخريج والدراسة)

- **أهمية حفظ العقل:**

للعقل في الإسلام أهمية كبرى فهو مناط المسؤولية، وبه كرم الإنسان وفضل على سائر المخلوقات، وتهيأ للقيام بالخلافة في الأرض وحمل الأمانة من عند الله، قال تعالى} :إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ {ولهذه الأهمية الخاصة حافظ الإسلام على العقل وسن من التشريعات ما يضمن سلامته وحيويته ([1]):

ثانياً: وسائل حفظ العقل

1-الدعوة الى العلم والتعلم ، فالتعليم من أهم وسائل حفظ العقل ([2]) ومن النصوص الدالة على فضل العلم قوله تعالى (قل هل يستوي ...) ([3]) وقوله (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين ..) ([4]) وقد حث على الاستزادة من العلم في قوله (وفل ربي زدني علما) ([5]) لذا اصبح المسلمون حريصون على العلم منذ عهد النبي صلى الله عليهم وسلم الى يومنا هذا ونسبةً لقيمة التعليم وأثره في تقويم العقول وتعلم العلم له فضل عظيم في قوله صلى الله عليه وسلم : حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ([6]) قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ([7])، عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ([8])، عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ([9])، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ([10])، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ([11]) فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

---

[1]- كتاب مقاصد الشريعة ص19

[2]-كتاب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص351

[3]-سورة الزمر :9

[4]- سورة المجادلة :11

[5]- سورة طه : 114

[6]- نصر بن علي بن نصر بن علي الكبير الجهضمي أبو عمرو الحافظ عن معمر والداروردي وعنه الجماعة والنسائي بواسطة أيضا وابن خزيمة قال أبو حاتم هو أوثق من الفلاس وأحفظ ، الكاشف 319/2

[7]-عبد الله" بن داود بن عامر بن الربيع الهمداني روى عن إسماعيل بن أبي خالد وسلمة بن نبيط وعنه الحسن بن صالح بن حي ونصر بن علي الجهضمي عبد الله ابن داود ابن عامر الهمداني أبو عبد الرحمن الخريبي بمعجمة وموحدة مصغرا كوفي الأصل ثقة عابد من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة وله سبع وثمانون سنة، التهذيب199/5 ، التقريب301/1

[8]- عاصم" بن رجاء بن حيوة الكندي الفلسطيني ويقال الأزدي روى عن أبيه وداود بن جميل وعنه إسماعيل بن عياش وعثمان بن فائد وعبد الله بن داود الخريبي عاصم ابن رجاء ابن حيوة الكندي الفلسطيني صدوق يهم من الثامنة التهذيب 41/5 ،التقريب285/1

[9]-داود بن جميل وقيل الوليد بن جميل عن كثير بن قيس وعنه عاصم بن رجاء مُضْطَرب وَثَّقَهُ ابْن حبَان ، خلاصة التذهيب109/1 ، الكاشف 378/1

[10]-" كثير " بن قيس الشامي عن أبي الدرداء وعنه داود بن جميل ،ضعيف من الثالثة، لسان الميزان (لابن حجر852هـ ، دار البشائر : بيروت 2002م)345/7 التقريب460/1

[11]-أبو الدرداء : صحابي ، الحكم على الحديث : ضعيف لان فيه كثير بن قيس فال بن حجر ضعيف.

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»([1])

وقد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم التعليم؛ محافظةً على العقول؛ لأنه لا قيمةَ لعقل جاهل يكون عُرضةً لكلِّ ما يخطر عليه من الأوهام والخرافات، فمثل هذا العقل لا يُدرك المصالح الدُّنيوية فضلاً عن الحقائق الدِّينية، فيصير فريسةً للبدع، والخرافات، والانحرافات الفِكرية، وربَّما يصل به الحال إلى الشرك بالله تعالى من حيث لا يعلم؛ بسبب جهله ([2])ومما لا شك فيه أن التعليم يعد من أبرز دعائم التنمية المستدامة وهدف من أهدافها.

ثانياً: وسائل حفظ العقل

2-أنه حرم كل ما من شأنه أن يؤثر على العقل ويضر به أو يعطل طاقته كالخمر والحشيش وغيرها قال تعالى} :يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،)([3])

تحريم المُسكراتِ والمخدِّرات، وتحريم كلِّ ما من شأنه أنْ يؤثِّرَ على العقل، ويَضُرَّ به، أو يُعَطِّلَ طاقتَه؛ كالخمر والحشيش وغيرِها، قال النووي: (وأمَّا الخمر فقد أجمع المسلمون: على تحريم شُرب الخمر، وأجمعوا: على وجوب الحدِّ على شاربها، سواءٌ شَرِبَ قليلاً أو كثيراً)([4]) وقال صلى الله عليه وسلم: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ([5])، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ([6])، عَنْ دَاوُدَ بْنِ بَكْرِ بْنِ أَبِي الْفُرَاتِ([7])، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ([8])، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»([1])

---

[1]- ابن ماجه(أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي (بالولاء) القزويني (209 هـ - 824م) في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة / باب فضل العلماء (81/1/ح223)

[2]- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، (ص366).

[3]- (سورة المائدة : 90)

[4]- شرح النووي على صحيح مسلم(بو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ط3 ،دار احياء التراث -بيروت 1392هـ، .(217 /11)

[5]- قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف (1) بن عبد الله الثقفي، أبو رجاء البلخي روى عن: إبراهيم بن سعيد المدني وإسماعيل بن جعفر روى عنه: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وأحمد بن حنبل، ثقة ثبت من العاشرة مات سنة أربعين عن تسعين سنة ،تهذيب الكمال 523/23 التقريب454/1

[6]- إسماعيل" بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم أبو إسحاق القاري. روى عن أبي طوالة وعبد الله بن دينار وعنه أبو معمر الهذلي وقتيبة بن زنبور، قال أحمد وأبو زرعة والنسائي: "ثقة" قال بن حجر ثقة ثبت من الثامنة مات سنة ثمانين ، التهذيب 287/1 ، التقريب106/1

[7]- داود بن بكر بن أبي الفرات الاشجعي (4) . مولاهم، المدني روى عن: زياد الجصاص، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر (د ت ق) وموسى بن عقبة، ويزيد بن خصيفة.روى عنه: إسماعيل بن جعفر، صدوق من السابعة، تهذيب الكمال 376/8 التقريب198/1

[8]- محمد" بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير1 بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة التيمي أبو عبد الله ويقال أبو بكر أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه وعمه ربيعة وله صحبة ، التهذيب 473/9

والأحاديث في ذلك كثيرة ومتوافرة، ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: («كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ» [2] وقوله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مَا أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهُوَ حَرَامٌ)[3]من المعروف أن الإنسان المدمن على الخمور لا يمكنه أن يشارك في الإنتاج وبرامج التنمية المستدامة بالشكل المناسب [4]قال النووي: (فيه تصريحٌ بتحريم جميع الأنبذة المُسكرة، وأنها كلَّها تُسمَّى خمراً، وسواء في ذلك الفضيخ[5] ، ونبيذ التمر، والرطب والبسر، والزبيب، والشعير، والذرة، والعسل، وغيرها، وكلُّها مُحرَّمة، وتُسمَّى خمراً، هذا مذهبنا، وبه قال مالكٌ وأحمدُ والجماهيرُ من السلف والخلف[6].

كما شرع العقوبة الرادعة على تناول المسكرات وذلك لخطورتها وأثرها البالغ الضرر على الفرد والمجتمع,وذلك يسبب يعطل برامج التنمية المستدامة .

3-أن الله ربى العقل على روح الاستقلال في الفهم والنظر واتباع البرهان ونبذ التقليد غير القائم على الحجة كما في قوله تعالى} :أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ {، }وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ {، }قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. { وقوله صلى الله عليه وسلم: حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ البَغْدَادِيُّ [7]قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ[8] قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ الجُمَحِيُّ[9]، عَنْ عَبْدِ

جابر بن عبدالله : صحابي ، الحكم على الحديث خسن فيه داود بن بكر صدوق.

[1]-أبو داود كتاب الأشربة /باب النهي عن المسكر(327/3 ح3681

[2]- مسلم كتاب الأشربة /باب بيان أن كل مسكر خمر (3/ 1587)، (ح2003)

[3]- مسلم كتاب الأشربة /باب بيان أن كل مسكر خمر (3/ 1586)، (ح1733)

[4]-إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة ،سالم ص 18

[5]- الفضيخ :شرابٌ يُتَّخذ من البسر المفضوخ: أي المشدوخ. انظر: النهاية(المبارك بن محمد الجزري بن الاثير مجد الدين أبو السعادات 1233م،ط1 ،دار بن الجوزي: المملكة ،الدمام 1421ه)، .(453 /3)

[6]- شرح النووي على صحيح مسلم، .(148 /13)

[7]-محمد ابن سهل ابن عسكر التميمي مولاهم أبو بكر البخاري نزيل بغداد ثقة من الحادية عشرة مات سنة إحدى وخمسين ،روى عن عثمان بن عمر بن فارس وعنه مسلم والترمذي والنسائي، التهذيب207/9 ، التقريب482/1.

[8]- محمد" بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي وروى عن فطر بن خليفة ونافع مولى بن عمر روى عنه البخاري واسحاق الكوسج ، ثقة فاضل من التاسعة مات سنة اثنتي عشرة ، التهذيب 435/9 ، التقريب515/1

[9]- - نَافِعُ بنُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ جَمِيْلٍ الجُمَحِيُّ * (ع)

، الحَافِظُ، الإِمَامُ، الثَّبْتُ، الجُمَحِيُّ، المَكِّيُّ.حَدَّثَ عَنِ: ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ صَفْوَانَ الجُمَحِيّ وَى عَنْهُ: ابْنُ المُبَارَكِ وَمُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ الفِرْيَابِيُّ ، سير أعلام النبلاء (شمس الدين محمد أحمد عثمان الذهبي 423/7

اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ[1]، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[2]، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى أَنَّ اليَمِينَ عَلَى المُدَّعَى عَلَيْهِ» أَنَّ البَيِّنَةَ عَلَى المُدَّعِي، وَاليَمِينَ عَلَى المُدَّعَى عَلَيْهِ[3]

وقوله عليه الصلاة والسلام) :«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[4] (الحن الميل عن جهة الاستقامة يقال لحن فلان في كلامه إذا مال عن صحيح المنطق! وأراد أن بعضكم يكون أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره)[5] [6]

٤ -كما دعا إلى تنمية العقل ماديا ومعنويا :ماديا بالغذاء الجيد الذي يقوي الجسم وينشط الذهن، ومن هنا كره للقاضي أن يقضي وهو جائع، وفضل تقديم الطعام على الصلاة إذا حضرا معا)) «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ [7]، ولما كانت الصحة والعافية من أجلّ نِعَم الله على عباده، وأجزل عطاياه، وأوفر مِنَحِه، بل العافية المطلقة من أجلّ النعم على الإطلاق، فحقيقٌ على من رُزِقَ حظًّا من التوفيق مراعاتها، وحفظها، وحمايتها مما يضادها؛ وقد صح عن النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- من حديث ابن عباس قوله: ((نعمتان مغبونٌ [8]فيها كثيرٌ من الناس: الصحة، والفراغ)[9] وقال- صلَّى الله عليه وسلَّم-: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ، وَمَحْمُودُ بْنُ خِدَاشٍ البَغْدَادِيُّ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي شُمَيْلَةَ الأَنْصَارِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا[10]

. أما معنويا فبالتأكيد على طلب العلم واعتباره أساس الإيمان، كما سبق آنفاً.

٥ -رفع مكانة العقل وتكريم أولي العقول ففي أكثر من آية من القرآن الكريم، قال الله تعالى} :فَبَشِّرْ عِبَادِي} {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ {، }إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ {، }قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

---

[1]- بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُبَيْدِ اللهِ * (ع)ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ زُهَيْرِ الإِمَامُ، الحُجَّةُ، الحَافِظُ، أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَ عَنْ: عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ حدَّثَ عَنْهُ: رَفِيْقُهُ؛ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ وَنَافِعُ بنُ عُمَرَ الجُمَحِيُّ ، سير اعلام النبلاء 88/5

[2]-ابن عباس : صحابي ، الحكم على الحديث : صحيح جميع رجاله ثقات.

[3]-الترمذي كتاب أبواب الأحكام /باب البينة على المدعى (618/3 /ح1342)

[4]-البخاري كتاب الحيل / باب اذا غصب جارية فزعم أنها ماتت (25/9/ح6967)

[5]-مسند الشافعي (هو: محمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع)كتاب الطب / باب كتاب الأحكام (178/2/ح626)

6- كتاب الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية (لأبو حامد الغزالي ، ط1،دار الارقم 1418ه) ص352

[7]- مسلم كتاب القدر / باب في الأمر بالقوة (2053/4/ح34)

8-غَبْنَة: حرد، كدر، غيظ إزعاج، غمّ، ضجر. سأم (بوشر).غَبْنَة: خصومة عابرة، تنافر، خلاف، غبينة: ألم، أسف ،غْبُون: مُغْضب، غضبان، حانق، مغتاظ،تكملة اللغة رينهارت بيتر383/7

[9]- البخاري كتاب الرقاق / باب لا عيش إلا عيش الآخرة (88/8 /ح6412)

[10]- الترمذي كتاب الزهد /باب في التوكل على الله (153/4 /ح2346)

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ{ وقوله صلى الله فيما يرويه ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشجّ عبد القيس" :[1]إنّ فيك خصلتين يحبّهما الله: الحلم والأناة .[2]"والحلم يُطلق ويُراد به العقل، قال الإمام النووي: "الحلم هو العقل، وأمّا الأناة فهي التثبّت وترك العجلة.[3]" قوله صلى الله عليه وسلم: "حدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ[4]، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ[5]، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ[6]، عَنْ حَمَّادٍ[7]، عَنْ إِبْرَاهِيم [8]، عَنِ الْأَسْوَدِ[9]، عَنْ عَائِشَةَ[10] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ [ص:140] رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ .[11]"فقلم التكليف ـ كما هو معلوم ـ مرفوع عن المجنون حتى يعقل، لأنّ العقل هو مناط التكليف،، والعقل هو القادر على تفهّم الوحي الإلهي وتدبّره والتفكر فيه، وهو الذي يبحث عن مراد الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه...

٦ -تحرير العقل من سلطان الخرافة وإطلاقه من إسار الأوهام، ومن هنا حرم الإسلام السحر والكهانة والشعوذة وغيرها من أساليب الدجل والخرافة. كما أنه منع على العقل الخوض في الغيبيات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء، واعتبر ذلك مسببا في هدر طاقته من غير طائل قال تعالى} :إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ

- [1] واسمه المنذر بن عائذ العصري وقيل: غير ذلك. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي 189/1.

- [2]مسلم كتاب الإيمان /باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله (48/1 /ح25)

- 3شرح النووي 189/1.

[4]- عُثْمَانُ بنُ أَبِي شَيْبَةَ إِبْرَاهِيْمَ بنِ عُثْمَانَ العَبْسِيُّ * (خَ، م، د، ق)

هُوَ: الإِمَامُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، المُفَسِّرُ صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ حَدَّثَ عَنْ: شَرِيْكٍ وَيَزِيْدَ بنِ هَارُوْنَ، وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ، قة حافظ شهير وله أوهام وقيل كان لا يحفظ القرآن من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين وله ثلاث وثمانون سنة خ م د س ق ، سير اعلام النبلاء 151/11، التقريب386/1

[5]- يزيد" بن هارون بن وادي ويقال زاذان بن ثابت السلمي أحد الاعلام الحفاظ المشاهير قيل أصله بن بخاري روى عن سليمان التيمي والحمادين وخلق عنه بقية بن الوليد وابنا أبي شيبة ثقة متقن عابد من التاسعة مات سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين ع

، التهذيب 310/11، التقريب606/1

[6]- حماد" بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مولى تميم ويقال مولى قريش وقيل غير ذلك روى عن ثابت البناني وقتادة وخلق كثير من التابعين فمن بعدهم. وعنه ابن جريج والثوري ،ثقه عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخرة من كبار الثامنة مات سنة سبع وستين خت م 4 ، التهذيب 10/3، التقريب 178/1.

[7]- حماد" بن أبي سليمان مسلم الأشعري1 مولاهم أبو إسماعيل الكوفي الفقيه روى عن أنس وزيد بن وهب وإبراهيم النخعي وعنه سفيان وشعبة و حماد يعني ابن سلمة صدوق له أوهام من الخامسة ورمي بالإرجاء مات سنة عشرين أو قبلها بخ م 4

، التهذيب 16/3 ، التقريب178/1

[8]- إبراهيم" بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي روى عن خاليه الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد روى عنه الأعمش وحماد بن أبي سليمان ثقة إلا أنه يرسل كثيرا من الخامسة مات [دون المائة] سنة ست وتسعين وهو ابن خمسين أونحوها ع ، التهذيب 186/1 ، التقريب95/1

[9]- أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد بن قيس النخعى وروى عن علي، وعائشة روى عنه ابنه عبد الرحمن بن الأسود، وخاله وإبراهيم النخعى، وآخرون.قال أحمد بن حنبل: هو ثقة، من أهل الخير. واتفقوا على توثيقه وجلالته ،تهذيب الأسماء واللغات 122/1

[10]- عائشة أم المؤمنين صحابية جليلة ، الحكم على الحديث :حسن فيه حماد بن سلمى صدوق له أوهام.

- [11]أبو داود كتاب الحدود /باب المجنون يسرق (138/4 /ح4398)

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ([1]) قال صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»([2]) و قَالَ: " اجْتَنِبُوا المُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ "([3]) وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ "([4]) لا شك الاستسلام لوسوسة الشيطان وللأفكار السيئة تفسد على المسلم تفكيره وبذلك يفقد المجتمع مسلما عاقلا كان بالإمكان الاستفادة منه في تنمية المجتمع تنمية مستدامة

4- المطلب الرابع: التنمية المستدامة من خلال أحاديث حفظ النسل (الأهمية والتخريج والدراسة)

1-شريعة الزواج :فقد شرع الإسلام الزواج ورغب فيه واعتبره الطريق الفطري النظيف الذي يلتقي فيه الرجل بالمرأة لا بدوافع غريزية محضة ولكن بالإضافة إلى تلك الدوافع، يلتقيان من أجل تحقيق هدف سام نبيل هو حفظ النوع الإنساني وابتغاء الذرية الصالحة التي تعمر العالم وتبني الحياة الإنسانية وتتسلم أعباء الخلافة في الأرض لتسلمها إلى من يخلف بعدها حتى يستمر العطاء الإنساني وتزدهر الحضارة الإنسانية في ظل المبادئ النبيلة والقيم الفاضلة) قال تعالى: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ *فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً* ([5])قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يا مَعْشَرَ الشَّبَاب! مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ.([6]) نيل محبة النبي صلى الله عليه وسلم في تكثير أُمَّته من بين الأمم؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: (تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ)([7]).

٢ -العناية بتربية النشء وتعميق روابط الألفة :إلزام الأبوين برعاية أولادهما والإنفاق عليهم حتى يتحقق للأولاد الاستغناء عن نفقة الأبوين قال رسول الله (أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دابَّتِهِ في سبيلِ اللَّه، ودِينَارٌ يُنْفِقُهُ علَى أَصْحابه في سبِيلِ اللَّهِ) ([8]) وقال الرَّسولُ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ -: ((حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ»([9]).

---

[1]-مقاصد الشريعة ص19-21

[2]مسلم كتاب السلام/ باب تحريم الكهانة 1751/4/ح125

[3] البخاري كتاب المرض / باب السحر 137/7/ح 5764

[4]-البخاري كتاب بدء الخلق / باب صفة ابليس وجنوده 123/4ح3276

[5]- النساء:3

[6]- البخاري كتاب النكاح / باب من لم يستطع الباءة (3/7 /ح5066)

[7]- سبق تخريجه ص

[8]- مسلم كتاب الزكاة / باب فضل النفقة على العيال (691/2/ح38)

[9]- ابن ماجه كتاب الأدب /باب بر الوالد والإحسان الى البنات (1112/2/ح3671)

(كُلُّكم رَاعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، والرَّجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، والمرأةُ راعيةٌ في بَيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتِها)رو الانتفاع بدعاء الولد الصالح بعده؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ؛ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[5].

٣ -العناية بالأسرة وإقامتها على أسس سليمة باعتبارها الحصن الذي يحتضن جيل المستقبل ويتربى فيه، فقد جعل الإسلام علاقة الزواج قائمة على الاختيار الحر والتراضي بين الطرفين، وعلى الانسجام والتشاور في كافة الشؤون بحيث تشيع روح المودة والتفاهم، وسعي كل من الزوجين في سعادة الآخر، قال تعالى} :وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً{ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك"

٤-عزز الاسلام العلاقات الاجتماعية الهامة لتحقيق مبدأ التنمية المستدامة من خلال الحث على صلة الرحم والنهي عن قطيعتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله) وحث على بر الوالدين وعدم عقوقهما وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) يقول رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال :الصلاة على وقتها، وقال: قلت: ثم أي؟ قال :بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال :الجهاد في سبيل الله[1] .متفق عليه. كل لك يحافظ على اللحمة العائلية التي تنشأ جيل صالح وتكوين مجتمع صالح يساعد في الاعمال التنموية والتنمية المستدامة

٥ -تحريم الاعتداء على الأعراض، ولذا حرم الله الزنا كما حرم القذف، جريمة الزّنا لا يقوم عليها المؤمن إلاَّ في حالة ضعفٍ شديدٍ في الإيمان؛ كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...) قال النووي - رحمه الله: (هذا الحديث مما اختلف العلماءُ في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المُحقِّقون: أنَّ معناه: لا يفعل هذه المعاصي، وهو كاملُ الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تُطلق على نفيِ الشيء، ويراد نفيُ كمالِه) ([1])

وحدد لكل منها عقوبة رادعة قال تعالى} :الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ {، }وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا{ قوله صلى الله عليه وسلم: (خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قد جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً: الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، جَلْدُ مِائَةٍ، وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ، جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ).

[1]- شرح النووي على صحيح مسلم، .(2/ 41)

5- المطلب الخامس: التنمية المستدامة من خلال أحاديث حفظ المال (الأهمية والتخريج والدراسة)

حفظ المال :

كما هو شأن الإسلام دائمًا مع النزعات الفطرية للإنسان حيث يُبيح إشباعَها، ويُلبّي مَطالبَها ضِمن الحدود المعقولة، مع التهذيب والترشيد حتى تستقيم حياته، ويتحقَّق الخيرُ له، ويبتعد عن الشر، فعتَبَر الإسلامُ المالَ ضرورةً من ضروريات حياة الإنسان، لا غِنى له عنها، في قُوتِه، ولِباسِه، ومسكَنِه؛ فبالمال يُشبِعُ حاجاته الضَّرورية وغيرها، ومن أجل ذلك شَرَع من التشريعات والتوجيهات ما يُشجِّع على اكتسابه وتحصيله، ويَكفل صِيانتَه وحِفظَه وتنميتَه.وقد حرصت السنة النبوية على المال وما في معناه أشدَّ الحرص، حتى جعلت حمايتَه وحفظَه وصيانتَه من مقاصدها العليا وأهدافها الأساسية، وذلك لما للمال من أهمية في حياة الفرد والمجتمع، وهدف أساسي من اهداف التنمية المستدامة

وسائل حفظ المال :

الحثُّ على السعي لكسب الرِّزق، وتحصيل المعاش، فقد اهتمَّ الإسلام بالعمل وحثَّ عليه في تحصيل المعاش، وتحقيق مصالح الدنيا والآخرة، وحث كذلك على كسب الأموال باعتبارها قوام الحياة الإنسانية، قال تعالى :﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ [1]وقوله سبحانه :﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾[2]وقوله صلى الله عليه وسلم) :لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ.(قوله صلى الله عليه وسلم) :مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ؛ فَهُوَ صَدَقَةٌ)

2- حث الإسلام على الكسب بالطرق المشروع التجارة وشجع على الابتكار والابداع في مجال الأعمال)أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى).

البخاري(1970) يل يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال":عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ.[5]"

وشجع على الوقف قال : حبس الأصل وسبل الثمرة) وشرع الزكاة فقال أعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنياءهم فترد في فقرائهم) وأوجب الله التوراث وجعل قسمة التركات من عنده قطعا لأسباب الخلاف قال تعالى .. والحديث ومنع الإسلام الوصية بأكثر من الثلث الحديث

3- حث الإسلام على الزراعة الى قيام الساعة لما في الزراعة من الفوائد الكبيرة للفرد والمجتمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وأيضا شجع على احياء الموات.شْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَضَى: أَنَّ الأَرْضَ أَرْضُ اللَّهِ، وَالْعِبَادَ عِبَادُ اللَّهِ، وَمَنْ أَحْيَا مَوَاتًا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ

ضَبَطَ التَّصرف في المال بحدود المصلحة العامة، ومن ثم حرَّم اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضر بالآخرين، وتخل بالتوازن الاجتماعي، وبكلِّ ما من شأنه يضر بمصالح الناس الدنيوية والأخروية؛

---

[1]-[المُلك: 15]

[2]- {الجمعة: 10}

ولذا منع التعامل بالربا بأنواعه، ومنع المَيسر بأنواعه، ومنع الرِّشوة بأنواعه، ومن ذلك ما جاء عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال) :لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي .(وفي روايةٍ) :لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي)

حرَّم الاعتداءَ على مال الغير؛ بالسرقة، أو السطو، أو التحايل؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم) :كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)

مَنَعَ إنفاقَ المال في الوجوه غير المشروعة، وحثَّ على إنفاقه في سبل الخير، وذلك مبني على قاعدة من أهم قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي وهي أن المال مال الله، وأنَّ الفرد مُستخلَف فيه، ووكيل؛ كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ ([1])وقال سبحانه:﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ ([2])ولا يجوز له أن يبذر في غير طائل، قال تعالى :﴿ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ ([3])

مَنْع اكتناز الأموال :مَنَعَ الإسلامُ من اكتناز الأموال وتجميدها؛ لأنَّه يؤدِّي إلى إفساد التوازن المالي والتجاري والاقتصادي عامة، ويفسد معه التوازن الاجتماعي، ويجرُّ إلى مُحرَّمات ومحظورات،ويعطل التنمية المستدامة وقد ورد تحريم اكتناز الأموال في الكتاب والسنة؛ كما في قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ولاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾([4]). ولا ريب أنه وعيدٌ شديدٌ ومُروِّع للكانزين.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم) :مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهُ؛ إِلاَّ أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ (قال الطبري - رحمه الله) :الكنز في كلام العرب: كلُّ شيءٍ مجموعٌ بعضُه على بعض، في بطنِ الأرض كان، أو على ظهرِها([5]) .وقال النووي - رحمه الله) :واختلف السَّلف في المراد بالكنز المذكور، في القرآن والحديث؛ فقال أكثرهم: هو كلُّ مالٍ وجَبَتْ فيه الزكاة، فلم تُؤَدَّ، فأمَّا مالٌ أُخْرِجَت زكاتُه فليس بكنز.((6))

مَنْع التعامل بالرِّبا :من وسائل التشريع الإسلامي لتحقيق مقصد حفظ المال وتشجيع التنمية المستدامة تحريم التعامل بالرِّبا؛ لأنه يقتل مشاعر الشَّفقة والرحمة في قلب المُرابي؛ لأنه جعل نُصبَ عينيه تحصيل الأموال الطائلة، ولو أدَّى به الحال إلى قطع التَّواد والتَّراحم والإخاء والإيثار المأمور به شرعًا، وجاء تحريم

---

[1]-[الحديد: 7]،

[2]-[النور: 33].

[3]-]الإسراء: 26، 27.[

[4]-[التوبة: 34، 35]

[5]- تفسير الطبري (أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ، دار التربية والتراث - مكة المكرمة).(10/ 121)

[6]- شرح النووي على صحيح مسلم، .(7/ 68)

الرِّبا صريحًا؛ كما في قوله تعالى :﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: 275]، وعن جَابِرٍ - رضي الله عنه - قال) :لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ([1]) .قال النووي - رحمه الله) :هذا تصريحٌ بتحريم كتابة المُبايعةِ بين المُترابيين، والشَّهادةِ عليهما، وفيه تحريم الإعانة على الباطل([2]) .وحُرمة الرِّبا مُجمع عليها عند جميع العلماء، وإن اختلفوا فيما بينهم في حقيقته، أو عِلَّته، أو في جزئياته، وهو راجع إلى الاختلاف فيما ينطبق عليه النَّص المُحرَّم من الكتاب والسنة([3])

منْع الاحتكار :ربما يترك الناس التعامل بالربا، ويتَّجهون إلى ميادين الإنتاج المختلفة؛ في الزارعة والصناعة والتجارة، ولكن قد يجنح البعض منهم إلى حَبْسِ هذه المحاصيل أو السِّلع أو المصنوعات ومَنْعِها عن الأسواق؛ رغبةً في ارتفاع أسعارها، وهذا هو الاحتكار الممنوع شرعًا، والمُعَوِّق لمقصد التداول، ووصولِ منافع الأموال إلى الناس؛ لسدِّ ضرورياتهم، وحاجاتهم من الأمور المعيشية، بل قال ابن القيم - رحمه الله - عن هذا السُّلوك المشين) :هذا من البَغْي في الأرضِ، والفسادِ، والظلمِ الذي يُحْبَسُ به قَطْرُ السَّماء([4])

ومن أجل ذلك حرَّم الإسلام احتكار السلع مِثْلَمَا حرم اكتناز الأموال، وشدَّد في منعه بالنسبة لأقوات الناس، والضروريات اللازمة لحياتهم. ومما جاء في تحريم الاحتكار :قوله صلى الله عليه وسلم) :مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ وفي رواية) :لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ) قوله صلى الله عليه وسلم) :مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَهُوَ خَاطِئٌ .(قال النووي - رحمه الله) :الحديث صريحٌ في تحريم الاحتكار، قال أصحابُنا :الاحتكار المُحَرَّم :هو الاحتكار في الأقوات خاصة، وهو أنْ يشتري الطعامَ في وقتِ الغَلاء للتجارة، ولا يبيعه في الحال، بل يدَّخِرُه؛ لِيَغْلو ثمنُه، فأمَّا إذا جاء من قريته أو اشتراه في وقتِ الرُّخص وادَّخره أو ابتاعه في وقتِ الغلاء لحاجته إلى أكلِه أو ابتاعَه ليبيعه في وقتِه، فليس باحتكارٍ، ولا تحريمَ فيه، وأمَّا غيرُ الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكلِّ حالٍ، هذا تفصيلُ مذهبِنا. قال العلماء :والحكمة في تحريم الاحتكار :دَفْعُ الضَّرَر عن عامَّة الناس، كما أجمع العلماءُ: على أنه لو كان عند إنسانٍ طعامٌ، واضطُّر الناسُ إليه، ولم يَجِدوا غيرَه، أُجْبِرَ على بيعه؛ دفْعًا للضَّرر عن الناس([5]).

---

[1]- مسلم، (3/ 1219)، (ح1598).

[2]- شرح النووي على صحيح مسلم، .(11/ 26)

[3]- أنظر: إعلام الموقعين(محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ط2 ، دار الكتب العلمية - بيروت 1411هـ).(2/ 135)

[4]- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية(ابن قيم الجوزية؛ ط1 مجمع الفقه الإسلامي بجدة 1428هـ،)(ص357).

[5]- شرح النووي على صحيح مسلم، .(11/ 43)

الخاتمة وبها النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج.

1- يتطابق مفهوم التنمية المستدامة في الشرع مع المعنى اللغوي والاصطلاحي، الذي يريد إشباع حاجيات الأجيال الحالية وتحقيق رفاهيتهم دون المساس بقدرة الأجيال القادمة ، وهذا المفهوم هو أساس التنمية المستدامة التي تتعالى بها أصوات دول العالم؛ لحفظ الثروات واستثمارها بأعلى مستوى من المسؤولية والعقلانية.

2- إن المتفحص للقضايا التي يجب مراعاتها للقيام بعملية التنمية المستدامة يجد أن هذه القضايا مأمور بحفظها ومراعاتها في نصوص الشرع وفي المصالح الضرورية بأقسامها الخمسة(حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال) .

3- قضايا التنمية المستدامة الهدف منها تحقيق مصالح الإنسان وذلك بحفظ الكليات الخمسة و تثبيت أركانها وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية

4- الإيمان وطاعة الله تعالى واتباع رسول الهدى صلى الله عليه وسلم والبعد عن المعاصي هي سبب من أسباب الأمن ورفع البلاء واستدامة الامن والحياة الكريمة للفرد والمجتمع.

5- التنمية المستدامة في الشرع تنمية شاملة، ومتنوعة، شملت جميع نواحي الحياة دون استثناء، وهي من مستلزمات العيش الكريم والإزدهار، وتكوين حضارة عريقة وعظيمة، طابعها العدل والإنصاف والأخلاق.

6- إن المتمعن في نصوص السنة النبوية يعجز امام الحقائق المدهشة التي نادت بالتنمية المستدامة من قبل ما يقارب أربعة عشر قرناً ،على سبيل المثال قوله صلى الله عليه وسلم : :(إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) وكثير من الشواهد .

ثانيا :التوصيات.

1- ضرورة التأصيل للقيم الحضارية المعاصرة استنادا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

2- إعادة قراءة السنة النبوية من منظور عصري لاستخلاص المبادئ والأفكار التي تفيد في حل قضايا التنمية المستدامة المعاصرة والمحافظة على البيئة وثرواتها، وضرورة ترجمة هذه المبادئ إلى اللغات الأخرى لتعريف غير المسلمين بالدور العظيم لنبي الإسلام في هذا الموضوع.

3- تضمين مناهج التعليم في المراحل المختلفة منهج الإسلام في حل قضايا التنمية المستدامة ، ووضع الحلول لمشكلاتها وفق الشريعة الإسلامية.

4- دعوة المفكرين والفقهاء والباحثين وخبراء التنمية المستدامة إلى التعاون فيما بينهم لعرض الرؤية الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة وسبل تحقيقها في دول العالم الإسلامي، والعمل على تصحيح المسار وبيان مواطن الخلل كلما أتيحت لهم الفرصة في المحافل العلمية والفكرية.

المراجع:

1- القرآن الكريم .
2- السنة النبوية .
3- ادارة الاستدامة والتنمية المستدامة ،سالم ص 18
4- الاستذكار(للقرطبي ،ط1، دار الكتب العلمية -بيروت 1421ه) / باب انتظار الصلاة (298/2)
5- اعلام الموقعين(محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ه) ط2 ، دار الكتب العلمية - بيروت 1411ه).(135 /2)
6- اعلان الحق الصادر عن الأمم المتحدة عام 1986 ص3
7- ا لالقاظ الكتابة والتعبير لابن المرزبان 330ه،م ط1،ركز جوهرة القدس عمان 1412ه) / باب مطلب في وصف الكتب البليغة 46/1
8- الأمم المتحدة – الاستدامة www.un.org/ar/122274
9- التعريفات(للجرجاني ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1403ه) (43/1)
10- تفسير الطبري لمحمد بن جرير الطبري ط1، لبنان : بيروت مؤسسة الرسالة 1420ه.
11- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ،ط 1 ،الرياض :دار العاصمة 1421ه.
12- تكملة اللغة للمستشرق الهولندي رينهات بيتر ،مركز الدوريات العربية 2015م.
13- التنمية البشرية في السنة النبوية دراسة موضوعية ، سمح طه الغندور ، رسالة ماجستير كلية أصول الدين قسم الحديث وعلومه الجامعة الإسلامية ،غزة ،2011 ص3 بتصرف
14- تهذيب الأسماء واللغات لمحي الدين بن شرف النووي ،ط ، لبنان: بيروت ، دار الفكر1996م.
15- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني،لبنان : بيرون مؤسسة الرسالة 1389ه.
16- تهذيب الكمال للامام المزي،ط3 ، لبنان : بيرون مؤسسة الرسالة 1436ه.
17- تهذيب الكمال للامام جمال الدين المزي ،ط1 ،لبنان : بيروت مؤسسة الرسالة 1400ه .
18- تهذيب اللغة لمحمد بن احمد الهروي لبنان :بيروت ، دار احياء التراث 2001م.
19- حاشية الصبان (أبو العرفان محمد بن علي الصبان ١٢٠٦ه ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه ،ج3) باب المعرب والمبني ،153/1
20- خلاصة التذهيب لصفي الدين الخزرجي ط5، بيروت:لبنان دار البشائر2008م
21- دائرة التنمية الاقتصادية حكومة رأس الخيمة ، النشرة الاقتصادية ، العدد45 ، نوفمبر 2015،ص19
22- السبتي، وسيلة، تمويل التنمية المحلية في إطار صندوق الجنوب (دراسة واقع المشاريع التنموية في ولاية بسكرة، مذكرة ماجستير في الاقتصاد غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية 2004، ص 3.

23- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني ،مصر :القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية 1429هـ.

24- سنن أبي داود للامام أبي داود السجستاني ،ط2، لبنان : بيرون مؤسسة الرسالة 1389هـ.

25- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي ،ط1،المملكة : الرياض ، بيت الأفكار للنشر 2013م.

26- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ، ط3، لبنان : بيروت مؤسسة الرسالة .1405هـ.

27- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ،ط1 ،دمشق: بيروت، دار بن كثير 1423هـ.

28- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج ،ط1،المملكة: دار طيبة 1427هـ.

29- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية(ابن قيم الجوزية؛ ط1 مجمع الفقه الإسلامي بجدة 1428هـ،)(ص357).

30- علم المقاصد الشريعة ص19للخادمي ،ط1 ، المملكة : الرياض ،مكتبة العبيكان1421هـ.

31- علم المقاصد (للخادمي ط1 ،مكتبة العبيكان 1421،ج1)، أقسام المقاصد الضرورية ، المكتبة الشاملة ص81

32- عمدة الكتاب(لابي جعفر النحاس 338هـ،ط1، دار بن حزم 1425هـ) /باب النوادر 438/1

33- العين (لأبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي 170هـ ، دار مكتبة الهلال 2008) / باب الدال (86/8)

34- غريب الحديث والأثر لقاسم بن سلام الهروي ،ط1، الهند: حيدر دار المعارف العثمانية 1384هـ.

35- الكاشف للإمام الذهبي ،ط1 ، المملكة : المدينة المنورة ،دار القبلة للثقافة الإسلامية 1413هـ.

36- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط1، لبنان: بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1390هـ.

37- مختار الصحح للرازي ، لبنان : بيروت، المكتبة العصرية 1420هـ.

38- مسند الشافعي لمحمد بن أدرسي الشافعي ،، لبنان: بيروت ، المكتبة العلمية 1400هـ.

39- المصباح المنير (لأحمد الفيومي 770هـ ،ط1، دار المعارف -القاهرة نسخة الشاملة 2016هـ)/ باب دوم (204/1)

40- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. أحمد مختار ،عالم الكتب ط1 2008م (2289/3)

41- معجم اللغة العربية المعاصرة(لأحمد مختار ط1، عالم الكتب: القاهرة 2008)1357/2

42- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص351 للزغيبي ، عمان ، دار النفائس 1436هـ

43- المنهاج شرح صحيح مسلم ،ط2، لمحي الدين النووي لبنان :بيروت ، دار احياء التراث 1392هـ.

44- الموسوعة الفقهية الكويتية (وزارة الأوقاف -الكويت) 207/28

45- الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف ،ط 2 /باب التعريف 63/7

46- النحو المصفى (محمد عيد،ط1 ،مكتبة الشباب ، القاهرة ،1975) / باب التمييز 479/1

47- النهاية لغريب الحديث الأثر ،لابن الأثير ، لبنان: بيروت ، المكتبة العلمية 1399هـ.

48- الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية (لأبو حامد الغزالي ، ط1،دار الارقم 1418هـ) ص352

التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

الدكتورة ريم عبدالرزاق محمد عبدالرزاق

وزارة التربية والتعليم

الأردن

reemalzoubi532@yahoo.com

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى بيان معالم التنمية الشاملة وفق الرؤية التربوي الإسلامية، وقد تمخضت الحاجة إلى الدراسة من خلال النظر إلى طبيعة الواقع الحياتي الذي تشهده الأمة الإسلامية اليوم؛ حيث تتجلى الحاجة الماسة إلى ضرورة الاضطلاع بالتطوير الريادي، والتوجيه الواعي، والتصويب الحكيم لحال الأمة الإسلامية، نظراً لكثرة التحديات التي تعاني منها اليوم من جهة، وإزاء الفرص التي تفتقر إلى التوظيف والاستغلال من جهة أخرى، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة الحالية.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث جاءت على التفصيل الآتي: المبحث الأول: مفهوم التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي، المبحث الثاني: سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي، المبحث الثالث: آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

وأسفرت الدراسة عن جملة من النتائج كان من أهمها: تُعرف التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي بأنها: منظومة متكاملة من العمليات المنهجية؛ ذات الصبغة الوصفية والتفسيرية والتوجيهية، عبر توظيف المؤهلات، ومعالجة التحديات، واغتنام الفرص، بغية الارتقاء بواقع الأمة الإسلامية ومستقبلها، وتتجسد سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي في سمة الشمولية، وسمة التوزان، وسمة الارتكاز على القرآن الكريم والسنة النبوية، وسمة التصميم الذاتي، وسمة الاستمرارية، وسمة محورية الإنسان وحضوره المركزي في العملية التنموية، تتجسد آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي في آلية ترسيخ مفهوم الإله كونه مدعاة الجودة الإنسانية، وآلية توثيق رابطة العقيدة في الشخصية المسلمة، وآلية تفعيل مبدأ الشورى، وآلية تفعيل البحث العلمي، وآلية الدراسة الواعية للمشكلات العابرة، وآلية توجيه البوصلة الأخلاقيّة للنشاط الإنساني، وآلية البرهنة العلميّة على فاعليّة الوحي في حلّ المشكلات العصريّة.

الكلمات المفتاحية: التنمية الشاملة، التربية الإسلامية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأفضل المربين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تُشكل التربية الإسلامية الحكيمة البوصلة الرئيسة الموجهة لمنظومة العمليات الفردية والمجتمعية الحضارية المتمايزة؛ ويتأتى ذلك نظير طبيعتها الشمولية؛ ذلك أنه من أبجديات القول وبديهات المنطق الإقرار باكتساب التربية الإسلامية سمات الإسلام؛ نظراً لانطلاقها من رحمه وجوفه، من هنا جاءت التربية الإسلامية ناظمة للعمليات الوصفية والتفسيرية والتوجيهية المتفاوتة؛ حيث تُعنى بوصف وتفسير وتوجيه الظواهر الحياتية كافة، ولا جرم بأن توجيه التربية الإسلامية للظواهر الحياتية يقتضي تنميتها وتطويرها بادء ذي بدء؛ إذ أن خلاصة العمل التربوي الإسلامي المنشود إنما يتمثل في التنمية القويمة.

ولمّا تعين على الموجه التربوي الإسلامي الاستناد إلى المرجعية الإسلامية، بات لزاماً أن تكتنف التنمية في التربية الإسلامية سمة الشمولية؛ ذلك أن السمة الأكبر والمعلم الأهم الذي تتسم به عملية التنمية وفق الرؤية التربوية الإسلامية إنما يتجسد في الشمول، ولا غرو؛ ذلك أن الشمولية هي سمة الدين الإسلامي الأهم، من هنا كانت عملية التنمية الشاملة ذات تكوين تأسيسي وتأصيلي في الشريعة الإسلامية، فضلاً عن ذلك فقد انبرت الرؤى والتصورات المعاصرة في بلورة كنه التنمية الشاملة؛ ما يعني أن تناول التنمية الشاملة إنما يؤول إلى ضرورة العكوف على الرؤية الإسلامية الأصيلة والرؤى المعاصرة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

لا يجد المسقرء لطبيعة الواقع الحياتي الذي تشهده الأمة الإسلامية اليوم جهده الجهيد إلى أن يدرك الحاجة الماسة إلى ضرورة الاضطلاع بالتطوير الريادي، والتوجيه الواعي، والتصويب الحكيم لحال الأمة الإسلامية، نظراً لكثرة التحديات التي تعاني منها اليوم من جهة، وإزاء الفرص التي تفتقر إلى التوظيف والاستغلال من جهة أخرى، من هنا تعين العمل على تفعيل منظومة متكاملة من عمليات التنمية والتي تتسم بالطبعة الشمولية لها؛ من هنا جاءت فكرة الدراسة الحالية.

ويتجسد السؤال الرئيس للدراسة: ما طبيعة التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1.ما مفهوم التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

2.ما سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

3.ما آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

أهداف الدراسة

1.بيان مفهوم التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

2.الكشف عن سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

3.استنباط آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة الحالية، من خلال الشعور بمشكلة الدراسة وتحديدها، ثم جمع المعلومات عنها، من مختلف المظان العلمية المتخصصة، والعمد إلى تحليلها وتبويبها؛ للخروج بتصور كلي يكشف عن تقاسيم ومعالم التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي.

المبحث الأول: مفهوم التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

فمن المعلوم أهمية التحرير المنهجي للمفاهيم في خضم الطروحات العلمية؛ حيث يسهم في توجيه مسار الموضوعات البحثية بالكلية، من هنا يُعنى المبحث الحالي ببيان مفهوم التنمية الشاملة وفق التصور التربوي الإسلامي.

المطلب الأول: مفهوم التنمية والمصطلحات ذات الصلة

فبعد تقفي الباحثة لمفهوم التنمية في المضان العلمية المتخصصة؛ فقد وجدت تمايزاً ملحوظاً في طبيعة التعريفات المقدمة لمفهوما التنمية، وعليه فيمكن بسط أهمها من خلال العرض الآتي:

تعرف التنمية بأنها: "الزيادة المطردة في مجالات الخيارات والفرص المتاحة للفرد في تخطيط وممارسة حياته حسب آرائه الشخصية في السعادة ومطالب الحياة" (بكار، 1999، ص 16)

كما وتعرف بأنها: معرفة طبائع خلق الله تعالى والمحافظة عليها بسورتها الجميلة وبطائعها الخيرة، وإذا اردنا تنمية هذه الأشياء فينبغي أن تنمى وفق طبائعها وصورها الخلقية. (عمر، 1992، ص 47)

وتؤصد هذه التعريفات بتعريف شوقي حيث عرفها: العملية التي تبذل بقصد ووفق سياسة عامة لأحدث تطور وتنظيم اجتماعي واقتصادي للناس وبيئاتهم، سواء كانوا مجتمعات محلية وإقليمية وقومية بالاعتماد على المجهودات الحكومية والأهلية المنسقة على أن يكتسب قدرة على أكبر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة هذه العمليات" (شوفي، 1961، ص 43)

وبعد النظر الدقيق في التعريفات الآنفة يمكن القول بأن جميعها إنما جاءت لتدلل على السياق الوراثي والبيئي لمفهوم التنمية، حيث يُعنى جلها بالمتابعة والتطوير للمعطيات والمقومات الإنسانية والاجتماعية والجغرافية المتاحة.

وعلى صعيد المفاهيم المتصلة بمفهوم التنمية، فيمكن تعريف التنمية المستدامة: رعاية حقوق الأجيال القادمة مما يقتضي الحفاظ على الموارد والبيئة من قبل الأجيال الحالية بما يضمن رفاه جميع الأجيال". (بريمة، 2018، ص 21).

وكذا فيمكن تعريف التنمية المتكاملة بأنها: "مجموعة الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع المسلم للقيام بأمر الله نعالى" (بكار، 1999، ص 9)

ولعل تعريف التنمية المتكاملة والتنمية المستدامة إنما يؤول إلى الغاية الفضلى لمفهوم التنمية بشكل عام، من خلال توظيف القدرات الذاتية والمقدرات الخارجية في سبيل تحقيق الأهداف والغايات الكبرى.

المطلب الثاني: تعريف التنمية الشاملة في التربية الإسلامية

تعرف التنمية الشاملة بصورة عامة بأنها: "التحرك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية تتم من خلال أيديولوجية معينة لتحقيق التغيير من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها ومرغوب الوصول إليها. (محمد، 2020)، ولا جرم بأن هذا التعريف إنما جاء مجرداً من التوجيه العقدي، حيث جاءت الإشارة إلى الأيديلوجية الحاكمة لعملية التنمية بصورة مطلقة دون التنويه لماهية هذه الأيديلوجية، فالمفهوم هنا على إطلاقه.

في حين تعرف التنمية الشاملة في الإسلام بأنها: "هداية الإنسان إلى ربه وعبادته واتباع منهجه والقيام بواجب الاستخلاف في الأرض وعليه فالهدف هو الإنسان وعليه فهي الهداية والمتابعة والتطوير في الجانب المادي والمعنوي". (بدران، 1985، ص 17)، ويعتبر هذا التعريف من أهم التعريفات وأكثرها وجاهة؛ نظراً لكونه جاء ناظماً للبعدين المادي والمعنوي على حد سواء.

وعلى ذات المنهج جاءت بعض التعريفات للتنمية الشاملة في الإسلام بأنها: عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقيقاً لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، فمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيداً عن أي نوع من أنواع التبعية" (عبدالرحمن، د. ت، ص 78).

وعليه فيمكن تعريف التنمية الشاملة في التربية الإسلامية بأنها: منظومة متكاملة من العمليات المنهجية؛ ذات الصبغة الوصفية والتفسيرية والتوجيهية، عبر توظيف المؤهلات، ومعالجة التحديات، واغتنام الفرص، بغية الارتقاء بو اقع الأمة الإسلامية ومستقبلها.

المبحث الثاني: سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

يعبر مفهوم سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي عن معالم وتقاسيم التنمية الشاملة، حيث تنصهر جميع هذه السمات في بوتقة الوصف العلمي لشخصية وماهية التنمية الشاملة في خضم المنظور التربوي الإسلامي، وبعد استقراء الباحثة لما عثرت عليه في موضوع التنمية الشاملة في التصور التربوي الإسلامي؛ فقد تبدى جليّاً بزوغ السمات الآتية كسمات لازمة لهذه التنمية، ويمكن بيانها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الشمولية

تعتبر سمة الشمولية أس السمات وحجر الزاوية في منظومة صفات ومعالم التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي، ويقصد بها استيعاب عملية التنمية إلى الأبعاد المختلفة من البنية الإنسانية بصورة خاصة، وكذا أبعاد التكوين الأممي والحضاري بصورة عامة، ما يعني اكتنافها للأبعاد النفسية والاجتماعية والحضارية على السواء، ويتأتى ذلك في خضم التعاطي الشرعي والعصري، حيث يتم تطوير وتنمية بنية الإنسان والحضارة وفق المعطيات الإسلامية الأصيلة، والمستجدات العصرية الحديثة.

من هنا فإن التنمية الشاملة إنما تتأتى مستوعبة لكل من البعد البشري والبعد الاجتماعي والبعد الثقافي والبعد الاقتصادي والبعد النفسي والبعد الجغرافي (محمد، 2020).

علاوة على ذلك فإن مفهوم الشمولية إنما يعني أن عملية التنمية الشاملة ليست منبثقة من زمان ومكان ومصلحة محددة، بل هي تستند الى الخالق عز وجل، وعليه فالإنسان يتجه الى الشمولية من خلال استيعاب ابعاد الحياة المختلفة (الغندور، 2011).

ومن المعلوم ان نظام الإسلام انما وضع تشريعات تستوعب جميع الناس من غير تفرقة جنسية او لونية او دينية، فهو يعنى بالدرجة الأولى بإيجاد مجتمع متكامل من جميع الوجوه، ويجمع بين المادة والروح. (العسل، 1999)، ومن هنا فإن مفهوم الشمولية إنما يؤول إلى تطوير الانسان والمجتمع الإسلامي، والأمة الإسلامية وفق الصورة الفضلى، وكما ويتوجب استيعاب دوائر الكون المختلفة .

وتؤصد هذه الشمولية بالقول أن التنمية الشاملة إنما تعطي الرؤية الشاملة لطبائع الأشياء وعلاقاتها وتفاعلاتها وتأثيراتها عبر الماضي والحاضر والمستقبل، ما يعني توجيه القدرات وضبط الشهوات (بكار، 1999، ص 27). ولعل ذلك ينزع بالنفس الإنسانية إلى الاستقامة والقوامة وفق التوازن المرصود لها

من قبل الشريعة الإسلامية؛ فالاستيعاب الكلي للبنى والتكوينات الوجودية، وعمليات تطويرها وتغيرها نحو الأفضل؛ إنما يشكل رحى العملية التنموية بصبغتها الإسلامية.

المطلب الثاني: التوزان

تُشاطر سمة التوازن سمة الشمولية من حيث النوعية التكوينية التي تتناولها، وبصورة أخرى فإن سمة التوازن إنما تعني تناول البنى العقائدية والقيمية من جهة، والبنى والمادية من جهة أخرى، ما يعني استيعاب العملية التنموية للأبعاد المادية والمعنوية للنفس الإنسانية، ومحاولة تطويرها وتشذيبها بصورة مطردة، وإزاء ذلك فيتعين قيام المجتمع والحضارة الإسلامية وفق المعطيات والمؤهلات المادية والمعنوية، وعليه فإن العملية التنموية في الإسلام إنما تتفرد في الجمع المتوازن بين الإنسان والمجتمع، على خلاف الكثير من الفلسفات التي تغالي في حاجات الفرد على حساب المجتمع حيناً وقد تغالي في حاجات المجتمع على حساب الفرد أحياناً أخرى.

وبصورة عامة فإن التنمية الإسلامية إنما جاءت متوازنة بين الجانب المادي والجانب الروحي، والتي توحد ثلاث علاقات رئيسة في الحياة والتنمية، منها علاقة البشر مع الله تعالى، وعلاقة البشر مع الطبيعة، وعلاقة البشر مع البشر أنفسهم. (سهاري، 2019)

وهذا يأتي من كون الرؤية الإسلامية للمال تنطلق من أن الزهد في الحياة ونكران الذات أمر مرفوض؛ مصداقاً لقوله تعالى: **(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ٢٧)** (الحَدِيد : آية 27) فالمال أمانة عند المسلم يتعين عليه تنميته، واستخدامه في تحقيق الحياة المريحة، سعياً للفلاح الإنساني الذي يعم كل الأفراد بتوزيع عادل للدخل والثروة. (شابرا، 2011م).

ولعل الإشارة إلى ضرورة تحقيق التوازن بين القيم والعقائد مع المقومات المادية، إنما يؤول بالضرورة إلى أهمية الوعي بثبات الجانب المعنوي وعدم قابليته للتطوير والتغيير؛ بيد أن التطوير والتعديل إنما يتجلى في الوسائل والآليات الدينامية التي يتم من خلالها إيصال العقائد والقيم، وفي الجهة المناظرة فإن الجانب والبعد المادي إنما يشهد التطوير والتغيير بصورة كلية، حيث أن التحديث الشكلي والضمني إنما يعد السمة الملازمة والرئيسة للبعد المادي.

المطلب الثالث: الارتكاز على القرآن الكريم والسنة النبوية

لا جرم بأن التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي إنما تصبغ بصبغة الدين الإسلامي؛ حيث تتسم بسماته، وتحذو منهجه، من هنا فإن القول بأن الوحي بشطريه القرآن الكريم والسنة النبوية إنما يُشكل المرجع الرئيس للدين الإسلامي؛ من هنا فإن العملية التنموية إنما ترتكز على هذا المرجع الرصين؛ حيث تحذو وتتقفى تعاليمه الجليلة والدقيقة، فهو المرشد الرئيس والسائس الأصيل لمختلف العمليات التفاعلات التي تتم في خضم العمل التنموي الإسلامي.

وتتبدى وجاهة ما تقدم من القول بأن عملية التنمية بشكل عام من الايديولجية الرئيسة التي تحكم الأنظمة التي تسعى إلى تحقيق التنمية، فالعملية التنموية محكومة بايديولوجية محددة (عبدالرحمن، د.ت)، من هنا فتكتنف الايديلوجية الإسلامية العملية التنموية، ما يعني الخضوع لمرجعية مرصودة غير قابلة التغيير والتبديل.

وعلى هذا الاعتبار فيعتبر القرآن الكريم المصدر الرئيس وأساس العملية التنموية الإسلامية، فقد قدم الله تعالى مبادئ وتوجيهات واضحة وشاملة في القرآن الكريم والسنة النبوية التي يجب اتباعهما لتحقيق هذه التنمية، لكونهما المرجعية التي تحقق السعادة في الدنيا والآخرة. (سهاري، 2019)، وهذا مما يبدي وجاهة الارتكاز على القرآن الكريم والسنة النبوية في العمل التنموي؛ حيث أنه يضمن التطوير والنجاح في الحياة الدنيا، واستقامة الجزاء في الحياة الآخرة، والفوز برضوان الله تعالى.

من هنا فإن التلاحم الحقيقي بين معطيات الوحي والقلب والحس الأساس والفيلق الفاتح لمسيرتنا التنموية، لأن أساس القيم والعمل والسعي إنما يأتي من المرجعية الرئيسة وهي الوحي (عمر، 1992).

المطلب الرابع: التصميم الذاتي

من أهم سمات ومميزات العملية التنموية أنها ذات سباكة وصناعة ذاتية، من رحم الحضارة الإسلامية، ومما لا شك فيه أن ذلك إنما يذب الاستيراد التنموي؛ فالأمة الإسلامية ذات هوية متفردة، تمايزها عن سواها من الأمم والحضارات؛ ولمّا تقدم القول بأن الوحي بشطريه القرآن الكريم والسنة النبوية إنما يشكل الأساس المتين للعملية التنموية؛ تجلى على إثره وجاهة القول بضرورة التصميم الذاتي للعملية التنموية للأمة الإسلامية؛ فلا يوجد أمة تملك الوحي سوى الأمة الإسلامية؛ من هنا فعملية التنمية تخضع لاعتبارات تحكيمية ضابطة، حيث تتأتى منبثقة من ثوابت الدين الإسلامي ومعالمه الرئيسة.

فالتنمية الإسلامية تدعونا إلى توظيف تعاليم الدين الإسلامي في عملية التنمية، وعدم اتباع نظرية التنمية الغربية المضللة. (سهاري، 2019)، ولعل التجارب التنموية التي استخدمها العالم إنما تفيد العالم الإسلامي في خضم عمليته التنموية، بيد أن المقصود هنا أن سياق العملية التنموية، ونظامها المنضبط هو صناعة ذاتية من رحم معطيات ومؤهلات وتحديات الإمة الإسلامية.

فالواقع يشهد أن محاولات التحديث من خارج حضارة الأمة الإسلامية وقيمها ومعادلتها الاجتماعية انتهت إلى نوع من التكديس والتمظهر التنموي، وفوتت على الأمة الإسلامية الكثير من الفرص التي تمكنها من استنبات التنمية الذاتية في ضوء امكانياتها فكانت شبيل عطالة بدل أن تكون عامل نمو ونهوض.

وهذا يأتي بحكم أن لكل أمة خصوصيتها وعقيدتها ونظرتها إلى الكون والإنسان والحياة، وأن عمليات التنمية المأمولة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تلك الخصوصية، وأن استيراد الخطط والخبراء لن يؤدي إلى الغاية إذا ما اعتمد على ذلك بشكل كامل. (العسل، 1996).

وعليه فإن الكثير من الدول النامية استوردت التقنيات الحديثة دون أن تتمكن من تأصيل آليات إدارة هذه التقنيات مثل التفكير العلمي والبحث والتطوير، وعليه فيمكن للأمة أن تستورد بعض العمال من الدول الأخرى، وكذا فيمكن استيراد بعض الخطط الأليات التكتيكات المتمايزة (بدران، 1986)، بيد أن السياق العام لهذه العملية إنما هو ذاتي التصميم والتخطيط.

المطلب الخامس: الاستمرارية

من أهم الضمانات المنهجية للتنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي اتسامها بسمة الاستمرارية؛ فالاطراد في العمل التنموي إنما يعني السعي الحثيث والدائم في سبيل الوصول إلى الأهداف والمرامي المنشودة من السعي التنموي؛ وعليه فيعنى بسمة الاستمرارية هي المحاولات المنهجية المرصودة؛ على المدار اليومي والشهري والسنوي، وباطراد مستمر؛ والتي تروم التوظيف الأمثل للمؤهلات والمقومات المتاحة في الحضارة الإسلامية.

وقد جاءت النصوص الشرعية داعية إلى استمرار العمل التنموي الجاد إلى أخر لحظات الحياة التي يحياها الإنسان المسلم، وذلك مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **"ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"**، وعليه فإن الشريعة إنما تطلب الجهد المبدع

والمستمر على السواء. (العبادي، 2003)، ما يعني ضرورة تحقيق التنمية الدافعة والدائمة، لتحقيق الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة. (شابرا، 2011).

وبصورة تفصيلية فإن العملية التنموية إنما تخضع لطبيعة الحال الذي يشهده الواقع الإسلامي؛ حيث أن عملية التنمية إنما تتم من خلال معاينة معطيات الواقع؛ وتقفي مواطن الخلل، ومكامن القوة، ومحاولة الارتقاء بكل نوع من المعطيات الموجودة، وعليه فلا يمكن بحال أن يتم التطوير والارتقاء في وقت ما، ثم الاحجام عن العمل التنموية في فترة زمنية لاحقة؛ لكون ذلك يجعلها عرضة للتأخر والتخلف، من هنا فإنها عملية مستمرة وفقاً لمجريات الواقع، ومعطيات الحضارة الإسلامية بأي وقت كان.

سادساً: محورية الإنسان وحضوره المركزي

تُشكل البُنية الإنسانية الهدف الأسمى للتنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي، حيث يُعنى العمل التنموي بتطوير وتهذيب الإنسان، ومحاولة معالجة نقاط الضعف لديه، واستغلال مواطن القوة المتبلورة لديه؛ ليتبدى وفق الصورة الفضلى التي أرادها الله عز وجل له، وهذا ما يميز التنمية الشاملة عن سواها من العمليات التنموية في الايديلولوجيات الأخرى؛ حيث أن تنصهر الوسائل المتمايزة لخدمة الشخصية المسلمة، على خلاف التصورات الوضعية التي تسعي لسهر الشخصية الإنسانية في سبيل تنمية الأبعاد الاقتصادية بصورة خاصة.

من هنا فتأتي عملية التنمية الشاملة قاصدة الارتقاء بالإنسان بشكل متكامل على الصعيد الأخلاقي والفكري والعقدي والاجتماعي والنفسي، الأمر الذي يجعل الإنسان هو المحور الرئيس لهذه العملية التنموية. (الغندور، 2011)، ولعل دور الإنسان في عملية التنمية إنما يشكل دوراً جوهرياً؛ حيث يشكل الغاية والوسيلة في ذات الأوان، فهو المساهم في تحقيق التنمية، وهو الهدف منها بصورة عامة. (عمر، 1992).

فالتوزاي بين خصائص الإنسان وصفاته وبين الارتقاء بوسائله وأدواته وأساليبه وإبداعاته، فالإنسان هو وسيلة التنمية وهدفها في ذات الأوان، والاقتصار على تنمية وسائله على حساب خصائصه وصفاته شقوة وحياة ضنك والانصراف في تنمية خصائصه وصفاته وإهمال وسائله عطالة حضارية ووقووع في الثائية (الهنداوي، 2004).

المبحث الثالث: آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي

يُشكل مفهوم آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي الوسائل والأدوات المادية والمعنوية التي يتم توظيفها من قبل المضطلع التربوي الإسلامي؛ بغية إحداث النهوض الحضاري والتغيير الإيجابي والتطوير الريادي المنشود، وقبل الشروع في بسط هذه آليات من الأهمية بمكان أن يتم الإشارة إلى اجتهادية هذه الوسائل؛ وقابليتها للتعديل والتطوير والحذف والإضافة؛ حيث تشهد دائرة الوسائل خصوبة جليّة، ما يعني أن ما يتم طرحه في هذا المبحث على سبيل المثال لا الحصر، وعليه يمكن تفصيل وسائل التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي من خلال الآتي:

المطلب الأول: ترسيخ مفهوم الإله كونه مدعاة الجودة الإنسانية:

ويقصد بذلك أنه يتوجب تركيز مفهوم الإله في منظومة الطفل الفكريّة؛ طلباً لإتقان العمليات المعرفيّة لديه. وبصورة وظيفيّة مجليّة لما سبق فإن وعي الطفل بأن الله(عز وجل) المُستحق الأوحد للعبادة على الدوام، يلزم انبراءه في التفكير بإطراد في كافة المناشط الحياتيّة؛ إذ أن التفكير يمثل محض العبادة، وتقدير الطفل بأن الله (عز وجل) مُتسم بالعدل المُطلق؛ من شأنه أن يُسهم في استدامة التطور المعرفيّ للطفل، عبر التقفيّ الدؤوب للمفردات العلميّة حيثما سنح المقام التفاعليّ بذلك؛ لكونه (عز وجل) يجازيّ الساعيّ إلى المعرفة بقدر سعيه. وأن جزائه جزاء مستوعب للحدود الدنيويّة والأخروية، ووعيه بأن الله (عز وجل) هو المُعين من شأنه أن يدفعه لأن يبسط جهوده المعرفيّة البسيطة والمركبة لكي يغدو لائقاً بعون المولى (عز وجل) ، وبالمجمل فيتجلّى تركيز مفهوم الإله في قول النبي (ص): **"يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"** [1]. ولا غرو إن قيل أن هذا الإجراء يُشكل روح العمل المعرفيّ بصورته المُحكمة؛ نظراً كونه يجعل حضور الله (عز وجل) مؤدى لكافة العقبات التي قد تعتريّ مجريات الطفل العلميّة. التي لا مناص أن الطفل معرض لها حاضراً ومستقبلاً، مما ينعكس على استمرار العطاء المعرفيّ بشتى صوره.

[1] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ح رقم 2516، ج4، ص 248، قال الألباني: حسن صحيح.

المطلب الثاني: توثيق رابطة العقيدة في الشخصية المسلمة

فمن المعلوم المكانة المحورية للعقيدة الإسلامية في خضم المنظومة التشريعية الإسلامية؛ حيث أنها تُشكل أسها ورحاها، من هنا فإن امتداد العقيدة لمختلف التفاعلات الإنسانية والحضارية ضرورة لازمة، من هنا فإن الشروع في العمل التنموي بصورته الشمولية إنما يقتضي الاستناد إلى الرابطة العقدية الوثيقة في خضم البنية الإنسانية؛ ولا جرم بأن أي عمل تنموي بدون الاستناد إلى الرابطة العقدية إنما يعني العكوف على العمل التربوي والتنموي المعرض للتقويض في أي وقت وحين.

وتنبثق أهمية هذه الوسيلة وضرورة بزوغها في طليعة الوسائل بحكم الطبيعة السلوكية والعملية التي تتسم بها العقيدة الإسلامية؛ ذلك أن مؤدى العقيدة الإسلامية هو الإيمان؛ والذي ينشطر إلى الاعتقاد الذاتي والسلوك العملي؛ من هنا فإن العقيدة دافعة للعمل ومشحذة للطاقة ومسددة للبوصلة؛ عبر توجيه الشخصية المسلمة والأمة الإسلامية إلى الأبعاد الأكثر أهمية في خضم العملية التنموية المنشودة.

وعلى هذا الاعتبار جاء القول بأن عقيدة التوحيد أساس العملية التنموية في التصور التربوي الإسلامي، حيث أن الكثير من الآيات القرآنية الكريمة جاءت لتأكد على ضرورة توثيق رابطة العقيدة في النفس الإنسانية؛ الأمر الذي من شأنه أن ينعكس على الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والبيئة المختلفة (بدران، 1986)، ولعل قضايا العقيدة بكليتها وتفصيلها إنما تُستقى وتستنبط من الكتاب والسنة؛ بحكم أنهما المرجعيتان الرئيسيتان في العمل التنموي، (الأشقر،1994)، نظير ما ينظمه الوحي من توجيهات وأوامر وحقائق؛ من شأنها أن تقدم العمل الإنساني والحضاري بصورته المثلى.

وبصورة تفصيلية فقد جعلت العقيدة الإسلامية عملية التنمية عبادة وقربة إلى الله تعالى، فهي ترقية لسلوك الإنسان في سُلم العبادة (عمر، 1992)، ما يعني أننا أمام أكبر المحفزات الإيمانية والمرتكزات الشرعية الضامنة لقوامة العلم التنموي في التصور التربوي الإسلامي.

المطلب الثالث: تفعيل مبدأ الشورى

تأخذ وسيلة الشورى السمت التكاملي والتعاضدي؛ ذلك أن مؤدى الشورى هو التكامل والتبادل بين الأفراد والجماعات؛ في سبيل الوصول إلى الرؤى والتصورات المحكمة؛ وهذا بلا شك عامل قوة؛ ومقوم نهضوي رئيس، يتم توظيفه من قبل القائم التربوي المسؤول؛ ما يعني ذب التصورات والنزعات الفردية المطلقة.

ولقد حثت مختلف نصوص القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية على هذه الوسيلة؛ حيث جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩)** (آل عِمْرَان: الآية 159) ولعل النص المتقدم موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد بالوحي، من هنا فكان حذو أرباب التنمية الشاملة وسيلة الشورى من باب الأولى.

من هنا يعتبر التشاور خلق المسلم المقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد رغّب القرآن الكريم المسلمين بالشورى وأمر بالتشاور؛ عبر ضرورة تقديم النصح بأمانة وإخلاص، وعلى كل صحاب مسؤولية ألا ينفرد بالرأي والحكم، وأن يرجع إلى أصحاب الخبرة والدراية. (بدران، 1986).

ولعل ذلك يشير بصورة جليّة إلى أهمية التوجه إلى أصحاب الخبرات والآراء الثاقبة، ما يعني الإحجام عن التشاور من مختلف الفئات الشعبية، والتي تفتقر إلى العلم السديد، والخبرة المحكمة.

ومما لا شك فيه أن تفعيل أمر الشورى إنما من شأنه أن يحقق بيئة داعمة للتنمية والتطوير، حيث أنه يضمن التكافل والاجتماعي والسياسي والنفسي والحضاري على حد سواء، الأمر الذي من شأنه يحفز على عملية التنمية. (شابرا، 2011).

من هنا فإن تحقيق الشورى إنما يكفل تحقيق الوحدة بين أفراد الأمة الإسلامية، ذلك أن الفرقة هي طريق الانحطاط، والوحدة سبيل الارتقاء وتبوء المكانة الفاضلة من جديد، فالإيمان يغذي القلوب الإسلامية على ضرورة الوحدة وتنمية روح الأخوة بين أفراد الأمة الإسلامية؛ ويجعل الأمة أمة مترابطة كترابط الجسد الواحد (الأشقر، 2004)، ولعل ذلك إنما يسهم بحد ذاته في تحقيق التنمية بشكل عام، والتنمية الاجتماعية بشكل خاص، ذلك أنه من المعلوم أنه أهداف التنمية الكبرى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية وتعاضدها؛ وهذا مما تحققه الشورى بصرف النظر عن الآراء والنتائج المتمخضة عن عملية التشاور؛ فالشورى بحد ذاتها منهج نمائي فريد.

المطلب الرابع: تفعيل البحث العلمي

يعتبر البحث العلمي أحد الأدوات الريادية التي تُعنى بتنمية وتطوير الحضارة الإسلامية أفراداً وجماعات، ذلك أن غاية البحث العلمي إنما تتجسد في دراسة الأطوار الحياتية والعمل على تشذيبها وتوجيهها وتطويرها بصورتها الإيجابية، ويتأتى ذلك من خلال تقفي مواطن الضعف ومحاولة معالجتها، وتقفي مواطن

القوة ومحاولة تطويرها الارتقاء بها، من هنا كان البحث العلمي بصورته المنشودة أداة فاعلة، ووسيلة نابغة قادرة على تحقيق مرامي التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي.

من هنا فمن الضروري بمكان الاهتمام بالبحث العلمي؛ لما له من دور جسيم في تحقيق التنمية الشاملة، وعليه فيتعين الاهتمام بالمراكز البحثية في الجامعات وتقديم الدعم لها وحثها على البحثو الرصينة والدافعة إلى التنمية المحلية والعالمية (محمد، 2020)، ولعل ذلك على درجة جسيمة من الأهمية، ذلك أن المراكز البحثية في العالم الإسلامي إنما تُشكل محاضن الابداع والتميز الحضاري، نظير أهميتها في سباكة وصناعة البحث العلمي للظواهر الإنسانية.

من هنا كانت وظيفة المراكز البحثية وعملياتها المسحية إنما تستدعي العمل على مسح المشكلات التي تعاني منها المجتمعات، ومحاولة بحثها من مختلف جوانبها وأبعادها (بكار، 1999)، وهذا بلا شك يقتضي تشخيص أمراض البيئة تشخيصاً صحيحاً، بعد لامعان في مواطن الخلل الموجودة في المجتمع ومحاولة إصلاحها وتصويبها (المودودي، 1975).

المطلب الخامس: الدراسة الواعية للمشكلات العابرة

يُراد بمفهوم المشكلات الواقعية العابرة المشكلات التي تبرز بصورة أفقية وعامودية في ذات الأوان، والمراد أنه ثمة مشكلات واقعية بصبغتها التربوية كانت حاضرة في التاريخ الإنساني السابق، كما وتتجلى حاليا في الواقع المعاش بصورة جليّة، فضلاً عن إمكانية استشراف وجودها في المستقبل القريب والبعيد على السواء، ويتأتى ذلك في مختلف المناطق الجغرافية، دون احتكارها ببقعة جغرافية محددة، ويتأتى التركيز هنا على المشكلات الواقعية ذات الصلة بالبعد التربوي أكثر من سواها من الأبعاد، الأمر الذي يشتمل على مشكلات المجتمع بصورة عامة، والنفس الإنسانية بصورة خاصة.

وقد جاء في قوله تعالى في محكم التنزيل: **(لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤)** (البَلَد : الآية4)، يعقب القرطبي على النص المتقدم بقوله : "قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطا، وشد رباطا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه «1»، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر

تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن. ويكابد محنا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس" (القرطبي، 1964، ج 20، ص 62-63)، وعليه فيتجلى ظهور مثل هذه المشكلات بجوانبها التربوية المختلفة، الجسمية والنفسية، والعقلية ونحوها من أبعاد مركزية.

وعليه فإن المشكلات التربوية العابرة إنما هي متحققة يقيناً في مختلف الأصعدة الزمانية والمكانية السابقة والحاضرة والمستقبلية، ويتأتى هذا الجزم بتحققها نظير الإقرار بتحققها من قبل النص الشرعي المتقدم، وبالمحصلة فإن هذه المشكلات إنما ترتبط بحقيقتين جوهريتين، أولهما المشكلات المرتبطة بالتكوين الإنساني، فمثل هذه المشكلات سيدوم تحققها ما دام النوع الإنساني حاضراً، ويلج فيها المشكلات الجسمية، والنفسية، والاجتماعية بما فيها مشكلات القيم التي تنظم المجتمع البشري عامة، وثانيهما المشكلات المرتبطة بالجنوح عن المعيار الشرعي، والمرجعية الإسلامية، فعلى مر الحضارات كان النوع الانساني في عمومه أو خصوصه متمرداً على النص الشرعي، وغير منساق إلى التعاليم الإسلامية، من هنا جاءت النصوص الشرعية لتضبط مسار النفس الإنسانية، وترشدها إلى الطريق القويم، وتحذرها بالعقاب المنتظر في حال جنوحها، نظراً لكون جنوحها حقيقة حاضرة على مختلف الأصعدة.

المطلب السادس: توجيه البوصلة الأخلاقيّة للنشاط الإنساني

فإذا ما أراد الطفل مباشرة المعالجة المعرفيّة القويمة للمثيرات التي تتعاقب على دائرة حراكه الحياتيّ بصفة عامة، والعلميّ بصفة خاصة، فذلك يقتضيّ استحضار المنظومة الأخلاقيّة المدخلة في بنيته المعرفيّة، ليتسنى له من خلالها أن يعاين المثير المعرفيّ بعينها. وإذا ما صادقت الأخلاق على صلاحيّة المثير؛ فإنها تمنح النشاط المعرفيّ تأشيرة المعالجة الفوريّة له. في حين أنه إذا ما أقرت الأخلاق بفساد المثير فإنها تُسهم في كف نشاطه المعرفيّ بالكليّة، وصرفه لمثير مغاير؛ وتتأتّى هذه المكانة للأخلاق من قوله تعالى مادحاً النبي (ص) (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ 4**) (القَلَم) ومن هنا تتبدى أهميّة الأخلاق في العمل المعرفيّ؛ إذ البوصلة المُركزة، التي من شأنها أن تحدد مسار النشاط المعرفيّ. فمثلاً إذا ما ابتغى الطفل الانتباه لورقة أحد أقرانه في الامتحان؛ فإن خلق الصدق يُسهم في كف انتباه الطفل؛ وشد معالجته المعرفيّة إلى دائرتها السويّة، انطلاقاً من منظومته الإيمانيّة عامة، والأخلاقيّة خاصة.

المطلب السابع: البرهنة العلميّة على فاعليّة الوحي في حلّ المشكلات العصريّة:

تعد المشكلات العصريّة تحديات عالمية، وعقبات دائريّة؛ تعكف على المجتمعات الإنسانيّة جمعاء، الأمر الذي يقتضي إيجاد الحلول الممنهجة والعلميّة لها، وهذا ما تسعى إليه جاهدة كافة السياسات التربوية والإصلاحية العالمية، من هنا فإن القيام بإثبات فاعلية الوحي ونصوصه في حلّ المشكلات العصريّة إنما يعد بمثابة مشجب متين من شأنه أن يجدب بالفرق الضالة عن هذا المرجع؛ لتعود وتعكف على مرجعيته، والإيقان بأنه الحلّ الأول والرئيس لكافة السياقات المعترضة.

وتستقى هذه البرهنة من خلال قوله تعالى: **(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧)** (الأَنبِيَاء : الآية 107) قال القرطبي: " قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق" (القرطبي،1964، ج 11، ص 350)، كما وقال ابو السعود: " {وما أرسلناك} بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي هي مناط لسعادة الدارين {إلا رحمة للعالمين} هو في حيز النصب على أنه استثناء من أعم العلل أو من أعم الأحوال أي ما أرسلناك أذكر لعلة من العلل إلا برحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أو ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم فإن لها بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لا نتظام مصالحهم في البشأتين" (أبو السعود، ج 6، ص 89)

ومما يثبت محورية هذه الفكرة كذلك قوله تعالى: **(وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩)** (النَّحْل : الآية 89) قال السعدي: " في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية.. فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح، والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها"(السعدي، 2000، ص 446)

وعلى الرغم من هذه الأهمية للوحي فإن يتجلى موقف العقليين من الوحي المتجسد بنزع القداسة عنه، ونفي مصدريته الثابتة، الأمر الذي يؤول إلى اسقاط العقائد والأحكام، كما وآل الأمر بهم الأمر لجعل

القرآن عرضة للنقد، من مختلف المستويات الثقافية، في محاولة لإبطال ثباته وفاعليته في الحياة المعاصرة (المسقري، د.ت)

وجاءت فكرة البرهنة العلمية لفاعلية الوحي في حل المشكلات العصرية لتتم بهذه الفكرة معالجة منهجية اليسارين أو العقليين في منهجية تلقي الوحي؛ فإنه من الضروري بمكان أن يتم إثبات فاعلية الوحي (الآيات القرآنية والأحاديث النبوية) في الواقع المعاصر ومشكلاته، إذا ما فما يعنينا إثبات قدرة النص الشرعي على النهوض بالواقع المعاصر في كافة جوانبه ومجالاته الحياتية المستعصية.

الخاتمة:

تنظم الخاتمة كل من النتائج والتوصيات، ويمكن بيانها في الآتي:

أولاً: النتائج: تمخض عن الدراسة جملة من النتائج يمكن بيانها في الآتي:

1. تُعرف التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي بأنها: منظومة متكاملة من العمليات المنهجية؛ ذات الصبغة الوصفية والتفسيرية والتوجيهية، عبر توظيف المؤهلات، ومعالجة التحديات، واغتنام الفرص، بغية الارتقاء بواقع الأمة الإسلامية ومستقبلها.

2. تتجسد سمات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي في سمة الشمولية، وسمة التوزان، وسمة الارتكاز على القرآن الكريم والسنة النبوية، وسمة التصميم الذاتي، وسمة الاستمرارية، وسمة محورية الإنسان وحضوره المركزي في العملية التنموية.

3. يُقصد بسمة الشمولية: استيعاب عملية التنمية إلى الأبعاد المختلفة من البنية الإنسانية بصورة خاصة، وكذا أبعاد التكوين الأمي والحضاري بصورة عامة، ما يعني اكتنافها للأبعاد النفسية والاجتماعية والحضارية على السواء.

4. يُراد بسمة التوازن: تناول البنى العقائدية والقيمية من جهة، والبنى والمادية من جهة أخرى، وإزاء ذلك فيتعين قيام المجتمع والحضارة الإسلامية وفق المعطيات والمؤهلات المادية والمعنوية، وعليه فإن العملية التنموية في الإسلام إنما تتفرد في الجمع المتوازن بين الإنسان والمجتمع.

5. تتجسد آليات التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي في آلية ترسيخ مفهوم الإله كونه مدعاة الجودة الإنسانية، وآلية توثيق رابطة العقيدة في الشخصية المسلمة، وآلية تفعيل مبدأ الشورى، وآلية تفعيل البحث العلمي، وآلية الدراسة الواعية للمشكلات العابرة، وآلية توجيه البوصلة الأخلاقيّة للنشاط الإنساني، وآلية البرهنة العلميّة على فاعليّة الوحي في حلّ المشكلات العصريّة.

6. جاءت آلية ترسيخ مفهوم الإله كونه مدعاة الجودة الإنسانية: لضرورة تركيز مفهوم الإله في المنظومة الفكرية للفرد المسلم؛ طلباً لإتقان العمليات المعرفيّة لديه؛ والتي تنعكس بدورها على تجويد أدائه السلوكي في الحياة العملية.

7.تمخضت آلية توثيق رابطة العقيدة في الشخصية المسلمة: من المكانة المحورية للعقيدة الإسلامية في خضم المنظومة التشريعية الإسلامية؛ حيث أنها تُشكل أسها ورحاها، من هنا فإن امتداد العقيدة لمختلف التفاعلات الإنسانية والحضارية ضرورة لازمة، ما يعني أن الشروع في العمل التنموي بصورته الشمولية إنما يقتضي الاستناد إلى الرابطة العقدية الوثيقة في خضم البنية الإنسانية.

8.تُمثل آلية تفعيل البحث العلمي: أحد الأدوات الريادية التي تُعنى بتنمية وتطوير الحضارة الإسلامية أفراداً وجماعات، ذلك أن غاية البحث العلمي إنما تتجسد في دراسة المجريات الحياتية والعمل على تشذيبها وتوجيهها وتطويرها بصورتها الإيجابية، ويتأتى ذلك من خلال تقفي مواطن الضعف ومحاولة معالجتها، وتقفي مواطن القوة ومحاولة تطويرها الارتقاء بها.

ثانياً: التوصيات: في ضوء نتائج الدراسة توصي الدراسة إلى الآتي:

1.توجيه القائمين على المؤسسات التربوية والتعليمية لإعادة صياغة الأهداف التربوية الكبرى، والأهداف المرحلية؛ لتضع تطوير الشخصية المسلمة وصياغتها بصورة ريادية؛ كخطوة أولى لصناعة الحضارة وتحقيق التنمية المرجوة.

2.عقد دورات توعوية لأبناء المؤسسات التربوية الإسلامية؛ من خلال توعيتهم بأهم آليات تحقيق التنمية الشاملة في المنظور التربوي الإسلامي.

3.توجيه المؤسسات التعليمية؛ لا سيما الجامعات الرسمية بإيلاء مساقات البحث العلمي جلّ العناية؛ بحكم أهميته في تحقيق التنمية الشاملة.

المراجع:

- أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الأشقر، عمر سليمان، كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد، دار النفائس، الأردن، ط 2، 1994.
- بدران، فاروق محمد، بحوث مؤتمر الإسلام والتنمية، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، الأردن، 1986.
- بريمة، محمد حسن، رؤية إسلامية مقاصدية في التنمية الاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ع 92، 2018.
- بكار، عبدالكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، دمشق، ط 1، 1999.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- سهاري، محمد عبدالأفيق، نظرية العمران: قالب التنمية الإسلامية في تحقيق دولة الفكر، المجلة العالمية للدراسات العمرانية، تونس، ع2، 2019.
- شابرا، محمد عمر، الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط 1، 2011م.
- شوقي، عبدالمنعم، تنمية المجتمع وتننظيمه، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط 2، 1961.
- العبادي، عبدالسلام، الإسلام والتنمية الشاملة، تونس، ط1، 2003.
- عبدالرحمن، بسيوني علي، التنمية مفهوم ومنهج، كلية الآداب، جامعة البحرين، د. ت.
- العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام: مفاهيم ومناهج وتطبيقات، المؤسسة الاجتماعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1996.
- عمر، إبراهيم أحمد، فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط 2، 1992.

- الغندور، سماح علي، التنمية البشرية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، قسم الحديث الشريف، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب، ط2، 1964م.
- محمد، محمد عبدالله، البحث العلمي ودوره في تحقيق التنمية الشاملة، مجلة آداب ذي قار، ع 33، 2020.
- المسقري، يحيى مصلح، الوحي القرآني من منظور القراءة الحداثية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، قطر، د.ت.
- المودودي، أبو علي، واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1975م.
- الهنداوي، حسن إبراهيم، التعليم واشكالية التنمية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2004.

هشاشة التنمية ببلدان الساحل الأفريقي
في صلتها بنشأة وتعدد حركات التطرف العنيف وتمددها

الباحثة سمية المبتهج

باحثة في سلك الدكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الشريعة فاس

المملكة المغربية

soumiamaher456@gmail.com

ملخص البحث:

يعتبر الساحل الإفريقي موقعا استراتيجيا مهما نظرا لموقعه الجغرافي وأهميته الاقتصادية والاجتماعية، ومع ذلك تشكل هشاشة التنمية عقبة كبيرة أمام تقدم دول الساحل الإفريقي، بحيث تعاني من تحديات عديدة من بينها انتشار حركات التطرف العنيف. إذ أنه يمكن ربط هشاشة التنمية في بلدان الساحل الأفريقي بتنامي وتعدد هذه الحركات في هذه المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الساحل الإفريقي- هشاشة التنمية- التطرف العنيف- التنمية المستدامة.

The fragility of development in the African Sahel countries in relation to the emergence, multiplicity and expansion of violent extremist movements

Soumia El Moubtahij
Second year PhD, specializing in Sharia, Law and Community Issues
Affiliation: Sidi Muhammad Ibn Abdallah University, Faculty of Sharia, Fez - Morocco
soumiamaher456@gmail.com

Abstract:
The African coast is considered a strategically important location due to its geographical position and its economic and social significance. However, development fragility poses a major obstacle to the progress of African coastal countries, suffering from various challenges, including the spread of violent extremist movements. Development fragility in African coastal countries can be linked to the growth and proliferation of these movements in the region.
Keywords: African coast, development fragility, violent extremism, sustainable development

الإشكالية الرئيسية:

نتساءل عن الأسباب المؤدية لوجود هشاشة التنمية في بلدان الساحل الإفريقي، وكيف يمكن للمجتمع الدولي والحكومات الوطنية أن يتعاملوا بفعالية مع الإشكالية الشاملة لهشاشة التنمية وتمدد حركات التطرف العنيف في بلدان الساحل الأفريقي، وكيف يمكن تطبيق السياسات والإجراءات الشاملة التي تعالج الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية لتحقيق الاستقرار والتنمية المستدامة في هذه المنطقة؟

أهداف الدراسة:

الهدف من هذه الدراسة، وهو تحليل أسباب هشاشة التنمية في بلدان الساحل الأفريقي، وتقييم تأثير هذه العوامل على النمو الاقتصادي والاجتماعي، بحيث سنعتمد في بحثنا على تحليل الوضع السياسي والاقتصادي في بلدان الساحل الإفريقي، ومعرفة أسباب الهشاشة في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في صلتها بظهور وتمدد حركات التطرف العنيف في المنطقة، مع تسليط الضوء على أزمة مالي سنة 2012، وضعف استقرار الحكم والديمقراطية الذي يعد عنصرا حيويا لتحقيق التنمية المستدامة، وتحليل وقائع الانقلابات العسكرية المتكررة، وتقييم تأثيرها على العمليات التنموية.

وفي نهاية الدراسة نسعى إلى تقديم مجموعة من التوصيات التي تستهدف تعزيز التنمية المستدامة في دول الساحل الإفريقي، من بينها تحسين البنية التحتية، وزيادة الاستثمار في التعليم وخلق فرص عمل، وتعزيز الحوكمة ومكافحة الفساد، بالإضافة إلى تعزيز التعاون الدولي والإقليمي لمكافحة التطرف العنيف وتعزيز الأمن.

الخطة الأولية للبحث:

للإجابة عن الإشكالية الرئيسية للبحث ارتأينا أن تكون الخطة الأولية كما يلي:

المبحث الأول: هشاشة السياسة والتنمية ببلدان الساحل الأفريقي

المطلب الأول: هشاشة مركزية دول الساحل

المطلب الثاني: ضعف الوضعيات السوسيو-التنموية لدول الساحل الإفريقي

المبحث الثاني: أزمة 2012 بمالي وانتشار حركات التطرف العنيف

المطلب الأول: وقائع الأزمة

المطلب الثاني: خريطة حركات التطرف العنيف بمالي والساحل الأفريقي

المبحث الثالث: التدخل العسكري الفرنسي والاتحاد الأوروبي في مواجهة تنوع حركات التطرف العنيف ببلدان الساحل الأفريقي وتمددها

المطلب الأول: التدخل العسكري الفرنسي والاتحاد الأوروبي

المطلب الثاني: تمدد حركات التطرف العنيف

المبحث الرابع: ظاهرة الانقلابات العسكرية وإشكالية التنمية

المطلب الأول: ضعف إسهام فرنسا في تحقيق التنمية ببلدان الساحل وتنامي رفض وجودها.

المطلب الثاني: ظاهرة الانقلابات العسكرية ببلدان الساحل وإلغاء الاتفاقيات العسكرية مع فرنسا والبعثة العسكرية للأمم المتحدة.

مقدمة:

تعاني منطقة الساحل الإفريقي من مشاكل بليغة نتيجة لضعف التنمية، والتي جعلت منها هشة اقتصاديا وسياسيا، في ظل اضطرابات أمنية وجيو-سياسية بسبب الانقلابات المتتالية، التي جعلت من المنطقة حاضنة أساسية للجماعات الإرهابية، في غياب شبه تام للمؤسسات الحكومية التي عجزت بدرجة كبيرة عن تقديم استجابات سياسية واقتصادية اتجاه شعوبها، مما دفعها إلى الوقوع في التبعية الخارجية من طرف قوى دولية كبرى، ثم سعت خلال السنتين الأخيرتين إلى التخلص ما أمكن من هذه التبعية التي أصبحت مرفوضة شعبياً.

إذن كيف يمكن تحليل الهشاشة الاقتصادية والسياسية في هذه المنطقة وتأثيرها على تقدمها؟

وما هي العوامل التي ساهمت في ضعف التنمية في منطقة الساحل الإفريقي؟

وكيف ساهمت هذه الوضعية في ظهور وانتشار حركات التطرف العنيف؟

المبحث الأول: هشاشة السياسة والتنمية ببلدان الساحل الأفريقي

تواجه دول الساحل عاصفة من التحديات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، وكلها تؤدي إلى تفاقم هشاشة دول المنطقة، بحيث تؤثر عدة عوامل مختلفة في تعثر عمليات التنمية والزيادة من هشاشة الوضع السياسي في هذه الدول.

المطلب الأول: هشاشة مركزية دول الساحل

تظهر هشاشة مركزية الدول في منطقة الساحل الإفريقي في عدة مظاهر، من بينها التعددية العرقية وما يترتب عنها من صراعات سياسية خاصة مع وضع الاستعمار لحدود وتقسيمات جغرافية لم يراع فيها امتدادات الجماعات الإثنية، التي وجدت فيها بعض الإثنيات والقبائل هضما لحقوقها التاريخية والسيادية[1]. بحيث اعتمد المستعمر على معايير اقتصادية وسياسية في وضع الخارطة الحدودية ما جعل هذه الأخيرة لا تعكس التطور التاريخي للأقليات المكونة لهذه المجتمعات، حيث التقسيم الترابي يتناقض في كثير من الأحيان مع التقسيم الإثني، والنتيجة محاولة تصحيح هذه الأوضاع من خلال بناء دول على الأساس العرفي، ما جعل هذه المناطق تدخل في حروب طاحنة، كما حدث في البحيرات الكبرى أو مع الطوارق في الساحل الإفريقي.[2]

[1]- غالمي يونس، **الوضع الأمني بدول الساحل الإفريقي وتأثيره على الجزائر: مرحلة مابعد الحرب الباردة**، رسالة لنيل شهادة ماستر، في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة حمة الخضر- الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، سنة 2017- 2018م، ص34.

[2]- شاكر ظريف: **أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى: دراسة في الأسباب والانعكاسات**، المجلة العربية للعلوم السياسية – لبنان، المجلد \العدد ع 42- 41 سنة 2014، ص ص 93- 103، ص 102.

بالإضافة إلى استشراء مظاهر الفساد في ظل اختلاس الأموال العامة والمساعدات الخارجية من قبل الحكومات المركزية والمحلية، والذي أدى إلى إضعاف الإجراءات المتخذة من قبل الشركاء والفاعليين الخارجيين في مكافحة التطرف.[1]

كما تفتقد بلدان الساحل الإفريقي لجيش منظم وقوات عسكرية متمرسة لحماية دولها، وخوض الحرب ضد التنظيمات الإرهابية[2]، إذ ماذا يمكننا أن ننتظر من قوات عسكرية أسست بناء على مخلفات الجيوش الاستعمارية، وورثت بذور التحييز العرقي التي زرعها المستعمرون، الشيء الذي مهد الطريق للنقص في المهنية والعمل بضمير.

المطلب الثاني: ضعف الوضعيات السوسيو-اقتصادية لدول الساحل الإفريقي.

إن ما يجعل الدول توصف بالقوة أو الضعف راجع إلى مدى تحكم الدولة بالأساس في الجانب الاقتصادي بالدرجة الأولى، وتحكمها في الجانب السوسيولوجي أو الاجتماعي في الدرجة الثانية.

تعتبر منطقة الساحل الأفريقي من أفقر مناطق العالم نظرا لهشاشة اقتصاديات دوله بحيث أن معظمها تصنف ضمن فئة البلدان الأقل نموا، والتي تعاني من عدة اختلالات اقتصادية ومن فساد سياسي واقتصادي.

وترتبط هذه الأزمة بالقدرة التوزيعية للنظم السياسية، ودور الحكومات فيما يتصل بتوزيع المنافع والموارد بين سائر الفئات والطبقات والجماعات المشكلة للمجتمع. ومما يلاحظ في دول الساحل الإفريقي أن توزيع الموارد يمثل إحدى الظواهر البارزة داخلها، ففي حين تنفرد القلة بكل الموارد المتاحة يقع عبء الحرمان على الكثرة الغالبة[3].

---

[1]- الديواني عبد الغفار، **الأدوار الإقليمية والدولية في الساحل الإفريقي**، موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، بتاريخ 19\02\2015، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.futureuae.com/ar/Mainpage/Item/628/%D9%85%D8%B9%D8%B6%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A

[2]- Khadija Mohsen, **" Security and insecurity in the Mediterranean Seminar on Security and Defence in the Mediterranean"**, pp :51- 58. p54.

[3]- بومدين عربي، **"أزمة الدولة في الساحل الإفريقي"**، مجلة شؤون الشرق الأوسط، العدد 151، سنة 2015م، ص ص 137-153، ص143.

وتتميز دول الساحل الإفريقي بالضعف الاقتصادي المزمن لعدم قدرتها على أداء وظائفها، وذلك بسبب المشاكل التي تحدثها الدولة والتي تشكلت بعد الاستقلال، فاستنزفت موارد المنطقة بالتحالف مع الشركات المتعددة الجنسيات، الأمر الذي أوقعها في أزمة ديون خارجية وصلت إلى أكثر من 300 مليار دولار[1].

وتتسم دول الساحل بارتفاع الفقر في ظل تزايد عدد السكان، فبحسب إحصائيات الأمم المتحدة فإن النيجر تعد ثاني أفقر دولة في العالم، ونسبة الفقر بتشاد تمثل أكثر من80%، والنيجر 63% ومالي 64% وموريتانيا 40%، وهذا يرجع إلى الجفاف الناتج عن قلة الأمطار والتصحر[2].

ويعتبر أيضا غياب التنمية داخل دول الساحل الإفريقي مؤشرا أساسيا على الفقر، فأمام التأثير الضخم للعولمة، أصبحت إفريقيا باقتصادها الضعيف جدا والمتأثر بالظروف الطبيعية والأسعار المتذبذبة للمنتجات الأولية في السوق العالمي أفقر قارة في العالم.

الأمر الذي استغلته جهات من داخل هذه الدول وأطراف خارجية للتحريض وتكوين وإنشاء حركات معارضة للسلطة المركزية، تحمل على عاتقها المطالبة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية لفئة أو جماعة معينة [3].

---

[1]- محمد فريد سالي: **الساحل والصحراء ما بين الإمكانيات الاقتصادية وفرص الاستثمار الجذابة و انتشار ظاهرة الإرهاب**، موقع مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، مركز خاص بالشؤون الإفريقية، بتاريخ 2021/09/18م.

https://pharostudies.com/?p=7818

[2]- نفسه.

[3]- ظريف شاكر، **أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى: دراسة في الأسباب والانعكاسات**، المجلة العربية للعلوم السياسية، لبنان، المجلد \ العدد ع 42-41، سنة 2014 ص ص 93- 103، ص96.

المبحث الثاني: أزمة 2012 بمالي و انتشار حركات التطرف العنيف

المطلب الأول: وقائع الأزمة

تعود جذور أزمة مالي الرئيسية المتمثلة بمشكلة الطوارق إلى يناير1963 حين انطلقت حركة تمرد الطوارق من شمال أدرار إلى كيدال، منذ ذلك التاريخ تعيش مالي الحديثة على إيقاع أعمال العنف التي تجري في شمالها مع المجموعات المسلحة الطوارقية[1]. واستمرت هذه التمردات تتصاعد تارة وتخمد تارة أخرى، وهكذا توالت الأحداث في مالي وصولا إلى تمرد عام 2006 حين جرى التوصل إلى اتفاق صلح بين الطوارق والحكومة المالية، حيث حققت الحكومة بعض مطالب الطوارق[2]، وكان من أبرز بنود الاتفاق قيام الدولة بتنفيذ عدة برامج تنموية في المناطق التي يقطنها الطوارق كونها كانت دائما مناطق منسية وخارجة عن حسابات السلطة المركزية في باماكو.

وفي مستهل سنة 2012، تجددت أعمال العنف عبر الهجمات الخاطفة التي شنتها "الحركة الوطنية لتحرير أزواد" على عدد من المدن المالية بمنطقة "منكا" الموجودة على الحدود النيجيرية، و"تسالت" على الحدود الجزائرية، وهي كلها مدن تقع في النطاق الجغرافي لمحافظتي "كيدال وغاو"، وقد طالبت الحركة في بيان لها بتحرير تلك المناطق من الهيمنة المالية، وبذلك قدمت نفسها على أنها حركة استقلالية تسعى لإقامة دولة خاصة بالطوارق.

وتبعا لأعمال العنف المنتشرة في الشمال قام الجيش المالي في 22 مارس 2012 بانقلاب عسكري على الرئيس "توري" بواسطة النقيب "أمادو سانجو"، حيث أعلن الانقلابيون أن استيلاءهم على السلطة جاء ردا على سوء إدارة الرئيس "توري" للبلاد وللتمرد المتصاعد في الشمال وامتناعه عن تسليح الجيش المالي. إلا أن هذا الانقلاب العسكري قوبل بالرفض من المجتمع الدولي حيث قام الإتحاد الإفريقي بتعليق عضوية مالي وتجميد أرصدتها خارج مالي حتى ينسحب العسكر من السلطة ويعود الحكم المدني، كذلك قامت جماعة (الإيكواس) بتحذير الانقلابيين من تداعيات هذا الوضع وضرورة التراجع عنه وإلا ستقوم بفرض عقوبات اقتصادية ودبلوماسية على الانقلابيين الماليين[3].

وبعد النتائج الكارثية التي أعقبت الانقلاب وأهمها تمكن قوات الطوارق من السيطرة على كبريات مدن الشمال وتراجع قوات الجيش أمامها، تلاشت مبررات الانقلابيين بعد أن اتضح أن هؤلاء لم يستطيعوا قراءة المشهد السياسي في مالي بصورة جيدة. حيث قامت (الحركة الوطنية لتحرير أزواد) بإعلان استقلال هذا الإقليم في شمال مالي بتاريخ 6 أبريل 2012، هذا الفعل الذي لم يعترف به المجتمع الدولي، بل نبذه وحاول

---

[1]- فلاح خديجة، **السياسة الخارجية الفرنسية تجاه منطقة الساحل**، مذكرة تكميلية لنيل شهادة الماستر شعبة العلوم السياسية – تخصص سياسات عامة مقارنة، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي كلية الحقوق والعلوم السياسية- لسنة 2015/2014م، ص 58.

[2]-Edmond bernus, «Etre Toureg au Mali» politique africaine, no 47 (octobre 1992). P 27.

[3]- النويني مصطفى الحافظ، **"أزمة الدولة ما بعد الاستعمار في أفريقيا: حالة الدولة الفاشلة نموذج مالي"**، مجلة المستقبل العربي، العدد 422، (30 أبريل 2014)، ص ص 58- 72، ص 66.

مسرعا رد السلطة المالية إلى الشمال الذي تعامل هذا المجتمع معه بوصفه وكرا للإرهاب، فجاء قرار مجلس الأمن رقم 2071[1] الذي يحدد طبيعة التدخل الدولي في الأزمة المالية، ثم قام مجلس الأمن الإفريقي التابع للاتحاد الإفريقي برسم خطة (للإيكواس) للتدخل في الشمال المالي.

في ظل هذه التحضيرات جاء تدخل من القوات الفرنسية التي أحست أن مصالحها في خطر، ثم توالى الدعم الدولي بعد ذلك. لكن النتيجة كانت في نهاية المطاف أن منطقة "أزواد" تحولت بعد تسعة أشهر من انفصالها عن الدولة المركزية إلى قاعدة صلبة للمجموعات المسلحة والتطرف، إذ أدى فشل مشروع الدولة القومية الطوارقية الذي اعتمدته (الحركة الوطنية لتحرير أزواد)، التي لم تعد تسيطر فعليا على شمال مالي[2].

ولأزمة حركة أزواد في شمال مالي مع العاصمة باماكو في جنوب مالي، أسباب متعددة منها الأسباب السوسيو-ثقافية: حيث هناك تمايز عرقي بين الطوارق والعرب من جهة المنتشرين بشمال مالي والإثنيات الزنجية من جهة أخرى المتواجدين بالجنوب حيث توجد العاصمة باماكو، الشيء الذي ترتب عنه تباين ملحوظ في اللغة والثقافة والتقاليد والقيم الاجتماعية والإحساس بالهوية/الذات الأخرى.

ومن الأسباب السياسية أن رفضت قبائل الطوارق بعض التشكيلات الحكومية المركزية لكونها مشكلة بين الأقليات ك"الحوصة" والإثنيات الأخرى الذين كانوا عبيدا عند الطوارق في فترة من الفترات السابقة[3].

كما أدى التدهور الاقتصادي إلى اختلال التوازن في عملية التنمية الاقتصادية في مالي، خاصة بعد موجة الجفاف التي ضربت المنطقة الصحراوية، وهو ما ولد شعورا بالظلم والتهميش لدى الطوارق وترك لهم انطباعا مفاده أن عدم التكافؤ الاقتصادي لا يمكن استدراكه إلا من خلال استعمال وسائل القهر والقوة في شقها الاقتصادي. في المقابل انعكس ضعف الأداء الاقتصادي في مالي على الواقع الاجتماعي من خلال تفشي الفقر والأمراض والأوبئة، وأدى ضعف الهياكل المؤسساتية السياسية والاجتماعية والاقتصادية على فتح قنوات لتغلغل تنظيمات مسلحة طارقية وأخرى مضادة إلى المجتمع المالي، الأمر الذي أدى إلى تراجع دور الدولة في مقابل تنامي تأثير المجموعات الاثنية في مالي[4] .

---

[1]- "**قرار مجلس الأمن الدولي والتدخل العسكري الفرنسي**"، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/HarbFiMali/sec05.doc_cvt.htm

[2]- الدلاوي أحمد، **الوضع الأمني في منطقة الساحل والصحراء وأثره على الجزائر**، مذكرة نيل شهادة الماستر في شعبة العلوم السياسية تخصص: دراسات مغاربية، قسم العلوم السياسية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر- سعيدة- كلية الحقوق والعلوم السياسية سنة 2015/ 2016م، ص 40.

[3]- شليغم عبير، **التدخل الفرنسي في مالي وانعكاساته على منطقة الساحل الإفريقي (2012- 2013)**، رسالة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية دراسات أمنية واستراتيجية، قسم الدراسات الدولية، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، لسنة 2013/2012م، ص 12.

[4]- مشرط يحيى، **"الأزمة في شمال مالي وتداعياتها على منطقة الساحل الإفريقي"**، مقال نشر بجامعة المنار تونس، العدد 2، 2018م، ص ص 335- 357، ص 339- 340. للإطلاع أنظر الرابط التالي:

وقد شهدت العلاقات المتوترة بين الطوارق بشمال مالي والعاصمة باماكو بالجنوب الزنجي عدة محطات مواجهة من بينها أحداث عام 1960، بحيث ما إن استقلت مالي عن الاستعمار الفرنسي وتولى رئاستها موديبو كيتاModibo Keita، حتى نجح في ضم ولايتي" كيدال وتنبكتو" الصحراويتين بالقوة إلى حدود بلاده، وقد عانى سكان هذه المناطق من انحياز ثقافي ضد الهوية العربية والإسلامية، وتهميش اقتصادي واجتماعي واضح من جانب الحكومات المتعاقبة في باماكو التي ينحدر جل أعضائها من جنوب البلاد، حيث يتمركز العنصر الزنجي. وكرد فعل على ذلك ثار الطوارق عام 1961 انطلاقا من مدينة كيدال ليجدوا ردا عنيفا من جانب الجيش المالي، حيث اتبع الرئيس موديبوكيتا "Modibo Keita" حينها سياسة القمع والترهيب في مواجهة الثوار.

وفي عهد موسى تراوري "Moussa Traoré" تطلّع الطوارق إلى أوضاع أفضل بيد أن ذلك لم يتحقق، ومن ثم قاموا بالكثير من الأعمال الاحتجاجية والتّمردات المسلحة التي كانت تنتهي دوما باتفاقات سلام هشة مع الحكومات المركزية بوساطة ليبيا والجزائر[1].

بعد الإطاحة بنظام الرئيس المالي السابق "أمادو توماني توري Amadou Toumani Turéفي انقلاب عسكري بقيادة النقيب أمادو سانوغ في مارس 2012 تسلّم بعده السلطة دي كوندا تراوري Doncoundé Traoréكرئيس مؤقت لمالي يوم الخميس 12 أبريل من نفس السنة، لكن الرئيس الانتقالي "تراوري" سرعان ما تعرض لاعتداء بدني على أيدي جمهور غاضب من مواطنيه، مما استلزم نقله للخارج لتلقي العلاج. وبعد عودته إلى مالي اتخذ أول قرار يقضي بانتزاع بعض الصلاحيات من رئيس الحكومة "الشيخ موديبو ديارا"[3]،

---

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/64402

[1]- السيد شبانة، أيمن: **انهيار المصالحة في مالي**، موقع الخليج، 2013/11/21، على الرابط التالي:

https://www.alkhaleej.ae/%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%82/%D8%A7%D9%86%D9%87%D9%8A%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A

[2]- موقع الجزيرة، **من هو ديونكوندا تراوري**، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2013/4/22/%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%83%D9%88%D9%86%D8%AF%D8%A7-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%88%D8%B1%D9%8A

[3]- موقع الاتحاد: **تراوري الانقلاب والانفصال ... أم معركة الصلاحيات**؟ بتاريخ: 2012/8/5م. على الرابط التالي:

https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/67337/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%88%D8%B1%D9%8A:-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D8%A3%D9%85-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D8%9F

ذلك الذي أعلن استقالته من منصبه بأشهر وكان ذلك بعد ساعات من اعتقاله في دجنبر 2012م من قبل قائد الانقلاب العسكري السابق أمادو هايا سانوغو[1].

في ظل هذه العلاقة المتأزمة بين الجنوب المالي وشماله، وجدت الجماعات الدينية الأجواء المناسبة للدعاية لأفكارها المتشددة.

المطلب الثاني: خريطة حركات التطرف العنيف بمالي وبالساحل الأفريقي

بعد هزيمة تنظيمين داعش والقاعدة الإرهابيين في سوريا والعراق وتحرير معظم الأراضي التي استوليا عليها، بدأ التنظيمين بالتحول تدريجيا إلى حركة فكرية عقائدية، بعد أن فقدا السيطرة على الأرض، فباتا يمارسان أعمالا إرهابية في مناطق شتى من العالم تنتشر فيها أفرع لهما، وعلى رأسها منطقة الساحل الإفريقي.[2]

وفي الأعوام الأخيرة أصبحت منطقة الساحل الإفريقي المجال الرخو والخصب لنمو وتطور الإرهاب خاصة مع بروز مجموعة من المؤشرات الداعية لتنامي التطرف الديني من خلال وجود الحركات الجهادية التكفيرية والتي سيأتي التعرف عليها فيما يلي:

*- **جماعة أنصار الدين:** هي حركة طارقية سلفية جهادية[3]، تأسست في أكتوبر 2011 في مدينة كيدال بشمال مالي ويتزعمها إياد أغ غالي وهو زعيم طارقي محلي قاد حركة التمرد الثورية اليسارية في شمال مالي سنة 1989[4]. في مارس 2013 أدرجت الولايات المتحدة حركة أنصار الدين على قائمة المنظمات الإرهابية، وصنفت زعيم الجماعة إياد أغ غالي "زعيما إرهابيا"[5].

*- **حركة التوحيد والجهاد في غرب افريقيا:** هي حركة منشقة عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي[6]، وأعلن عن هذه الجماعة أول مرة في أكتوبر 2011 وتوصف بأنها الجماعة الإرهابية المسلحة

---

[1]- موقع الشرق الأوسط: **رئيس مالي يعلن استقالته وحل البرلمان والحكومة بعد احتجازه على أيدي جنود متمردين**، بتاريخ 2020/08/19. على الرابط التالي:

https://aawsat.com/home/article/2456376/%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%87-%D9%88%D8%AD%D9%84%D9%91-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%A9

[2]- موقع التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، **الإرهاب في منطقة الساحل حقائق وأرقام**، تقارير دولية، العدد أربعة وعشرون، بتاريخ 2021، ص 1. للإطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.imctc.org/ar/eLibrary/INTReports/Pages/Report01042021.aspx

[3]-موقع الجزيرة: **حركة أنصار الدين**، بتاريخ 2014/2/12.على الرابط التالي:

https://aja.me/lzbm6

[4]- أبو المعالي محمد محمود، "**الجغرافيا السياسية للتنظيمات الجهادية في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل**". مجلة لباب العدد الثالث، مركز الجزيرة للدراسات، 2019م.ص ص 101- 135، ص116.

[5]-نفسه.

[6]- أميرة محمد عبد الحليم، **تنظيم القاعدة في الساحل الإفريقي وربيع الثورات العربي**، القاهرة: آفاق أفريقية، المجلد 11، العدد (38)، (2013)، ص 118.

الأكثر إثارة للرعب في شمال مالي، ويأتي تأسيس هذه الجماعة بعد انشقاق زعيمها سلطان ولد بادي المكنى بأبو علي بعد رفض قيادة تنظيم القاعدة بتأسيس سرية خاصة بعرب أزواد التي تستوطن في مدينة غاو المالية[1].

*- **كتائب ماسينا:** اقتبست اسمها من إمبراطورية فولان الدينية الحاكمة بمالي خلال القرن 19[2] ، تأسست عام 2004م من طرف مقاتلين من قبائل الفلان الزنوج تحت قيادة الداعية السلفي محمد أمادو كوفا، وقد أعلنت قيادة هذا التنظيم فور تشكيلها عن مبايعتها لآمير جماعة أنصار الدين إياد أغ غالي وانخراطها في القتال إلى جانبه وتنشط كتائب تحرير ماسينا أساسا في منطقة "ماسينا" وسط جمهورية مالي خصوصا ولايتي "موبتي وسيغو" [3].

*- **إمارة الصحراء:** تعود أصول هذا التنظيم إلى ما يعرف بالمنطقة التاسعة في "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" الجزائرية التي كانت تنشط في الولايات الجنوبية الجزائرية بمحاذاة الحدود مع مالي لينتقلوا بعدها إلى شمال مالي سنة 2000 فاستقروا بالمنطقة وأسسوا ما عرف بإمارة الصحراء الكبرى، وقد تولت "إمارة الصحراء الكبرى" مهمة التفاوض مع قيادة القاعدة في أفغانستان حتى انضمام الجماعة إليها نهاية عام 2006م، فكان المختار بلمختار أول قائد لإمارة الصحراء وفي سنة 2007م تم عزله من قبل قيادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وتعيين الجزائري يحيى جوادي المكنى "يحيى أبو عمار" ثم تلاه "موسى أبو داود" وهو جزائري أيضا لكنه لم يتمكن من الوصول إلى شمال مالي فعين خلفا له "نبيل أبو علقمة" وهو جزائري أيضا، وبعد وفاته سنة2012م عين خلفا له الجزائري جمال عكاشة المكنى "يحيى أبو الهمام" الذي أعلن الفرنسيون اغتياله نهاية شهر فبراير2019م [4].

*- **جماعة المرابطون:** هي جماعة جهادية عنيفة في الساحل وغرب أفريقيا تهدف حسب زعمها لتطبيق الشريعة الإسلامية. وقد تشكلت الجماعة في عام 2013م نتيجة اندماج بين كتيبة الملثمين وحركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، ويرى المرابطون أن عليهم واجب تطبيق الشريعة الإسلامية لتوحيد المسلمين والحركات الإسلامية في أفريقيا لمواجهة التأثيرات العلمانية وغير الإسلامية، وقد أعلنت الجماعة أنها تستهدف فرنسا والمصالح الفرنسية في المنطقة[5].

---

[1]- روطان فريدة، "**واقع وتحديات العلاقات الأمنية الجزائرية الإفريقية في مجال مكافحة الإرهاب: الساحل الإفريقي نموذجا**"، مقال مقتطف من كتاب الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي، تنسيق الدكتور عبد الرحيم رحموني، 2018م، ص ص13- 64، ص 29.

[2]- موقع كيوبوست: **القاعدة في ساحل أفريقيا تهدد بانفجار الأوضاع: الجماعات الإرهابية تتوحد**، بتاريخ 27 دجنبر 2017م.على الرابط التالي: https://www.qposts.com/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D9%87%D8%AF%D8%AF-%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%AC%D8%A7%D8%B1-%D8%A7/

[3]- أبو المعالي محمد محمود، مرجع سابق، ص117.

[4]- نفسه، ص199.

[5]- Black, Andrew, "**Mokhtar belmokhtar the Algerian jihads southern Amir**", terrorism monitor, vol 6,issue 12,mai 8 ,2009. Pp 8, p8 -11.

*- **داعش:** تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا المسمى اختصارا بـ "داعش"، وهي مجموعة جهادية تتبنى إيديولوجية عنيفة حيث تطلق على نفسها اسم الخلافة وتدعي السلطة الدينية على كل المسلمين[1]، ولقد قاد هذه الجماعة "عدنان أبو الوليد الصحراوي"، والذي عمل قبلا تحت قيادة أمير كتيبة طارق ابن زياد "أحمد أبو زيد" بعدها انشق مع بعض زملائه عن تنظيم القاعدة وشكلوا جماعة جديدة باسم "جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا".[2]

*- **جماعة أنصار الإسلام في ب بوركينا-فاسو:** وهي جماعة أعلن عن ميلادها نهاية سنة 2016 أسسها المدعو " مالام إبراهيم ديكو"، وتضم مقاتلين من قبائل "الفلان" الإفريقية المنتشرين في شمال بوركينا-فاسو، وتعتبر أقرب تنظيميا وعرقيا إلى "كتائب ماسينا" المنتشرة في الوسط المالي[3]، وبعد وفاة قائد جماعة أنصار الدين "مالام إبراهيم ديكو"، تولى شقيقه "جعفر ديكو" قيادة هذه الجماعة. وتعتبر من أنشط الجماعات المسلحة في شمال وشرق بوركينافاسو، حيث نفذت عددا من الهجمات التي استهدفت قوات الجيش والأمن في بوركينا-فاسو، كما قامت بإغلاق عشرات المدارس الحكومية في شمال وشرق البلاد، وتدين هذه الجماعة بالولاء لتنظيم "القاعدة"[4].

*- **بوكو حرام في شمال نيجيريا:** تشير بعض التقارير الحكومية في نيجيريا أن أصول هذه الجماعة ترجع إلى جماعة أهل السنة والجماعة أو الهجرة التي أسسها شيخ أبو بكر لوان عام 1995، في جامعة مادوجيري في ولاية برنو، ونتيجة للظروف الاقتصادية وتعقيدات الواقع النيجيري والصراع الداخلي، تغيرت الجماعة وأعلن عن تنظيم جديد سمي بجماعة أهل السنة للدعوة والجهاد في عام 2002م على يد الشيخ محمد يوسف وعرفت بعد ذلك باسم (بوكو حرام).[5]

Pour plus d'informations, Voir le lien suivant :

https://jamestown.org/program/mokhtar-belmokhtar-the-algerian-jihads-southern-amir/

[1] - كلاع شريفة، **الامتدادات الجيوسياسية الناشئة لتنظيم داعش خارج حدود العراق وسوريا**، مجلة مدارات سياسية، المجلد رقم 4، العدد 1، سنة 2020، ص ص 63- 83، ص 67

[2]- أبو المعالي محمد محمود، مرجع سابق، ص125.

[3]– لو رو بولين: "**جماعة أنصار الإسلام"، في منطقة الساحل الإفريقي النشأة والظهور**، عرض وترجمة أحمد بركات، موقع أصوات أون لاين. أنظر الرابط التالي:

https://aswatonline.com/2019/09/18/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84

[4]- أبو المعالي محمد محمود، مرجع سابق، ص 129.

[5]- مرتضى أحمد: **جماعة (بوكو حرام) ...نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا**، من إعداد موقع قراءات إفريقية، بتاريخ 2021/4/5م.

https://www.qiraatafrican.com/home/new/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A8%D9%88%D9%83%D9%88-%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%85-%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%AA%D9%87%D8%A7-

المبحث الثالث: التدخل العسكري الفرنسي والأوروبي في مواجهة حركات التطرف العنيف ببلدان الساحل الأفريقي

المطلب الأول: التدخل العسكري الفرنسي والاتحاد الأوروبي

يرجع التواجد الفرنسي والأوروبي في القارة الإفريقية إلى فترة الاستعمار، بحيث كانت فرنسا تسيطر على مناطق شاسعة من القارة الإفريقية. الشيء الذي سمح لها بالتدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول إلى مستوى يصل إلى رسم وصناعة القرار فيها بما ينسجم ومصالح الدولة الفرنسية الحيوية[1].

وبحكم تدخل الجماعات الإسلامية في شمال مالي وتوجهها نحو المصالح الحيوية لفرنسا بمنطقة الساحل الأفريقي بمناجم الذهب بمالي والأورانيوم بالنيجر، فقد سعت فرنسا إلى التدخل العسكري السريع لتوقيف المد الجهادي العنيف اعتماداً أساساً على السلاح الجوي انطلاقاً من قواعد عسكرية كانت لديها بعدة مواقع من بلدان الساحل الأفريقي.

وتمثل **عملية سرفال** باكورة التدخل العسكري الفرنسي في الأزمة المالية، ففي دجنبر عام 2012م نجحت فرنسا في استصدار قرار رقم 2085 من مجلس الأمن والذي يخول للقوات الفرنسية التدخل عسكريا في مالي تحت أهداف ظاهرية هي الدفاع عن السلامة الإقليمية، وإعادة سلطة الدولة على المناطق التي سيطر عليها المتمردون[2]، وأهداف غير معلنة تتمثل في حماية المصالح الاقتصادية للدولة المستعمرة سابقا.

بدأ التدخل العسكري الفرنسي بالفعل في11 من يناير 2013، في إطار مهمة تقضي بمساعدة قوات الجيش المالي على وقف تقدم الجماعات المسلحة، من المنطقة الشمالية للبلاد، وضمان سلامة المدنيين ولتصفية المتمرّدين المتحالفين في تلك الفترة مع التنظيمات المتطرّفة[3].

%D9%88%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%A6%D9%87%D8%A7-
%D9%88%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-
%D9%86%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%A7#sthash.gsTV5Zoe.4ksfEoli.dpbs

[1]- Filiu –, "Could Al-Qaeda Turn African in the Sahel" ,Jean Pierre, Carnegie Papers, Carnegie Endowment for international Middle East Program. n° 112. June 2010. Pp1-1. P3.1peace.

[2]- محيي الدين، شيماء: **الوجود العسكري الفرنسي ومكافحة الإرهاب في الساحل: ما بعد برخان**، موقع فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 2020/04/4م. على الربط التالي:
https://pharostudies.com/?p=4146

[3]- التابتي ليلى: **في 10سنوات...7 عمليات عسكرية فرنسية في إفريقيا(أثفوغر افيك)**، شبكة مواقع الأناضول، 2016/02/2م. على الرابط التالي:

https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7/%D9%81%D9%8A-10-
%D8%B3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%AA-7-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-
%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-

وبناء على طلب الحكومة المالية، حشدت القوات الفرنسية ما يصل إلى 4500 جندي فرنسي، وقد مكّن هذا التدخل العسكري من وقف الهجوم الجهادي الذي كان يهدد باماكو، ووضع حد للتنظيم الإرهابي المتطرف الذي تمركز في شمال مالي.[1]

ولقد حققت هذه العملية نجاحا في بداية الأمر وذلك بطرد جماعات مسلحة خارج مدن شمال مالي، لكن الوجود العسكري الفرنسي في مالي لم يتم تحقيق كل أهدافه، لأن تلك الجماعات سرعان ما أعادت تنظيم نفسها، بل إنها عززت من تحالفاتها مع جماعات إرهابية دولية وأخرى محلية، تحت اسم "جماعة نصرة الإسلام والمسلمين"، والتي وسَّعت من أنشطتها لتشمل دول منطقة الساحل ككل.[2] فحاولت فرنسا ملاحقة هذا التحول عبر انتقالها من عملية "سرفال" المحدودة إلى نطاق أوسع عبر قوات "برخان" التي تشمل دائرتها منطقة الساحل بشكل عام، مع التركيز على مثلث اللهيب (مالي، النيجر، بوركينا-فاسو)[3] .

واستلمت **عملية "برخان"** المشعل من عملية "سرفال" في كل من مالي والتشاد، في الأول من غشت 2014 لتتخذ بعدا إقليميا حماية لمصالح فرنسا الاستراتيجية في الساحل الإفريقي، والتهديدات التي تواجهها المنطقة، وعلى رأسها محاربة "الإرهاب".

وترتكز المقاربة الاستراتيجية لهذه العملية العسكرية التي تضم خمسة بلدان إفريقية هي مالي، بوركينا-فاسو، النيجر، تشاد، وموريتانيا على منطق الشراكة بين هذه البلدان[4]. وتهدف عملية برخان إلى فكرة الشراكة، وهي تشكل العلاقات التي تحتفظ بها برخان مع القوات الأخرى المشاركة في عملية تحقيق الاستقرار في مالي وهي: بعثة الأمم المتحدة المتكاملة المتعددة الأبعاد لتحقيق الاستقرار في مالي، وبعثة الاتحاد الأوروبي في مالي، والقوات المسلحة المالية "فاما"[5].

وترتكز المقاربة الأوربية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي على الالتزام بضمان التنمية والحكامة ودولة

%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-
%D8%A7%D9%86%D9%81%D9%88%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%81%D9%8A%D9%83/514248

[1] -Ministère De La Défense, **"Dossier De Presse : Opération Barkhane"** ; République Française, juillet 2016.pp1- 34.p5.

[2]- **حمودي إسماعيل**، الانسحاب من فرنسي من مالي: تحولات ميزان القوى أم حسابات جديدة، **مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 7\3\2022 للاطلاع انظر الرابط التالي:**

https://studies.aljazeera.net/ar/article/5313

[3]- **السالم محمد**، "فرنسا ومستنقع الساحل: مسارات العنف وصراع الإرادات" **مركز الجزيرة للدراسات 2020م. على الرابط التالي:**
https://studies.aljazeera.net/ar/article/4590

[4]- قناة الجزيرة الفضائية: **من إيبرفييه لبرخان.. عمليات عسكرية فرنسية بإفريقيا**، بتاريخ: 2016/02/3م، على الرابط التالي:
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2016/2/3/%D9%85%D9%86-
%D8%A5%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D9%81%D9%8A%D9%8A%D9%87-
%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%AE%D8%A7%D9%86-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-
%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9

[5] -Ministère De La Défense**, "Dossier De Presse: Opération Barkhane"**; République Française, juillet 2016.pp1- 34, p4.

القانون، وحل النزاعات الداخلية، وتعزيز التعاون الإقليمي، وتقوية القدرات الأمنية الوطنية [1]، ومكافحة الإرهاب الممول ب6.7 مليون أورو، خلال فترة 2012- 2014 من تقوية القدرات العملية في مجال مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، وذلك بوضع دائرة أوروبية للشرطة وتكوين المتدخلين في العدالة والأعمال الشرطية، واقتسام المعلومات والخبرات.[2] إلا أن ذلك لم يمنع من تحول المنطقة إلى بؤرة للإرهاب في العالم، ففي سنة 2015 انضمت جماعة "بوكو حرام" إلى تنظيم داعش، وشكلت ما يسمى "تنظيم الدولة الإسلامية- ولاية غرب إفريقيا". وأمام استمرار تدهور الوضع الأمني في الساحل، وتزايد اعتماد بعض دول المنطقة على روسيا، سعت الدول الأوروبية إلى نجدة فرنسا، من خلال عملية "تاكوبا".[3]

- **قوة تاكوبا الأوروبية:** في مطلع شهر يناير عام 2020م أعلنت فرنسا وعدد من حلفائها في أوروبا عن اعتزامهم تشكيل قوة عسكرية جديدة باسم "تاكوبا"[4]. وتهدف قوة تاكوبا من اندماجها في عملية برخان إلى تدريب ومرافقة وحدات من الجيش المالي في القتال وتطوير القدرات التشغيلية للقوات المحلية ونقل المعرفة الاستثنائية والدعم القتالي، وتقديم المشورة ومساعدة القوات الشريكة في قتال الإرهابيين، وتدريب القوات المحلية لدعم مسيرتها صوب تحقيق الاستقلال الذاتي، والقدرة على الصمود أمام التحدي الإرهابي.[5]

المطلب الثاني: تمدد حركات التطرف العنيف ببلدان الساحل الأفريقي

رغم العمليتين العسكرتين لفرنسا بمنطقة الساحل الأفريقي سرفال وبرخان، وللاتحاد الأوروبي: تاكوبا، فإن حركات التطرف قد استطاعت أن تحافظ على وجودها، بل أن تتمدد من المنطقة المذكورة اتجاه خليج غينيا وساحل العاج.

وقد اعتبرت اللجنة الإفريقية للأمن والاستخبارات، والتي تدعم وتساعد الاتحاد الإفريقي في مواجهة التهديدات الأمنية، أن هنالك ما يقارب 20 إلى 40% من المقاتلين المتشددين الأجانب ممن عادوا إلى بلدانهم انطلاقًا من الأراضي السورية والعراقية ومناطق ساخنة أخرى، بعد أن شاركوا في القتال إلى جانب تنظيم

---

[1]- رسولي أسماء، **التهديدات الأمنية في الساحل الأفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر2001**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، تخصص العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة- 1- كلية الحقوق والعلوم السياسية، سنة 2018/2017م. ص266.

[2]- Wolfram Lacher, **"The Malian crisis and the challenge of regional security cooperation stability"**: International Journal of security and Development, 2(2): 2013. P29.

[3]- حمودي إسماعيل، مرجع سابق.

[4]- محي الدين شيماء، **الوجود العسكري الفرنسي ومكافحة الإرهاب في الساحل: مابعد برخان**، موقع فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 2020/04/4م.

https://pharostudies.com/?p=4146

[5]- الصباحي نسرين: **قوة "تاكوبا"، الخيارات الفرنسية الجديدة في الساحل الإفريقي**، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، بتاريخ2021/06/18م. على الرابط التالي:

https://www.politics-dz.com/%D9%82%D9%88%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D9%83%D9%88%D8%A8%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF

داعش. معتبرة في نفس الوقت أن كلًّا من المقاتلين الأجانب والمرتزقة والمنظمات المارقة عبارة عن مثلث الرعب في القارة الإفريقية. وهو ما دفع، إلى عقد اجتماع في الخرطوم، ضم عشرات الضباط المنتمين إلى أجهزة استخبارات ثلاثين دولة إفريقية من بينهم السودان ورواندا وأوغندا وإثيوبيا ومصر وجنوب إفريقيا؛ وذلك قصد البحث عن استراتيجية إقليمية فاعلة من أجل مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، خاصة أن تقارير اللجنة أشارت إلى أن هنالك الآلاف من الشباب الإفريقي المنضوي تحت لواء مجموعات إرهابية عديدة، على غرار تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وهو ما قد يشكِّل تهديدًا حقيقيًّا بالنسبة لأوطانهم. خاصة وأن أعدادًا كبيرة منهم حاملين لجوازات سفر غربية، وهو ما يسمح لهم بالتنقل عبر أراضي القارة الإفريقية بكل سهولة. وهو أمر حسب نفس اللجنة يقتضي حزمًا وسرعة في التحرك تفاديًا لأية عواقب أمنية مفاجئة.[1]

وأمام هذه الوضعية المأزومة والمتفاقمة، وبعد أن فشل رؤساء الدول وحكوماتهم المنتخبين ديموقراطياً في تجاوز أزمات السلطة والتنمية الاقتصادية وإحداث تحولات ونقلات اجتماعية تلبي الطموحات الشعبية، وتقضي على الظاهرة الإرهابية التي شكلتها جماعات التطرف العنيف، فقد أخذ الجيش ببلدان الساحل الأفريقي المبادرة السياسية بيده عبر خوضه انقلابات اوصلته إلى الحكم، متحدياً فرنسا طالباً إياها بمغادرة القواعد العسكرية بعد إلغاء الاتفاقيات ذات الصلة بالوجود الفرنسي بالمنطقة.

[1]- نسيم بهلول، **تنظيم الدولة والتمدد في إفريقيا: الاستثمار في الهشاشة**، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 30\12\2019، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/12/191230055515745.html

المبحث الرابع: ظاهرة الانقلابات العسكرية وإشكالية التنمية

تعتبر دول الساحل الإفريقي مسرحا لتحديات ضخمة تتنوع بين الاستقرار السياسي وتحقيق التنمية الاقتصادية، من بين هذه التحديات البارزة تتسلل ظاهرة الانقلابات العسكرية كظاهرة سياسية معقدة، تلقي بظلالها السلبية على جهود التنمية في المنطقة.

المطلب الأول: ضعف إسهام فرنسا في تحقيق التنمية ببلدان الساحل وتنامي رفض وجودها

تعتبر فرنسا واحدة من الدول الرئيسية التي لها تأثير كبير في عدة دول إفريقية خاصة في منطقة الساحل، ومع ذلك هناك بعض الجوانب التي يمكن النظر إليها كضعف في إسهام فرنسا في تحقيق التنمية في هذه البلدان، يمكن تسليط الضوء على بعض النقاط التي قد تسهم في هذا السياق:

- النظام الاستعماري السابق: إذ يشير الخبراء إلى أن النهب الاقتصادي الفرنسي لثروات القارة والتحكم الكامل في معاملاتها التجارية والنقدية خلال فترة الاستعمار ساهم في تقويض تنمية تلك الدول.[1]

- الديون الخارجية: إذ تعاني منطقة الساحل والصحراء من عدة اختلالات، حيث إن معظمها تصنف ضمن فئة البلدان الأقل نموا، هذا بالإضافة إلى الديون الخارجية الكبيرة التي تعاني منها هذه الدول[2].إذ أن كل هذه الديون كان لها عبئا كبيرا على التنمية المستدامة.

- عدم التوزيع العادل للثروة: إذ كان لعدم التوزيع العادل للثروة ونقص الفرص انعكاسا لعدم فعالية السياسات الاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى تفاقم التفاوت الاقتصادي والاجتماعي.

وتطرح الاحتجاجات التي شهدتها العديد من الدول الأفريقية في العامين الماضيين ضد الوجود والنفوذ الفرنسيين فيها بداية من مالي، مرورا ببوركينا- فاسو، وصولا للنيجر.

فمع تولي المجلس العسكري الذي يقوده الكولونيل "أسيمي غويتا" الحكم في مالي سنة 2020، تعالت الأصوات المحلية الرافضة للوجود العسكري الفرنسي في المنطقة، باعتبار أن فرنسا قد خسرت الحرب ضد الإرهاب، إذ هناك من اعتبر أن الوجود الفرنسي قد ساهم في تنامي الحركات الإرهابية المدعومة من القوى الدولية الرافضة للنفوذ الفرنسي في المنطقة لصراعها حول الهيمنة.

ولم يقتصر رفض القوات الفرنسية على مالي، بل انتقل مباشرة إلى بوركينا-فاسو التي طالبت للقوات الفرنسية مغادرة العاصمة واغادوغو. وفي أواخر سنة 2022 حدثت مظاهرات تطالب بخروج فرنسا من

---

[1]- موقع trtعربي، **فرنسا و إفريقيا "استعمار" متواصل ونهب مستمر للثروات**، بتاريخ 1\12\2020، للاطلاع انظر الرابط التالي:
https://www.trtarabi.com/issues/%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7-%D9%88%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D9%88%D9%86%D9%87%D8%A8-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D9%84%D9%84%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%AA-3710328

[2]- محمد فريد سالي، مرجع سابق.

البلاد لفشلها في مواجهة الأنشطة الإرهابية لتنظيم القاعدة والدولة الإسلامية. إذ قيل إن هذه التحركات التي قامت بها بوركينافاسو مدفوعة بالدعم الروسي والتي كانت متمحورة حول الحد من النفوذ الفرنسي الذي تطغى عليه المصلحة الخاصة في مقابل فتح الباب للقوات الروسية[1].

المطلب الثاني: ظاهرة الانقلابات العسكرية ببلدان الساحل وإلغاء الاتفاقيات العسكرية مع فرنسا والبعثة العسكرية للأمم المتحدة.

شهدت العديد من دول الساحل الإفريقي تغييرات سياسية جذرية تمت عبر وسائل غير دستورية، ويمكن الإشارة إلى أن أحد الأسباب الرئيسية للانقلابات يكمن في الشعور بأن الأنظمة القائمة تمثل أداة للقوى الاستعمارية السابقة، وهو ما عُدَّ أحد أسباب الانقلابات في كثير من الدول الإفريقية، وبخاصة مالي، وبوركينا فاسو، والنيجر، والغابون[2].

كما ترتبط ظاهرة الانقلابات بمشكلة الخلل الوظيفي الذي وجدت فيه الدول الإفريقية نفسها بعد فترة الاستقلال، والعجز عن بناء كيانات سياسية قادرة على ضمان الانسجام الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الواحد[3].

بالإضافة إلى فقدان مصداقية فكرة الديمقراطية كآلية حكم يمكن أن تحقق مطالب الأفارقة في عيش إنساني كريم يلبي حاجاته الاقتصادية والصحية والتعليمية، يعد أحد أهم أسباب الانقلابات العسكرية، ذلك أن الشعوب لم تجن مكاسب من مسألة تداول السلطة من طريق الانتخابات. كذلك فشلت الحكومات في حماية ترابها الوطني مما نتج عنه عجزا عن صون الأمن الوطني ورفعاً لمستوى تهديدات الأمن الإنساني للمواطنين مما جعل درجات الغضب ترتفع ضد النخب الحاكمة على المستوى الشعبي وجعل أي

---

[1]- العجرودي صابرين، **التحولات الأمنية في منطقة الساحل والصحراء**، موقع المركز الأمني للدراسات الإستراتيجية والأمنية والعسكرية، تاريخ 20\03\2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://ciessm.org/2023/03/20/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B5

[2]- أديب منير، **الانقلابات العسكرية في إفريقيا وتداعياتها على مكافحة الإرهاب**، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، بتاريخ 5\09\2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://trendsresearch.org/research.php?id=989&title=%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7_%D9%88%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7_%D8%B9%D9%84%D9%89_%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%81%D8%AD%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8

[3]- ظريف شاكر، مرجع سابق، ص96.

سلطة انقلابية تبرر مشروعيتها بمزاعم حماية الأمن، ولعل بوركينا - فاسو نموذج لهذه الحالة التي شهدت ارتفاعا في أعداد الضحايا نتيجة العمليات الإرهابية[1].

وبعد تدهور العلاقات بين باماكو وحليفتها القديمة فرنسا في مجال مكافحة الجهاديين، قرر المجلس العسكري الحاكم في مالي إلغاء الاتفاقيات الدفاعية الموقعة مع فرنسا وشركائها الأوروبيين، احتجاجا على "الانتهاكات الصارخة" للقوات الفرنسية المتواجدة في البلاد للسيادة الوطنية و"خروقاتها الكثيرة" للمجال الجوي المالي. إذ قال المتحدث باسم الحكومة المالية الكولونيل عبد الله مايغا في تصريح للتلفزيون الرسمي: إن الحكومة ألغت كلّ الاتفاقيات التي تحدّد إطاراً قانونياً لوجود قوّتي برخان الفرنسية وتاكوبا الأوروبية في مالي[2].

كما أعلن المجلس العسكري الحاكم في مالي، برئاسة الكولونيل عاصمي جويتا، 2022، إلغاء الاتفاقيات الدفاعية كافة التي وقعتها باماكو مع فرنسا وشركائها الأوروبيين، بما في ذلك اتفاقيات وضع القوات "سوفا"، واتفاقية الدفاع المشتركة التي وقعت في 16 يوليو 2014، في خطوة تؤشر إلى تنامي التوتر بين باماكو من ناحية، وباريس والقوى الأوروبية من ناحية أخرى. إذ عمد المجلس العسكري الانتقالي الحاكم في مالي إلى انتهاج سياسة تصعيدية إزاء فرنسا [3].

---

[1]- طويل أماني، **لماذا تزدهر الانقلابات العسكرية في إفريقيا**، موقع أدبندنت عربية، بتاريخ 2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:
https://www.independentarabia.com/node/488856/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D8%AD%D9%84%DB%8C%D9%84/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%B2%D8%AF%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%9F

[2]- موقع الخليج، **المجلس العسكري الحاكم في مالي يلغي الاتفاقيات الدفاعية مع فرنسا**، بتاريخ 3\05\2022، للاطلاع انظر الرابط التالي:
https://www.alkhaleej.ae/2022-05-03/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%8A%D9%84%D8%BA%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9

[3]- موقع الجزيرة للدراسات، **تعرف على أهم الاتفاقيات العسكرية بين النيجروفرنسا**، بتاريخ 4\9\2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:
https://www.aljazeera.net/news/2023/9/4/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A3%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-2

ولقد اتخذ أيضا النظام العسكري الانتقالي لبوركينا فاسو قراراً بإلغاء الاتفاق المتعلق بوضعية القوات الفرنسية في البلاد، وإمهالها شهرا واحدا لمغادرة أراضي الدولة في 18 يناير 2023. وبالفعل أعلنت هيئة أركان الجيش في بوركينا فاسو في بيان رسمي انتهاء عمليات القوة الفرنسية العسكرية "سابر" في فبراير من العام ذاته[1]. إذ يعد هذا القرار مؤشرا على تدهور العلاقات بين فرنسا ومستعمرتها السابقة منذ الانقلاب العسكري في شتنبر 2022. ويسود بعض التوتر بسبب تصورات بأن الوجود العسكري الفرنسي في بوركينا فاسو لم ينتج عنه تحسن للوضع الأمني للدولة[2].

وفي المقابل، أصبحت فرنسا عبر استخباراتها المدنية والعسكرية تتقرب من زعماء الجماعات الإرهابية بالساحل لضمان نفوذها[3]، عبر خلق ارتباك أمني بالمنطقة والإبقاء على الحاجة إليها.

[1]- محمود زكريا، **مزاحمة الغرب: ما أبعاد السياسة الروسية تجاه الساحل الإفريقي**، موقع إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية، بتاريخ 23\11\2023. للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.interregional.com/article/%D9%85%D8%B2%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8:/2008/Ar

[2]- موقع يورونيوز، **الحكومة العسكرية في بوركينافاسو تمهل القوات العسكرية مغادرة أراضيها**، بتاريخ 22\01\2023، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://arabic.euronews.com/2023/01/22/burkina-faso-calls-france-withdraw-its-military-forces

[3]- الشاكري مصطفى، **الجماعات الإرهابية المتطرفة.... من الساحل الإفريقي اتجاه المغرب**، موقع هسبريس، بتاريخ 9\03\2023، للطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.hespress.com/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%8A%D9%81%D8%A9-1135435.html

الخلاصة:

تواجه دول الساحل عاصفة من التحديات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، وكلها تؤدي إلى تفاقم هشاشة دول المنطقة، وذلك ناتج عن ضعف اقتصادها وعجز تمويل المشاريع التنموية، إذ تتسم المنطقة بهشاشة في البنية التحتية، وتدني الخدمات، وانتشار الفساد، مما يؤدي إلى نقص الأمان والاستقرار، فعدم قدرة الحكومات على ضبط الأوضاع أدى إلى تفاقم النزاعات والأزمات الإنسانية، وهذا الواقع جعل المنطقة مركزا للحركات الجهادية أو التطرف العنيف، مما سلط الضوء على الفشل في تحسين حضور مؤسسات الدولة وحماية مواطنيها وتجويد معيشهم الحياتي.

توصيات:

يتطلب ضمان الاستقرار في دول الساحل الإفريقي مستقبلا أكثر من مجرد مقاربة عسكرية بحته، إذ تعد الاستثمارات في التعليم والبنية التحتية وتخفيف حدة الفقر وتنظيم الأسرة ومشاركة الشباب ومبادرات الحكم الرشيد والإغاثة الإنسانية واستراتيجيات التكيف مع المناخ، من بين الأمور الضرورية لتخفيف الضغوط على تلك الدول ومعالجة الأسباب الأوسع لانعدام الأمن والتطرف العنيف.[1]

أما في سياق التنمية الاقتصادية، يتعين تعزيز الاستثمار في الزراعة والصناعة، وتحسين بنية البنية التحتية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب تعزيز التعليم والصحة، بما في ذلك زيادة الاستثمار في التعليم وتوفير خدمات الصحة العامة. كما يجب التركيز على أهمية الاستدامة البيئية من خلال تعزيز مشاريع الطاقة المتجددة والتصدي للتصحر. وينبغي أيضاً تطوير البنية التحتية للأمان من خلال تقوية القدرات الأمنية المحلية وتقديم التدريب والتجهيز، وذلك بتعاون دولي مع المنظمات الإقليمية والدولية، باعتبار أن هذا النهج المتكامل يستند إلى التعاون وتعزيز القدرات المحلية لتحقيق التنمية المستدامة وضمان الأمان. فمن دون تنمية اقتصادية، تظل استعدادات المهمشين لاحتضان أفكار حركات التطرف العنيف قائمة ومستمرة.

[1]- موقع التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، **مؤشرات الدول الهشة لسنة 2018**، تقارير دولية، العدد الثالث، بتاريخ 10\08\2019، ص 37. للإطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.imctc.org/ar/eLibrary/INTReports/Pages/Reports10082019.aspx

المراجع:

غالمي يونس، **الوضع الأمني بدول الساحل الإفريقي وتأثيره على الجزائر: مرحلة مابعد الحرب الباردة**، رسالة لنيل شهادة ماستر، في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة حمة الخضر- الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، سنة 2017- 2018م، ص34.

شاكر ظريف: **أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى: دراسة في الأسباب والانعكاسات**، المجلة العربية للعلوم السياسية – لبنان، المجلد \العدد ع 42- 41 سنة 2014، ص ص 93-103، ص 102.

الديواني عبد الغفار، **الأدوار الإقليمية والدولية في الساحل الإفريقي**، موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، بتاريخ 19\02\2015، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.futureuae.com/ar/Mainpage/Item/628/%D9%85%D8%B9%D8%B6%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A

[1]- Khadija Mohsen, **" Security and insecurity in the Mediterranean Seminar on Security and Defence in the Mediterranean"**, pp :51- 58. p54.

بومدين عربي، **"أزمة الدولة في الساحل الإفريقي"**، مجلة شؤون الشرق الأوسط، العدد 151، سنة 2015م، ص ص 137-153، ص143.

محمد فريد سالي: **الساحل والصحراء ما بين الإمكانيات الاقتصادية وفرص الاستثمار الجذابة و انتشار ظاهرة الإرهاب**، موقع مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، مركز خاص بالشؤون الإفريقية، بتاريخ 2021/09/18م.

https://pharostudies.com/?p=7818

ظريف شاكر، **أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى: دراسة في الأسباب والانعكاسات**، المجلة العربية للعلوم السياسية، لبنان، المجلد \ العدد ع 42-41، سنة 2014 ص ص 93-103، ص96.

فلاح خديجة، **السياسة الخارجية الفرنسية تجاه منطقة الساحل**، مذكرة تكميلية لنيل شهادة الماستر شعبة العلوم السياسية – تخصص سياسات عامة مقارنة، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي كلية الحقوق والعلوم السياسية- لسنة 2015/2014م، ص 58.

Edmond bernus, «Etre Toureg au Mali» politique africaine, no 47 (octobre 1992). P 27.

النويني مصطفى الحافظ، **"أزمة الدولة ما بعد الاستعمار في أفريقيا: حالة الدولة الفاشلة نموذج مالي"**، مجلة المستقبل العربي، العدد 422، (30 أبريل 2014)، ص ص 58- 72، ص 66.

"قرار مجلس الأمن الدولي والتدخل العسكري الفرنسي"، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/HarbFiMali/sec05.doc_cvt.htm

الدلاوي أحمد، **الوضع الأمني في منطقة الساحل والصحراء وأثره على الجزائر**، مذكرة نيل شهادة الماستر في شعبة العلوم السياسية تخصص: دراسات مغاربية، قسم العلوم السياسية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر- سعيدة- كلية الحقوق والعلوم السياسية سنة 2015/ 2016م، ص 40.

شليغم عبير، **التدخل الفرنسي في مالي وانعكاساته على منطقة الساحل الإفريقي (2012- 2013)**، رسالة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية دراسات أمنية واستراتيجية، قسم الدراسات الدولية، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، لسنة 2013/2012م، ص 12.

مشرط يحيى، **"الأزمة في شمال مالي وتداعياتها على منطقة الساحل الإفريقي"**، مقال نشر بجامعة المنار تونس، العدد 2، 2018م، ص ص 335- 357، ص 339- 340. للإطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/64402

السيد شبانة، أيمن: **انهيار المصالحة في مالي**، موقع الخليج، 2013/11/21، على الرابط التالي:

https://www.alkhaleej.ae/%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%82/%D8%A7%D9%86%D9%87%D9%8A%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A

موقع الجزيرة، **من هو ديونكوندا تراوري**، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2013/4/22/%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%83%D9%88%D9%86%D8%AF%D8%A7-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%88%D8%B1%D9%8A

موقع الاتحاد: **تراوري الانقلاب والانفصال ... أم معركة الصلاحيات**؟ بتاريخ: 2012/8/5م. على الرابط التالي:

https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/67337/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%88%D8%B1%D9%8A:-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D8%A3%D9%85-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D8%9F

[1]- موقع الشرق الأوسط: **رئيس مالي يعلن استقالته وحل البرلمان والحكومة بعد احتجازه على أيدي جنود متمردين**، بتاريخ 2020/08/19. على الرابط التالي:

https://aawsat.com/home/article/2456376/%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%87-

%D9%88%D8%AD%D9%84%D9%91-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%A9

موقع التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، **الإرهاب في منطقة الساحل حقائق وأرقام**، تقارير دولية، العدد أربعة وعشرون، بتاريخ 2021، ص 1. للإطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.imctc.org/ar/eLibrary/INTReports/Pages/Report01042021.aspx

موقع الجزيرة: **حركة أنصار الدين**، بتاريخ 2014/2/12.على الرابط التالي:

https://aja.me/lzbm6

أبو المعالي محمد محمود، "**الجغرافيا السياسية للتنظيمات الجهادية في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل**". مجلة لباب العدد الثالث، مركز الجزيرة للدراسات، 2019م.ص ص 101- 135، ص116.

أميرة محمد عبد الحليم، **تنظيم القاعدة في الساحل الإفريقي وربيع الثورات العربي**، القاهرة: آفاق أفريقية، المجلد 11، العدد (38)، (2013)، ص 118.

روطان فريدة، "**واقع وتحديات العلاقات الأمنية الجزائرية الإفريقية في مجال مكافحة الإرهاب: الساحل الإفريقي نموذجا**"، مقال مقتطف من كتاب الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي، تنسيق الدكتور عبد الرحيم رحموني، 2018م، ص ص13- 64، ص 29.

موقع كيوبوست: **القاعدة في ساحل أفريقيا تهدد بانفجار الأوضاع: الجماعات الإرهابية تتوحد**، بتاريخ 27 دجنبر 2017م.على الرابط التالي:

https://www.qposts.com/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-/%D8%AA%D9%87%D8%AF%D8%AF-%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%AC%D8%A7%D8%B1-%D8%A7

, terrorism **"Mokhtar belmokhtar the Algerian jihads southern Amir"**Black, Andrew, .8, p8 -11 Pp .2009.monitor, vol 6,issue 12,mai 8

Pour plus d'informations, Voir le lien suivant :

https://jamestown.org/program/mokhtar-belmokhtar-the-algerian-jihads-southern-amir/

كلاع شريفة، **الامتدادات الجيوسياسية الناشئة لتنظيم داعش خارج حدود العراق وسوريا**، مجلة مدارات سياسية، المجلد رقم 4، العدد 1، سنة 2020، ص ص 63- 83، ص 67

أبو المعالي محمد محمود، مرجع سابق، ص125.

لو رو بولين: **"جماعة أنصار الإسلام"، في منطقة الساحل الإفريقي النشأة والظهور**، عرض وترجمة أحمد بركات، موقع أصوات أون لاين. أنظر الرابط التالي:

https://aswatonline.com/2019/09/18/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84

مرتضى أحمد: **جماعة (بوكو حرام) ...نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا**، من إعداد موقع قراءات إفريقية، بتاريخ 2021/4/5م.

https://www.qiraatafrican.com/home/new/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A8%D9%88%D9%83%D9%88-%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%85-%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%88%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%A6%D9%87%D8%A7-%D9%88%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D9%86%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%A7#sthash.gsTV5Zoe.4ksfEoli.dpbs

Carnegie Papers, Carnegie Jean Pierre, "Could Al-Qaeda Turn African in the Sahel" ,–Filiu . P3.1Endowment for international peace. Middle East Program. n° 112. June 2010. Pp1-1

محيي الدين، شيماء: **الوجود العسكري الفرنسي ومكافحة الإرهاب في الساحل: ما بعد برخان**، موقع فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 2020/04/4م. على الربط التالي:

https://pharostudies.com/?p=4146

التابتي ليلى: **في 10سنوات...7 عمليات عسكرية فرنسية في إفريقيا(أثفوغر افيك)**، شبكة مواقع الأناضول، 2016/02/2م. على الرابط التالي:

https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7/%D9%81%D9%8A-10-%D8%B3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%AA-7-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%86%D9%81%D9%88%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%81%D9%8A%D9%83/514248

Ministère De La Défense, **"Dossier De Presse : Opération Barkhane**" ; République Française, juillet 2016.pp1- 34.p5.

حمودي إسماعيل، الانسحاب من فرنسي من مالي: تحولات ميزان القوى أم حسابات جديدة، **مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 7\3\2022 للاطلاع انظر الر ابط التالي:**

https://studies.aljazeera.net/ar/article/5313

السالم محمد، "فرنسا ومستنقع الساحل: مسارات العنف وصراع الإرادات" **مركز الجزيرة للدراسات 2020م. على الر ابط التالي:**

https://studies.aljazeera.net/ar/article/4590

قناة الجزيرة الفضائية: **من إيبرفييه لبرخان.. عمليات عسكرية فرنسية بإفريقيا**، بتاريخ: 2016/02/3م، على الرابط التالي:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2016/2/3/%D9%85%D9%86-%D8%A5%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D9%81%D9%8A%D9%8A%D9%87-

%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%AE%D8%A7%D9%86-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9

رسولي أسماء، **التهديدات الأمنية في الساحل الأفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر2001**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، تخصص العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة- 1- كلية الحقوق والعلوم السياسية، سنة 2018/2017م. ص266.

Wolfram Lacher, **"The Malian crisis and the challenge of regional security cooperation stability"**: International Journal of security and Development, 2(2): 2013. P29.

محيي الدين شيماء، **الوجود العسكري الفرنسي ومكافحة الإرهاب في الساحل: مابعد برخان**، موقع فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 2020/04/4م.

https://pharostudies.com/?p=4146

الصباحي نسرين: **قوة "تاكوبا"، الخيارات الفرنسية الجديدة في الساحل الإفريقي**، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، بتاريخ2021/06/18م. على الرابط التالي:

https://www.politics-dz.com/%D9%82%D9%88%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D9%83%D9%88%D8%A8%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF

نسيم بهلول، **تنظيم الدولة والتمدد في إفريقيا: الاستثمار في الهشاشة**، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 30\12\2019، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/12/191230055515745.html

موقع trtعربي، **فرنسا و إفريقيا "استعمار" متواصل ونهب مستمر للثروات**، بتاريخ 1\12\2020، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://www.trtarabi.com/issues/%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7-%D9%88%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D9%88%D9%86%D9%87%D8%A8-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D9%84%D9%84%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%AA-3710328

العجرودي صابرين، **التحولات الأمنية في منطقة الساحل والصحراء**، موقع المركز الأمني للدراسات الإستراتيجية والأمنية والعسكرية، تاريخ 20\03\2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://ciessm.org/2023/03/20/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B5

أديب منير، **الانقلابات العسكرية في إفريقيا وتداعياتها على مكافحة الإرهاب**، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، بتاريخ 5\09\2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://trendsresearch.org/research.php?id=989&title=%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7_%D9%88%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7_%D8%B9%D9%84%D9%89_%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%81%D8%AD%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8

طويل أماني، **لماذا تزدهر الانقلابات العسكرية في إفريقيا**، موقع أدبندنت عربية، بتاريخ 2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.independentarabia.com/node/488856/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D8%AD%D9%84%DB%8C%D9%84/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%B2%D8%AF%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%9F

موقع الخليج، **المجلس العسكري الحاكم في مالي يلغي الاتفاقيات الدفاعية مع فرنسا**، بتاريخ 3\05\2022، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://www.alkhaleej.ae/2022-05-03/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%8A%D9%84%D8%BA%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9

موقع الجزيرة للدراسات، **تعرف على أهم الاتفاقيات العسكرية بين النيجر وفرنسا**، بتاريخ 4\9\2023، للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.aljazeera.net/news/2023/9/4/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A3%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-2

محمود زكريا، **مزاحمة الغرب: ما أبعاد السياسة الروسية تجاه الساحل الإفريقي**، موقع إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية، بتاريخ 23\11\2023. للاطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.interregional.com/article/%D9%85%D8%B2%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8:/2008/Ar

موقع يورونيوز، **الحكومة العسكرية في بوركينافاسو تمهل القوات العسكرية مغادرة أراضيها**، بتاريخ 22\01\2023، للاطلاع انظر الرابط التالي:

https://arabic.euronews.com/2023/01/22/burkina-faso-calls-france-withdraw-its-military-forces

الشاكري مصطفى، **الجماعات الإرهابية المتطرفة.... من الساحل الإفريقي اتجاه المغرب**، موقع هسبريس، بتاريخ 9\03\2023، للطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.hespress.com/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%8A%D9%81%D8%A9-1135435.html

موقع التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، **مؤشرات الدول الهشة لسنة 2018**، تقارير دولية، العدد الثالث، بتاريخ 10\08\2019، ص 37. للإطلاع أنظر الرابط التالي:

https://www.imctc.org/ar/eLibrary/INTReports/Pages/Reports10082019.aspx

دور السياسات العمومية في تحقيق العدالة المجالية
التعليم في جماعة أكادير إداوتنان أنموذجا

الباحثة عائشة ضفر الله

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه

جامعة ابن زهر أكادير- المملكة المغربية

aichadafroulla1997@gmail.com

ملخص البحث:

تهدف دراسة موضوع "دور السياسات العمومية في تحقيق العدالة المجالية: التعليم في جماعة أكادير اداوتنان" إلى استكشاف كيفية تأثير السياسات العمومية على تعزيز المساواة والعدالة في مجال التعليم في جماعة أكادير اداوتنان. و تسليط الضوء على دراسة أهمية هذه السياسات في توفير فرص التعليم للجميع دون تمييز وضمان جودة التعليم بشكل عادل في هذه الجماعة. كما تم استخدام منهج كمي قائم على جمع البيانات الكمية لفهم تأثير السياسات العمومية على التعليم في الجماعة ومدى فاعليتها.

الكلمات المفتاحية: السياسات العمومية - العدالة المجالية -التعليم -جماعة أكادير إداوتنان.

The role of public policies in achieving spatial justice - education in the Agadir Idaoutanan community as a model-

AICHA DAFROULLAH

PhD research student

Ibn Zohr University Agadir - Morocco

Abstract:

The study on "The Role of Public Policies in Spatial Justice: Education in the Community of Agadir Adaoutanan" aims to explore how public policies affect the promotion of equality and equity in education in the Community of Agadir Adaoutanan. Highlighting the importance of studying these policies in providing educational opportunities for all without discrimination and ensuring the quality of equitable education for this Community. The quantitative approach, which relies on the collection of quantitative data, also used to understand the impact of public policies on education in society and their effectiveness.

Keywords: public policies - spatial justice - education - Agadir Idaoutanan Community.

مقدمة :

حظي موضوع "العدالة المجالية" باهتمام متزايد في الأدبيات الغربية، وقد أصبح منذ سنوات مفهوما إرشاديا (paradigme) لتحليل السياسات العمومية، وتفسير الظواهر المرتبطة بها، والناجمة عن تطبيقها. وإذا كانت "العدالة المجالية" لم تحظ بالإجماع حول دقة تعريفها، وحدود معناها، ودائرة مجالاتها، فقد تم التوافق حول العناصر المؤسسة لها، والمتطلبات الواجب توافرها لإثبات شرعية وجودها، لعل أبرزها أن يقع التعامل مع المجال بوصفه رقعة جغرافية، وموطنا اجتماعيا، ومصدرا للثروة والخير العام، بقدر معقول وعقلاني من التوزيع المتوازن، المتكافئ، والمنصف للجميع.

إن العدالة المجالية تعد مدخلا مفصليا لمسح الفجوات والاختلالات، وسبيلا لتحقيق التنمية الاجتماعية، التي تعد الدولة الإطار الدستوري والمؤسساتي لها بامتياز وذلك من خلال تطبيق سياسات عمومية خاصة بالتعليم والنهوض بمستواه.

و من السوسيولوجيين الذين خصصوا دراسات و أبحاث في موضوع الدراسة نجد: بيير بورديو (Pierre Bourdieu) قام بإسهام كبير في فهم الطبقات الاجتماعية وكيفية تأثيرها على الفرص التعليمية. وضع نظريات حول رأس المال الثقافي والاقتصادي وكيف يؤثران على التحصيل الدراسي. في حين جون ديوي (John Dewey) عمل على تطوير فهمنا للتعليم كوسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية. وكان يروج للديمقراطية التعليمية والتفاعل بين التعليم والمجتمع.

Michael Fullan: مساهم بارز في مجال تطوير السياسات التعليمية، وركز على تحسين أداء المدارس وزيادة الفرص التعليمية للجميع.

هؤلاء الرواد ساهموا بشكل كبير في تطوير فهمنا للتفاعل بين السياسات العامة والعدالة المجالية في ميدان التعليم.

كما تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التداخل الموجود بين العدالة المجالية والتعليم والتعزيز الديمقراطي استنادا إلى بعض التجارب الدولية في مجال العدالة المجالية. وبذلك تقدم الدراسة قراءة نقدية تؤكد أن كل التجارب الديمقراطية الناجحة في مجال التعليم قد جعلت من تحقيق العدالة المجالية هدفا أساسيا في جل السياسات العمومية المنزلة في برامج عمل الجماعات الترابية.[1]

1أوبلوش محمد، المركز الديمقراطي العربي، مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل : العدد العاشر كانون الثاني – يناير 2021 ,مجلد 03

إن العلاقة بين "العدالة المجالية" و "التنمية الاجتماعية" في مجال التعليم هي علاقة تلازمية، لذا فالعدالة المجالية مرتبطة بالبعد التنموي، لأن العدالة ستعود بنا إلى التنمية من خلال التوزيع العادل للثروات والمحافظة عليها في كل المجالات[1]، ولأن مشكل العدالة المجالية لا يمكن حله إلا من خلال سياسات عمومية سنطرح الإشكالية التالية:

أي دور تلعبه الجماعة الترابية في تحقيق العدالة المجالية في مجال التعليم؟

و يمكننا تجزئة الإشكال إلى أسئلة فرعية:

ما هي المعيقات التي تشكل حاجزا أمام تحقيق العدالة المجالية؟

ما مدى فاعلية السياسات العمومية المقترحة للتصدي لإشكالية التعليم؟

ما هي الإجراءات المتخذة لتقليص الفوارق في التمدرس بين المجالين الحضري والقروي في جماعة أكادير ادوتنان؟

كما تتوخى هذه الدراسة دعم البرامج المحلية لتحسين نوعية الحياة الحضرية ليكون البحث نافعا من خلال تزويد الفاعلين السياسيين المحليين بفهم شامل للحاجيات والتحديات التي تواجه مجال التعليم.

يشكل الوعي بأهمية الموضوع ركيزة أساسية في بناء البحث من جهة ، أو لدى الذات الباحثة من جهة أخرى، بحيث لدى كل بحث علمي أهمية أساسية، علمية كانت أو عملية، ويندرج بحثنا هذا ضمن الأبحاث السوسيولوجية الميدانية:

- الأهمية العلمية : تكمن أهميته في القيمة المعرفية التي سيضيفها للبحث العلمي، ولأننا باحثين فنحن ملزمين بضبط الأداة المنهجية، وبالتركيز على هذه النقطة يمكن لنا الحديث عن القيمة المعرفية التي سيقدمها هدا البحث. وتتجلى الأهمية العلمية للبحث في انه يتناول موضوع مهم، كذلك يمكننا الخروج ببعض التوصيات المفيدة في إطار تنزيل سياسات عمومية كافية للنهوض بموضوع العدالة المجالية و التعليم باعتبارهم قطاعات التي لم تنل الاهتمام بالشكل الكافي.
- الأهمية العملية : تنقسم إلى قسمين وهما كالتالي :

الأولى تخص أهمية البحث على الواقع الميداني، هذا يأتي من خلال محاولة فهمه وتفكيكه وتفسيره، ونقله من المستوى الواقعي إلى ماهو علمي معرفي . أما المستوى الثاني؛ فيشمل أهمية البحث على الفئة

[1] امحمد المالكي, في العلاقة بين العدالة المجالية و الدولة الاجتماعية, قضايا و اراء, كتاب عربي 21, 2022

المستهدفة والتي بطبيعة الحال الجماعة الترابية، ومن خلال بحثنا هذا أعتقد أن هذا البحث الذي نحن بصدد دراسته سيمكنها من الوعي ولو بشكل بسيط بالواقع ، ووضع صورة واضحة . كما سيتم الحرص شديدا على أن يكون هذا العمل منطلقا من الدراسة الميدانية، وليس مجرد تراكما لمعلومات جاهزة، كما نطمح أن يكون عملنا أداة توفر للمعلومات الأساسية للبحوث القادمة على السياسات العمومية ، أو لمن يدفعهم فضولهم العلمي للتعرف على واقع تنزيل الاستراتيجيات و البرامج الخاصة بالتعليم و العدالة المجالية.

منهجية الدراسة:

تستند هذه الدراسة فيما تسعى إليه من خلال إشكاليتها العلمية وأهدافها إلى منهج البحث السوسيولوجي الكمي لكونه أكثر المناهج تناسبا وملاءمة مع الموضوع المدروس بما تتيحه من فرص استخلاص المعرفة مباشرة من البيانات والتقارير الاحصائية الخاصة بالسياسات العمومية المعتمدة في إطار تحقيق العدالة المجالية في مجال التعليم. والواقع أن ما دفعنا لاقتراح هذه المقاربة المنهجية ينسجم أيضا وسعينا إلى اعتماد المنهج التحليلي فمن وظائف المنهج الكمي تحليل البيانات الإحصائية و المعطيات الكمية الخاصة بالمجال .

المحور الأول: دراسة المجال و البنيات المجالية

1-1 مونوغرافيا المجال المدروس

الموقع:

تقع أكادير في الوسط الغربي للمغرب، مطلة على ساحل المحيط الأطلنتي، ضمن امتداد جغرافي السلسلة جبال الأطلس الكبير، تحدها جنوبا كل من جماعات القليعة انزكان الدشيرة وأيت ملول التابعة لعمالة إنزكان أيت ملول وشمالا جماعتي أورير والدراركة وشرقا الدراركة وغربا المحيط الأطلنتي. وعلى بعد 520 كلم من العاصمة الرباط، وعلى مقربة من أهم المدن التاريخية والسياحية بالمغرب كالصويرة تارودانت وتزنيت، وترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 56 متراً، وتعتبر عاصمة جهة سوس ماسة الواقعة غربي وسط المغرب.[1]

الإطار الجغرافي:

تقع مدينة أكادير في أقصى غرب الأطلس الكبير، حيث تنخفض السلسلة الجبلية لتصبح هضبة متدرجة (هضاب إداوتنان)، تتصل وتتكامل بين الوسط الجبلي وسهل سوس، أما موضعها الساحلي فهي جنوب النتوءات الأطلسية التي تتقدم داخل البحر فكانت أحسن النقط الموجودة جنوب المغرب بالإضافة إلى ذلك فمناخها معتدل طول السنة، متأثرا كثيرا بالتيارات البحرية القادمة من المحيط. كل هذه العوامل جعلتها نقطة الوصول الوحيدة العابرة للأطلس الكبير، فهي صلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه تلتقي عندها الطرق الرئيسية القادمة من الشمال (الصويرة، مراكش). وتنطلق منها الطرق الكبرى المؤدية إلى الأقاليم الصحراوية، كما ساعدها مناخها على الاستقرار البشري وجعلها تحظى بمستقبل زاهر فيما بعد.[2]

إحصائيات الساكنة:

- عدد الساكنة حسب الاحصاء العام للسكان والسكني 2014 : 288 420

التوزيع حسب الجنس:

الذكور :522 211

: 766 208 الاناث

[1] برنامج عمل الجماعة الترابية أكادير- ادوتنان , 2022

[2] معلمة المغرب, الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر, الرباط, 1989

تعداد الأسرة 105 057

معدل عدد افراد الأسرة :4

معدل الخصوبة: 1,90

نسبة البطالة بالمدينة: 17.20%

نسبة الساكنة النشيطة: 50%.[1]

المناخ معتدل حيث تتراوح درجة الحرارة بين 14 و 16 درجة في الشهور الأولى من السنة، وبين 20 إلى 25 في شهر يوليوز مما يجعلها مدينة مشمسة بمعدل يقارب 300 يوم مشمس في السنة.

مساحة المدينة : 110 كلم مربع من مجموع مساحة أكادير الكبير : 819 كلم مربع.

بلغ مجموع ليالي المبيت المسجلة في مختلف الفنادق والنوادي والاقامات السياحية المصنفة في وجهة أكادير خلال شهر شتنبر 2019، ما مجموعه 479 ألف و 528 ليلة.

ويصل عدد الفنادق المصنفة بالمدينة إلى 251 فندقا مصنفا وذلك ب 43 ألف و 398 سريرا، فيما يصل عدد الليالي السياحية المنجزة بالمؤسسات المصنفة إلى 5 ملايين و 520 ألف و 183 ليلة.

2-1 الاختلالات الاقتصادية:

يعاني قطاع التعليم في المغرب من بعض الاختلالات الاقتصادية، بما في ذلك:

- ✓ توزيع غير متساوٍ للموارد: هناك اختلافات في توزيع الموارد التعليمية بين المناطق الحضرية والريفية، مما يؤثر على جودة التعليم وفرص الوصول إليه.
- ✓ نقص التمويل: بعض المؤسسات التعليمية قد تواجه نقصًا في التمويل، مما يؤثر على جودة التعليم وتوفير الموارد الضرورية.
- ✓ تحديات البنية التحتية: بعض المدارس تعاني من ضعف في البنية التحتية، مثل قلة الفصول الدراسية أو نقص التجهيزات التعليمية، مما يؤثر على تجربة الطلاب.
- ✓ تفاوت في فرص التعليم: هناك تفاوت في فرص التعليم بين الجنسين وبين الطبقات الاجتماعية، مما يزيد من الاختلافات الاقتصادية.

[1] المندوبية السامية للتخطيط: إحصاء سنة 2014

- للتغلب على هذه الاختلالات، يتطلب التركيز على تحسين توزيع الموارد، وزيادة التمويل، وتعزيز الهياكل التحتية التعليمية في جميع المناطق.

3-1 الاختلالات الاجتماعية:

في المجال القروي، تظهر التحديات الثقافية والاجتماعية في التعليم على النحو التالي:

- ✓ التفاوت الثقافي: الاختلافات الثقافية بين المناطق الحضرية والقروية قد تؤدي إلى تحديات في تكامل المناهج التعليمية مع توقعات المجتمع القروي.
- ✓ توفر الموارد: نقص الموارد التعليمية في المناطق الريفية، مثل غياب مرافق تعليمية وتكنولوجيا المعلومات، يمكن أن يعرقل عملية التعلم.
- ✓ تحديات النقل: صعوبات الوصول إلى المدارس في المناطق النائية نتيجة لقلة وسائل النقل تسهم في زيادة معدلات التسرب المدرسي.
- ✓ التمييز الاجتماعي: قد يتعرض الطلاب في المناطق الريفية للتمييز الاجتماعي، مما يؤثر على تحفيزهم للتعلم.
- ✓ العادات والتقاليد: تحافظ بعض المجتمعات القروية على تقاليد تشد اليد العليا على التغيير، مما يمكن أن يكون عائقًا لتبني تقنيات تعليمية حديثة.

- لتحسين الوضع في المناطق القروية، يجب توفير الموارد الضرورية، وتكامل التعليم مع الثقافة المحلية، وتعزيز وسائل النقل، وتشجيع المشاركة المجتمعية في تطوير النظام التعليمي.

المحور الثاني: دور الجماعة الترابية المحلية لأكادير ادوتنان

1-2 السياسات العمومية المعتمدة لتقليص التفاوت المجالي و الاقتصادي في مجال التعليم بجماعة أكادير اداوتنان:

- الجدول (1): المشاريع المنجزة في إطار برنامج صندوق التنمية القروية FDR 2021:

البرنامج	اسم المشروع	السلك	الجماعة	بنية المشروع	العمليات المنجزة الدراسات + قيمة الأشغال
1	الإشراق	إعدادي	اوريز	حجرات + ادارة+ ملاعب رياضية+ مكتبة+ سكنيات ادارية+ مرافق صحية	تم تعيين المتدخلين في انجاز الدراسات كلفة المشروع: 6 500 000,00
2	الزاوية	ابتدائي	اوريز	حجرات + ملاعب رياضية +مرافق صحية+ سكنيات ادارية	في مرحلة اختيار الوعاء العقاري كلفة المشروع: 4 500 000,00
3	تأهيل وإصلاح 7 وحدات مدرسية	ابتدائي	اوريز تدارت اقصري ايموزار	حجرات + ملاعب رياضية+ مكتبة+ سكنيات ادارية	تم تعيين المتدخلين في انجاز الدراسات كلفة المشروع: 1 950 000,00
4	الشطر الثالث للمدرسة الجماعاتية تكزرين	ابتدائي	تامري	4حجرات + ملاعب رياضية+ مكتبة+ 3 سكنيات ادارية	تم تعيين المتدخلين في انجاز الدراسات كلفة المشروع: 4 500 000,00
5	توسيع مدرسة الإمام البصيري	ابتدائي	تغازوت	4 حجرات	تم تعيين المتدخلين في انجاز الدراسات كلفة المشروع: 1 500 000,00
				المجموع	18 950 000,00

المصدر: (المديرية الاقليمية للتربية الوطنية أكادير-اداوتنان)

- الجدول (2): تأهيل سبع وحدات مدرسية :

	الجماعة	المؤسسة	الدوار	متصل بالماء الصالح للشرب	متصل بالكهرباء	المراحيض	الجدران	أقسام مجهزة	التكلفة
1	تدارت	مدرسة النهضة	المركز	لا	نعم	نعم	نعم	قسمين	110 000,00
2	تدارت	مدرسة زينتو النهضة	زنتو	لا	نعم	نعم	نعم	قسم واحد	90 000.00
3	اقسري	مؤسسة هارون الرشيد	المركز	نعم	نعم	نعم	نعم	أربعة أقسام	1 120 000,00
4	ايموزار	مدرسة تيسكاجي-تيديلي	تيسكاجي	نعم	نعم	نعم	لا	قسم واحد	142 000,00
5	ايموزار	مؤسسة كوامان-اسكانس	كوامان	لا	لا	نعم	لا	قسم واحد	288 000,00
6	أورير	مؤسسة ايت سوالال-أمواج	ايت سوالال	نعم	نعم	نعم	نعم	ثلاثة أقسام	110 000,00
7	أورير	مؤسسة تمازايت سيدي أحمد اورامي	تمزايت	نعم	نعم	نعم	نعم	قسمين	90 000,00
								المجموع	1 950 000,00

المصدر: (المديرية الاقليمية للتربية الوطنية أكادير-اداوتنان)

- **الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة:**

في إطار انخراط الجماعة في الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة، اعتمدت الجماعة في برنامج عملها على ترسيخ جل أهداف الأجندة 2030 كمرجعية لتنفيذه, و هي:

1) القضاء على الفقر.
2) الصحة الجيدة و الرفاه.
3) التعليم الجيد.
4) المساواة بين الجنسين.
5) العمل اللائق و نمو الاقتصاد.
6) الحد من أوجه عدم المساواة.
7) مدن و مجتمعات محلية مستدامة.
8) السلام و العدل و المؤسسات القوية.

بشراكة مع جهة سوس ماسة، المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، الوزارات، الجماعات الأخرى، المنظمات الدولية، بتكلفة قدرها 116 مليون درهم.[1]

- **برنامج التماسك الاجتماعي:**

يركز برنامج التماسك الاجتماعي على التنمية الاجتماعية للأحياء وتقوية الروابط بين الأجيال والثقافات. ويتضمن إجراءات

مهمة لصالح الساكنة المحلية.

وتعتزم جماعة أكادير إنجاز عدة مشاريع مدعومة بطرق تدخل ملائمة، تمكنها من تدبير أكثر فعالية المختلف الصعوبات

الاجتماعية الموجودة بالمجال الترابي للمدينة.

وفيما يلي جملة الإجراءات التي ستدعم موضوع التماسك الاجتماعي:

-بناء دور الحضانة ذات طابع اجتماعي.

-إعادة تهيئة وتجهيز 22 بنية اجتماعية.

[1]برنامج عمل الجماعة الترابية لأكادير-اداوتنان

-إطلاق برامج التكوين المهني الفائدة الشباب والنساء.

-بناء مراكز اجتماعية جديدة.[1]

تجهيز الأحياء الهامشية:

يشغل تحسين ظروف عيش الساكنة بالأحياء ناقصة التجهيز مكانة مهمة في برنامج عمل الجماعة. فقد مكنت دراسات الجرد المنجزة طيلة مرحلة التشخيص من تحديد عدة أحياء تتطلب تدخلات لتأهيلها وتوفير الخدمات الحضرية بها.

ويتعلق الأمر بالأحياء التالية:

. أنزا / تدارت

. سفوح الجبال

. أغروض / بنسركاو

وثيقة وفي المناصير اعادة هيكلة الأحياء الناقصة التجهيز

وتكمن الأهداف الرئيسية المتوخاة من هذا التدخل في إدماج الأحياء في وضعية هشة داخل النسيج الحضري، وحماية المحيط السوسيو اقتصادي وتسوية الوضعية العقارية.[2]

تحليل:

- الواقع أن الاستراتيجيات والبرامج الذي تم اعتمادهم، بإشراف من الوزارة ، هم بمثابة استجابة لمقتضيات مرحلة أصبحت فيها قضايا التعليم والعدالة المجالية من انشغالات "العولمة". كان لا بد من حراك يأخذ بتوصيات، بل والزامات الهيئات الأممية المخولة لها باسم القانون الدولي الإشراف على مسائل ترقية حقوق الانسان. ونجد ذلك واضحا حتى في النصوص التي تم اعتمادها والتي تكرس، طوعا أو كرها، خطط العمل المعدة في هذا الإطار. ولما كانت السياسات العمومية كما عرفها بعض المختصين ليست إلا ما تختار الحكومات أن تفعله أو لا تفعله، أو بمعنى آخر انجازات السلطات العمومية في المجتمع فإنها تعبر بجد عن كيفية تعامل هذه السلطات مع مسألة بعينها[3]. و هكذا تعاملت الجماعة الترابية أكادير-اداوتنان في سياساتها العمومية مع مسألة التعليم وفق ما

[1] برنامج عمل الجماعة الترابية لأكادير-اداوتنان

[2] برنامج عمل الجماعة الترابية لأكادير-اداوتنان

[3] عمر احرشان، المغرب في سنة 2011 ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط / 2012، الطبعة: 2012

تفتضيه العولمة ومقررات الندوات والبرامج والاستراتيجيات الدولية، وأيضا، وخاصة مع ما تقتضيه الاتفاقيات الدولية التي وقع عليها المجلس. ولكن السياسات العمومية في مسعاها ذلك لم تطرح بعد "العدالة المجالية" إلا كآلية أو تقنية تستعمل من أجل إدراك الفروقات الموجودة بين المدن والقرى في مجالات شتى. ولئن كان هذا الإجراء في حد ذاته مهما للسلطات أولا من أجل استكمال ما ينبغي تبنيه من برامج وإجراءات، وللباحثين ثانيا من أجل الوقوف عند المتغيرات الحاصلة ودراستها، فإنه أخذ في أغلب الأحيان شكل معاينة الحال (constat). في المقابل غلب على البرامج، وكذلك التقارير المقدمة في شتى المناسبات، ولمختلف الجهات، الدولية منها خاصة، الجانب الكمي.

- وبمعنى آخر فإن طرح مسألة "العدالة المجالية" في السياسات العمومية لا يكون ذا جدوى، ولا يمكنه أن يحمل انعكاسا ايجابيا إلا إذا دفع الحكومات وكل المؤسسات المعنية بالمشاركة في الكشف عن أشكال التفاوت من جهة، وأيضا وبتعبير المختصين، عن الاختلالات المسؤولة عن هذا التفاوت.

المحور الثالث: الإجراءات المتخذة لتقليص من الفوارق في التمدرس بين المجالين الحضري والقروي في جماعة أكادير ادوتنان

1-3 المحددات المجالية والاقتصادية لتحقيق العدالة المجالية في قطاع التعليم.

لتحقيق العدالة المجالية في قطاع التعليم ركز المسؤولين على القطاع في جماعة أكادير على عدة محددات مجالية واقتصادية، منها:

1. توفير الفرص المتساوية: ضمان أن الجميع يحظى بفرص متساوية للوصول إلى التعليم، بغض النظر عن الخلفية الاقتصادية أو المكان الجغرافي.

2. تحسين البنية التحتية: توفير بنية تحتية تعليمية جيدة في جميع المناطق، بما في ذلك المناطق ذات الاقتصادات الضعيفة.

3. تعزيز التمويل العادل: توزيع الموارد المالية بشكل عادل بين المدارس، مع التركيز على الاحتياجات الخاصة للطلاب والمدارس في المناطق الاقتصادية الضعيفة.

4. تشجيع التنوع والشمول: اتخاذ إجراءات لتشجيع التنوع في المدارس وضمان مشاركة جميع الطلاب بما يعكس تنوع المجتمع.

5. تطوير برامج داعمة: إنشاء برامج وسياسات تدعم الطلاب الذين يواجهون تحديات خاصة نتيجة للظروف الاقتصادية أو الاجتماعية.

6. التركيز على جودة التعليم: ضمان جودة التعليم في جميع المدارس بحيث يكون التعلم فعالًا ويساهم في تحقيق التكافؤ والفرص المتساوية.

2-3 الإجراءات المتخذة لتقليص الفوارق المجالية والاجتماعية.

في إطار برنامج تقليص الفوارق الاجتماعية والمجالية بالعالم القروي بقطاع التعليم -مديرية أكادير اداوتنان- وضعية أكتوبر 2019- أنجزت المشاريع التالية:

الجدول (3): برنامج تقليص الفوارق الاجتماعية والمجالية بالعالم القروي بقطاع التعليم -مديرية أكادير اداوتنان- وضعية أكتوبر 2019-:

المديرية الاقليمية	الجماعة	المشروع	طبيعة المشروع	كلفة المشروع بالدرهم	نسبة الانجاز	ملاحظات
أكادير ادوتنان برنامج 2017	أورير	ثانوية الرشاد	إحداث	11 975 333,40	93%	أشغال تهيئة الساحة
	الدراركة	فرعية ازراراك 02		التكلفة: 2 578 188,00 وتعويض المفكك 14 حجرة نسبة الإنجاز: 100%		تم تسليم واستغلال الحجرات
	ايموزار	فرعية لوضا 02				
	ايموزار	مركزية تيديلي 02				
	اورير	مركزية سيدي أحمد الرامي (دوار امي ميكي) 06				
	تدارت	فرعية تيوين 01				
	التامري	فرعية اكراز 01				
	التامري	مدرسة تكزرين الشطرالأول	مدرسة جماعاتية	2 795 763,36	100%	
أكادير ادوتنان برنامج 2018	الدراركة	مدرسة الموحدين	إحداث	4 111 591,20	95%	
	الدراركة	مدرسة أكيدار الجديدة	إحداث	5 550 907,20	95%	2019/08/15 الأمر بالشروع
	اورير	مدرسة اكر أفولوس	إحداث	5 278 963,56	95%	تمت المصادقة
أكادير ادوتنان برنامج 2019	التامري	ثانوية أهل سوس	إحداث	1 100 000,00	100%	يتم إعداد التصاميم الهندسية لمطابقة للوعاء العقاري الجديد الذي تغيره حسب تصميم التهيئة

المصدر: المديرية الاقليمية لأكادير-اداوتنان

✓ لتقليص الفوارق المجالية والاجتماعية والاقتصادية في مجال التعليم،تم اتخاذ عدة إجراءات من بينها:

1. توجيه الاستثمارات:

- تحديد توجيه الاستثمارات التعليمية بشكل عادل لضمان توفير الموارد الكافية للمدارس في المناطق ذات الاحتياجات الخاصة.

2. برامج التعليم المبكر:

- تعزيز برامج التعليم المبكر للأطفال في سن مبكر لتعزيز الفرص المتساوية منذ البداية.

3. توظيف وتدريب المعلمين:

- تحفيز توظيف وتدريب المعلمين وتقديم دعمهم للتأكيد على جودة التعليم في جميع المدارس.

4. برامج الدعم الأكاديمي:

- تقديم برامج إضافية للدعم الأكاديمي للطلاب الذين يحتاجون إلى مساعدة إضافية.

5. تكنولوجيا التعليم:

- تعزيز استخدام التكنولوجيا في التعليم لتوفير فرص متساوية للوصول إلى الموارد التعليمية.

6. المشاركة المجتمعية:

- تشجيع على مشاركة الأهل في التعليم وتوفير برامج تواصل بين المدرسة والمجتمع.

7. التفاعل مع التحديات الاجتماعية:

- مواجهة التحديات الاجتماعية مثل العنف والتمييز بشكل فعّال لتوفير بيئة تعلم آمنة وصحية.

8. التركيز على التنوع والشمول:

- تكامل مبادئ التنوع والشمول في المناهج والسياسات التعليمية.

9. برامج تحفيز الابتكار:

- تعزيز برامج تحفيز الابتكار والإبداع في التعليم لتحفيز المواهب الفردية.

10. تقييم السياسات:

- إجراء تقييم دوري للسياسات التعليمية لضمان فعاليتها في تحقيق العدالة المجالية.

- ❑ لتحقيق هذه المحددات يتطلب تنسيق جهود متعددة القطاعات والتفاعل الإيجابي بين الأطراف المعنية لضمان نجاح الجهود المبذولة في سبيل العدالة المجالية في التعليم.
- ❑ توفير إطار شامل يجمع بين هذه الإجراءات يمكن أن يسهم في تحقيق تقليل الفوارق المجالية والاجتماعية والاقتصادية في مجال التعليم.

توصيات:

توجيه السياسات العمومية في قطاع التعليم يجب أن يشمل:

- توفير الفرص المتساوية: تحديد وتنفيذ سياسات تضمن تكافؤ الفرص للجميع دون تمييز، بما في ذلك الوصول إلى التعليم على اختلاف الخلفيات.

- تعزيز التنوع والشمول: تطوير برامج تعليمية تعكس تنوع المجتمع وتعزز المشاركة الفعّالة لجميع الطلاب بغض النظر عن خلفياتهم.

-تحسين جودة التعليم: تعزيز معايير الجودة في التعليم وتطوير وسائل تقييم عادلة وموضوعية للتأكد من تحقيق العدالة في نتائج التعلم.

-تدعيم المعلمين: تقديم دعم وتدريب للمعلمين لفهم احتياجات الطلاب المختلفة وتطبيق أساليب تدريس تعزز المساواة.

-التفاعل مع المجتمع: تشجيع التفاعل مع المجتمع المحلي لضمان مشاركة جميع الفئات وتلبية احتياجاتها.

-الشفافية والمساءلة: تطوير آليات للشفافية والمساءلة في نظام التعليم لضمان توزيع الفرص والموارد بشكل عادل.

-البحث والتقييم المستمر: إجراء بحوث دورية وتقييم لقياس تأثير السياسات والتعديل عند الضرورة.

خاتمة:

لضمان الوصول إلى التعليم الجيد لجميع الأطفال أمر حيوي لخلق مجتمعات عادلة. ومن خلال تنفيذ سياسات الوصول المتساوي، ومعالجة الفوارق الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية، واعتماد مناهج شاملة وممارسات التدريس، وتعزيز التعاون بين أصحاب المصلحة، يمكننا العمل على توفير الفرصة لكل طفل للحصول على تعليم جيد، بغض النظر عن خلفيته أو ظروفه من خلال إنشاء أحياء آمنة وشاملة, و التخطيط الحضري يتطلب نهجا شاملا يتناول مختلف جوانب السلامة العامة. ومن خلال إعطاء الأولوية لسلامة المشاة، وتعزيز البنية التحتية للنقل العام، وتصميم الأماكن العامة الشاملة، وتنفيذ استراتيجيات منع الجريمة، وتعزيز التنمية متعددة الاستخدامات، يستطيع المخططون الحضريون المساهمة في خلق مجتمعات عادلة ومزدهرة. لا تعمل هذه المبادرات على تعزيز السلامة الجسدية للمقيمين فحسب، بل تعزز أيضاً التماسك الاجتماعي والشمولية والرفاهية العامة لهدف تحقيق العدالة المجالية.

إن اتخاذ إجراءات من أجل مجتمعات عادلة من خلال مبادرات التخطيط الحضري الشامل يتطلب التعاون، وإعطاء الأولوية للإسكان الميسر، وتحسين الوصول إلى وسائل النقل العام، وتعزيز المساحات الخضراء، وتعزيز التنمية الاقتصادية وفرص العمل. ومن خلال تنفيذ هذه الاستراتيجيات، يمكننا إنشاء مدن شاملة ومستدامة وتوفر فرصاً متساوية لجميع السكان.

المراجع:

1. أوبلوش محمد،المركز الديمقراطي العربي،مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل : العدد العاشر كانون الثاني – يناير 2021 ,مجلد 03.
2. امحمد المالكي, في العلاقة بين العدالة المجالية و الدولة الاجتماعية, قضايا و اراء, كتاب عربي 21, 2022.
3. ، أقدار أحمد، العدالةالمجالية من العدالةالاجتماعية: دراسةميدانية، المجلة المغربية للبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، رقم 02، 2023
4. عمر احرشان،المغرب في سنة 2011 ،مطبعة المعارف الجديدة الرباط / 2012،الطبعة : 2012.
5. أقدار أحمد 2021 ، المدينة المتوسطة: دراسة في مظاهر ومحددات الإقصاء المجالي - حالة مدينة بني ملال، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا البشرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال.
6. برنامج عمل الجماعة الترابية أكادير- ادوتنان , 2022.
7. معلمة المغرب, الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر, الرباط, 1989.
8. المندوبية السامية للتخطيط: إحصاء سنة 2014.
9. المندوبية السامية للتخطيط: إحصاء سنة 2017.
10. المديرية الاقليمية للتربية الوطنية، أكادير-ادوتنان، 2022.

الصدق في القرآن الكريم و أثره على الفرد والمجتمع

الدكتورة فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

fatmaelhaj2007@gmail.com

ملخص البحث:

تناول هذا البحث خُلق الصدق في القرآن الكريم وأثره على المجتمع، وتتمثل أهميته في: أن الصدق من الصفات الحميدة التي حث عليها القرآن الكريم. وأنه يهدي إلى البر، ويميّز أهل الإيمان من أهل النفاق. وأنه هو الدرجة التالية للنبوة. وتكمن مشكلته في الإجابة عن الأسئلة التالية: ما المراد بالصدق؟ وما صيغ الصدق الواردة في القرآن الكريم؟ وما الأساليب القرآنية في الحث عليه؟ وما أثره على الفرد والمجتمع؟ **ويهدف البحث إلى:** بيان معنى الصدق. وذكر صيغه الواردة في القرآن الكريم. وبيان الأساليب القرآنية في الحث عليه. وتوضيح أثره على الفرد والمجتمع. والمنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي في جمع الآيات التي تناولت الصدق في القرآن الكريم، ثم المنهج الوصفي في تعريف الصدق وبيان الصيغ والأساليب والآثار من خلال الآيات القرآنية،. واشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع. وتقسيم الخطة على النحو التالي: التمهيد: تعريف الصدق لغة واصطلاحاً. **المبحث الأول**: صيغ الصدق الواردة في القرآن الكريم. **المبحث الثاني:** الأساليب القرآنية في الحث على الصدق. **المبحث الثالث**: أثر الصدق على الفرد والمجتمع. الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات. ومن أهم النتائج: أن الصدق من أعظم الأخلاق وأنه روح الأعمال، وأن الله أسند خلق الصدق إلى ذاته القدسية، وأن الله جعل الصادقين في معيته، وأن الصدق طريق لدوام التقوى، وأن الصدق من عوامل الفلاح في المجتمع والرقي به، وأن الصدق من أسباب السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة. ومن التوصيات: ضرورة التحلي بخلق الصدق، وحث أفراد المجتمع عليه.

الكلمات المفتاحية: الصدق ـ القرآن ـ الصيغ ـ الأساليب ـ أثر.

Honesty in the Holy Qur'an and its impact on the individual and society

Dr. Fatima Abdel Ghaffar Ebrahim AlHaj

Associate Professor in the Department of the Qur'an and its Sciences - College of Sharia and Islamic Studies __ Al Qussaim university

Email:fatmaelhaj2007@gmail.com

Abstract:

This research dealt with the creation of honesty in the Holy Qur'an and its impact on society. Its importance is represented in: honesty is one of the good qualities that the Holy Qur'an encourages. It guides to righteousness and distinguishes people of faith from people of hypocrisy. And it is the next level of prophecy. His problem lies in answering the following questions: What is meant by honesty? What are the formulas of honesty mentioned in the Holy Quran? What are the Quranic methods of urging it? What is its impact on the individual and society? The research aims to: clarify the meaning of honesty. He mentioned its formulas mentioned in the Holy Qur'an. And a statement of the Qur'anic methods in urging it. Explaining its impact on the individual and society. The approach followed is the inductive approach in collecting the verses that deal with truthfulness in the Holy Qur'an, then the descriptive approach in defining truthfulness and explaining the formulas, methods, and effects through the Qur'anic verses. The research included an introduction, a preface, three sections, a conclusion, and an index of sources and references. The plan is divided as follows: Introduction: Defining honesty linguistically and terminologically. The first topic: The formulas of truthfulness mentioned in the Holy Qur'an. The second topic: Qur'anic methods in urging honesty. The third topic: The impact of honesty on the individual and society. Conclusion: It contains the most important results and recommendations. Among the most important results are: that honesty is one of the greatest morals and is the soul of deeds, and that God attributed the creation of honesty to His sacred essence, and that God placed the honest in His company, and that honesty is a path to continuous piety, and that honesty is one of the factors of success and advancement in society, and that honesty is one of the causes of happiness. In this world and salvation in the afterlife .Among the recommendations: the necessity of practicing honesty, and urging members of society to do so.

Keywords: honesty - the Qur'an - formulas - methods - impact.

مقدمة:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

فأمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بكل خلق حسن، ونهى عن كل خلق قبيح، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) [النحل:90] فهذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهي قاعدة يرجع إليها في معرفة كل خُلق حسن أمر الله به وكل خُلق قبيح نهى الله عنه.

وقد حث الله على الاقتداء بالرسل عليهم السلام، قال تعالى(الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ) [الأنعام:90] ومن صور الاقتداء بهم في جميع الأخلاق الحميدة والطرق الموصلة إليها، ومن هذه الأخلاق خُلق الصدق؛ فهو أصل أعمال القلوب كلها، ويعود نفعه إلى الأنسان نفسه، ويمتد أثره على المجتمع؛ لذا رأيت أن أكتب ورقة علمية عن هذا الخلق العظيم وبيان أثره على الفرد والمجتمع، ووسمته بـ (الصدق في القرآن الكريم وأثره على الفرد والمجتمع).

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما المراد بالصدق؟
2. ما صيغ الصدق التي وردت في القرآن الكريم؟
3. ما الأساليب القرآنية في الحث على الصدق؟
4. ما أثر الصدق على الفرد والمجتمع؟

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في:

1. أن الصدق من الصفات الحميدة التي حث عليها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.
2. أن الصدق يهدي إلى البر.
3. أن الصدق يمّيز أهل الإيمان من أهل النفاق.
4. أن الصدق هو الدرجة التالية للنبوة.

أهداف البحث:

1. بيان معنى الصدق.
2. ذكر صيغ الصدق الواردة في القرآن الكريم.
3. بيان الأساليب القرآنية في الحث على الصدق.
4. توضيح أثر الصدق على الفرد والمجتمع.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهرس الجامعات السعودية ومراكز البحوث ومحركات البحث؛ وقفت على دراسات حول هذا الموضوع وهي كالتالي:

1. بحث بعنوان الصدق في القرآن الكريم دراسة موضوعية للدكتور مذكر محمد عارف، رسالة ماجستير. كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه بالرياض، 1416هـ، يشترك مع بحثي في التعريف، والآثار كعنوان فقط؛ فالآثار التي ذكرها تختلف تماماً عن الآثار التي ذكرتها.

2. مقال بعنوان الصدق في القرآن لناصر عبد الغفور منشور في موقع أهل التفسير، تناول فيه صفات الصدق بصفة عامة، وتقسيم الناس إلى صادق ومنافق، ويشترك مع بحثي في أن الصدق من صفات الله تعالى إلا أن ذكره بصورة عامة دون تفصيل بينما بحثي فصّل في أسناد الصدق لذاته القدسية.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث: المنهج الاستقرائي في جمع الآيات التي تناولت الصدق في القرآن الكريم، ثم المنهج الوصفي في تعريف الصدق وبيان الصيغ والأساليب والآثار من خلال الآيات القرآنية.

إجراءات البحث:

1. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
2. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية في كتب السنة، فإن ذُكرت في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بذلك، وإلا خرجته من أحد مظانه، وذكرت حكم الأئمة عليه إن وجد.
3. توثيق النقول والأقوال من مصادرها الأصلية، فإن لم أجدها فمن أقرب المصادر إليها.
4. فهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: اشتملت على: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجه وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: تعريف الصدق لغة واصطلاحاً.

المبحث الأول: صيغ الصدق الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأساليب القرآنية في الحث على الصدق.

المبحث الثالث: أثر الصدق على الفرد والمجتمع.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: تعريف الصدق لغة واصطلاحاً

اولاً: الصدق لغة:

(صَدَقَ) الصَّاد والدَّال والقَاف أَصلٌ يدلُّ على قُوَّةٍ في الشَّيءِ في القول وغيره. وسُمِّيَ بالصدق لقوَّته في نفسه، والصِّدِّيقُ هو فعيل للمبالغة في الصدق وملازمته له. ويكون الذي يصدق قوله بالعمل[1].

وقيل: (الصِّدْقُ) ضدُّ الكذب وقَد (صَدَقَ) في الحديث يَصْدُقُ بالضَّمّ. (صِدْقًا) ويقال أَيضًا: (صَدَقَهُ) الحديث و(تَصَادَقَا) في الحديث وفي المودَّة.ـ و(الْمُصَدِّقُ) الَّذي يُصَدِّقُك في حديثك، وقد يتعدى الى مفعولين، تقول: صدق فلانا الحديث أي: أنبأه بالصدق.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ**﴾ **[الفتح:27]**[2]، وقيل: الصدق: الجامع للأوصاف المحمودة. ونقيضه السوء[3].

ثانياً: الصدق اصطلاحاً:

وردت تعاريف كثيرة عن الصدق منها:

الصّدق والكذب أصلهما في القول، ماضيا كان أو مستقبلا، وعدا كان أو غيره، ولا يكونان بالقصد الأوّل إلّا في القول، ولا يكونان في القول إلّا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام، ولذلك قال تعالى: (وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا) [النساء:١٢٢]، وقوله تعالى: (وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا) ﴿النساء:87]، وقوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ) [مريم: ٥٤][4]، وقيل: الصدق، بالكسر: هو إخبار عن المخبر به على ما هو به مع العلم بأَنَّه كذلك[5]، وقيل: الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق في أقواله والصديق من صدق فِي جميع أقواله وأفعاله وأحواله[6]، وقال الغزالي: "الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والإرادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة في الصدق"[7].

من خلال التعاريف السابقة يتبين أن الصدق هو مطابقة ما ينطق به اللسان لما هو مستكن في القلب والوجدان، فإذا قال الإنسان كلاماً يطابق ما في قلبه ووجدانه فهو إنسان صادق، فالصدق: قول وعمل وحال.

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (339/3)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن أير (18/3).

(2) ينظر: مختار الصحاح للرازي (174/1)، تاج العروس للزبيدي (6/26).

(3) معجم متن اللغة لأحمد رضا (435/3)

(4) المفردات للراغب الأصفهاني (/478).

(5) الكليات لأبي البقاء الكفوي (556/1).

(6) الرسالة القشيرية للقشيري (363/2).

(7) إحياء علوم الدين، الغزالي (387/4)

المبحث الأول: صيغ الصدق الواردة في القرآن الكريم

وردت مادة (صدق) في القرآن الكريم بصيغ متعددة، بلغت مائة وثمان وعشرين مرة بست صيغ وهي[1]:

أولاً: صيغة الماضي: وردت اثنان وعشرين مرة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: (قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ) [آل عمران:95] في الآية دليل عظيم على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه وصدق من أخبره بالأمور التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى؛ فلهذا قال تعالى {قل صدق الله} فيما أخبر به، وهذا أمر من الله لرسوله ولمن يتبعه أن يقولوا: صدق الله بألسنتهم، معتقدين بها في قلوبهم، ومقيمين بهذه الشهادة على من أنكرها، وهذا يبين أن أعظم الناس تصديقا لله أعظمهم علما ويقينا بالأدلة السمعية والعقلية[2]،وقيل: قولهم صدق الله فيه تعريض بكذبهم وإثبات أن الله صادق فيما أنزل وهم كاذبون[3].

ومنها كذلك قوله تعالى: **(وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ)** [الأحزاب:22]

وصدق اللَّه ورسوله ظهر صدق خبر الله ورسوله صدقاً في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء[4]،ووقع صدق الله في جميع ما وعد مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس[5].

ثانياً: صيغة المضارع: وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم هي:

قال تعالى: **(فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ)** [القصص:34].

المراد بتصديق أخيه أن يذب ويجادل عنه، ويصدقه فيما يقول ويخبر به عن الله سبحانه وتعالى؛ لأن خبر الاثنين أبلغ في النفوس من خبر الواحد، فيكون تصديقه له سبباً في تصديق غيره له[6].

ومنها قوله تعالى: (نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ) [الواقعة:57].

الآية تدل على حث الله للكفار وحضهم على التصديق بالبعث والإقرار بالخلق، ووبخهم على عدم تصديقهم بالبعث[7].

ومنها قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ) [المعارج:26].

يوم الدين هو يوم القيامة وهو يوم البعث والمجازاة، ويصدقون به أي يؤمنون به، تصديقاً بأعمالهم وهو أن يصرف الإنسان نفسه وماله من أجل المثوبة الأخروية[8].

ثالثاً: صيغة المصدر: وردت ستة عشر مرة في القرآن الكريم منها:

---

(1) سأذكر مثالين لكل صيغة.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (138/1)

(3) محاسن التأويل، القاسمي (355/2).

(4) بحر العلوم، السمرقندي (53/3)، أنوار التنزيل، البيضاوي (229/4).

(5) اللباب، ابن عادل (526/15).

(6) ينظر: غرائب القرآن، النيسابوري (341/5)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (236/6)، السراج المنير، الشربيني (99/3).

(7) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (834/1)، أضواء البيان، الشنقيطي (537/7)، التفسير الواضح، حجازي (602/3).

(8) ينظر: جامع البيان، الطبري (617/23)، أنوار التنزيل، البيضاوي (246/5)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي (7716/12).

قوله تعالى: (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ) [يونس:2]

الصدق في هذه الآية بمعنى الصلاح[1]، أي أن لهم أعمالا صالحة قدموها عند الله يستوجبون بها منه الثواب[2].

ومنها قوله تعالى: (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) [الإسراء:80].

الصدق هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إليه، فكل مدخل ومخرج كان بالله ولله وابتغاء مرضاته فصاحبه ضامن على الله. فهو مدخل صدق ومخرج صدق. وقيل: أدخلني في كل مقام تريد إدخالي فيه في الدنيا والآخرة مدخلا صادقا أي يستحق الداخل فيه أن يقال له أنت صادق في قولك وفعلك، وأخرجني من كل ما تخرجني منه مخرج صدق أي يستحق الخارج منه أن يقال له أنت صادق[3].

رابعاً: صيغة اسم الفاعل: وردت تسع وسبعون مرة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: (جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ) [الأنعام:146] .

وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا، وكذلك يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا شيئا وإنما اقتدينا بإسرائيل فيما حرم على نفسه ويتضمن إدحاض قولهم ورده عليهم. وقيل: (وإنا لصادقون) أي: وإنا لعادلون فيما جزيناهم به[4].

ومنها كذلك قوله تعالى: (إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ) [مريم:54].

صدق الوعد من الصفات الحميدة، وفي الآية أثنى الله سبحانه وتعالى على إسماعيل عليه السلام، أنه كان صادق الوعد لا يخلفه؛ لأنه وعد من نفسه الصبر على الذبح، فصبر حتى فداه الله، فهذا دليل على عظيم صدقه في وعده، فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف[5].

خامساً: صيغة المبالغة: وردت ست مرات في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ) [يوسف:46].

الصديق: الكثير الصدق، والصديق أصله صفة مبالغة مشتقة من الصدق والصديق كذلك المبالغ في الصدق، ووصف يوسف عليه السلام بهذه الصفة؛ لأنه لم يجرب عليه كذبًا، وقيل: لأنه صدق في تعبير رؤياه، وكذلك لجمعه معاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى، وهذه المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين[6].

ومنها قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ) [الحديد:19].

---

(1) لا يكون الإنسان صالحاً إلا إذا كان صادقاً.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري (16/15)، المحرر الوجيز، ابن عطية (103/3)، التسهيل، ابن جزي (352/01).

(3) ينظر: التفسير القيم، ابن القيم (360/1)، محاسن التأويل، القاسمي (495/6)، تفسير المراغي، المراغي (85/15).

(4) جامع البيان، الطبري (106/12)، المحرر الوجيز، ابن عطية (358/2)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (356/3).

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (238/5) أضواء البيان، الشنقيطي (437/3)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي (4553/7)، لباب التأويل، الخازن (190/3).

(6) ينظر: البسيط، الواحدي (134/12)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (284/12).

الصّدّيقون واحدهم: صديق وهو الكثير الصدق. وقيل:هم المبالغون في الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله، وكل من آمن بالله ورسله فهو صديق[1].

سادساً الصيغة المشبهة: وردت مرتان في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) [الشعراء:101].

الصديق الحميم ذي قرابة، والصادق في المودة بشرط الدين. وقيل: كان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. فما أغنوا عنهم شيئا. كما قال تعالى: (ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ)[الزخرف: 67]، وأن الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع[2].

وقوله تعالى: (أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ) [النور:61]

الصّديق هو الَّذي صدقك في المودَّة، ويُقال: الصّديق هو الَّذي ظاهره مثل ظاهرك، وباطنه مثل باطنك، وقرن تعالى الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لأن قرب المودة لصيق، فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره، لم يكن بذلك بأس، قال ابن عباس:" الصديق أوكد من القرابة"[3]

---

[1] ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي (243/9)، معالم التنزيل، البغوي (31/5)، أنوار التنزيل (188/5).

[2] ينظر: جامع البيان، الطبري (19/ 369)، معالم التنزيل، البغوي (472/3)، محاسن التأويل، القاسمي (464/7)، فتح القدير، الشوكاني (124/4).

[3] ينظر: جامع البيان، الطبري (223/19)، تفسير القرآن، السمعاني، (551/3)، المحرر الوجيز، ابن عطية (196/4).

المبحث الثاني: الأساليب القرآنية في الحث على الصدق

نوّع القرآن في أساليب الحث على الصدق وهي:

الأسلوب الأول: إسناد الصدق إلى الله تعالى:

لقد وصف الله تعالى ذاته المقدسة بالصدق في آيات كثيرة، وأتى ذلك الإسناد من جانبين:

أولاً: الصدق في القول والإخبار: ذكر الله سبحانه وتعالى أن حديثه وأقواله وأخباره صدق وفي أعلى مراتب الصدق، فكل ما قاله الله وأخبر به فهو صدق وكل ما يناقض مما أخبر الله به فهو باطل؛ لمناقضته للقول والخبر الصادق من الله تعالى، قال تعالى: (وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) [الأنعام:115]

قيل: المراد بالكلمات: القرآن، وصدقا وعدلا، تمام صدق وعدل لا مبدل لكلماته لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به، وقيل: صدقا في الأخبار وعدلا في الطلب، فكل ما أخبر به فهو حق لا شك فيه، وكل ما أمر به فهو عدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فهو باطل، وفي هذا دلالة على كمال كلام الله سبحانه وتعالى بأنه حق وصدق وعدل[1].وقوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا) [النساء:87]. أقسم الله: إني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقينا، فلا تشكوا في صحته ولا تمتروا في حقيقته، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه، ووعدي الصدق الذي لا خلف له، ومن أصدق من الله حديثا ومن أي: قولا ووعدا، ولا أحد أصدق من الله تعالى؛ لأن دخول الكذب في حديث البشر إنما علته الخوف والرجاء، وهذه منفية في حق الله تعالى تقدست أسماؤه[2].

قال تعالى: (وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا) [النساء:122]. القيل هو القول، ووعد الله صدق، والجملة بليغة ومؤكدة إن وعد الله حقا وصدقا، ولا أحد أصدق منه قولا، لا إله إلا هو ولا رب سواه[3].

والقرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى، وكل ما جاء فيه هو حق وصدق؛ فهو نزل مصدقاً لنفسه ولغيره من الكتب السماوية المنزلة قبله، قال تعالى: (وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ) [المائدة:48]. الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن بالصدق الذي لا كذب فيه ولا شك وأنه نزل بتصديق ما قبله من الكتب التي أنزلها إلى أنبيائه، وشاهد على ما فيها من الحقائق، فهو شاهد ومصدق[4].

ثانياً صدق الله في الوعد والوعيد:

صدقه في الوعد

الله سبحانه وتعالى إذا وعد فإنه صادق في وعده، ومن وعوده سبحانه وتعالى وعده للمؤمنين بالنصر على الكفار في بدر، قال تعالى: (وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال:10]

---

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (332/3)، إرشاد العقل السليم، أبي السعود (178/3)، فتح القدير، الشوكاني (117/2).

[2] ينظر: جامع البيان، الطبري (592/8)، معالم التنزيل، البغوي (671/1)، المحرر الوجيز، ابن عطية (88/2).

[3] ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي (303/2)، أنوار التنزيل، البيضاوي (99/2)، محاسن التأويل، القاسمي (347/3).

[4] جامع البيان، الطبري (377/10) المحرر الوجيز، ابن عطية (199/2)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي (1765/3).

وما تنصرون على عدوكم، أيها المؤمنون إلا أن ينصركم الله عليهم وبيده النصر، ينصر من يشاء من خلقه لا بشدة بأسكم وقواكم، فهو سبحانه الفاعل للنصر والمسخّر له كتسخيره للأسباب الحسية والمعنوية[1].

ومن وعده كذلك وعده لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بفتح مكة، قال تعالى: (لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ) [الفتح:27].

أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، رأى عليه الصلاة والسلام أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون في عامهم، فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه[2].

وكذلك صدق الله وعده للمؤمنين يوم الأحزاب، قال تعالى: (وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۖ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا) [الأحزاب::22]

لما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ...) (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء[3]. فإن النصر الحاسم للمسلمين على المشركين في غزوة الخندق والأحزاب نعمة عظمي تستوجب الشكر والحمد لله تعالى لأنه نصر دبره الله عز وجل بإرسال الريح والملائكة، وقد صدق فيه.

وكذلك صدق وعده لأهل الجنة، قال تعالى: (وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ) [الزمر:74].

الحمد لله الذي صدقنا ما كان وعدنا في الدنيا على طاعته، ووعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفَّى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما منَّانا به، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي بإيصالنا إلى ما وعدنا وأنبأنا عنه على ألسنة رسله وأورثنا الأرض وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه[4].

صدقه في الوعيد:

كما أن الله صدق في وعده للمؤمنين كذلك صدق في وعيده للمشركين الظالمين قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ) [هود:102].

في الآية وعيد تعم قرى المؤمنين، وأن أخذه هؤلاء في حال الظُّلم والشرك كأخذه أهل الْقرى حين كانوا في مثل حالهم من الظُّلم والشرك، وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة، وأما الظلمة في الغالب فمعاجلون يملى

---

[1] جامع البيان، الطبري (418/12)، تفسير المراغي، المراغي (174/9).

[2] أنوار التنزيل، البيضاوي (131/5)،. مدارك التنزيل، النسفي (343/2).

[3] جامع البيان، الطبري (236/20).

[4] الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي (6392/10)، محاسن التأويل، القاسمي (298/8)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (730/1).

لبعضهم، وقد ثبت عن النَّبي أَنه قال: " إن الله بمهل الظَّالِم حَتَّى إِذا أَخذه لم يفلته ". ثمَّ قَرَأَ قَوْله تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَخذ رَبك إِذا أَخذ الْقرى وَهِي ظالمة}"[1]2، وكان أخذه لهم بسبب غيهم وظلمهم، قال تعالى: (ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ) [الأنعام:146]. أن هذا التحريم إنما كان عقوبة لهم على ذنوبهم وبغيهم واستعصائهم على الأنبياء، وقوله وإنا لصادقون إخبار يتضمن إتمام جزائهم في الآخرة إذ هو تعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا شيئا وإنما اقتدينا بإسرائيل فيما حرم على نفسه ويتضمن إدحاض قولهم ورده عليهم[3].

الأسلوب الثاني: أمر المؤمنين بالتزام معية الصادقين:

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصدق وأن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) [التوبة:119]، كونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا، كما قال جل ثناؤه: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا) [سورة النساء: 69][4]. وقيل: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا[5].

الأسلوب الثالث: الصدق صفة الأنبياء:

إن أعظم صفات الرسل الصدق في الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأنهم المبلغون عن الله وحيه، والمرسلون بشرعه إلى خلقه، وهذا ما حكاه الله عنهم في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى:

(قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ) [يس:52]

أي هذا الذي ترون ما وعد به الرّحمن وصدق في الإخبار به المرسلون الذين أتونا بوعد الله ووعيده[6]، وذكر في حق إبراهيم عليه السلام، قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا) [مريم:41]، جمع الله له بين الصديقية والنبوة. فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به،. وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل،. وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء كلهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب،[7]وجاء في حق إدريس (وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا)[مريم:56]. أي: صادقاً في أفعاله وأقواله ومصدّقاً بما آتاه الله من آياته على ألسنة الملائكة[8]

---

(1) أخرجه البخاري (74/6)، ح (4686).

(2) تفسير القرآن، السمعاني (457/2)، المحرر الوجيز، ابن عطية (206/3).

(3) المحرر الوجيز، ابن عطية (358/2)، الدر المصون، السمين الحلبي (209/5).

(4) جامع البيان، الطبري (558/14).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (230/4).

(6) تفسير المراغي، المراغي (20/23).

(7) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (494/1).

(8) السراج المنير، الشربيني (433/2).

ووصف الحق إسماعيل عليه السلام بالصدق في الوعد فقال تعالى:((وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا)[مريم:54]، أثنى على الله على إسماعيلعليه السلامبأنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، ومما يبين من القرآن شدة صدقه في وعده: أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفّى بهذا الوعد، ومن وفّى بوعده في تسليم نفسه للذبح فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده، قال تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) [الصافات:102] فهذا وعده، وقد بين تعالى وفاءه به في قوله: (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ...) الآية [الصافات:103]. [1]

وشهدت امرأة العزيز على صدق يوسف عليه السلام، فقال تعالى: (أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) [يوسف:51]، إنه لم يراودني، وهو صادق فيما قال[2].

وشهد الله الله سبحانه وتعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم بالصدق وما جاء به الصدق (وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ) [الزمر:33] والذي جاء بالصدق هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدق هو القرآن[3]

والذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق: يكون في ثلاثة أحوال هي :.

الصدق في الأقوال: هو استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال: هو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة. كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: هو استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأحوال فيه وقيامها به؛ تكون صديقتيه؛ ولذلك كان لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وأرضاه: ذروة سنام الصديقية، لذلك سمي الصديق على الأطلاق[4].

الأسلوب الرابع: دعاء الأنبياء الله أن يجعلهم من الصادقين:

أن الأنبياء دعوا الله أن يجعلهم من الصادقين، وأن إبراهيم عليه السلام تضرع إلى الله بأن يجعل له ذكراً حسناً في الأمم التي تأتي بعده، قال تعالى: (وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ) [الشعراء :84]، أن الذكر الحسن هو ذكره بخير، فقد استجاب الله له دعاءه وحقق له ولرسوله عليهما السلام الذكر الحسن، قال تعالى: (وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا) [مريم:50] ولسان الصدق ثناء الخير والتبجيل، أي ثناء حسنا[5]، فذكرهم ملأ الخافقين، وامتلأت به القلوب، وفاضت بها الألسنة فصاروا قدوة المقتدين والأئمة للمهتدين.

---

[1] أضواء البيان، الشنقيطي (437/3).

[2] بحر العلوم، السمرقندي (197/2).

[3] التحرير والتنوير (7/24).

[4] مدارج السالكين، ابن القيم (2/ 258).

[5] التحرير والتنوير، ابن عاشور (125/16)، تفسير القرآن، السمعاني (297/3).

الأسلوب الخامس: الثناء على أهل الصدق:

وصف الله عباده المؤمنين بصفات عديدة وخصال حميدة، من أعظمها الصدق، قال تعالى: (مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا * لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) [الأحزاب:24.23]، أوفوا بما عاهدوا عليه الله من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس[1]، فأثابهم الله بسبب صدقهم وبلائهم،، إنهم مصدقون واثقون بوعد الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولم تزدهم المحنة والابتلاء إلا إيمانا بالله وتسليما للقضاء، فهم أهل صدق ووفاء للعهود والمواثيق التي يبرمونها مع الآخرين، وهم كذلك أهل وفاء مع الله في ادائهم للتكاليف والشرائع التي كلفوا بها؛ لذلك وصفهم الله بالتقوى ومحبته لهم.

الأسلوب السادس: الصدق طريق لدوام التقوى:

قال تعالى: (لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ)[البقرة:177]، فأولئك هم المؤمنون الَّذين صدقوا في إيمانهم، ووصفهم بالتقوى؛ لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور؛ وهذه الأمور مشتملة على جميع خصال الخير، تضمنا ولزوما، لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون[2]. فالآية جمعت جميع الكمالات البشرية تصريحاً وتلميحاً، فالصدق في الإسلام وفي الإيمان، والصدق في الأخلاق، وتحققه على الدوام، وإذا تحققت التقوى في النفوس، تحققت محبة الله؛ لأن الله يحب المتقين الصادقين العاملين بمنهج رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

[1] جامع البيان، الطبري (237/20).

[2] تيسر الكريم الرحمن، السعدي (83/1).

المبحث الثالث: أثر الصدق على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر الصدق على الفرد

للصدق آثار دنيوية ودينية تعود على الفرد وهي:

أولاً: الآثار الدنيوية:

ـ الصدق دليل على الإيمان والتقوى.

يعد الصدق من صفات المؤمنين المتقين، فقد أخبر الله تعالى عن أهل الإيمان والبر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر ثم وصفهم بأنهم أهل الصدق، قال تعالى: (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ) [البقرة:177]؛ فالآية دليل على صدقهم في الإيمان، وبصدقهم نالوا شرف التقوى، فهم الأبرار الصادقون المتقون.

ـ الصدق دليل على البراءة من النفاق:

ينقسم الناس إلى قسمين صادق ومنافق، وهذا تقسيم الله لهم، قال تعالى: (لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) [الأحزاب:24]

يثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به[1]، ويجزيهم كذلك بسبب صدقهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم. وبسبب صدقهم هذا كانت براءتهم من النفاق

فالصدق دليل على البراءة من النفاق.

ـ الصدق منجاة من الشدائد:

قال تعالى: (وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ *إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) [الصافات:104. 107]. كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلِّصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة[2]. فقد صدق إبراهيم عليه السلام مع ربه حين أمره بذبح ابنه، وكان جزاء صدقه نجاة ابنه إسماعيل عليه السلام من الذبح، وأنزل الله كبش ليذبحه فداء له. ففي الآية دليل على أن الصدق ينجي صاحبه، **قال** رسول الله **صلى الله عليه وسلم:"(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة"**[3]. وقوله صلى الله عليه وسلم:" الصدق منجاة والكذب هلكة"[4].

---

[1] جامع البيان، الطبري (241/20).

[2] التفسير الميسر (450/1).

[3] أخرجه الترمذي في سننه (668/4)، ح2518، وأحمد في مسنده (347/2)، ح1727 ، حكم الألباني صحيح.

[4] أخرجه أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب أمثال الحديث النبوي (417/1).

ثانياً: الآثار الأخروية:

ـ الفوز بمترتبة الصديقية: تعتبر هذه المرتبة من أعلى مراتب الصدق إذ تلي مرتبة النبوة، قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا) [النساء:69]،

الصديقين هم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، والقيام به قولا وعملا وحالا ودعوة إلى الله[1]،وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كأبي بكر فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل أتباع الرسل[2]، فالصديقين هم المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال[3]، فهذا من كمال الانقياد للرسول (ص)،وامتثال أمر الدين.

ـ النجاة من أهوال يوم القيامة:

قال تعالى: (قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ) [المائدة:119]،

ينفع الصدق صاحبه في ذلك اليوم، أنه يوم الحق فالصادق ينتفع فيه بصدقه[4]، وقيل: نفعهم بالصّدق في يوم القيامة أنهم لو كذبوا؛ نطقت جوارحهم فافتضحوا، فَإِذا صدقُوا لم يفتضحوا[5]، فيوم القيامة يجد الصادقون ثمرة صدقهم؛ وذلك بنجاتهم من أهوال ذلك اليوم.

ـ مرافقة الأنبياء والشهداء والصالحين.

قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا) [النساء:69]، الصديقون هم أتباع الرسل . صلوات الله عليهم الذين اتبعوهم وساروا على مناهجهم من بعدهم حتى لحقوا بهم، **والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى، والصالح** هو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير. وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة[6]، فمن عمل بما امره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنون وهم الصالحون الذين صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (185/1).

(2) لباب التأويل، الخازن (397/1).

(3) إرشاد العقل السليم، أبي السعود (199/2).

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (18/7).

(5) تفسير القرآن، السمعاني (84/2).

(6) لباب التأويل، الخازن (397/1).

. رضا الرحمن ودخول الجنة:

قال تعالى: (قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ) [المائدة:119]، إن الصادقين ينفعهم صدقهم الذي كان منهم في الدنيا، فيجدوا ثمرة صدقهم يوم القيامة، فثوابهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم بالطاعة ورضوانه أكبر من كل نعمة وفضل، ورضوا عنه بالثواب ففازوا بالجنة[1]، ونالوا المسرة الكاملة بما جازاهم به دخول من الجنة.

المطلب الثاني: أثر الصدق على المجتمع:

الصدق من الأخلاق العظيمة التي تحافظ على المجتمع وتماسكه؛ ويؤدي إلى بث المودة والألفة بين أفراد المجتمع وتوثيق العلاقات بينهم، واتصف الله عز وجل بالصدق، وهي صفة مطلقة له، وهي اسم من أسمائه الحسنى (الصادق)، فاختص الله تعالى بصفة الصدق لنفسه ومنحها بعضًا من عباده الصالحين، ولم يتوقف الأمر على ذلك، بل مدح الله تعالى وأثنى على الصادقين من عباده في كتابه الكريم، فبشرهم ووعدهم بمكانة ومنزلةٍ رفيعةٍ يوم القيامة جنبًا إلى جنب مع الأنبياء والشهداء، وتعددت الآيات الواردة عن فضل ومكانة الصدق والصادقين. وقد أكّدت السنة المطهرة أن نجاة المؤمن تكون بسبب صدقه، فحث نبينا الكريم ﷺ على الصدق، وحذر من الكذب وأمر بالابتعاد عنه، وهو سبيل الضلال وفجور المجتمعات، وقد ذكر عليه الصلاة والسلام في حديثه عن الصدق فقال: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "[2] فالنهي عن الكذب دلالةً على وجوب الصدق، فالصدق عنصر مهم للمجتمع العادل، ويتميز النظام الناجح بأفراده الصادقين الذين يتخذون الصدق مبدأ شخصياً وذاتياً يبنون عليه جميع أمور حياتهم.

وللصدق آثار جليلة تعود على افراد المجتمع بالفائدة العظيمة منها:

ـ الصدق يحد من مشاكل المجتمع وخلافاته، إذ صدق الأفراد ينعكس ذلك على علاقتهم بغيرهم من الناس، فينجم عنه الاحترام والتقدير والمحبة.

ـ الصدق هو أحد أهم أسباب غياب الجرائم عن المجتمع.

ـ الصدق يؤدي إلى الارتقاء بالمجتمعات وتقدمها؛ فإنجاز الشخص الصادق مهامه وواجباته بدقة وإتقان دون مماطلة وتأخر، يؤدي إلى تحسين العلاقات بين شرائح المجتمع وبالتالي إلى تقدم المجتمع وتطوره.

ـ الصدق يعزز من الانفتاح على المجتمع وتطوير الأساليب التي تقدم الحقائق فيه، إذ الصدق عنصر مهم لتحقيق المشاركة الفعالة في المجتمع، فيجب على جميع الأفراد أن يجتهدوا لتعزيز الثقة وبناء علاقات قوية في المجتمع لتحقيق مشاركات مُثلى تسعى لتحقيق النجاح والروابط الاجتماعية، ولا يحدث ذلك إلا بالصدق.

---

[1] بحر العلوم، السمرقندي (432/1).

[2] أخرجه البخاري (16/1)، ح(33)، ومسلم (78/1)، ح(59).

ـ البركة في المعاملات التجاريَّة بين المسلمين؛ فبصدق المُتبايعين تحلُّ البركة في بيعهم، كما أَنَّ كذبهما يمحق بركة بيعهم؛ عن حكيم بن حِزَامٍ ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: "البيّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا؛ فإن صدقَا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقَت بركة بيعهما"[1].

ـ **أَنَّ الصدق سبب تفريج الكربات وإجابة الدعوات وَالنَّجاة في الملمَّات**؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:" بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء، لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما، فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم، من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت، إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا"[2].

فهذا الحديث دلالة على عظم الصّدق عند الله -عزَّ وجلَّ-، وعلى أَنَّ الأَعمال ليست بكثرتها؛ وَإِنَّمَا بالصّدق والإخلاص فيها، بتخليصها من الشَّوائب ومما يحبطها. فمهما حاول الإنسان أَن يتقَرَّب إِلى الله بعمل لم يصدق فيه، ولم يكن فيه لله مخلصًا؛ فَإِنَّ الله تبارك وتعالى يحبط عمله ويردُّه عليه.

ـ **الصّدق: طمأنينة النَّفس، وراحة القلب، وسكون الرُّوح والضَّمير**؛ قال ﷺ: "دع ما يريبك إِلى ما لا يرِيك؛ فَإِنَّ الصّدق طمأنينةٌ، وإِنَّ الكذب رِيبَةٌ"؛ فالخير تطمئنُّ به القلوب، والشَّرُّ ترتاب به ولا تطمئنُّ إِليه، وعلامة الصّدق أَنَّه تطمئنُّ به القلوب، وعلامة الكذب أَنَّه تحصل به الرّيبة، فلا تسكن القلوب إِليه، بل تنفر القلوب منه.

---

[1] أخرجه البخاري (64/3)، ح(2110)، ومسلم (1164/3)، ح(1532).

[2] أخرجه البخاري (172/4)، ح (3465).

فالصّدق من أَخلاق المؤْمِنين، والكذب من أَخلاق المنافقين الفاجرين؛ فعلى المرءِ أَن يتحرَّى الصّدق، وأَن يجتهد في طلبه، وأَن يلزمه حتَّى يكتب عند الله صدّقًا. فبالصدق تطمئن نفسه ويرتاح قلبه وتسكن روحه، وبذلك يكون فرداً نافعاً لنفسه صالحاً لمجتمعه.

. ترابط أَفراد المجتمع، وتعاونهم على البرّ والتَّقوى، فالأخوَّة الصَّادقة من أَسباب قوَّة المجتمعات؛ قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى"[1] فالمؤْمنون جميعًا جسدٌ واحدٌ. وهم أُخُوَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:10]. يقول نبيُّنا ﷺ الأخوَّة في الدين لا في نسب ولا رحم: "إِنَّ من النَّاس يوم القيامة لأُناسٌ ما هم بأَنبياء ولا بشهداء، يغبطهم الأنبياء وَالشُّهداء بمقَامهم من الله ربّ العالمين». قَالُوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم أَقوام تحابُّوا على غير أَرحام بينهم، وعلى غير أَموالٍ يتعاطونها"[2]فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ يدعو الأُمَّة لكي تكون جسدًا واحدًا[3].

ويجب على كل فرد أن يتصف بالصدق في عباداته لربه سبحانه وتعالى، وأن يظهر أثره في سلوكه وتعامله مع الناس، فإن ذلك من عوامل الفلاح في المجتمع، والرقي في الأمم، ومن أسباب السعادة في الدنيا، والنجاة في الأخرى، وقد قال عليه الصلاة والسلام موجهاً الأمة إلى وجوب الاتصاف بالصدق والعمل به، وبيان حسن عاقبته: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً"[4].

---

[1] أخرجه مسلم (1999/4)، ح(2586).

[2] أخرجه أبو داود في سننه (288/3)، ح3527، وأحمد في مسنده (532/37)، ح 22897 ، حكم الألباني صحيح.

[3] ينظر: الصدق وأثره في صلاح الفرد والمجتمع، رسلان (60.48).

[4] أخرجه مسلم (2013/4)، ح(2607).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي منّ علي بإتمام هذه الورقة العلمية والتي من خلالها توصلت إلى عدد من النتائج من أهمها:

- أن الصدق من أعظم الأخلاق وأنه روح الأعمال.
- أن الله أسند خلق الصدق إلى ذاته القدسية.
- أن الصدق صفة الأنبياء عليهم السلام.
- أن الله جعل الصادقين في معيته.
- أن الصدق طريق لدوام التقوى.
- أن الصدق من عوامل الفلاح في المجتمع والرقي به.
- أن الصدق من أسباب السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

ومن أهم التوصيات:

- ضرورة التحلي بخلق الصدق.
- حث أفراد المجتمع على الصدق.

المراجع:

ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: 1415 هـ - 1995 مـ

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى 1418 هـ

ـ بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

ـ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ

ـ التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ

ـ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
الطبعة: الأولى، 1430 هـ

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)،
المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.

تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة: الأولى 1410 هـ

. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية،

الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009 م.

. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة - 1413 هـ.

. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)،المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ

. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)،المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: 1285 هـ.

. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)،

المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ

. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ .

. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م.

. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

.لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م.

. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ

. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.

. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ

. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)،الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت.

. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة : الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ

. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (المتوفى: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه

المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

المو اقع الإلكترونية:

. الصدق وأثره في صلاح الفرد والمجتمع، أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، https://www.rslantext.com/Item.aspx?ID=2238

منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي وسؤال التنمية
مقاربة تأسيسية

الدكتورعادل مطرب

المملكة المغربية

adil.matrab@gmail.com

ملخص البحث:

عرف منهاج تدريس التربية الاسلامية في المراحل التعليمية الابتدائية والثانوية بشقيها الاعدادي والثانوي تغييرا جذريا على مستويات عدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: الاختيار البيداغوجي والبرامج والمقررات الدراسية وطرق التدريس وغيرها من الأبعاد التربوية...، لكن منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي لم يأخذ حظه الوافر من هذه الثورة التربوية، مما جعل النداءات تتوالى من أجل إعادة النظر وتمحيص الفكر ونقد الذات قصد بناء نظرية منهاجية متكاملة تحقق التكامل التنموي من خلال تجسير العلاقة بين الجامعة ومحيطها العام بشتى تفرعاته.

ويقصد البحث العلمي الذي بين أيدينا وضع لبنات أولية كبرى إسهاما في بسط منهاج دراسي جامع، يتوخى تنزيله تحقيق مقصد التنمية في عملية تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي، وذلك من خلال رؤية استشرافية تأسيسية تعالج جوانب المنهاج الدراسي المنشود في أبعاده الكبرى، وفق النظريات التربوية المعاصرة، ودون إغفال للتراث التعليمي الانساني الغني تنظيرا وتنزيلا، بشكل يمكن من تجاوز الإخفاقات التي تمنع من تجسير العلاقة بين مكونات العملية التعليمية التعلمية الثلاثة (الأستاذ- الطالب- العلم الشرعي) والواقع المعيش، بما يعطي للفعل التدريسي بمدخلاته المتشعبة قيمة حقيقية وأثرا عمليا فاعلا في حياة الفرد والمجتمع، وبما يحقق مبدأ التنمية في عملية تدريس العلوم الشرعية.

الكلمات المفتاحية: منهاج - تدريس - تربية إسلامية - علوم شرعية - تعليم عالي - تنمية

The curriculum for teaching Sharia sciences in higher education and the question of development: a foundational approach

D. ADIL MATRAB

If the curriculum for teaching Islamic education in the primary and secondary educational levels, both the middle and secondary levels, has undergone a radical change at several levels, including, but not limited to: pedagogical choice, academic programs and curricula, teaching methods, and other educational dimensions..., then the curriculum for teaching Sharia sciences in higher education He did not take much of this educational revolution, which made calls come in to reconsider, scrutinize thought, and self-criticize with the aim of building an integrated methodological theory that achieves developmental integration by bridging the relationship between the university and its general environment in all its branches.

Through this scientific research, we are trying to lay major initial building blocks to contribute to the spread of a comprehensive curriculum, the implementation of which aims to achieve the goal of development in the process of teaching Sharia sciences in higher education, through a foundational forward-looking vision that addresses aspects of the desired curriculum in its major dimensions, in accordance with contemporary educational theories, Without neglecting the rich human educational heritage in theory and analysis, in a way that enables one to overcome the failures that prevent bridging the relationship between the three components of the educational process (the professor - the student - the forensic science) and the living reality, in a way that gives the teaching act, with its complex inputs, real value and an effective practical impact on the life of the individual. And society, in a way that achieves the principle of development in the process of teaching Sharia sciences.

Keywords: curriculum - teaching - Islamic education - Sharia sciences - higher education - development

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)،[1] والصلاة على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد القائل: (طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ، وإنَّ طالبَ العلمِ يستغفِرُ له كلُّ شيءٍ ، حتى الحيتانِ في البحرِ)،[2] وعلى آله وأزواجه وصحبه أجمعين.

وبعد، فإنها لفرصة طيبة لمشاركتكم بحثي الذي أنوي الاسهام به في فعاليات الندوة الدولية: "**المعارف الانسانية والشرعية بالتعليم العالي وسؤال التنمية** "، آملين من المولى عز وجل أن تحظى ورقتنا العلمية بالقبول دنيا وآخرة.

إذا كان منهاج تدريس التربية الاسلامية في المراحل التعليمية الابتدائية والثانوية بشقيها الاعدادي والثانوي قد عرف تغييرا جذريا على مستويات عدة منها على سبيل المثال لا الحصر: الاختيار البيداغوجي والبرامج والمقررات الدراسية وطرق التدريس وغيرها من الأبعاد التربوية...، فإن منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي لم يأخذ حظه الوافر من هذه الثورة التربوية، مما جعل النداءات تتوالى من أجل إعادة النظر وتمحيص الفكر ونقد الذات قصد بناء نظرية منهاجية متكاملة تحقق التكامل التنموي من خلال تجسير العلاقة بين الجامعة ومحيطها العام بشتى تفرعاته.

فما هي أهم الملامح الناظمة والمؤسسة لمنهاج دراسي كفيل بتحقيق مبدأ التنمية المجتمعية في **تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي؟**

نحاول من خلال هذا البحث العلمي وضع لبنات أولية كبرى إسهاما في بسط منهاج دراسي جامع، يتوخى تنزيله تحقيق مقصد التنمية في عملية تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي، وذلك من خلال رؤية استشرافية تأسيسية تعالج جوانب المنهاج الدراسي المنشود في أبعاده الكبرى، وفق النظريات التربوية المعاصرة، ودون إغفال للتراث التعليمي الانساني الغني تنظيرا وتنزيلا، بشكل يمكن من تجاوز الإخفاقات التي تمنع من تجسير العلاقة بين مكونات العملية التعليمية التعلمية الثلاثة (الأستاذ- الطالب- العلم الشرعي) والواقع المعيش، بما يعطي للفعل التدريسي بمدخلاته المتشعبة قيمة حقيقية وأثرا عمليا فاعلا في حياة الفرد والمجتمع، وبما يحقق مبدأ التنمية في عملية تدريس العلوم الشرعية.

[1] - سورة العلق، الآيات 1-4.

[2] - ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، الرقم:3914 ، ج2/ ص 727.

وسنعتمد في بحثنا إن شاء الله تعالى المنهج الوصفي الذي يصف جوانب الموضوع المختلفة وصفيا، والمنهج التحليلي الذي يناقش قضايا الدراسة تحليليا، ويركب استنتاجات وخلاصات مركزة وتوصيات قاصدة تمتد للواقع بشكل فاعل ومؤثر.

كما ينتظم البحث وفق الخطة التالية:

مقدمة: وتتضمن إشكالية البحث وأهدافه ومنهجيته و خطته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

المبحث الثاني: منهاج تدريس العلوم الشرعية وسؤال التنمية: الأسس والمنطلقات

المبحث الثالث: منهاج تدريس العلوم الشرعية وسؤال التنمية: الآليات والوسائل

خاتمة

توصيات

الكلمات المفتاحية: منهاج - تدريس - تربية إسلامية - علوم شرعية - تعليم عالي - تنمية

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

يستلزم النظر المنهجي في هذا البحث العلمي بيان المراد من مفردات وسمه، لذلك سنتعرض للمفاهيم المركزية تجلية للمقصود وضبطا للتصور وتجنبا للبس المشوش على الفهم والافهام.

1) مفهوم المنهاج

لا يمكن الجزم بوجود منهج خاص بتدريس العلوم الشرعية، لكن يمكن تلمس جوانبه من خلال استعراض معنى المنهاج التربوي عموما من خلال التعاريف التالية:

- المنهاج: هو جملة من الأفعال التي نخططها لاستثارة التعلم، فهو يشمل تحديد أهداف التعلم ومضامينه وطرقه وأساليب تقويم مواده الدراسية بما فيها بالطبع المحتوى الدراسي، وكذا مختلف الاستعدادات المتعلقة بالتكوين الملائم للمعلمين.[1]
- المنهاج هو خطة شاملة يتم عن طريقها تزويد الطلاب بمجموعة من الفرص التعليمية التي تعمل على تحقيق أهداف عريضة مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة، ويجري تحقيقها في معهد علمي معين تحت إشراف هيأة تعليمية مسؤولة.[2]
- المنهاج هو التخطيط الدقيق المتكامل الذي يرسم الاتجاه التعليمي العام، وهو يشمل الغايات والمرامي والأهداف التي تترجم إلى مضامين ومقررات وع تحديد لاستراتيجيات التعلم وطرقه ووسائله.[3]
- المنهاج هو مجموعة من الخبرات المخططة التي توفرها المدرسة لمساعدة التلاميذ على بلوغ الحصيلة المنشودة إلى أقصى ما تستطيعه قدراتهم.[4]

2) مفهوم التدريس

التدريس هو مجموع العمليات والأنشطة التعليمية التعلمية التي تتم داخل الفصل الدراسي، والتي تستهدف بناء التعلمات واكتساب المهارات، وفق طرق وأساليب ومنهجيات مختلفة.

---

[1] - أحمد أوزي، المعجم الموسوعي لعلوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1427هـ/2007م، ص 246.

[2] - محمد السيد علي، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1432هـ/2011م، ص 17.

[3] - بوشوك المصطفى، المنهج التعليمي والعمل التربوي المضبوط، مجلة التدريس، عدد 7، 1984م، ص 54.

[4] - ناصر إبراهيم، أسس التربية، دار عمار، عمان، ط 6، 2001م، ص 139.

3) مفهوم العلوم الشرعية

تشمل العلوم الشرعية أصناف العلوم التي تتفرع عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع علماء الشرع، كالعقيدة والفقه والقرآن وعلومه والحديث وعلومه واللغة العربية وغيرها من العلوم المتعلقة بالشريعة الاسلامية.

4) مفهوم التعليم العالي

يقصد بالتعليم العالي التعليم الجامعي الذي يتلقاه الطالب في أحضان الجامعة حضوريا أو عن بعد، وذلك بعد الانتهاء من مرحلة التعليم المدرسي في سلك التعليم الثانوي التأهيلي.

5) مفهوم التنمية

التنمية هي: "عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الهيكلية والوظيفية في المجتمع وتحدث نتيجة للتدخل في توجيه حجم ونوعية الموارد المتاحة للمجتمع، وذلك لرفع مستوى رفاهية الغالبية من أفراد المجتمع عن طريق زيادة فاعلية أفراده في استثمار طاقات المجتمع إلى الحد الأقصى.[1]

وحسب الأمم المتحدة فالتنمية هي تلك العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية، ومساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع،[2] أي هي توفير عمل منتج ونوعية من الحياة الأفضل لجميع الشعوب، وهو ما يحتاج إلى نمو كبير في الإنتاجية والدخل وتطوير للمقدرة البشرية. وحسب هذه الرؤيا فان هدف التنمية ليس مجرد زيادة الإنتاج بل تمكين الناس من توسيع نطاق خياراتهم وهكذا تصبح عملية التنمية هي عملية تطوير القدرات وليست عملية تعظيم المنفعة أو الرفاهية الاقتصادية فقط بل الارتفاع بالمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي،[3] ويبين ذلك أن حاجات الإنسان كفرد ليست كلها مادية ولكن تحتوي أيضا على العلم والثقافة وحق التعبير والحفاظ على البيئة وممارسة الأنشطة وحق المشاركة في تقرير شؤون الأفراد بين الأجيال الحالية والمقبلة.

1 - مدحت محمد أبو النصر، إدارة وتنمية الموارد البشرية (الاتجاهات المعاصرة)، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 1 ،2007 ص.189

2 - _محمد شفيق، البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ،1998 ص.13

3 - خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 4 ،2007 ص19.

ولعل التنمية المنشودة من خلال الفعل التدريسي هي الغايات والمرامي العلمية والعملية والمنهجية التي لأجلها يوضع المنهاج الدراسي عموما، ولتدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي ثلاث وظائف تنموية هي:

- وظيفة تنموية علمية: إكساب الطالب معرفة واسعة بالعلوم الشرعية سواء كانت علوم مقاصد أو علوم وسائل.
- وظيفة تنموية عملية: إكساب الطالب القدرة على إنتاج المعرفة والاجتهاد في الاجابة عن تساؤلات الأمة في جميع نواحي الحياة.
- وظيفة تنموية منهجية: تمكين الطالب من أدوات منهجية للنظر والاجتهاد والبحث الممتد إلى ما بعد التعليم الجامعي، ليصبح ملكة ملازمة.

من خلال ما سبق من تعريفات، يمكن الاجتهاد والقول أن المقصود من المركب الإضافي " **منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي" هو: خطة تربوية شاملة لتمكين طالب العلوم الشرعية بمجموعة من المعارف والمهارات والكفايات، وفق غايات ومرام وأهداف ومنهجيات وطرائق ووسائل محددة، تمكن من تحقيق التنمية العلمية والعملية والمنهجية المرجوة.**

المبحث الثاني: منهاج تدريس العلوم الشرعية وسؤال التنمية: الأسس والمنطلقات

إن بناء المنهاج العلوم الشرعية ينبغي أن يقوم على عدة أسس تربوية عامة وهامة وهي تلامس جوانب مختلفة ومؤثرة بدرجات ومستويات متباينة، لكن بشكل تكاملي ترابطي، يحقق نسقية متوازنة ووظيفية قاصدة في الفعل التربوي التعليمي من جهة وفي مخرجاته من جهة ثانية وفي المنهاج التدريسي بشكل عام. ومن أبرز هذه الأسس نذكر ما يلي:

المطلب الأول: الأساس المعرفي لمنهاج تدريس العلوم الشرعية

يعنى الأساس المعرفي للمناهج التعليمية بطبيعة الثقافة، وطبيعة المعرفة ومصادر المعرفة، والسمات الخاصة للإسهامات الفريدة للمواد الدراسية في تكوين محتوى المنهج، فالنظم التعليمية تختلف باختلاف ثقافاتها, وباختلاف فهمها لطبيعة المعرفة, والأهمية التي تعطيها للمواد الدراسية المختلفة، إن المواد الدراسية تختلف في تركيبها وطبيعة تكوينها وبالتالي تختلف في إسهاماتها في المناهج الدراسية، كما أنها تختلف في إسهامها في المنهج حسب الأهمية المعطاة لها في المجتمع، إن كل مادة دراسية تساهم بقدر مختلف في النمو العقلي والاجتماعي والجسماني للفرد، إننا اليوم بخاصة في عصر التدفق المعرفي بحاجة إلى إعادة دراسة المواد الأساسية التي تتكون منها موضوعات الدراسة للتأكد من المفاهيم التي تنظم حولها المواد الدراسية، وللتأكد من أنها تتفق مع التطورات في هذه المواد، وهكذا نرى أن هناك علاقات أساسية بين أساسيات المنهج وعناصره، ومنها طرق التدريس.[1]

ويتناول الأساس المعرفي لمنهاج تدريس العلوم الشرعية طبيعة المعرفة الشرعية ومناهجها وموضوعاتها ونسقها الداخلي وبرامجها التعليمية،[2] ويرتكز على مقومات العقيدة الاسلامية باعتبارها الإطار الفلسفي العام لمنهاج تدريس العلوم الشرعية بمختلف الأسلاك التعليمية، والتي تمثل امتدادا لهذه العقيدة. ويمكن لهذا الأساس أن ينبعث من المنطلقات التالية:

- وحدة وتكامل العلوم الشرعية مع بعضها البعض من جهة، ومع باقي العلوم الكونية من جهة ثانية، بما يحقق انسجاما داخليا بين العلوم الشرعية جميعها، وانسجاما خارجيا مع باقي المعارف والحقائق العلمية المؤكدة لنصوص الوحي، باعتبارها تجليات ربانية في الكون البديع.

[1]- مدكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، 2001م/ 1421هـ، ص 227.

[2] - للتوسع: ينظر بحث: تدريسية العلوم الشرعية بالتعليم الجامعي: مقاربة ابستمولوجية بيداغوجية، ذ/ محمد لفرم، من كتاب جماعي: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي: مقاربات معرفية وتربوية، إعداد وتقديم: د. ربيع حمو و د.الحسن بنعبو، منشورات مختبر القيم والمجتمع والتنمية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب ط 1، 2020م، ص 67 -75.

- بناء المعرفة الشرعية يستمد من الأدلة النقلية والعقلية والحسية بغية تحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم.
- اللغة العربية مفتاح العلوم الشرعية ووعاء للقيم المستنبطة منها، مع احترام الخصوصيات اللغوية للفئة المستهدفة في تدريس العلوم الشرعية.
- التدرج في تدريس العلوم الشرعية من العام إلى الخاص، جمعا بين ضرورة تكامل المعرفة الشرعية والحاجة إلى متخصصين في فروعها.[1]

إن البحث في طبيعة العلوم الشرعية لم يكن غائبا في فكر المتقدمين بل سعوا لبيان ماهيتها، قصد بناء منهاج تدريسي متكامل يراعي أبعاد الفعل التعليمي والمستجدات العلمية الآنية، مما جعل لتدريس العلوم الشرعية استمرارا وتجددا عبر انطلاقها من النسق الداخلي لتلك العلوم وتقاطعها مع بعضها البعض، وهو ما أكده ابن خلدون قائلا: " .وأصل هذه العلوم النّقلية كلّها هي الشّرعيّات من الكتاب والسّنّة الّتي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلّق بذلك من العلوم الّتي تهيّئوها للإفادة، ثمّ يستتبع ذلك علوم اللّسان العربيّ الّذي هو لسان الملّة وبه نزّل القرآن. وأصناف هذه العلوم النّقليّة كثيرة لأنّ المكلّف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسّنّة بالنّصّ أو بالإجماع أو بالإلحاق فلا بدّ من النّظر بالكتاب ببيان ألفاظه أوّلا وهذا هو علم التّفسير ثمّ بإسناد نقله وروايته إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الّذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القرّاء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثمّ بإسناد السّنّة إلى صاحبها والكلام في الرّواة النّاقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث. ثمّ لا بدّ في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانونيّ يفيد العلم بكيفيّة هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه. وبعد هذا تحصل الثّمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين وهذا هو الفقه".[2]

وهذا الأساس لم يكن خافيا على المتقدمين، بل نجده حاضرا في كتابتهم، وهو ما يدل على استيعاب دقيق لهذا المعنى، كقول أبي حامد الغزالي: " على الطالب ألّا يدع فناً من الفنون المحمودة ولا نوعاً من أنواعها إلا وينظر فيه نظراً يطّلِع فيه على نقصه، لأنَ العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض"،[3] وقول المرعشي: " ويغلط بعض الطلبة في ترتيب الفنون والقدر اللائق من السعي لكل فن، فيشرع في بعض الفنون

[1] - للتوسع: ينظر بحث: تدريس العلوم الاسلامية بالتعليم العالي بين ضرورة التكامل والحاجة إلى التخصص: مقاربة ابستمولوجة تربوية، الدكتور يونس محسين، كتاب جماعي: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي: مقاربات معرفية وتربوية، إعداد وتقديم: د. ربيع حمو و د.الحسن بنعبو، منشورات مختبر القيم والمجتمع والتنمية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب ط 1، 2020م، ص 13-33.

[2]- ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1401هـ/1981م، ج1/ص550.

[3]- الغزالي، أبو حامد، (ت 505هـ) إحياء علوم الدين، دار الجيل، بيروت، ط 1، ج1/ص69.

قبل تحصيل ما يتوقف فهمه عليه. وقد لا يهتم لفهم فن تشتد الحاجة إليه، ويطيل البحث فيما لا يكثر الاحتياج إليه، وأمثال هذه التدبيرات الردية مدار تنزلهم وعدم وصولهم إلى مقاصدهم"،[1] وقول ابن جماعة الكناني: "وكذلك يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه، بل يعطى الكتاب الذي يقرؤه أو الفن الذي يأخذه كليته حتى يتقنه، وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب فإنه علامة الضجر وعدم الإفلاح. أما إذا تحقق أهليته وتأكدت معرفته، فالأولى ألا يدع فنًا من العلوم الشرعية إلا نظر فيه، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فذاك، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك"،[2] وقول الماوردي: " وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى أَوَاخِرِهَا، وَمَدَاخِلَ تُفْضِي إِلَى حَقَائِقِهَا، فَلْيَبْتَدِئْ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى أَوَاخِرِهَا، وَبِمَدَاخِلِهَا لِتُفْضِيَ إِلَى حَقَائِقِهَا، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَ قَبْلَ الْأَوَّلِ، وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ، فَلَا يُدْرِكُ الْآخِرَ وَلَا يَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ؛ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى غَيْرِ أُسٍّ لَا يُبْنَى، وَالثَّمَرُ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ لَا يُجْنَى، وَلِذَلِكَ أَسْبَابٌ فَاسِدَةٌ وَدَوَاعٍ وَاهِيَةٌ".[3]

ولذلك اعتنى العلماء بوضع مصنفاتهم في مختلف العلوم الشرعية ضمن أحجام متفاوتة متدرجة: صغير ووسط وكبير؛ أو صغير وكبير؛ من غير مس بالتصور العام للعلم.

ويرتبط بهذا الأساس المعرفي تصنيف العلوم أثناء بناء المنهاج الدراسي وتنزيله في مقررات تدريسية تراعي الرؤية الفلسفية الاسلامية للمعرفة الشرعية ومناهج ومقاصد ووظيفية تدريسها التنموية للطلبة.

وبالنظر في تصنيف علمائنا للعلوم نلاحظ حضورا قويا لمقاصدها التعليمية ووظيفيتها التنموية المرجوة علميا وعمليا ومنهجيا، وهو ما أكده الكسائي قائلا: "وَالْمَقْصُودُ الْكُلِّيُّ مِنْ التَّصْنِيفِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ هُوَ تَيْسِيرُ سَبِيلِ الْوُصُولِ إلَى الْمَطْلُوبِ عَلَى الطَّالِبِينَ، وَتَقْرِيبُهُ إلَى أَفْهَامِ الْمُقْتَبِسِينَ، وَلَا يَلْتَئِمُ هَذَا الْمُرَادُ إلَّا بِتَرْتِيبٍ تَقْتَضِيهِ الصِّنَاعَةُ، وَتُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ، وَهُوَ التَّصَفُّحُ عَنْ أَقْسَامِ الْمَسَائِلِ، وَفُصُولِهَا، وَتَخْرِيجِهَا عَلَى قَوَاعِدِهَا، وَأُصُولِهَا لِيَكُونَ أَسْرَعَ فَهْمًا، وَأَسْهَلَ ضَبْطًا، وَأَيْسَرَ حِفْظًا فَتَكْثُرُ الْفَائِدَةُ، وَتَتَوَفَّرُ الْعَائِدَةُ ".[4]

إن تصنيف العلوم الشرعية غايته تصنيفها منهجيا لغاية الفهم والافهام وتبليغ رسالة الاسلام، وفق مباحث ووحدات دراسية ومقررات تعليمية تمكن المتلقي من اكتساب أساسيات المعرفة الشرعية ابتداء، لينتقل بعد ذلك للتخصص في فرع من فروع العلوم الشرعية ويحقق التنمية المرجوة من الفعل التدريسي.

---

[1]- المرعشي، محمد بن أبي بكر، ترتيب العلوم، (ت 1145)، المحقق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 1، 1988، ص 82.

[2]- ابن جماعة، الكناني (ت 733 هـ)، تذكرة السامعِ والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف، 1354 هـ، ص 119.

[3]- الماوردي، أبو الحسن، (ت 450 هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986، الباب الثاني: أدب العلم، فصل في التعلم، ص 48.

[4]- الكسائي، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2، 1406هـ/1986م، ج1/ص2

لكن بالنظر لواقع تدريس العلوم الشرعية نلاحظ غيابا أو على الأقل قصورا في هذا الباب، حيث يغلب على الفعل التعليمي تجميع مختارات علمية عامة تصف العلوم من خارج نسقها التربوي المعاصر وصفا تاريخيا لا يظهر تناسقا منطقيا مع أجزاء العلم الواحد بله باقي العلوم الشرعية أو الكونية، وهذا غالبا ما تفرضه ظروف الاشتغال الرهينة بضغط البرمجة الزمنية للوحدات الدراسية، والاكتظاظ المهول لأعداد الطلبة، وتعدد مهام هيأة التدريس ... وهو ما ينعكس سلبا على جودة التعلمات، ويغيب ميزة التكامل بين أجزاء البرنامج التعليمي الواحد، وبين مكونات المنهاج الدراسي العام.

ولعل الطامة الكبرى في هذا الباب هي طبيعة التكوين التربوي والبيداغوجي لكثير من أساتذة الجامعة، حيث يلاحظ غياب تصور عام حول الفعل التدريسي عند كثير من الأساتذة الجامعيين لدخولهم الجامعة بدون بيداغوجية وبدون تدريب أوتكوين، بل إن بعضهم ينظر لعلم البيداغوجية والمناهج والتكوين على أنها علوم دخيلة غربية، والناظر في حياة العلماء القدامى يجدهم كانوا أفضل وأعمق نظرا في هذا المجال وقد ألفوا فيه، فيجب على المدرسين استحضار أهداف المادة ومقاصدها وتنظيم المادة الدراسية وعدم الجمود على الكتب المتقدمة، مع ضرورة تنويع طرق التقويم والتدريس، بدل الاعتماد دائما على الأسئلة التي لا تربي إلا مهارة الاسترجاع،[1] وهذا بلا يشك يعيق التنمية المعرفية المنشودة وفق التصورات التربوية الحديثة.

المطلب الثاني: الأساس الفلسفي لمنهاج تدريس العلوم الشرعية

يبحث المنطلق الفلسفي في فلسفة المجتمع وهويته وحاجاته وتطلعاته من تدريس العلوم عامة والعلوم الشرعية على وجه خاص. ومن المفروض أن يعكس الأساس الفلسفي لمنهاج تدريس العلوم الشرعية التصور الجامع للإسلام حول الكون والانسان والحياة وأشكال التداخل الفطري بين هذه المكونات باعتبار الانسان خليفة الله في الأرض قائما بواجب العمارة والعبادة والتعاون، تسخيرا للكون وفق قواعد وضوابط مستمدة بشكل واضح جلي من نصوص الوحي أو مستنبطة اجتهاديا بالعقل الموجه بالنقل، كل ذلك وفق "فلسفة النظرية التربوية الاسلامية القائمة على وحدة الهدف من باقي العلوم وهو معرفة الخالق وسياسة الكون بمنظور الاستخلاف".[2]

إن تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي لا بد أن يكون وفق هذا المناخ الفكري والمنطلق الايماني الذي يسعى لا محالة لربط طالب العلم بعقيدته الاسلامية، مجتهدا في ضوئها للإجابة عن تساؤلاته اليومية

1- سعيد حليم، أسس تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي، تقرير ندوة: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي – مقاربات معرفية وتربوية -، وذلك يومي الجمعة والسبت 5-6 شعبان1442هـ/ 19-20 مارس 2021م، موقع منار الاسلام.

2- خالد الصمدي، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2007، ص 20.

من جهة واستفسارات ونوازل مجتمعه الاسلامي من جهة ثانية، بما يحقق الترابط بين تدريس العلوم الشرعية والواقع المعيش ويعطي للعملية التعليمية التعلمية معنى.

إن الأساس الفلسفي لتدريس العلوم الشرعية يحدد المبادئ والمنطلقات العامة التي توجه النشاط التعليمي للطالب وتمده بالقيم التي ينبغي اتخاذها مرشدا لسلوكه في الحياة من خلال توجيه جميع جوانب حياته التربوية والتعليمية، وتحقيق الأهداف العليا للمجتمع. ومن الأسئلة المرتبطة بهذا الأساس يبرز سؤال حاجة المجتمع لهذا النوع من التدريس ومدى صلاح هذه العلوم الشرعية لإشباع حاجات المجتمع لتحقيق التنمية في مختلف المجالات بالنظر للتطور الكبير الذي عرفته العلوم الاجتماعية ومناهج البحث. لكن المتأمل لحال تدريس العلوم الشرعية اليوم لا يستطيع غض الطرف عن الفصام النكد التي أفرزته سياسات تعليمية فاشلة بين تدريس العلوم الشرعية وفائدتها المجتمعية اليومية، بل نكاد نجزم بوجود قطيعة ابستمولوجية[1] بينهما، حتى غدت مكانة العلوم الشرعية في المجتمع مكانة هامشية، وذلك بالنظر لقصور مناهجها عن تقديم منظومة معرفية متكاملة تستجيب للمتطلبات التنموية المتسارعة للمجتمع، مع مراعاة أبعاد هويته الاسلامية، وهو ما يستدعي إعادة النظر في وظيفتها المجتمعية أمام تطور باقي العلوم الاجتماعية ومناهجها الحديثة، وهو أمر لا محالة سيعيد لها فائدتها ومكانتها المركزية في حياة المسلمين وغيرهم، دينيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ....كما كانت فيما مضى.

إن مخطط المنهج مجبر على مسح وتفسير طبيعة مجتمعه، وقيمه الأساسية الثابتة والعناصر المتغيرة فيه، وإن أية محاولة ناجحة لتخطيط منهج في فترة تغير اجتماعي سريع لا بد أن تفهم حاضر المجتمع وواقعه الذي هو عليه واتجاهاته نحو المستقبل، ولأن حاضر المجتمع متأثر بماضيه، إذ فلا بد من فهم الأسس الفلسفية والأحداث التاريخية التي أثرت في وجدان هذا المجتمع وساهمت في تكوين أنماطه السلوكية. "إن تخطيط المنهج وتنفيذه بناء على هذا، سوف يتأثر إلى حد كبير بعقيدة المجتمع، وبالقيم الاجتماعية وبالحاجات الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية، إن تحليل ماضي المجتمع، وحاجاته ومشكلاته الحاضرة وتطلعاته نحو المستقبل سوف يعين مخطط المنهج ومنفذيه على تحديد أي الأهداف يجب التأكيد عليها وأيها يمكن تركها، وأي الخبرات ضروري وأيها يمكن تركه، وأي القيم يجب تدعيمه وأيها يجب إرساؤه، وأيها يجب القضاء عليه، وهذا يعني أي طرائق التدريس أكثر مناسبة لكل من الأهداف والمحتوى المختار، إن دراسة المجتمع لا بد أن تأخذ في اعتبارها الواقع كما هو عليه، وما يجب أن يكون عليه".[2]

[1] - "الابستمولوجيا هي الدراسة النقدية للمعرفة العلمية"، رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، دار المحجة البيضاء، مكتبة مؤمن قريش، بيروت لبنان، ط 1، 1434هـ/2013م، الجزء الأول، المادة 12، ص 24، والابستمولوجيا " تدرس وعي الانسان بالعالم، المؤسس على أكبر قدر ممكن من الموضوعية"، مليكة جابر، إسهام الابستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثامن، يونيو 1987م، ص 393.

[2]- مدكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، ص 226-227.

ولعل وظيفية المعرفة الشرعية تفرض نفسها وبإلحاح كبير، فلعل أهم فائدة من فوائد تدريس العلوم الشرعية هي أداء وظيفتها الأساس والمتمثلة في ثلاث وظائف هي:

- وظيفة علمية: تتمثل في إكساب طالب العلوم الشرعية معرفة واسعة بمختلف العلوم الشرعية المقصودة لذاتها وتسمى علوم مقاصد، أو العلوم الخادمة لها والتي يصطلح عليها علوم وسائل.
- وظيفة عملية: تتجلى في إكساب الطالب مهارات وقدرات على توظيف معارفه للإجابة عن تساؤلاته وحاجاته الفردية وقضايا مجتمعه والأمة الاسلامية، بما يحقق كفاية المجتمع وسد هذه الثغرة.
- وظيفة منهجية: وتظهر في تمكين الطالب من أدوات ومناهج ومفاتيح البحث العلمي، قصد التمرس على اكتساب ملكة النظر والاستدلال والاجتهاد والاستمرار في ذلك ولو انتهت سنوات الطلب الرسمية.

إن استحضار وظيفية وغاية تدريس العلوم الشرعية يجعل العملية التعليمية قاصدة ناجعة، لذلك ينبغي التركيز في تدريس العلوم الشرعية على الأنشطة التعليمية التي تحقق تلكم الوظائف دون زيادة أو نقصان، بما يوفر الجهد والطاقة، أما الاستفاضة فيما لا يحتاج إليه في بناء الدرس الشرعي المقصود قد يكون موضع استثمار أو امتداد تربوي أو تأليف فكري إذا خطط له ولم يكن وليد اللحظة والمصدفة.

المطلب الثالث: الأساس النفسي لمنهاج تدريس العلوم الشرعية

أساس آخر يجب أخذه في الاعتبار عند تحديد الأهداف التعليمية واختيار المحتوى وطرق التدريس المناسبة، هو طبيعة المتعلم، حاجات نموه، نتائج نموه، خبراته واهتماماته، ودوافعه، وطموحاته، وعلاقاته الاجتماعية، لأن " المنهج هو خطة للتعلم، ولهذا فإن معرفة المتعلم يجب أن تحدد أي الأهداف يمكن تحقيقها وتحت أي ظروف، يجب أيضا معرفة متى تصبح العملية التعليمية أكثر فاعلية وتحت أي شروط، وما العوامل التي يجب توافرها لإنجاحها".[1]

ويبحث الأساس النفسي لمنهاج تدريس العلوم الشرعية في حاجات الطالب ومؤهلاته وقدراته العلمية، وأثر ذلك في الاختيارات التعليمية في تدريس العلوم الشرعية. وينبعث من هذا الأساس منطلقات عديدة يمكن إجمالها في النقط التالية:

- إشباع الاحتياجات النفسية للطالب من خلال تحقيق التوازن النفسي وتكوين الشخصية المتزنة المرتبطة بالوحي تصورا وسلوكا.
- تنمية الميولات النفسية الصالحة كالاحترام والتعاون وتحقيق الذات وضبط الانفعالات النفسية.

[1]- مدكور، علي أحمد، المرجع السابق، ص 227.

- مقاومة الاتجاهات النفسية السلبية كالتعصب والتطرف في مختلف أبعاده.
- مراعاة قدرات الطالب واستعداداته النفسية وفق النظريات التربوية المعاصرة وفي مقدمتها نظرية الفروق الفردية.
- مراعاة التدرج في بناء المفاهيم بما يلائم الجانب السيكولوجي لكل طالب على حدة.

لكن الملاحظ في تدريس العلوم الشرعية أنها لا تراعي قطعا هذا الأساس الحيوي في بناء التعلمات، والدليل على ذلك طبيعة المحتويات الدراسية التي تقدم وللأسف كل سنة في شكل ملخصات أو كراسات جاهزة لا تنتظر من الطالب إلا الحفظ واسترجاع الحفظ، بل من الكراسات ما تجاوز عمرها عشرات السنين ولم تعرف أي تغيير ولو حتى من حيث الشكل، وهو أمر يستدعي إعادة النظر في المنظومة التربوية التعليمية عموما، بشكل يراعي الأساس النفسي الذي ينبني عليه منهاج تدريس العلوم الشرعية خصوصا، بما يحقق الغايات والمرامي والأهداف المرسومة.

ويترتب على إهمال وعدم مراعاة الفروق الفردية ظهور آثار سلبية في البنية الداخلية للكيان التعليمي، وخاصة في تحقيق الأهداف التعليمية، وتقدم الطلاب، وتفاعل المعلمين مع طلابهم. ففي تحقيق الأهداف التعليمية، لن يتمكن المعلم من رفع المستوى العلمي لجميع الطلاب وتحقيق التعاون بينهم. وفي تقدم الطلاب، سيزداد المتعثرون منهم تعثراً وسينخفض مستواهم التعليمي بشكل واضح. أما في تفاعل المعلمين فسيؤدي انخفاض مستوى الطلاب إلى إحباط لدى معظم المعلمين، حيث إنه رغم إتقانهم للمادة العلمية وبذلهم أقصى جهدهم، فإن النتيجة النهائية للطلاب لا ترضيهم، وسيكون لها الأثر السيئ في تعاملهم مع طلابهم.[1]

كما يلاحظ ضمور هذه الرؤية النفسية في تقويم التعلمات ومخرجات تدريس العلوم الشرعية، بحيث توضع اختبارات تقويمية واحدة لجميع الطلبة دون مراعاة للفروق الفردية أو الاستعدادات الذهنية أو الظروف النفسية، بل قد تجد نفس الاختبار لمادة دراسية معينة يتم الرجوع إليه وتكراره مع كل الطلبة لسنوات عدة، وهو أمر لا شك في كونه تجليا لانحباس فكري وضبابية في التخطيط وعدم التمكن من رؤية جامعة مانعة في مجال تدريس العلوم الشرعية.

ومن الاقتراحات والاختيارات التربوية والنفسية الحديثة والرائدة في استحضار سيكولوجية المتعلمين وفروقاتهم الفردية واحتياجاتهم الداخلية والخارجية نذكر بيداغوجيا الكفايات، هذه الأخيرة تبرز أهميتها في الاهتمام ببناء الشخصية العلمية للطالب انطلاقا من شخصيته وتمثله واستعداده وذكائه وقدراته

[1]- أبولوم، أمجد، الفروق الفردية وأساليب مراعاتها في التعليم، موقع أخبار الخليج، عدد 16273، الأربعاء 12 أكتوبر 2022م.

وبيئته... لتحقيق التعلم الذاتي عبر التمرس على حل وضعيات مشكلة افتراضية في مجال التدريس أو نوازل واقعية يعيشها في حياته اليومية، وهو ما يعطي لا محالة لتدريس العلوم معنى ووظيفية قاصدة.

إن بناء منهاج تدريس العلوم الشرعية ينبغي أن يكون على بينة من الجوانب السيكولوجية للطلبة المستهدفين بالتربية والتعليم، عبر تشخيص دقيق لخصوصياتهم النفسية وتحديد عميق لاحتياجاتهم وإشكالاتهم، وفق ما يقتضيه علم النفس التربوي ونظريات التعلم القديمة والحديثة على حد سواء.

وعموما توجد خمس نظريات تربوية نفسية تساعد المدرسين على تحسين مستوى طلابهم داخل الغرف الصفية وجعلها بيئة تعليمية فعالة وتحقيق أفضل النتائج،[1] وفيما يلي أهمها:

- النظرية السلوكية: الفكرة الرئيسية وراء النظرية السلوكية هي أنّ التعلم ناتج عن تغيير في السلوك، وذلك بسبب التأثر بالمحفزات من البيئة المحيطة وطريقة استجابة الفرد لها، إما بالتعزيز أو التطبيق أو الاكتساب، والأداة المستخدمة في تعديل السلوك هي التعزيز الإيجابي بالمكافئة أو السلبي بالعقاب.
- النظرية المعرفية: تعتمد هذه النظرية على العمليات العقلية والمستوى الإدراكي للمتعلم، إذ إنّ المتعلم يكون بمثابة مستقبل للمعلومات من البيئة المحيطة أو من التجارب أو من قراءة الكتب، ويعمل على معالجة هذه المعلومات وتخزينها في الذاكرة، فعندما يدرك الطالب كيف يعمل عقله وتفكيره وكيفية تأثيره على تعلمه ستساعده على التعلم بشكل أفضل.
- النظرية البنائية: تقوم فكرة هذه النظرية على أن المتعلم لا يكتسب المعرفة وإنما يبنيها من خلال التجارب والخبرات السابقة، وتعتبر هذه النظرية أنّ التعليم فردي لكل طالب، لأنه يقوم بتفسير وتحليل المعلومة التي يتلقاها بناء على خبراته السابقة ويربطها مع المعلومة الجديدة.

---

[1]- للتوسع في نظريات علم النفس التربوي الحديثة ينظر:

- Make It Stick: The Science of Successful Learning للمؤلفين بيتر سي براون وهنري ل. روديجر ومارك ماكدانييل
- How Children Succeed: Grit, Curiosity, and the Hidden Power of Character: للمؤلف بول تاف
- Mindsets in the Classroom: Building a Culture of Success and Student Achievement in Schools: للمؤلفة ماري كاي ريتشي
- Making Thinking Visible: How to Promote Engagement, Understanding, and Independence for All Learners:المؤلفون رون ريتشارت ومارك تشيرش وكارين موريسون
- Visible Learning for Teachers: Maximizing Impact on Learning: جون هاتي
- اضطرابات الطفولة والمراهقة و علاجها: عبدالرحمن العيسوي
- كتاب الحوار وبناء شخصية الطفل: سلمان خلف الله
- كتاب الذكاء الوجداني – تحت مظلة التربية السيكولوجية: صفاء الأعسر وعلاء الدين كفافي
- كتاب الفروق الفردية للذكاء: سليمان الخضيري الشيخ
- كتاب التوجيه والارشاد النفسي: حامد عبد السلام زهران

- النظرية الإنسانية: تركز النظرية الإنسانية على الشخص ورغبته بتحقيق الذات، ويكون تحقيق الذات بناء على تسلسل هرمي للاحتياجات والرغبات لكل فرد ويسعى للوصول إليها، فالبيئة التعليمية الفعالة تساعد وتوفر ظروفًا لتحقيق الاحتياجات العاطفية والنفسية والجسدية للمتعلم وجعلها بيئة تعليمية آمنة.
- النظرية الترابطية: تقوم هذه النظرية على تشكيل روابط بين المتعلمين وبين أدوارهم الحياتية ووظائفهم ومواهبهم وأهدافهم، وكلها تؤثر على العملية التعليمية، ويمكن الاستفادة من هذه النظرية عن طريق عمل روابط بين المتعلم وما يثير اهتمامه، كما يمكن استخدام التكنولوجيا والوسائط الرقمية لروابط أكثر فاعلية.
- نظرية التعلم التحويلي: تعتبر نظرية التعلم التحويلي من أفضل الطرق لتعليم كبار السن والشباب، وتركز نظرية التعلم التحويلي على فكرة أن المتعلمين يمكنهم تعديل تفكيرهم بناءً على معلومات جديدة، ولا شك أن مجال البحث ما يزال مفتوحا ما دامت هناك حياة انسانية على وتغيرات متلاحقة وجه الأرض.

المبحث الثالث: منهاج تدريس العلوم الشرعية وسؤال التنمية: الآليات والوسائل

أولا: عناصر تنزيل المنهاج

بعد تناول الأسس والمنطلقات الكبرى التي من المفروض أن يتم بناء منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي عليها، لا بد من الوقوف على آليات ووسائل تنزيل هذه الرؤية، والتي تمثل عناصر البنية الداخلية للمنهاج الدراسي، وقد اختلف المختصون في علوم التربية حول تحديد عناصر المنهاج الدراسي، إلا أن آرائهم جميعها تكاد تجمع على أن عناصر المنهاج الدراسي متداخلة ومتكاملة لا يمكن تفكيك ارتباطها الجلي وتركيبها النسقي في بناء المنهاج الدراسي. ويمكن القول بعد التدقيق والاختيار أن "المنهج الدراسي نظام له مكونات ستة هي: الأهداف والمحتوى وطرائق التعليم والأنشطة المدرسية والتقانة التعليمية وتقويم المخرجات".[1]

ولا شك أن مفتاح نجاح المنهاج الدراسي وتحقيق المنشود منه رهين باستحضار هذه العناصر المرتبطة بالأسس العامة في بناء المنهاج الدراسي، وكذلك استحضار العناصر والمكونات المرتبطة بالأجرأة أثناء تصميم المقررات التعليمية، ويمكن استعراض بعض المبادئ التي يقوم عليها تصميم المقررات التعليمية على الصورة الآتية:

- وضع أهداف واضحة المعالم تظهر في سلوكيات تعكس مخرجات التعليم والتعلم المطلوبة وتحدد الأدوات المستخدمة في الأداء.
- تنويع أهداف تدريس العلوم الشرعية منهجيا ومعرفيا وعمليا بما ينمي المهارات والقدرات المختلفة.
- تصميم أنشطة تدريسية توظف فيها التمثلات الفردية والجماعية قصد بناء المعرفة الشرعية التنمية.
- تنويع أساليب التقييم والتقويم الفردي والجماعي سواء في الأنشطة والمهرات والمكتسبات.
- استخدام التغذية الراجعة الفورية للمتعلمين وتصويب أخطائهم بجو يتسم بالاحترام.

[1]- محمود أحمد شوق، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي، 2001م، ص 445.

- إنجاز الانشطة التعليمية بشكل تعاوني في مجموعات عمل، وفي شكل مشاريع تربوية فردية وجماعية.
- استخدام استراتيجيات تحفز الطالب على البحث عن المعلومة وبنائها.
- تحفيز الطالب وتشجيعه على تحديد مسار تعلمه واختياره لموضوعات التعلم.
- منح الطالب فرصة اختيار الأدوات التعليمية المناسبة لتعلمه، بما ينمي شخصيته ويحقق ذاته.[1]

ثانيا: مزالق وجب الحذر منها

يتفق المتخصصون والمهتمون بمجال التربية والتعليم على أن عملية النقل الديداكتيكي وتحويل المعرفة الشرعية العالمة لمعرفة شرعية مُدَرّسة تشكل أهم مراحل تنزيل منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي، وبالتالي نجاحه أو فشله في تحقيق الغايات والمرامي المرسومة. وهنا ينبغي التشديد على خطورة الانسياق وراء الأعراف والأنساق التعليمة الموروثة دون نظر دقيق أو بحث ناقد، حتى نتمكن من تقويم وتطوير المنهاج الدراسي ليحقق الوظيفة التنموية المرجوة منه، بحيث تستبعد كل ممارسة إجرائية غير معللة ولا أساس نظري لها أو بحث يسندها.

فلا يمكن قطعا الفصل بين تفعيل عناصر المنهاج الدراسي والبحث التربوي المتجدد، والذي يضمن تثمين المكتسبات المنهاجية والوقوف على المثالب بغية التقويم قصد التعديل أو الالغاء بتجرد وموضوعية، بعيدا عن الانطباعية والمزاجية التي طغت لسنوات على الحقل التربوي التعليمي.

وبالنظر في الدراسات المهتمة بمنهاج تدريس العلوم الشرعية نجد أن الباحثين في هذا المجال غالبا ما يطغى على رؤيتهم وأبحاثهم تقديس أعمى للموروث التربوي، باعتباره حائما حول علوم الوحي من جهة، وباعتباره نتاجا علميا لكبار علماء الأمة المشهود لهم برفعة المكانة والمقام، فيصبح التراث حائلا دون

[1] - للتوسع: ينظر بحث: تطوير مناهج تدريس العلوم الشرعية في التعليم العالي: مقاربة تأسيسية، الدكتور عبد الصمد الرضى، كتاب جماعي: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي: مقاربات معرفية وتربوية، ص 144-149، حيث ذكر الباحث محددات منهجية ألمعية لتطوير الدرس الشرعي في التعليم العالي في ارتباط وثيق بمبادئ الاشتغال ومجالات التصريف ومقاصد تدريس العلوم الشرعية، لا شك أن أخذها بعين الاعتبار سيحق التنمية المرجوة من تدريس العلوم في التعليم العالي.

إطلاق الفكر وتجديد النظر وإعادة تقويم علمي رصين، يثمن المكاسب ويستثمر مخرجاتها، ويقف على المزالق التربوية التي هيمنت على تدريس العلوم الشرعية لأجيال متعاقبة.[1]

ولعل أبرز مثال في هذا الباب هو تركيز المنهاج الدراسي للعلوم الشرعية على التلقين والحفظ والاسترجاع كطريقة مثلى لأجرأة المنهاج، عوض اعتماد طرق أكثر تحفيزا للطالب واستعداداته النفسة والحركية والحس حركية ليشارك في بناء المفاهيم والتعلمات واكتساب المهارات والقيم، وذلك من خلال الاشتغال على وضعيات مشكلة تشكل تحديا وإثارة لمداخل المعرفة لدى طالب العلوم الشرعية، بل يعتبر الحفظ والاستظهار نجاحا تعليميا ذا أولوية قصوى في كل الأقطار العربية والاسلامية باعتباره طريقا خرج كبار العلماء والحفاظ، مما أولاه مكانة واحتراما وتقديرا.

لكن ومع احترام موائمة هذه الطريقة لطبيعة كثير من العلوم الشرعية، وبالرغم من الانتقاد الشديد الذي عرفته هذه الطريقة، إلا أن التقديس المبالغ فيه للأولين وما أثلوه من تراث تربوي وطرق تعليمية يوقع المنهج في أسر تاريخي يحجب عورات المنهاج التقليدي عن النقد ويمنع المواهب الفكرية من البروز ويعطل بشكل أو بآخر ملكة الاجتهاد والتجديد المطلوب في الدين، وهذا الانحباس لا مبرر له بالنظر لتطور المناهج والعلوم بمختلف مشاربها وايديولوجياتها.

ومما يثير القلق التربوي هو جنوح أغلب المقررات والبرامج العلوم الشرعية نحو الاختصار والمتون المركزة التي لا تمكن الطالب من التموقع داخل المنظومة الشرعية عموما واستجماع خصوصيات وطبيعة كل علم ابستمولوجيا، فغالب المقررات والبرامج الدراسية هي عبارة عن مداخل للعلوم الشرعية لا تروي عطش السائل علميا وعمليا ومنهجيا، وهو أمر لا يشك يوقع طالب العلم الشرعي في دهشة وقلق فكري، وذلك بسبب غياب الرؤية النسقية للمنهاج عموما، وهذا أكبر عائق لتنمية الملكات والمواهب والكفايات والقدرات.

إن للمعارف أهمية كبرى في بناء الشخصية العلمية لطالب العلوم الشرعية، " إلا أن أهميتها لا تكمن في تحصيلها وإنما في حسن استثمارها وتوظيفها في سياقات مركبة...تتجاوز شحن العقول إلى بنائها بشكل منظم، وتكوين الشخصية القادرة على حسن التصرف،[1] وفق المقاصد التنموية العامة والخاصة.

[1] - مصطفى صادقي، آراء نقدية حول مناهج التدريس الشرعي: مركز تكوين العلماء نموذجا، كتاب جماعي: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي: مقاربات معرفية وتربوية، ص 306 بتصرف.

كما يلاحظ على أغلب الأبحاث التربوية المهتمة بمنهاج تدريس العلوم الشرعية ميولها الجانح نحو التأصيل وإهمالها لمباحث التنزيل والأجرأة لعناصر ومكونات المنهاج، وهو ما يثقل المكتبة الاسلامية بفرش نظرية مكررة وبعيدة كثيرا عن البحث التربوي التنموي المعاصر بنظرياته المتعددة، كما يغيب الجانب الأهم وهو الشق التطبيقي المتعلق بتجلية ماهية الوسائل وأساليب التصريف العملية تعليما وتعلما.

ومما يلاحظ كذلك تناول معظم المختصين في العلوم الشرعية أبحاثهم العلمية من زاوية تخصصهم الضيق دون نظر كلي للمعرفة الشرعية باعتبارها نظرية معرفية متكاملة، وليست وحدات وعلوم مجزأة متباعدة، كما أن أغلبهم لا يستشعر أهمية البحث التربوي ومركزيته في تدريس العلوم الشرعية، وهذا ما ينتج ويفسر عدم التنسيق بين أساتذة العلوم الشرعية في نفس الشعبة وفي نفس الكلية في بناء التعلمات وتدريس العلوم الشرعية، وبالتالي عدم تحقق الجودة المرجوة تنمويا من منهاج تدريس العلوم الشرعية.

ولعل هذا الانفصام وهذه القطيعة يفسران بالتباعد الكبير بين البحث العلمي والبحث التربوي التعليمي في مجال العلوم الشرعية، ينضاف إلى ذلك حاجة مجال البحث التربوي في منهاج تدريس العلوم الشرعية للدراسة والتنقيب من باحثين ألمعيين للنهوض به، وتجاوز عقبات تنزيله تنزيلا يعيد لتدريس العلوم الشرعية معناه وقيمته ووظيفيته التنموية والمتجددة في واقع المجتمع الإسلامي والانساني المعاصرين.

[1] - حمو ربيع، التقويم الاشهادي في ضوء المقاربة بالكفايات، دار القلم، الرباط، ط 1، 2014م، ص 24 بتصرف بسيط.

خاتمة:

حاول البحث تسليط الضوء على الملامح الكبرى والأسس المحددة وآليات تنزيل منهاج تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي، لكن لا يمكن الزعم أن الطرح الذي تقدمنا به لبناء منهاج متكامل لتدريس العلوم الشرعية قد حاز الكمال، بل نعتقد جازمين أن هذا العمل هو استمرار علمي وعملي لورش كبير فتح في الآونة الأخيرة، والذي يستنهض الفكر ويشحذ الهمة للاشتغال التربوي والبحث العلمي القمينين بتلمس رؤية واضحة عن منهاج دراسي متكامل لتدريس بالتعليم الجامعي.

وهذا لا شك يحتاج تظافر جهود جميع المهتمين بشؤون التربية والتعليم لانضاج التصور وتوحيد الرؤية بما يعيد للعلوم الشرعية توهجا يليق بمركزيتها في حياة الفرد والمجتمع، ويحقق التنمية المرجوة في تدريسها لطلاب العلوم الشرعية علميا وعمليا ومنهجيا، وبالتالي لا يمكن الحديث عن منهاج ناجع لتدريس العلوم الشرعية دون تنسيق بين المدرسين والشعب والمسالك والكليات والجامعات تنسيقا مركزيا، بغية توحيدا الرؤية واقتصاد للجهد وتحقيقا التنمية المبتغاة، والتي ستمكن الطالب لا محالة من اكتساب المعارف والقدرات والمهارات الكفيلة بتحقيق التنمية ، تحقيقا علميا ومنهجيا وعمليا. قصد نفع وخدمة نفسه وأمته والناس أجمعين.

التوصيات:

من التوصيات التي يجب الأخذ بها من خلال هذا البحث نذكر ما يلي:

- تعميق البحث في مجال مناهج تدريس العلوم الشرعية وفق مقاربة متكاملة تراعى الأسس النفسية والمعرفية والفلسفية لبناء المنهاج المتكامل المنشود.
- الاطلاع على التجارب الاقليمية والدولية الرائدة في مناهج العلوم تصورا وتنزيلا.
- تأسيس وحدات علمية في لأسلاك التعليم الجامعي تعنى بهذا البحث العلمي والتربوي المرتبط بمناهج العلوم عموما ومنهاج تدريس العلوم الشرعية على وجه الخصوص.
- عقد الندوات والمؤتمرات والملتقيات لإنضاج التصور وبناء منهاج متكامل لتدريس العلوم الشرعية.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن جماعة الكناني، تذكرة السامعِ والمتكلم في أَدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف، 1354 هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1401هـ/1981م.
- أبولوم، أمجد، الفروق الفردية وأساليب مراعاتها في التعليم، أخبار الخليج، 16273، الأربعاء 12 أكتوبر 2022م.
- أحمد أوزي، المعجم الموسوعي لعلوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1427هـ/2007م.
- بوشوك المصطفى، المنهج التعليمي والعمل التربوي المضبوط، مجلة التدريس، عدد 7، 1984م.
- حمو ربيع، التقويم الاشهادي في ضوء المقاربة بالكفايات، دار القلم، الرباط، ط 1، 2014م.
- خالد الصمدي، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2007.
- خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 4 ،2007.
- رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، دار المحجة البيضاء، مكتبة مؤمن قريش، بيروت لبنان، ط 1، 1434هـ/2013م.
- سعيد حليم، أسس تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي، تقرير ندوة: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي – مقاربات معرفية وتربوية -، وذلك يومي الجمعة والسبت 5-6 شعبان1442هـ/ 19-20 مارس 2021م، موقع منار الاسلام.
- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الجيل، بيروت، ط 1.
- الكسائي، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2، 1406هـ/1986.
- الماوردي، أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986.
- مدكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، 2001م/ 1421هـ.
- محمد السيد علي، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1432هـ/2011م.

- محمد شفيق، البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ،1998.
- محمود أحمد شوق، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي، 2001م.
- مدحت محمد أبو النصر، إدارة وتنمية الموارد البشرية (الاتجاهات المعاصرة)، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 1 ،2007.مختبر القيم والمجتمع والتنمية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، ندوة: تدريس العلوم الشرعية بالتعليم العالي: مقاربات معرفية وتربوية، إعداد وتقديم: د. ربيع حمو ود.الحسن بنعبو، جامعة ابن زهر، المغرب، ط1، 2020م.
- المرعشي، محمد بن أبي بكر، ترتيب العلوم، المحقق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 1، 1988.
- مليكة جابر، إسهام الابستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثامن، يونيو 1987م.
- ناصر إبراهيم، أسس التربية، دار عمار، عمان، ط 6، 2001م.
- ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.

التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني

الدكتور نجاد رجبوفيتش

كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار

جمهورية صربيا

nedzadr@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول البحث التوجيهات القرآنية في التنمية المستدامة ودورها في البناء الإنساني وعمارة الأرض وحفظ الثروات التي هي مصدر قوة الإنسان. وقد تضمن القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن التنمية المستدامة، منها ما يتعلق بالفرد مباشرة ومنها ما يتناول التنمية البيئية المستدامة والطاقات المتجددة. ويهدف البحث إلى التأصيل الشرعي لمفهوم التنمية المستدامة من القرآن الكريم وبيان مكانتها في الإسلام، وفق المنهج الموضوعي وتفسير الآيات وبيان مراد الله تعالى، بالرجوع إلى كلام كبار المفسرين وتصحيح الاعتقاد السائد لدى البعض، بأن الرقي والحضارة والتنمية المستدامة هو فكر عربي لا علاقة له بالإسلام، وأنه فكر غربي ودخيل على الإسلام، ودراسة مدى دعم الدين الإسلامي لمفاهيم الاستدامة وتطبيقاتها على الفرد والمجتمع، والرد على المشككين بمدى صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان، ودور التنمية المستدامة في البناء الإنساني والتطور والإزدهار.

الكلمات المفتاحية: التنمية المستدامة، القرآن الكريم، الإسلام، البناء الإنساني

Sustainable development in the Holy Qur'an and its role in human development

Dr. Nedzad Redzepovic

Professor of Arabic Language at the Faculty of Islamic Studies in Novi Pazar

Republic of Serbia

Email: nedzadr@gmail.com

ABSTRACT:

The research deals with the Qur'anic directives in sustainable development and its role in human construction, land architecture, and preserving wealth, which is the source of human strength. The Holy Qur'an contains many verses that talk about sustainable development, some of which relate directly to the individual and some that deal with sustainable environmental development and renewable energies. The research aims to establish the legal foundation of the concept of sustainable development from the Holy Qur'an and clarify its place in Islam, according to the objective approach and interpretation of the verses and the statement of the meaning of God Almighty, by referring to the words of the great commentators and correcting the prevailing belief among some, that progress, civilization and sustainable development is an Arab thought that has nothing to do with Islam. It is a Western thought and alien to Islam, and to study the extent to which the Islamic religion supports the concepts of sustainability and their applications to the individual and society, and to respond to those who doubt the validity of this religion for all times and places, and the role of sustainable development in human construction, development and prosperity.

Keywords: sustainable development, the Holy Quran, Islam, human construction

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهج القرآن إلى يوم الدين. وبعد.. فقد أدرك العالم بأسره أن مشاريع التنمية لا تكون ناجحة إلا بالاستدامة، وأن الاهتمام بالتنمية المستدامة هو أساس في تلبية احتياجات الإنسان في الحاضر والحفاظ على تلبيتها في المستقبل، ولكي يتحقق هذا الهدف العظيم لابد من العناية بالتنمية المستدامة، التي تسهل للإنسان الحصول على الخيرات والنعم والمحافظة عليها، فوضعت منظمة الأمم المتحدة سبعة عشر هدفًا في خطة التنمية المستدامة لعام 2030، وذُكرت هذه الأهداف في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 25 سبتمبر 2015م، وغطت تلك الأهداف مجموعة واسعة من قضايا التنمية المستدامة التي شملت موضوعات: الفقر والجوع والصحة والتعليم وتغير المناخ والمساواة بين الجنسين والمياه والصرف الصحي والطاقة والبيئة والعدالة الاجتماعية، وجاء ذكر هذه الأهداف السبعة عشر في آيات القرآن الكريم، بتوجيهات إلهية تناولت جميع هذه الأهداف، للتخلص من أسباب المشكلات التي تهدد مستقبل الوجود الإنساني. إن نظرة متفحصة لبنود التنمية المستدامة التي اعتمدتها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، والتي تُعرف أيضًا بالأهداف العالمية، ومقارنتها بآيات التنمية المستدامة في القرآن الكريم، ستكشف لنا ارتباط عجيب ووجوه جديدة من عجائب هذا الكتاب العظيم، الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة، إلا وأعطى لها توجيهًا في آيات وسور عديدة تؤكد على أهمية التنمية المستدامة في خدمة الإنسان، فالسبق للقرآن الكريم في تفصيل هذه الأهداف وتعزيز التنمية المستدامة التي تبحث عنها جميع دول العالم.

سبب اختيار الموضوع

كان سبب اختياري لعنوان بحثي (التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني)؛ لما لهذا الموضوع من أهمية كبرى تتناغم مع التصريحات العالمية التي واكبت ظاهرة تغير المناخ، والتلوث البيئي، والتي دعت دول العالم إلى عقد مؤتمرات دولية وإصدار قرارات للحد من التلوث، وأخذ التدابير الملائمة للحد من هذه الظواهر، فالحِكم والأسرار الربانية، مفادها ما ذكره القرآن الكريم قبل أكثر من 1400 عام .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث بأن التنمية المستدامة من الأولويات لسلامة الإنسان، وتحقيق الأمان والاستقرار المنشود، بعد كثرة الفتن، وزيادة المخاطر التي تهدد الوجود الإنساني، فلزامًا علينا أن تكون لنا وقفة مع آيات قرآننا العظيم، لننهل من معينها، ونحتمي بحماها.

منهج البحث

أما منهج البحث فهو منهج موضوعي ذكرت الآيات القرآنية التي تتعلق بالتنمية المستدامة لكل بند من البنود السبعة عشر، ومقسمًا موضوعات البحث ومطالبه حسب بنود التنمية المستدامة التي أقرتها الأمم المتحدة، ملخصًا القول حول كل بند منها دون إسهاب أو تطويل، وأملى عليَّ منهجي أن يشتمل البحث على المقدمة وثلاثة مباحث: فتناولت في المقدمة أساسيات البحث ومصطلحاته، وأما المبحث الأول فتناولت فيه مفهوم التنمية المستدامة ومرتكزات التنمية البشرية المستدامة في القرآن الكريم، وأما المبحث الثاني فيشتمل على بنود التنمية المستدامة القرآنية المتعلقة بالفرد ودورها في البناء الإنساني، ويشتمل على تسعة مطالب، وفي المبحث الثالث تكلمت عن بنود التنمية البيئية المستدامة والطاقات المتجددة في القرآن الكريم، ويشتمل على ثمانية مطالب، معززًا بأقوال كبار المفسرين، ومعقبًا عليها بما يستوجب التعقيب.

الدراسات السابقة

- التنمية المستدامة من منظور القيم الإسلامية وخصوصيات العالم الإسلامي، دراسة أعدتها منظمة الأيسيسكو.
- حوار حول هدي الإسلام في التنمية المستدامة، للأستاذ رامي لطفي كلاوي، إصدار دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، حكومة دبي 1434هـ.
- أبعاد وأهداف التنمية المستدامة من منظور الشريعة الإسلامية لزيزي مصطفى أحمد مصطفى، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد السابع الإصدار الأول الجزء الثاني 2022 م.
- إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة في القرآن والسنة لمأمون يوسف سالم، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 30أكتوبر 2019 م :) المجلد) 3(، العدد) 10.
- الإسلام والتنمية المستدامة: رؤى كونية جديدة، لعودة راشد الجيوسي، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، 2013.
- التربية القرآنية وأثرها في التنمية البشرية لعبد الحكيم الأنيس، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، إدارة البحوث، 2013م.

- التنمية البشرية المستدامة في القرآن الكريم لزمخشري بن حسب الله طيب، بحث مقدم لوقائع المؤتمر الدولي السنوي الأول للدراسات الإسلامية في دارماوانجسا، مدان.
- التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني لقتيبة فوزي جسام الراوي، المؤتمر الدولي الثالث للعلوم الإنسانية: القرآن الكريم منهج لبناء الأمم، جامعة الفلوجة – العراق، 5-6 أكتوبر 2022م.
- التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي لصليحة عشي، الملتقى الدولي حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي جامعة قالمة يومي 03 و 04 ديسمبر 2012م.
- التّنمية وأثرها في المجتمعات الإسلامية لتحقيق التّنمية المستدامة، لطالب بن علي بن مصبح السيابي، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد 4، العدد 3 ، أكتوبر 2017 م.
- التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي سهيل زغدود وأخرين، المجلة الدولية للتخطيط والتنمية الحضرية والمستدامة، المجلد 6، العدد 1، 2019م.
- التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية لمنال بنت طارق القصبي، المجلد الثاني من العدد السابع والثلاثين لمجلة كلية ا لدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.
- التنمية المستدامة والحدود الكوكبية في المنظور الإسلامي للوليد نور الهدى كنة وآخرين، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم ال شرعية – العد د 204 - الجزء الثاني، 2023م.
- التنمية المستدامة في القرآن لرحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد السادس عشر، السنة العاشرة.
- منهج العدل في القرآن الكريم وأثره في التنمية المستدامة للمجتمعات لفاطمة رجب الباجوري، دراسات في القرآن والسنة، الأزهر، رجب 1444 هـ - فبراير 2023 م.
- نحو منهج تربوي لتنمية مستدامة في ضوء القرآن الكريم لمصطفى الحوامدة وآخرين، جرش للبحوث والدراسات، المجلد 16، العدد 1، 2015م.
- التنمية المستدامة من منظور الاقتصاد الاسلامي للسعيد دراجي.

مصطلحات البحث

خلق الله تعالى الكون على أكمل وجه وأحسنه، وجعل له من السنن الكونية والأسباب التي تحفظه، ومن هذه الأسباب التي أودعها سبحانه وتعالى في القرآن الكريم آيات تتناول مفهوم التنمية المستدامة والتي شملت موضوعات تتعلق بالإنسان وحياته اليومية، وموضوعات تتعلق بالتنمية البيئية المستدامة والطاقات المتجددة، ولتحديد مفهوم التنمية المستدامة يمكن تعريفها بالآتي:

التنمية لغةً:

تنمية: مصدر نمَّى[1]، من نَمَّيْت النَّارَ تَنْمِيَةً إِذَا أَلقيت عَلَيْهَا حَطَباً وذكَّيتها بِهِ. ونَمَّيْت النارَ: رفَعتها وأَشبعت وَقودَها. والنَّمَاءُ: الرَّيْعُ. ونَمَى الإِنسانُ: سَمِنَ. والنَّامِيةُ مِنَ الإِبل: السَّمِينةُ. يُقَالُ: نَمَتِ الناقةُ إِذَا سَمِنَتْ[2]

الاستدامة لغةً :

تقول استدامَ يستديم، اسْتَدِمْ، استدامةً، فهو مستديم، والمفعول مُستدام للمتعدِّي، واستدام الشَّيءُ: استمرَّ، وثبت ودام "استدام له الخيرُ، واستدام الشَّخصُ الأمرَ: تأنَّى فيه "فلا تَعْجَلْ بأمرك واستدمه، واستدام الشَّيءَ: طلب استمرارَه[3]، فالدَّالُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى السُّكُونِ وَاللُّزُومِ. يُقَالُ دَامَ الشَّيْءُ يَدُومُ، إِذَا سَكَنَ. وَالْمَاءُ الدَّائِمُ: السَّاكِنُ[4].

التنمية المستدامة اصطلاحًا:

هناك بعض التعريفات المتاحة لمفهوم التنمية المستدامة، نذكر منها ما يلي:

- تعريف وفاء احمد عبد الله: التنمية المستدامة هي مجموعة السياسات والإجراءات التي تتخذ للانتقال بالمجتمع إلى وضع افضل باستخدام التكنولوجيا المناسبة للبيئة، لتحقيق التوازن بين بناء الموارد الطبيعية وهدم الإنسان لها، في ظل سياسة محلية وعالمية للمحافظة على هذا التوازن.
- أجمعت أغلب تعريفات التنمية على أنها عملية شاملة تتناول مختلف مقومات الحياة الاجتماعية معتمدة في ذلك على تخطيط شامل لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وتسير في اتجاه محدد لتحقيق أهداف محددة، وهي أيضا عملية تغير اجتماعي يؤدي إلى تغير بنائي، الأمر الذي

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، ج3، 1429هـ - 2008م، ص 2288.

[2] محمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج15، 1414هـ، ص 342، و مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، المعجم الوسيط،، دار الدعوة، ج2، ص 956.

[3] أحمد مختار عبد الحميد عمر، المرجع المذكور، ج1، ص 790.

[4] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج2، 1399هـ - 1979م، ص 315.

يتطلب بالضرورة عمليات التنظيم والتنسيق بين مختلفنواحي التنمية لمساعدة المجتمع في عملية إعادة بناء كاملة.[1]

- تعريف تقرير برونتلاند الذي أصدرته اللجنة الدولية للبيئة والتنمية: التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون أن يعرض للخطر قدرة الأجيال التالية على إشباع احتياجاتها.
- تعريف سحر قدري الرفاعي: التنمية المستدامة هي تنمية تفاعلية حركية تأخذ على عاتقها تحقيق المؤاءمة بين أركانها الثلاث: البشر والموارد البيئية والتنمية الاقتصادية.
- تعريف ماهر أبو المعاطي: التنمية المستدامة هي تنمية حقيقية مستمرة ومتواصلة هدفها وغايتها الإنسان تؤكد على التوازن بين البيئة بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بما يسهم في تنمية الموارد الطبيعية وتمكين وتنمية الموارد البشرية وإحداث تحولات في القاعدة الصناعية والتنمية على أساس علمي مخطط وفق استراتيجية محددة لتلبية احتياجات الحاضر والمستقبل على أساس من المشاركة المجتمعية مع الإبقاء على الخصوصية الحضارية للمجتمعات.
- تعريف محمد كامل شرقاوي: التنمية المستدامة هي العملية التي تهدف إلى تحقيق الحد الأعلى من الكفاءة الاقتصادية للنشاط الإنساني ضمن حدود ما هو متاح من الموارد المتجددة وقدرة الأنساق الحيوية الطبيعية على استيعابه والحرص على احتياجات الأجيال القادمة.[2]
- تعريف موسوعة المعلومات ويكيبيديا: التنمية المستدامة هي عملية تطوير الأرض والمدن والمجتمعات وكذلك الأعمال التجارية بشرط أن تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية حاجاتها. ويواجه العالم خطورة التدهور البيئي الذي يجب التغلب عليه مع عدم التخلي عن حاجات التنمية الاقتصادية وكذلك المساواة والعدالة الاجتماعية.[3]
- والتنمية المستدامة هي التي تمكن من إشباع حاجيات الأجيال الحالية وتحقيق رفاهيتهم (بما في ذلك الفقراء منهم) دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على إشباع حاجياتهم، آخذة بعين الاعتبار تحديات الحفاظ على الأنظمة البيئية ومحدودية الموارد الطبيعية القابلة للتجدد .

---

[1] وفاء أحمد عبد الله، "مذكرة خارجية نحو وضع استراتيجية قومية للتنمية من منظور بيني"، معهد التخطيط القومي، القاهرة، 1988، ص 21.

[2] أبو النصر، مدحت، ومحمد ياسمين مدحت، التنمية المستدامة- مفهومها- أبعادها – مؤشراتها، المجموعة العربية للتدريب والنشر ،القاهرة، مصر، 2017، ص 81.

[3] / https://ar.wikipedia.org/wiki (55)تنمية_مستدامة.

- وتعرف أيضًا بأنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها".[1]
- وفي ضوء ما شبق يمكن تعريف التنمية المستدامة بأنها التنمية المستمرة والعادلة والمتوازنة والمتكاملة والتي تراعي البعد البيئي في جميع مشروعاتها، والتي لا تجني الثمار للأجيال الحالية على حساب الأجيال القادمة.[2]

[1] https://arabi21.com/story/1342563/التنمية-المستدامة-من-منظور-إسلامي.

[2] التنمية المستدامة https://ar.wikipedia.org/wiki

1- مفهوم التنمية المستدامة

كانت بوادر ظهور مصطلح "التنمية املستدامة" منذ ستينيات القرن العشرين مع بداية الاهتمام و القلق المتزايد بشأن التلوث البيئي، وآثاره الفعلية والمحتملة مستقبلا على الموارد الطبيعية، فظهرت مؤلفات ومقالات لعلماء وباحثين متخصصين في البيئة تحذر من الآثار الخطيرة للألطار الحمضية، ومن انبعاثات غاز أول أكسيد الكربون في الفضاء الجوي . وظاهرة التصحر، وتلوث مياه الأنهار والبحار في العالم.[1]

وقد استدعى تلاحق المشكلات البيئية، وزيادة حدة خطورتها على وجه الأرض ضرورة توجيه الأنظار نحو دراسة تأثيراتها على التنمية، والتعامل مع البيئة بأساليب أكثر عقلانية، والتي تحقق تنمية تلبي حاجات الأفراد الحالية دون الإضرار بحاجات الأجيال القادمة. ومن هذا المنطلق عرفت التنمية المستدامة بأنها: نموذجا بديلا لتحقيق تنمية متوازنة مع البيئة، تأخذ في اعتبارها ضرورة التخطيط البيئي، الذي يهدف إلى التقليل من الدمار في عناصر البيئة دون كبح الرغبات البشرية لتحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية.[2]

وكان انعقاد "اللجنة العالمية للبيئة والتنمية" "World Commission on Environment and Development" التابعة للأمم المتحدة دعوة المجتمع الدولي إلى تغيير النمط الذي استخدم لتحقيق التنمية، واستبداله بمفهوم جديد هو "التنمية المستدامة". وقد اكتسب هذا المفهوم اهتماما عالميا كبيرا من خلال ما توصل له "تقرير بروندتالند" 'The Brundtland Report" الصادر بعنوان "مستقبلنا المشترك " "Our Common Future" الذي تم فيه صياغة أول تعريف للتنمية المستدامة على أنها: "ضرورة إشباع حاجات الأفراد في الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها".[3] وأكد التقرير بأن هناك حاجة إلى طريق جديد للتنمية يستديم فيه التقدم البشري، ليس فقط لبضع سنوات، أو ضمن حدود معينة، بل للعالم بأسره، وصولا إلى المستقبل البعيد .

وقد اهتم هذا المفهوم بثلاثة مبادئ أساسية تمثلت في :

1. المحافظة على التكامل البيئي، وذلك من خلال مراعاة وظيفة وتنوع هذا النظام، وعدم تعدي الأنشطة الاقتصادية على القدرة الاستيعابية والإنتاجية لهذه البيئة، في سبيل إشباع الحاجات البشرية المتعددة.

---

[1] Carson, Rachel, Silent Spring, New York: Greenwich, Connecticut, Fawcett, Publication, 1962, P. 53.

[2] Robert Riddell, Ecodevelopment, Economics, Ecology and Development, An Alternative to Grow Imperative Models, (New York: St, Martin's press, 1992), P. 5.

[3] The World Commission on Environmental Development, "Our Common Future", Oxford, Oxford University Press, (1987), P. 4.

2. العمل على تحقيق كفاية اقتصادية، أي السعي لجعل استغلال الموارد البيئية بشكل عقلاني ورشيد، بما يحقق قيمة اجتماعية أكبر من خلال إنفاق أقل واستهلاك رشيد للموارد في الحدود التي تسمح بها القدرات البيئية.
3. تحقيق عدالة تستوعب الأجيال الحاضرة والمستقبلية[1] .

وقد اكتسب تعريف "بروندتلاند" شهرة دولية، حيث بين بأن التنمية المستدامة هي عملية تؤكد بأن قدرات الأجيال الحالية في تلبية احتياجاتها لا تؤثر سلبا على قدرات أجيال المستقبل في تلبية احتياجاتها، وأن يترك لها الموارد الكافية لتحقيق حياة ذات نوعية[2] .

وتبنت "منظمة الأغذية والزراعة" التابعة لألمم املتحدة، "Food and Agriculture Organization" (FAO)، سنة 1989م تعريفا للتنمية المستدامة بأنها: هي إدارة وحماية قاعدة الموارد الطبيعية، وتوجيه التغير التقني والمؤسسي بطريقة تضمن تحقيق واستمرار إرضاء الحاجات البشرية للأجيال الحالية والمستقبلية[3] .

وعرفت أيضا بأنها: حلولا منطقية لضمان استمرارية العيش من جيل إلى آخر، إذ تتطلب أن بعمل كل جيل بالتناسب مع الزيادة السكانية، وأن يستند إلى منطق التوزيع العادل، وتحسين نوعية الحياة، وذلك بالتوازي مع عملية التطوير والنمو الاقتصادي، دون الإضرار بالموارد الطبيعية والبيئية. وبهذه الصيغة تكون التنمية موجهة لفائدة المجتمع مع الأخذ في الاعتبار حاجات وحقوق الأجيال القادمة، وهذا ما يعطيها طابع الاستدامة[4].

1-1- مفهوم التنمية في الإسلام

الإسلام سبق كل فكر متقدم في معاجلة قضايا البيئة و التنمية، و إن لم يكن مصطلح التنمية موجود بلفظه، فقد وجد بألفاظ عديدة مترادفة، في كثير من نصو القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وكتابات علمائه، مثل "التعمير "و"العمارة" و"الحياة الطيبة" و"التثمير". فمصطلح التنمية يقترب من مصطلح العمران في الاقتصاد الإسلامي، فالعمران تعني: "العمل بشرع الله لتحقيق الكفاية والكفاءة للجميع للوصول إلى نمو مستمر للطيبات، وذلك بالاستخدام الأمثل لكل ما سخر الله لنا من موارد لقوله تعالى: ﴿هو الذي

[1] Ibid, P 4.

[2] صليحة عشي، الأداء والأثر الاقتصادي والاجتماعي للسياحة في الجزائر وتونس والمغرب، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الحاج،ا لخضر، باتنة، 2011م، ص 197.

[3] **FAO**, "Sustainability Issues in Agricultural and Rural Development Policies", Vol. 1,Trainee's Reader, Training Material for Agricultural Planning Series No. 38/1, Rome- Italie, Food and Agricultural Organization of the United Nations, (1995), P. 6.

[4] معهد الأبحاث التطبيقية، نظرة إلى مفهوم التنمية المستدامة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، معهد الأبحاث التطبيقية، القدس، 2008م.

أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[1] . وقوله تعالى أيضا :﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة﴾[2].

وقد أشار عدد من الكتاب إلى أن النظرة الإسلامية للتنمية (العمران) هي نظرة شاملة تتضمن جميع نواحي الحياة المادية والروحية والخلقية، و تركز على بناء الإنسان كمحور للعملية التنموية. فالإنسان محورها وهدفها بوصفه الكائن الوحيد في هذا الكون القادر على إحداث التغيير و التطوير، والقيام بعملية تنموية لما في الكون، وذلك بما اختصه به الله سبحانه وتعالى عن بقية الكائنات. فالإسلام حارب السلو ك السيئ، مثل الكسل والإتكالية، وعدم السعي الذي ينتج عنه التخلف والفقر وهما معيقا لأي عملية تنموية وعمرانية.[3]

و عليه، تتصف عملية التنمية و فقا لهذا المنهج بالاستمرارية أو الاستدامة المستمدة من استمرارية الإنسان في عبادة الخالق تبار ك وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[4]. وأيضا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]. وفي ذلك يقول الأصوليون: إن البناء على المقاصد الأصلية يصيّر تصرفات المكلف كلها عبادات، سواء كانت من قبيل العبادات أو العادات.[6]

واتساقا مع مقتضى العبادة، وتحقيقا لإعمار الأرض، ارتبط الأمن المادي والأمان النفسي بضرورة الضرب في الأرض؛ سعيا في طلب الرزق المقدر، وقد عادله الخالق تبار ك وتعالى ورسوله صلى اللّه عليه وسلم بالجهاد في سبيله، والنصوص في هذا الباب كثيرة في الكتاب والسنة .

إن قضية التنمية مبفهومها الإسلامي الصحيح أكثر اتساعا، وأعمق منهجا، وأكثر تماسكا من قضية التنمية المستدامة في الفكر الوضعي. بالإضافة إلى أن المفهوم الإسلامي للتنمية مرتبط بإيمان عميق بأن الحياة في هذه الدنيا متصلة بحياة أخرى تأتي من بعدها حتما، وبأن الإعداد لهما معا ضروري في هذه الحياة الأولى بما

[1] القرآن الكريم، سورة هود، الآية 61.

[2] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 97.

[3] سائد أبو بهاء، التنمية من منظور اسلامي، دنيا الرأي، شبكة المعلومات الدولية على الموقع:
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2008/07/23/140076.html

[4] القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 56.

[5] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 162.

[6] عبد الحميد الغزالي، المنهج الإسلامي في التنمية، الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي، شبكة المعلومات الدولية على الموقع:
www.isegs.com/forum/showthread.php?t=2932

ينعكس في مطلب إشباع الحاجات المادية والروحية معا، وأنه حينما يتم تطبيق هذا المطلب على نحو متوازن يتم الوصول بالإنسان وبالمجتمع أقصى درجات الرفاه[1] .

فالتنمية من منظور إسلامي تعني: عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن، وبشكل مستمر وشامل لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقيقا لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيدا عن أي نوع من أنواع التبعية . [2]

وهكذا تشير اجتهادات الإسلاميين المعاصرين في تحديد مفهوم التنمية إلى المعاني السابقة، والتي تؤكد وجود مفهوم إسلامي حقيقي للتواصل أعلى درجة وأرقى بمراحل من المفهوم الوضعي. وهذا ما يؤكد بأن الدين الإسلامي كان له السبق في الحث على التنمية كما هو الشأن لكل أمور الدين والدنيا من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وتراث الأمة ومفكريها المعاصرين.[3]

1-2- مرتكزات التنمية البشرية المستدامة في القرآن الكريم

ومن الضروري أن نؤكد هنا أن التنمية البشرية المستدامة في ضوء القرآن ليس مجرد تنمية اقتصادية فحسب، بل هي أيضا تنمية فكرية وأخلاقية وإدارية بالتوازي مع كونها تنمية اقتصادية واجتماعية وسياسية

ويمكننا استخلاص أهم مرتكزات التنمية البشرية في القرآن في النقاط الآتية:

1) منح الإنسان وظيفة خلافة الأ رض. هناك آية كريمة تشير إلى حقيقة خلافة الله للإنسان في الأرض،حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾،[4] وخلافة الله للإنسان في الأرض تعني: أن يتصرف الإنسان في الكون باسم الله ونيابة عنه. هذا لا يعني حتمًا القيام بالشؤون الإلهية، فالخلافة تعطي الإنسان حقّ التدخل في الكون الذي خلقه الله وسخره له، وهو ما يشبه تشجير مساحة معينة من الأرض في إطار المقاييس والمعايير التي وضعها الله سبحانه وتعالى، ومن المعلوم، أن هذه الوظيفة خص الله بها الإنسان حيث لم يوكل بها لا الملائكة ولا المخلوقات

[1] عبد الرحمن يسري أحمد، التنمية المتواصلة، المفاهيم والمستلزمات، تقييم للفكر الوضعي ورؤية إسلامية، 2002، ص 24. شبكة المعلومات الدولية على الموقع: islamiccenter.kaau.edu.sa/arabic/Ahdath/Con05/.../Paper%20of%20A%20R%20Yousri 11%

[2] حسن بن إبراهيم الهنداوي، التعليم وإشكالية التنمية، شبكة المعلومات الدولية على الموقع:
https://www.islamweb.net/ar/library/content/1598/1/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-%D9%88%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9?idfrom=2933&idto=2953

[3] صليحة عشي، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، البحث المقدم في الملتقى الدولي حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي بجامعة قالمة يومي 03 و 04 ديسمبر 2012م، ص 139-140.

[4] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 30.

الروحانية الأخرى. فالإنسان كائن مادي، نشأ في حضن الطبيعة، وزوّ دِ بقدرات تفهم لغة الطبيعة؛ ولذا أعطِي له حق التصرف في الكون بأكمله .

2) تكليف الإنسان شرعا بعمارة الأرض. خلق الله تعالى الإنسان من أجل عبادته، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وحث الله الإنسان على العمل الصالح من أجل عمارة هذه الأرض، حيث قال الله تعالى : ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[2] هذه العمارة تشمل كلَّ ما فيه نفعٌ وفائدة للفرد والمجتمع؛ فالمسلم كالغيث، أينما حلَّ نفع، ولا يرتكب ما يخالف هذه العمارة إلا من انتكست فطرته، فاستوى عنده العمار بالخراب، والإصلاح با لإفساد، ومن المعلوم أن عمارة الأرض تأخذ صورًا شتى، فهي تشمل الزراعة، والصناعة، واستخراج ما في باطنها من كنوز وثروات، كذلك تشمل إعمال العقل في كلّ ما يفيد هذه البشرية وتلك الإنسانية، فيحاول هذا الإنسان - بما أعطاه الله تعالى من عقل وعلم – أن يحوّ ل الصحراء القاحلة إلى أرض خضراء ممتلئة بالزروع والثمار، كما أن التجارة من وسائل الإعمار و سبله، ولكي يكتمل إعمار الأرض لا بد مِن العمل الدؤوب لتحقيق ذلك، وقد امتلأ القرآن الكريم بالآيات التي توزعت على الكثير من سوره، اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح، الذي يكون مردو ده بالإيجاب على الفرد والمجتمع.

3) تكريم الإنسان. بين الله في كتابه أن الإنسان مخلوق مكرم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3] تعددت مظاهر تكريم الإنسان وتنوعت؛ منها خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأجمل هيئة، كما وأعطاه الأعضاء الجسديّة التي يحتاجها للقيام بواجباته، وأدواره في الحياة، إلى جانب ذلك، فقد زوَّد الله تعالى الإنسان بكل ما يجعله كائنا راقيا كالعقل، والروح، والمواهب، وشتى أنواع القدرات، والإمكانات البشريّة المختلفة . كما أعطى الله الإنسان إرادة حرَّة ونفسا عزيزة، ودعاه الله إلى التمسك بالأخلاق الرفيعة؛ التي تنهض به، وبالمجتمعات الإنسانيّة . بل كرَّم الله الإنسان بعد موته بأن جعل لدفنه مراسم دينيّة خاصّة، وبأن حرَّم العبث بالجثث، أو التشفِي بها . علاوة إلى ذلك، سخر الله الكون بما فيه للإنسان وذلك حتى ينعم بالعيشة الهانئة.

4) التمسك بالقيم الإسلامية وصلاحية المناخ الاقتصادي والاجتماعي. إن عبودية الله وحده والشهادة بأنه سبحانه لا شريك له، الممثل لنا هداية البشر لعبادة الله و تمسكهم بأحكام الدين الإسلامي التي منحتهم بيئة اجتماعية ه متماسكة وظروفا مناسبة للعمل والإبداع، لأن غياب التماسك

[1] القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 56.

[2] القرآن الكريم، سورة هود، الآية 61.

[3] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 70.

الاجتماعي يعني الحكم على التنمية بالفشل مهما رصد لها من موارد وإمكانات،[1] فالتوحيد هو أساس التنمية، بينما الشرك بالله هو سبب اساسي للتأخر والأزمات.

5) فضل العمل. أعلن القرآن دعوته على ضرورة العمل، وعلى الكسب، وبذل الجهد، حيثقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] فالعمل في القرآن يتسم بالتوازن بين العمل لمقتضيات الحياة في الأرض، وبين العمل في تهذيب النفس، والاتصال باللّه تعالى وابتغاء رضوانه، كما قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[3] فمن الخطأ أن يتجه المسلم بجميع قواه وطاقاته لتحصيل متع الحياة، وينصرف عن اللّه، كما أنه من الخطأ أيضا أن يتجه المسلم نحو عمل المثوبة فحسب، بل عليه أن يوازن بينهما، حيث إنه يعمل لدنياه وآخرته معا، لقدحث القرآن الناس على العمل، وحتّم عليهم أن يكونوا إيجابيين في حياتهم يتمتعون بالجد والنشاط ليفيدوا ويستفيدوا، وكره لهم الحياة السلبية، والانكماش والانزواء عن العمل، قال تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[4].

[1] سعد الدين مسعد هلالي. حقوق الإنسان في الإسلام. مكتبة وهبة، 2010، ص 48.

[2] القرآن الكريم، سورة الجمعة، الآية 10.

[3] القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77.

[4] القرآن الكريم، سورة الملك، الآية 15. أنظر: زمخشري بن حسب الله طيب، التنمية البشرية المستدامة في القرآن الكريم، بحث مقدم لوقائع المؤتمر الدولي السنوي الأول للدراسات الإسلامية في دارماوانجسا، مدان، ص 183-184.

2- بنود التنمية المستدامة القرآنية المتعلقة بالفرد ودورها في البناء الإنساني

في عام 2015 م أقرت الأمم المتحدة ما جاء ذكره في آيات القرآن الكريم وسوره عن التنمية المستدامة، ولكون دعوة القرآن الكريم عالمية، كان من واجبي أن أسلط الضوء في هذا المبحث على البنود العالمية في التنمية المستدامة التي ذكرها القرآن الكريم، وبيان دورها في البناء الإنساني، ولاسيما بناء الإنسان المسلم الذي كرمه الله تعالى أيما تكريم، وحفظ عليه مقومات ومستلزمات العيش الرغيد، والأمن والاستقرار والإزدهار، ففي هذا المبحث ستكون لنا وقفات مع هذه البنود ودورها في البناء الإنساني، وتعقيبات المفسرين حولها، وسأعرض هذه البنود التسعة في تسعة مطالب وهي كالآتي:

2-1- القضاء على الفقر

(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ).[1]

قال مقاتل: "لَيْسَ التقوى أن تحولوا وجوهكم فِي الصَّلاة تلقاء الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فلا تفعلوا ذَلِكَ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ باللَّه بأنه واحد لا شريك لَهُ وصدق بالبعث الَّذِي فِيهِ جزاء الأعمال، بأنه كائن وصدق بالملائكة وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وأعطى المال عَلى حُبِّهِ لَهُ أعطى ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ والضيف نازل عليك وَأعطى السَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ فهذا تطوع، ثُمّ قَالَ- سُبْحَانَهُ-: وَأَقامَ الصَّلاةَ المكتوبة وَآتَى وأعطى الزَّكاةَ المفروضة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا فيما بينهم وبَيْنَ الناس وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ يعني الفقر والضراء يعني البلاء وَحِينَ الْبَأْسِ يعني وعند القتال هُمْ صابرون أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فى إيمانهم وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"[2]. فقد وضحت الآية مفهوم التقوى والبر بأنه الإيمان المقرون بالإنفاق على عدة أصناف، ومن أهداف هذا الإنفاق القضاء على الفقر، ولا يخفى ما للفقر من معوقات وسلبيات تقف حجر عثرة أمام الإنسان في جميع المجالات، فالفقر أول الأسباب التي تمنع التطور والإزدهار، وتعرقل بناء الإنسان، وتبدد الأحلام والطموحات. وفي آية أخرى من سورة البقرة يقول تعالى:(إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3] فيحدد لنا القرآن الكريم

---

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 177.

[2] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1 ، ج1، 1423هـ، ص 157.

[3] القرآن الكريم، سورة البقرة:، الآية 271.

طرق علاج هذا الفقر الذي يقف عائقًا أمام تطور الإنسان وبناءه، ويوجهنا إلى الطريقة المثلى في معالجته، وهي الإنفاق عليهم سرًا، وهو سبب لتكفير ذنوب المنفقين، ورفع مأساة الفقر عن الفقراء والمساكين، قال الطبري: "إِنْ تُعْلِنُوا الصَّدَقَاتِ فَتُعْطُوهَا مَنْ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ، فَنِعْمَ الشَّيْءُ هِيَ، وَإِنْ تَسْتُرُوهَا فَلَمْ تُعْلِنُوهَا، وَتُعْطُوهَا الْفُقَرَاءَ فِي السِّرِّ، فَإِخْفَاؤُكُمْ إِيَّاهَا خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْلَانِهَا، وَذَلِكَ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ"[1]. ومنهم من حمل قوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ) على الفريضة، و(وَإِنْ تُخْفُوهَا) على التطوع، وذهب إلى أن الفريضة ليس فيها الرياء؛ لأنه لا شيء عليه، فسواء فيها الإبداء والإخفاء، وأما التطوع ففيه الرياء؛ لأنه معروف ليس عليه، والإخفاء له أسلم[2]، فالمراد إعلان الزكاة لأنها فريضة، وإخفاء صدقة التطوع تجنبًا للرياء. وفي سورة التوبة يفصل سبحانه وتعالى أصناف من يستحق هذه الصدقات بقوله جل في علاه: (إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ)[3].

قال الشَّافِعِي - رحمه الله -: "وليس لأحد أن يقسمها على غير ما قسمها الله - عز وجل - عليه، ذلك ما كانت الأصناف موجودة؛ لأنه إنما يُعطَى من وُجد، وإذا أخذت الصدقة من قوم قسمت على من معهم في دارهم، من أهل هذه السُّهمان، ولم تخرج من جيرانهم إلى أحد حتى لا يبقى منهم أحد يستحقها"[4]. والْفَقِيرُ: "الْقَاعِدُ فِي بَيْتِهِ لَا يَسْأَلُ وَهُوَ مُحْتَاجٌ، وَالْمِسْكِينُ الَّذِي يَسْأَلُ، {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} يَعْنِي: عَلَى الصَّدَقَاتِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي جَمْعِهَا؛ جَعَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ فِيهَا سَهْمًا، {وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم} ناسٌ كَانَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم يُعْطِيهِمْ يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ لِكَيْ يُسْلِمُوا"[5]. وفي سورة الروم يقول تعالى:(فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ، وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ)[6]، والقرابة على قسمين: قرابة النسب وقرابة

---

[1]محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ج5، 1422هـ - 2001 م، ص 14.

[2]محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1426 هـ - 2005 م، ص 264.

[3]القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 60.

[4]أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط1، ج2، 1427هـ - 2006م، ص 935.

[5]أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، مصر/ القاهرة، ط1، ج2، 1423هـ - 2002م، ص 213.

[6] القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 38-39.

الدّين، وقرابة الدين أمسّ، وبالمواساة أحقّ وإذا كان الرجل مشتغلًا بالعبادة، غير متفرّغ لطلب المعيشة فالذين لهم إيمان بحاله، وإشراف على وقته يجب عليهم القيام بشأنه بقدر ما يمكنهم، مما يكون له عون على الطاعة وفراغ القلب من كل علة فاشتغال الرجل بمراعاة القلب يجعل حقّه آكد، وتفقّده أوجب، وإيتاء الزكاة بأن تريد بها وجه الله[1].

2-2- القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي وتعزيز الزراعة المستدامة

يقول تعالى مخاطبًا المؤمنين: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ، وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ)[2].

ذكر الماوردي في تفسيره بأن فيها تأويلان: "أحدهما: أنه اغتصاب الأموال المستطابة، فتصير بالغصب حرامًا، وقد كان يمكنهم الوصول إليها بسبب مباح، قاله بعض البصريين. والثاني: أنه تحريم ما أبيح لهم من الطيبات، وسبب ذلك أن جماعة من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علي، وعثمان بن مظعون، وابن مسعود، وابن عمر، هموا بصيام الدهر، وقيام الليل، واعتزال النساء، وجَبِّ أنفسهم، وتحريم الطيبات من الطعام عليهم، فأنزل الله تعالى فيهم {لَا تَحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم}". "وقوله تعالى: {وَلَا تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحبُّ الْمُعْتَدِينَ} فيه أربعة تأويلات: أحدها: لا تعتدوا بالغصب للأموال التي هي حرام عليكم. والثاني: أنه أراد بالاعتداء ما هَمَّ به عثمان بن مظعون من جبِّ نفسه، قاله السدي. والثالث: أنه ما كانت الجماعة هَمَّت به من تحريم النساء والطعام، واللباس، والنوم، قاله عكرمة. والرابع: هو تجاوز الحلال إلى الحرام، قاله الحسن"[3]. ويقول تعالى :(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ)[4].

يذكر الواحدي بأن الإسراف حين لم يترك لأهله شيئًا، والتأويل على هذا أن الإنسان إذا أعطى كل ماله، ولم يوصل إلى عياله شيئًا فقد أسرف، لأنه قد جاء في الخبر: ابدأ بمن تعول فهذا مجاوزة حد الإعطاء، قال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة، وتأويل هذا: "لا تتجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا

[1] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، ج3، بدون تاريخ، ص 119.

[2] القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 87-88.

[3] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، النكت والعيون = تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ج2، ص 59.

[4] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 141.

الواجب من الصدقة"[1]. ويقول تعالى :(كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ) [2].

ظاهر هذه الآية أن هذا القول قيل لبني إسرائيل حينئذ عند حلول هذه النعم التي عدد الله تعالى عليهم، وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث ولكن يخص الله تعالى بالذكر ما يشاء من ذلك. ويحتمل أن تكون هذه المقالة خوطب بها معاصر ورسول الله صلى الله عليه وسلم، المعنى هذا فعلنا بأسلافكم ويكون قوله تعالى: كُلُوا بتقدير قيل لهم كلوا، وتكون الآية على هذا اعتراضًا في أثناء قصة موسى، والمقصد به توبيخ هؤلاء الحضور إذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله تعالى، والمعنى الأول أظهر وأبين[3].

2-3- حفظ النفس والصحة الجيدة والرفاه

قال تعالى: (وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)[4]

ورد بأن معنى الهلاك في هذه الآية: أي لا تتركوا النفقة في الجهاد فتهلكوا بالإثم، أو لا تخرجوا بغير زاد فتهلكوا بالضعف، أو لا تيأسوا من المغفرة عن المعصية فلا تتوبوا، ولا تتركوا الجهاد فتهلكوا، أو لا تقتحموا القتال من غير نكاية في العدو، أو هو عام محمول على ذلك كله[5]. ويقول تعالى مخاطبًا المؤمنين :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا)[6] يذكر القنوجي بأن "الحرام الذي لا يحل في الشرع، والباطل ما ليس بحق، ووجوه ذلك كثيرة كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور، وأخذ الأموال باليمين الكاذبة ونحو ذلك، ومن الباطل البيوعات التي نهى عنها الشرع، (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل بعضكم أيها المسلمون بعضًا إلا بسبب أثبته الشرع،

[1] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، ج2، 1415 هـ - 1994 م، ص 330.

[2] القرآن الكريم، سورة طه، ص 81.

[3] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج4، 1422هـ، ص 55 – 56.

[4] القرآن الكريم، سورة البقرة، ص 195.

[5] أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، ج1، 1416هـ/ 1996م، ص 198.

[6] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 29.

وإنما قال أنفسكم لأنهم أهل دين واحد فهم كنفس واحدة"[1]. ويقول تعالى :(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ) [2].

يقول السمرقندي: "الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله أو يأكل مما يحل له أكله فوق القصد ومقدار الحاجة. وقيل لبعض الأطباء: هل وجدت الطب في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم قد جمع الله الطب كله في هذه الآية وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ثم قال: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ أي لا تحرموا ما أحل الله لكم، فإنَّ المحرم ما أحل الله كالمحل ما حرم الله تعالى"[3]

2-4- أهمية العلم والتعليم الجيد

قال جل في علاه : (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ)، [4]وَهِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] تؤكد فضل العلم في ديننا الحنيف. قال تعالى :(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)[6].

يقول السمعاني: "بِمَعْنى: لَا يستوون، وَيُقَال: الَّذين يعلمُونَ هم الْمُؤْمِنُونَ، وَالَّذين لَا يعلمُونَ هم الْكفَّار، وَيُقَال: الَّذين يعلمُونَ الْعلمَاء، وَالَّذين لَا يعلمُونَ الْجُهَّال"[7]، والفرق بيّن فتأمل. ويقول تعالى مخاطبًا المؤمنين: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ)[8].

يقول الطبري: "يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم، فيما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل

[1] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بيروت، ج3، 1412 هـ - 1992م، ص 93.

[2] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 31.

[3] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1413 هـ، - 1993م، ص 511.

[4] القرآن الكريم، سورة العلق، الآيات 1-5.

[5] انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، المرجع المذكور، ج 24، ص 531، إبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، ج5، 1408هـ - 1988م، ص 345.

[6] القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية:9.

[7] أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، ج4، 1418هـ- 1997م، ص 461.

[8] القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية 11.

الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به"[1]، فالعلم أساس في البناء الإنساني، وأساس الخير ومنبعه.

2-5- المساواة بين الجنسين (في فرص التعليم، والرعاية الصحية، والعمل اللائق، والتمثيل السياسي والاقتصادي، و اتخاذ القرارات)

قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]

يفسر الراغب معنى الآية بقوله: "يتبين أن لكل واحد على الآخر حقًا كحق الآخر، فمما تشاركا فيه مراعاتهما للمعنى الذي شرع لأجله النكاح وهو طلب النسل، وتربية الولد، ومعاشرة كل واحد منهما للآخر بالمعروف وحفظ المنزل، وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت أيديهما، حماية كل واحد على الآخر بقدر جهده وحده"[3]. وفي سورة آل عمران يقول تعالى: (فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ)[4] والمراد: "فِيمَا سَأَلُوهُ فَقَالَ تعالى: {أَنِّي لَا أُضِيعُ} لَا أبطل {عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ} ثَوَاب عمل عَامل مِنْكُم (مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) إِذْ كَانَ بَعْضكُم على دين بعض وأوليائه بعض ثمَّ بَين كرامته للمهاجرين فَقَالَ {فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ} من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة مَعَ النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَبعد النَّبِي {وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ} أخرجوهم كفار مَكَّة من مَنَازِلهمْ بِمَكَّة {وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي} فِي طَاعَتي {وَقَاتَلُواْ} الْعَدو فِي سَبِيل الله {وَقُتِلُواْ} حَتَّى قتلوا فِي الْجِهَاد مَعَ نَبِي الله {لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} ذنوبهم فِي الْجِهَاد {وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ} بساتين {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} من تَحت شَجَرهَا ومساكنها {الْأَنْهَار} أَنهَار الْخمر وَالْمَاء وَالْعَسَل وَاللَّبن {ثَوَابًا مِّن عِندِ الله} جَزَاء لَهُم من الله {وَالله عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَاب} الْمرجع الصَّالح أحسن من جزائهم[5]. وفي سورة النساء يقول تعالى :(وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[6]. جاء في محاسن التأويل: "وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا أصابوا وأحرزوا وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا أصبن وأحرزن، أي لكل فريق نصيب مما اكتسب في نعيم الدنيا قبضًا أو بسطًا،

[1] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، المرجع المذكور، ج 23، ص 246.

[2] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 228.

[3] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، ج1، 1420هـ - 1999م، ص 469.

[4] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 195.

[5] عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 63.

[6] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 32.

فينبغي أن يرضى بما قسم الله له"[1]. وفي سورة الأحزاب يقول تعالى :(إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[2]، ويفسر البيضاوي هذه الآية بقوله: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ المصدقين بما يجب أن يصدق به، وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ المداومين على الطاعة، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ في القول والعمل وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ على الطاعات وعن المعاصي، وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم، وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ بما وجب في مالهم، وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ الصوم المفروض، وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ عن الحرام، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ بقلوبهم وألسنتهم، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات، وَأَجْرًا عَظِيمًا على طاعتهم، والآية وعد لهن ولأمثالهم على الطاعة والتدرع بهذه الخصال"[3].

2-6- التوازن في الإنفاق وحفظ الأموال لا إسراف ولا بخل

قال تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ)[4]. ورد في تفسير زهرة التفاسير: "على حد تعبير علماء الاقتصاد: سألوا عن وعاء الفريضة فأجيبوا بموضع صرفها، فلماذا عدل الله سبحانه وتعالى عن الإجابة عن سؤالهم إلى هذه الإجابة؛ الجواب عن ذلك أن النوع والمقدار يبينه المصرف، فأجاب عن المصرف، ليعلموا أن المطلوب هو سد حاجة هؤلاء؛ والنوع الذي يسد حاجتهم مطلوب إنفاقه"[5]. ويوجهنا سبحانه وتعالى إلى حفظ أموال اليتامى وصيانتها بخطوات عملية حكيمة :(وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا، وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)[6]

---

[1]محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج3، 1418هـ، ص 90.

[2]القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 35.

[3]ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج4، 1418هـ، ص 232.

[4] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 215.

[5]محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بدون طبعة وتاريخ، ج2، ص 677.

[6]القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 5-6.

فالتوجيهات القرآنية تؤكد على "حفظ الأموال من تصرف السفهاء، وعدم التجاوز على أموال اليتامى، أَي: لَا تَأْكُلُوهَا مسرفين {وبدارا أَن يكبروا} أَي: لَا تبَادرُوا إِلَى أكل أَمْوَال الْيَتَامَى، خوفًا من أَن يكبروا؛ فيأخذوا أَمْوَالهم"[1]. وفي آيات أخرى يؤكد سبحانه وتعالى على الإحسان إلى أصناف مستحقة، وذم البخل الذي يعد من السلبيات المقيتة في ديننا قال تعالى :(وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا، ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا)[2].

"قَالَ الحَسَن: هم الْيَهُود؛ منعُوا حُقُوق الله فِي أَمْوَالهم، وكتموا مُحَمَّدًا؛ وهم يعلمُونَ أَنَّهُ رَسُول الله"[3].

2-7- الإيمان سبب من أسباب أمن واستدامة المدن والبلدان

قال عز من قائل: (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ)[4]، ويفسر الزمخشري هذه الآية بقوله: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً أي جعل القرية التي هذه حالها مثلًا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته. فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأوّلين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلًا لمكة إنذارًا من مثل عاقبتها مُطْمَئِنَّةً لا يزعجها خوف"[5]. ومن هذه القرى أو المدن التي عذبت بذنوبها قوم سبأ في اليمن بقوله تعالى :(لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ، فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ، ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ، وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ، فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ)[6].

يقول المراغي: "لقد كان أهل هذا الحي من ملوك اليمن فى نعمة عظيمة وسعة في الرزق، وكانت لهم حدائق غناء، وبساتين فيحاء، عن يمين الوادي وشماله، وقد أرسل الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزق ربهم

[1] أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المرجع المذكور، ص 398.

[2] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 36-37.

[3] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المرجع المذكور، ص 372.

[4] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 112.

[5] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل مع الكتاب حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج2، 1407 هـ، ص 638.

[6] القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 15-19.

ويشكروه بتوحيده وعبادته كفاء ما أنعم عليهم بهذه المنن، وأحسن إليهم بتلك النعم، فكانوا كذلك إلى حين، فأعرضوا عن طاعة ربهم، وصدوا عن اتباع مادعتهم إليه الرسل، فأرسل الله عليهم سيلًا كثيرًا ملأ الوادي وكسر السد وخرّبه وذهب بالجنان والبساتين، وأهلك الحرث والنسل، ولم يبق منهم إلا شراذم قليلة تفرقت في البلاد، وبدّلوا بتلك الجنان والبساتين التي سبق وصفها بساتين ليس فيها إلا بعض أشجار لا يؤبه بها كالخمط والأثل وقليل من النبق"[1].

2-8- العمل اللائق ونمو الاقتصاد

قال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ)[2] يقول الإيجي: "لينة لكي تسيروا فيها، وتزرعوا، (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا): جوانبها، أو جبالها، (وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ): من رزق الله الذي فيها من الحبوب، والثمار، أو وطرقها معناه: فسافروا فيها حيث شئتم، واطلبوا من نعم الله بالتجارة وغيرها[3]، فجعل الله تعالى الأرض مسخرة للإنسان، ولكل إنسان الحرية في إختيار العمل المناسب له، حسب الطاقات والمهارات والمؤهلات.

2-9- السلام والعدل والمؤسسات القوية

قال تعالى: (وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ، أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ، وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ، وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ، فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ، وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ، فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[4] يذكر القاسمي بأن معنى "أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ، أي بالإفراط عن حدّ الفضيلة والاعتدال، فيلزم الجور الموجب للفساد"[5]. وأما قوله تعالى: "وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ: أي بسطها مدحوة؛ لئلا يشق عليهم التصرف والتردد في اكتساب المعاش والمعاد"[6]. وفي سورة الإسراء يخبر سبحانه وتعالى عن إكرامه للإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات بقوله جل جلاله :(وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا)[7] يذكر الماوردي في تفسير قوله تعالى: "{ولقد كَرّمنا بني آدم}

---

[1] أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ج،22 1365هـ - 1946 م، ص 70.

[2] القرآن الكريم، سورة الملك، ص 15.

[3] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج4، 1424 هـ - 2004 م، ص 344.

[4] القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية 7-13.

[5] محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المرجع المذكور، ص 101.

[6] انظر: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني - من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، رسالة: دكتوراه، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، 1428 هـ - 2008 م، ص 56.

[7] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 70.

بأن فيه سبعة أوجه: أحدها: يعني كرمناهم بإنعامنا عليهم. الثاني: كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولًا وتمييزًا. الثالث: بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس. الرابع: بأن يأكلوا ما يتناولونه من الطعام والشراب بأيديهم، وغيرهم يتناوله بفمه، قاله الكلبي ومقاتل. الخامس: كرمناهم بالأمر والنهي. السادس: كرمناهم بالكلام والخط. السابع: كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم"[1]. وفي سورة النساء قال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا)[2] يقول الخازن: "أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ يعني وإن الله يأمركم أن تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم أن يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة في الأشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلًا"[3]

[1]أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المرجع المذكور، ج3، ص 257.

[2]القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 58.

[3]علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1415 هـ، ص 392. انظر: قتيبة فوزي جسام الراوي، التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني، المؤتمر الدولي الثالث للعلوم الإنسانية: القرآن الكريم منهج لبناء الأمم، جامعة الفلوجة – العراق، 5-6 أكتوبر 2022م، ص 4-12.

3- بنود التنمية البيئية المستدامة والطاقات المتجددة في القرآن الكريم

يعد موضوع التنمية البيئية المستدامة في عصرنا الراهن من الموضوعات البالغة الأهمية، بسبب الاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية، والارتفاع الكبير في معدلات التلوث البيئي بمختلف أنواعه، والتي ساهمت بشكل مباشر في التغير المناخي الذي شغل العالم، وقد أشار قرآننا الكريم في العديد من الآيات إلى مفهوم البيئة وإلى بعض المبادئ للحفاظ عليها، حيث وضع قواعد عامة تحدد مدى استفادة الإنسان من الموارد الطبيعية المختلفة، والتي تتلخص في الانتفاع بما خلق الله تعالى من الخيرات دون إسراف أو تبذير والمحافظة عليها، فالفساد بجميع أنواعه بما فيه الفساد البيئي والذي يشمل التلوث الصناعي والإضرار بالبيئة، والتهور وسوء إدارة الموارد الطبيعية مكروه عند الله سبحانه وتعالى، والحفاظ على البيئة واجب ديني وليست مسألة اختيارية، لأن الموارد والعناصر الأساسية للطبيعة تعود ملكيتها إلى جميع الكائنات الحية وليست فقط للجنس البشري، فالله سبحانه وتعالى ميز الجنس البشري باستغلال الموارد الطبيعية وجعله كوصي عليها، وهذا يندرج تحته ضمان الحق في استخدام كافة الموارد دون الإضرار بها والتدمير، ويشتمل هذا المبحث على ثمانية مطالب وهي كالآتي:

3-1- حماية النظم البرية والتنوع البيولوجي من التصحر وتدهور الأراضي

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ)[1] أي: "لا تتبعوا سبيله، ولا تسلكوا، ولا تقفوا أثره، ولا تأتموا به، ولا تطيعوه فيما يزين لكم من تحريم حلال واستحلال حرام فِي الشرع"[2]، فاتباع الشيطان هو سبيل إلى الهلاك والدمار. وفي آيات أخرى من سورة البقرة يصف سبحانه وتعالى من يسعى إلى إفساد الأرض ودمارها بقوله جل في علاه :(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ)[3].

عن مجاهد: "إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ بِالْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ، فَيَحْبِسُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْقَطْرَ، فَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ"[4]. وفي آيات أخرى من سورة الشعراء يقول تعالى :(أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ، فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ، وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ، وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ، فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ، ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ)[5].

---

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 168.

[2] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المرجع المذكور، ص 253.

[3] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 204-205.

[4] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المرجع المذكور، ج3، ص 583.

[5] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية 146-152.

ويفسر البقاعي هذه الآيات بقوله: "{الذين يفسدون في الأرض} أي يعملون ما يؤدي إلى الفساد لكونه غير محكم باستناده إلى الله، ولما كان ربما ادعى في بعض الفساد أن فيه صلاحًا، نفى ذلك بقوله: {ولا يصلحون} أي لأنهم أسسوا أمرهم على الشرط فصاروا بحيث لا يصلح لهم عمل وإن تراءى غير ذلك، أو أن المعنى أن المسرف من كان عريقًا في الإسراف بجمع هذين الأمرين"[1].

3-2- المياه النظيفة والنظافة الصحية

قال تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ)[2] ويفسر المراغي هذه الآية بقوله: "أي إنه يجب عليهم أن يعلموا أن السموات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة لا فتق فيها ولا انفصال، وهي ما تسمى لدى علماء الفلك السديم، ويسميها القرآن الدخان، ففتقناهما بفصل بعضهما من بعض فكان منها ما هو سماء ومنها ما هو أرض، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون بأن الرب الذي خلق كل هذا هو الذي يعبد وحده ولا يشرك به شيء، وأنه قادر على إعادة الخلق كما بدأه أول مرة؟ والخلاصة- إن الماء أصل جميع الأحياء وهو الذي يتنزل إليه أمر التدبير والتكوين"[3].

وفي آيات أخرى يقول تعالى: (فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا، ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا، فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا، وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا، وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا، وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا، وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا، مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ)[4]، فمعنى قوله تعالى: (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ، وهو المطر[5]، والماء مصدر الحياة.

وقال تعالى: (وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ، وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ، رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ)[6] {وَحَبَّ الْحَصِيدِ} يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد وتدخر وتقتات، وأضاف الحب إلى الحصيد وهما واحد[7].

---

[1] إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ج14، ص 76.

[2] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 30.

[3] أحمد بن مصطفى المراغي، المرجع المذكور، ص 6.

[4] القرآن الكريم، سورة عبس، الآية 24-32.

[5] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، ج8، 1420هـ - 1999م، ص 323.

[6] القرآن الكريم، سورة ق، الآية 9-11.

[7] أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، ج24، 1436 هـ - 2015 م، ص 433.

3-3- ضمان حصول الجميع بتكلفة ميسورة على خدمات الطاقة المستدامة

قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1]، يقول القشيري: "تعرّف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول بدلالات قدرته، وأمارات وجوده، وسمات ربوبيته التي هي أقسام أفعاله، ونبههم على وجود الحكمة ودلالات الوحدانية بما أثبت فيها من براهين تلطف عن العبارة، ووجوه من الدلالات تدقّ عن الإشارة، فما من عين من العدم محصولة- من شخص أو طلل، أو رسم أو أثر، أو سماء أو فضاء، أو هواء أو ماء، أو شمس أو قمر، أو قطر أو مطر، أو رمل أو حجر، أو نجم أو شجر- إلا وهو على الوحدانية دليل، ولمن يقصد وجوده سبيل"[2]. وفي زماننا نرى ألوانًا من الطاقات المتجددة التي تستخدم من الرياح وأشعة الشمس ومياه الشلالات وغيرها، والتي أشارت إليها الآية السابقة، وهي من الآيات الربانية التي تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وهي طاقات متجددة مسخرة لخدمة الإنسان، فسبحان من خلقها وسخرها.

3-4- الصناعة وتشجيع الابتكار و إقامة بنى تحتية قادرة على الصمود وتحفيز التصنيع الشامل للجميع والمستدام

قال تعالى: (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)[3] ذكر الماتريدي بأن معنى "(وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا): قَالَ بَعْضُهُمْ: أسكنكم فيها، وقال بعضهم: استخلفكم فيها. وقَالَ بَعْضُهُمْ: أي جعلكم عمار الأرض تعمرونها لمعادكم ومعاشكم، جعل عمارة هذه الأرض إلى الخلق هم الذين يقومون بعمارتها وبنائها وأنواع الانتفاع بها، ويرجع كله إلى واحد[4].

وفي سورة طه يقول تعالى :(ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ، كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ، مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ)[5] يقول القشيري: "جعل الأرض مستقرًا لأبدانهم، وجعل أبدانهم مستقرًا لعبادته، وقلوبهم مستقرًا لمعرفته، وأرواحهم مستقرًا لمحبته، وأسرارهم مستقرًا لمشاهدته، وهيّأ لهم أسباب

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 164.

[2] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المرجع المذكور، ج1، ص 144.

[3] القرآن الكريم، سورة هود، الآية 61.

[4] محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المرجع المذكور، ج6، ص 149.

[5] القرآن الكريم، سورة طه، الآية 53-55.

المعيشة، وكما انظر إليهم ورزقهم رزق دوابّهم التي ينتفعون بها، وأمرهم أن يتقووا بما تصل إليه أيديهم، وأن ينتفعوا- ما أمكنهم- بأنعامهم ليكمل لديهم إنعامهم"[1].

3-5- الاستهلاك والإنتاج المسؤولان

قال تعالى: (وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا)[2].

قال البيضاوي: "وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا بصرف المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف، وأصل التبذير التفريق"[3].

وفي آية آخرى يقول جل جلاله :(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ)[4]، يقول الشعراوي: "الإسراف هو مجاوزة الحد، والبعض قد فسّر الإسراف بالزيادة فقط، ولكن الحقيقة أن أي تجاوز للحد زيادة أو نقصًا يسمى إسرافًا"[5].

وفي سورة الأعراف يقل جل ثناؤه :(يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ)[6].

يقول محمد رشيد رضا: "فَمَنْ جَعَلَ شَهْوَةَ بَطْنِهِ أَكْبَرَ هَمِّهِ فَهُوَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَمَنْ بَالَغَ فِي الشِّبَعِ وَعَرَّضَ مَعِدَتَهُ وَأَمْعَاءَهُ لِلتُّخَمِ فَهُوَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَمَنْ أَنْفَقَ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ طَاقَتِهِ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِذُلِّ الدَّيْنِ أَوْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، فَهُوَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَمَا كَانَ الْمُسْرِفُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"[7]. فالإسراف عام في كل شيء فترشدنا الآيات السابقة إلى عدم الإسراف في أي شيء، وهو من مستلزمات حفظ النعم والثروات.

---

[1] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المرجع المذكور، ج2، ص 462 – 463.

[2] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 26-27.

[3] ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المرجع المذكور، ج3، ص 253.

[4] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 141.

[5] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، طابع أخبار اليوم، بدون تاريخ، ج7، ص 3968.

[6] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 31.

[7] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج7، 1990م، ص 25.

3-6- اتخاذ اجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ و آثاره

قال تعالى: (وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)[1]، "وذلك أن اللَّه إذا بعث نبيًا إلى الناس فأطاعوه صلحت الأرض وصلح أهلها وأن المعاصي فساد المعيشة وهلاك أهلها يَقُولُ لا تعملوا فِي الأرض بالمعاصي بعد الطاعة وَادْعُوهُ خَوْفًا من عذابه وَطَمَعاً فِي رحمته[2]"

وفي آية أخرى يقول تعالى :(فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[3]

وهي من الدروس في التذكير بنعم الله تعالى التي قدمها صالح عليه السلام إلى قومه ثمود أي: "فاذكروا بتدبر واتعاظ نعم الله عليكم، واشكروه على هذه النعم الجزيلة، وخصوه وحده بالعبادة، ولا تتمادوا في الفساد حال إفسادكم في الأرض، والمقصود النهى عما كانوا عليه من التمادي في الفساد، مأخوذ من العيث وهو أشد الفساد"[4]. وعن بركات السماء والأرض يقول تعالى :(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[5]، يقول الماتريدي: أي: "لأعطوا كل خير ينال من السماء والأرض، والبركة ما ينال من كل خير على غير - مؤنة وقيل: البركة: كل شيء ينال بلا تبعة عليه ولا شدة - ذكر هاهنا أنه يفتح عليهم بركات من السماء والأرض لو آمنوا واتقوا"[6].

3-7- حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[7]، يقول ابن الجوزي: وفي قوله تعالى: "وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ قولان: أحدهما: بالركوب فيه للتجارة ابتغاء الربح من فضل الله؟! والثاني: بما تستخرجون من حليته، وتصيدون من حيتانه"[8]. وعن أنواع البحار يقول تعالى :(وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ

---

[1] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 56

[2] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، المرجع المذكور، ج2، ص 42.

[3] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية، 74.

[4] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، ج5، بدون تاريخ، ص 311.

[5] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 96.

[6] محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المرجع المذكور، ج4، ص 510.

[7] القرآن الكريم، سورة النحل، ص .14

[8] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ج2، 1422هـ، ص 553.

وَمِن كُلّ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)[1].

يقول ابن أبي زمنين: "{وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا من فَضله} يَعْنِي: طَلَبَ التِّجَارَةِ فِي السُّفُنِ"[2]، فالبحار هي من آيات عظمته سبحانه وتعالى، وهي من الثروات الطبيعية التي تخدم الإنسان، وحسبنا ما يستخرج منها من لؤلؤ ومرجان وأسماك، وما تستخدم في النقل البحري العابر للقارات.

3-8- عقد الشراكات لتحقيق الأهداف

قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)[3]، يذكر الخازن بأن معنى الآية: "ليعن بعضكم بعضًا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس: البر متابعة السنة وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ يعني ولا يعن بعضكم بعضًا على الإثم وهو الكفر والعدوان هو الظلم"[4]، فالتعاون على البر والتقوى هو سبيل من سبل الفلاح والحفاظ على نعم الله تعالى، والتعاون على الإثم والعدوان سبيل من سبل العقاب الإلهي والهلاك والخسران[5].

[1] القرآن الكريم، سورة فاطر، ص 12.

[2] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المرجع المذكور، ج4، ص 27.

[3] القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 2.

[4] لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ج2، ص 7.

[5] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن، المرجع المذكور، ج2، ص 7. وانظر: قتيبة فوزي جسام الراوي، المرجع المذكور، ص 12-16.

الخاتمة:

إن التنمية في القرآن الكريم هي تنمية شاملة للإنسان الذي يؤدي وظيفته في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض وإعمارها، لكونه خليفة الله على الأرض، وأن الكون سخر له من أجل إعماره أو تنميته، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها جانب من جوانب العبادة، والتنمية الاقتصادية، و هي مسؤولية مشتركة بين الحكومة والفرد .

و تسعى التنمية في القرآن الكريم للوصول الى القضاء على الأسباب التي تؤدي الى حدوث المشكلة الاقتصادية والاجتماعية، كما تسعى الى تنمية النواحي غير المادية للمجتمع، من حيث السمو بالأفراد، وإعلاء الروابط الإنسانية التي تحقق بعدها النمو المادي. و الإسلام لا يؤيد التنمية الرأسمالية التي تضمن حرية الرأي ولا تضمن قوت اليوم، كما لا يؤيد التنمية الاشتراكية التي تضمن قوت اليوم ولا تضمن حرية الرأي.

إن القرآن الكريم أرسى قواعد وقيم عظيمة جعلت المسلمون في أوج عزهم عندما أخذوا بهذه القيم ،كما أن الغرب أخذ بها وكانت سببا في تطوره ونموه، وكان إهمال المسلمون لقيم دينهم والابتعاد عنها في مرحلة من تاريخهم سببا في تأخرهم عن مواكبة ركب الحضارة العالمية. و على هذا الأساس فإن تحقيق التنمية المستدامة في المجتمع الإسلامي يكون بدعوة الإنسان المسلم بأن يأخذ برسالة الله للبشر، و العودة إلى القيم الروحية، مع الاحتفاظ بكل المكتسبات العلمية والتكنولوجية الحديثة في محاولات إصلاحية، مما يتفق وجوهر الإسلام، ومنها التحذير من أخطار طغيان المادة .

و المنهج الإسلامي يحث الإنسان على أن يتعامل مع الأدبيات والتجارب الإنمائية، وتقنيات التنمية بفكر متفتح، على أساس أن الأصل في الأشياء الإباحة، وأن الحكمة بشروطها الشرعية ضالة المؤمن، وذلك بما يتفق وظروف الاقتصاد والمجتمع، وبما يضمن التعامل الكفء، والفاعل مع الأشياء، تحقيقا لغاية إعمار الأرض وتقدم المجتمع، كفريضة تعبدية، و يمثل الالتزام بها غاية التكليف. فالإسلام بكماله وشموله لم يدع شيئا فيه سعادة للبشرية ورقيها إلا ووضع له الضوابط الدقيقة والمعايير الواضحة .

وهكذا فإن المفهوم القرآني للتنمية يستوعب الأهداف المثلى التي يتحدث عنها المفكرون الوضعيون المعاصرون في إطار التنمية المتواصلة أو المستدامة، بل وما يزيد بكثير عن هذه الأهداف. والأهم من هذا هو أن لدينا في القرآن الكريم منهجا ودوافع للتنمية، قائمة على شريعة وعقيدة بما يكفل استمرار قوة الدفع الذاتية للتنمية، من خلال الأفراد والمؤسسات القائمة، وذلك في إطار يضمن حياة طيبة تجمع بين الجانبين الروحي والمادي للإنسان في توازن مرغوب.

ويمكنني بعد هذه الجولة بين آيات القرآن العظيم أن ألخص النتائج والتوصيات بالآتي:

- من مستلزمات البناء الإنساني هو الاهتمام بالتنمية المستدامة، ولا سيما التنمية المستدامة النابعة من القرآن الكريم، وهي كفيلة لسعادة الإنسان وخدمته، وحفظ كل ما يؤول إلى الحياة الكريمة التي أرادها الله تعالى للإنسان.
- أهداف التنمية المستدامة في القرآن الكريم هي أهداف شاملة، ومتنوعة، شملت جميع نواحي الحياة دون استثناء، وهي من مستلزمات العيش الكريم والإزدهار، وتكوين حضارة عريقة وعظيمة، طابعها العدل والإنصاف والأخلاق.
- يتطابق مفهوم التنمية المستدامة في القرآن الكريم مع المعنى اللغوي والاصطلاحي، الذي يريد إشباع حاجيات الأجيال الحالية وتحقيق رفاهيتهم دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على إشباع حاجياتهم، وهذا المفهوم هو أساس التنمية المستدامة التي تتعالى بها أصوات دول العالم؛ لحفظ الثروات واستثمارها بأعلى مستوى من المسؤولية والعقلانية.
- الإيمان وطاعة الله تعالى هي سبب من أسباب الأمن ورفع البلاء واستدامة المدن والبلدان، والكفر والذنوب والمعاصي هي سبب من أسباب الخوف ونزول البلاء والهلاك والاستئصال.
- تضمنت بنود التنمية المستدامة في القرآن الكريم المتعلقة بالفرد تسعة بنود أساسية لا غنى عن واحد منها وتشمل: (القضاء على الفقر، والقضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي، وحفظ النفس بالصحة الجيدة والرفاه، وأهمية العلم والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين، والتوازن في الإنفاق وحفظ الأموال لا إسراف ولا بخل، والإيمان سبب من أسباب أمن واستدامة المدن والبلدان، والعمل اللائق ونمو الاقتصاد، والسلام والعدل والمؤسسات القوية.(
- تضمنت بنود التنمية البيئية المستدامة والطاقات المتجددة في القرآن الكريم ثمانية بنود أساسية في حفظ الثروات الطبيعية وتشمل: (حماية النظم البرية والتنوع البيولوجي من التصحر وتدهور الأراضي، والمياه النظيفة والنظافة الصحية، والحصول على الطاقات المستدامة بتكلفة ميسورة، والصناعة والابتكار، والاستهلاك والإنتاج المسؤولان، واتخاذ اجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره، وحفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف).

- إن بنود التنمية المستدامة في القرآن الكريم تنقسم إلى نوعين، نوع يتعلق بالفرد مباشرة والتي أشرنا إليها في المبحث الأول من البحث بتسعة مطالب، والنوع الآخر يتعلق بالتنمية البيئية المستدامة والطاقات المتجددة والتي أشرنا إليها في المبحث الثاني بثمانية مطالب، وبمجموعها تكتمل بنود التنمية المستدامة السبعة عشر التي أقرتها الأمم المتحدة عام 2015.

- بعد معرفة مقاصد وأهداف التنمية المستدامة في القرآن الكريم، ومطابقتها مع بنود التنمية المستدامة التي أقرتها الأمم المتحدة، نستيقن بأن السبق في تحديدها هو للقرآن الكريم، وأن دورها في البناء الإنساني وخدمة الإنسان هو دور أساس، لا يمكن أن نجعلها من الكماليات التي ربما نستطيع أن نستغني عنها في بعض الأوقات.

- بنود التنمية المستدامة في القرآن الكريم هي صمام أمان لخدمة الإنسان، وإن أي مخالفة لهذه البنود ستكون عواقبها وخيمة في الدنيا والآخرة.

- علينا أن نمعن النظر في التنمية المستدامة النابعة من القرآن الكريم، وأن نجعلها منهج لحياتنا، لننعم بالأمن والأمان، والسلامة والاستقرار؛ لأن المصيبة والبلاء لا ينزلان إلا بذنب، ولا يرفعان إلا بتوبة.

- إعادة البحث في الكتاب والسنة لتبيان الجانب الحضاري والعصري فيهما، ولاستخلاص المبادئ والأفكار والعبر التي تحث على الاستخلاف في الأرض واتباع المنهج الوسطي.

- ضرورة التعاون والتلاحم بين الباحثين الشرعيين والباحثين البيئيين والباحثين في مجال الإعجاز بالقرآن الكريم وبصورة مستمرة لرفد المجتمع بآخر النتائج في علم الاستدامة بالاستناد إلى تلك الابحاث.

- تضمين مفاهيم إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة في الكتاب والسنة ضمن المناهج التعليمية للأجيال القادمة وبطريقة عصرية محببة.

المراجع:

أ) المصادر والمراجع العربية

1) القرآن الكريم
2) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
3) ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المالكي (ت٣٩٩هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط1 (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
4) ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان.
5) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1422هـ.
6) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
7) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.
8) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
9) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بدون طبعة وتاريخ.
10) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، مصر/ القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002م.
11) أبو النصر، مدحت، ومحمد ياسمين مدحت، التنمية المستدامة- مفهومها- أبعادها – مؤشراتها، المجموعة العربية للتدريب والنشر ،القاهرة، مصر، 2017م.

12) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420هـ - 1999م.

13) الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ - 2004م.

14) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

15) البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423هـ.

16) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ - 2015م.

17) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 هـ.

18) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

19) د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.

20) د. رحاب مصطفى كامل، التنمية المستدامة في القرآن الكريم، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد السادس عشر، السنة العاشرة.

21) د. سعاد جعفر عمر، ود. فيحاء نايف المومني، البيئة والتربية البيئية، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1434هـ.

22) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.

23) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل مع الكتاب حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

24) زمخشري بن حسب الله طيب، التنمية البشرية المستدامة في القرآن الكريم، بحث مقدم لوقائع المؤتمر الدولي السنوي الأول للدراسات الإسلامية في دارماوانجسا، مدان.

25) سعد الدين مسعد هلالي. حقوق الإنسان في الإسلام. مكتبة وهبة، 2010م.

26) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ - 1993م.

27) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ- 1997م.

28) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ- 2006م.

29) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، طابع أخبار اليوم، بدون تاريخ.

30) صليحة عشي، الأداء والأثر الاقتصادي والاجتماعي للسياحة في الجزائر وتونس والمغرب، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الحاج،ا لخضر، باتنة، 2011م.

31) صليحة عشي، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، البحث المقدم في الملتقى الدولي حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي بجامعة قالمة يومي 03 و 04 ديسمبر 2012م.

32) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ - 2001م.

33) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، بدون تاريخ.

34) العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1416هـ- 1996م.

35) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

36) قتيبة فوزي جسام الراوي، التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني، المؤتمر الدولي الثالث للعلوم الإنسانية: القرآن الكريم منهج لبناء الأمم، جامعة الفلوجة – العراق، 5-6 أكتوبر 2022م.

37) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، بدون تاريخ.

38) القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م.

39) القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بيروت، 1412هـ - 1992م.

40) الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني - من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، رسالة دكتوراه، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، 1428هـ - 2007م.

41) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م.

42) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون = تفسير الماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.

43) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

44) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م.

45) معهد الأبحاث التطبيقية، نظرة إلى مفهوم التنمية المستدامة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، معهد الأبحاث التطبيقية، القدس، 2008م.

46) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.

47) وفاء أحمد عبد الله، "مذكرة خارجية نحو وضع استراتيجية قومية للتنمية من منظور بيني"، معهد التخطيط القومي، القاهرة، 1988م.

ب) المصادروالمراجع الأجنبية

1. Carson, Rachel, Silent Spring, New York: Greenwich, Connecticut, Fawcett, Publication, 1962.
2. FAO, "Sustainability Issues in Agricultural and Rural Development Policies", Vol. 1,Trainee's Reader, Training Material for Agricultural Planning Series No. 38/1, Rome-Italie, Food and Agricultural Organization of the United Nations, (1995).
3. Robert Riddell, Ecodevelopment, Economics, Ecology and Development, An Alternative to Grow Imperative Models, (New York: St, Martin's press, 1992), P. 5.
4. The World Commission on Environmental Development, "Our Common Future", Oxford, Oxford University Press, (1987), P. 4.

ج) المو اقع الالكترونية

1) تنمية_مستدامة، شبكة المعلومات الدولية على الموقع: https://ar.wikipedia.org/wiki / ، تم اطلاع عليه بتاريخ 2024/01/22م

2) التنمية-المستدامة، شبكة المعلومات الدولية على الموقع: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/conceptsandterminology/2015/11/30/ ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/01/24م.

3) التنمية-المستدامة-من-منظور-إسلامي، شبكة المعلومات الدولية على الموقع: https://arabi21.com/story/1342563 / ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/01/22م.

4) حسن بن إبراهيم الهنداوي، التعليم وإشكالية التنمية، شبكة المعلومات الدولية على الموقع: https://www.islamweb.net/ar/library/content/1598/1/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-%D9%88%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9?idfrom=2933&idto=2953

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/01/25م.

5) عبد الحميد الغزالي، المنهج الإسلامي في التنمية، الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي، www.isegs.com/forum/showthread.php?t=2932 ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/01/22م.

6) عبد الرحمن يسري أحمد، التنمية المتواصلة، المفاهيم والمستلزمات، تقييم للفكر الوضعي ورؤية إسلامية، 2002. شبكة المعلومات الدولية على الموقع: islamiccenter.kaau.edu.sa/arabic/Ahdath/Con05/.../Paper%20of%20A%20R%20Yousri 11% ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/01/22م.

7) سائد أبو بهاء، التنمية من منظور اسلامي، دنيا الرأي، 2008/07/23م. شبكة المعلومات الدولية على الموقع: .24https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2008/07/23/140076.html ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/01/25م.

التّنمية حاصل الكدح الإنسانيّ
في قيم العمل والإبداع واستثمار الزّمن من منظور إسلاميّ

الدكتور نزار صميدة

تونس

smidanizar3@gmail.com

ملخص البحث:

يثير سؤال التّنمية والتّقدّم والنّجاعة الاقتصاديّة إشكالات واسعة في ظلّ ثقافة إنسانيّة جديدة تراهن على المردوديّة والجدوى والرّفاهيّة، خصوصا بعد أن حقّقت الإنسانيّة تقدّما كبيرا في السّيطرة على الطّبيعة واستثمارها، تجسيما لرهانات الحداثة الّتي تريد للإنسان أن يكون سيّد العالم، بعد أن كان لردح طويل من الزّمن عبدا للطّبيعة وخاضعا لحتميتها.

ويكاد الإجماع ينعقد اليوم حول ضرورة أن تنهض كلّ أمّة أو شعب بتقدّمه الخاصّ وأن يستثمر كلّ وسائله المتاحة النّظريّة والعمليّة من أجل بلوغ هذا المقصد، ويدور السّؤال المركزيّ في الفكر الإسلاميّ المعاصر تحديدا حول: ما إذا كان للمسلمين تصوّر مخصوص لمشكلات النّموّ وقضايا التّنمية، وما إذا كان لهم موقف محدّد من الأسس الضّامنة لتحقيق مطالب الإنسان وحاجاته؟ أم أنّهم يستندون إلى نماذج جاهزة يقتبسونها من الغير المنتصر والمُحَقِّقِ لحداثته، الّتي تصلح لأن تكون حلّا لسؤال التّنمية بالنّسبة لكلّ الشّعوب؟

وتنهض هذه الورقة البحثيّة بالتّأكيد على أنّ للإسلام رؤيته المخصوصة لمسائل تنمية الحياة الإنسانيّة وتطويرها، من خلال أنّ الفكر الإسلاميّ قد أجاب على أسئلة التّطوّر وآلياته ومرتكزاته وعلاقته بالإنسان والقيم، إذ بإمكان النّاظر في النّصوص الشّرعيّة الأصليّة أو في مباحث مفكّري الإسلام أن يدرك أنّ المسلمين قد أنتجوا تصوّرا للتّنميّة يرتبط أساسا بتوجيهات النّصّ القرآنيّ الّتي تحثّ الإنسان على الفعل والحركة والعمل والإبداع، وكذا السنّة النّبويّة الّتي تدعو إلى تجنّب سلبيّة السّؤال عن المستقبل، وتحثّ على إيجابيّة العمل واستثمار الجهد والزّمن واستفراغ الطّاقة من أجل صنع المستقبل، بما يعني أنّ التّنمية مَهَمَّةٌ

ومسؤوليّة وليست هبة أو عطاء، فلا يتحقّق التّقدّم إلّا بما هو حصيلة المجاهدة والمكابدة، وترك جميع القيم السّلبيّة الّتي تعطّل الجهد البشريّ فتتركه رهين الانتظار والكسل والتّواكل.

إنّ ورقتنا البحثيّة هذه تقوم على إشكاليّة أساسيّة مفادها كيف يمكننا فهم نتائج العلوم الشّرعيّة، واستثمارها لإنتاج نظريّة مثلى تفضي إلى تحقيق نموّ شامل وتنمية كاملة ومستدامة بما يحقّق المقصد القرآنيّ الرّفيع المتمثّل في تحقيق كرامة الإنسان وحرّيته واعتلائه أفضل مراتب الوجود. وإنّنا نقترح لمعالجة هذا الإشكال تمشّيا يأخذ بعين الاعتبار إبراز طرافة المنظور الإسلاميّ وخصوصيّته عند طرح مسألة التّنمية وتحدّياتها ونتائجها وطبيعة علاقتها بالإنسان، باعتباره في الآن نفسه وسيلة كلّ تنمية ممكنة وغَايَتَهَا الأساسيّة في ذات الوقت، ثمّ التّأكيد على أنّه لا تنمية من وجهة نظر الإسلام إلّا بالعمل باعتباره القيمة المُثْلَى، وأساس كلّ القيم التّبادليّة والاستهلاكيّة والحيويّة والإنسانيّة، هذا إلى جانب أنّ سؤال التّنمية في الإسلام هو في المبتدأ والنّهاية سؤال الإنسان، ومسؤوليّته وإنتاجه لذاته وللعالم في آن.

إنّنا نقصد من وراء طرح هذا الإشكال بتفريعاته وضمنيّاته أن ندفع باتّجاه التّفاعل مع الموقف الإسلاميّ من قضايا العمل والنّجاعة والعدالة والمساهمة في إنتاج الثّروة وحسن توزيعها، ضمانا لتوازن اجتماعيّ ودرءا لكلّ أنواع الظّلم والاستعباد واستغلال الإنسان للإنسان.

وسنحاول تفكيك هذا الإشكال من خلال الاستناد إلى مجموعة من التّوجيهات المنهجيّة انطلاقا من المنهج التّاريخيّ والإحصائيّ والمقارن.

الكلمات المفتاحية: التَنمية ، النّمو ، الإنسان ، العمل ، الإبداع ، الزّمن، العدل.

Development: The Result of Human Drudgery: In Values of Work, Creativity and Time Investment from an Islamic Perspective

Dr. NIZAR SMIDA

Tunisia

Smidanizar3@gmail.com

Abstract:

The Question Of Development, Progress And Economic Effectiveness Raises Widespread Problems In A New Human Culture That Bets On Resilience, Viability And Well-Being, Especially After Humanity Has Made Great Progress In Controlling And Investing In Nature, As A Manifestation Of The Modern Bets That Human Beings Want To Be The Master Of The World, After Having Had A Long Profit From Honour.

Today's Consensus Is Almost Unanimous About The Need For Every Nation Or People To Advance Its Own Progress And To Invest All Its Available, Both Theoretical And Practical Means To Achieve This Purpose. The Central Question Is Whether Muslims Have A Specific Perception Of The Problems Of Growth And Development Issues, And Whether They Have A Specific Position On The Very Foundations Of The Human Being That Guarantee The Realization Of Their Demands. Or Are They Based On Ready-Made Models They Quote From The Unprofessional And Attainable Of His Modernity, Which Can Be A Solution To The Question Of Development For All Peoples?

This Paper Emphasizes That Islam Has Its Own Vision For The Development And Development Of Human Life. By The Fact That Islamic Thought Has Answered The Questions Of Evolution And Its Mechanisms And Its Foundations And Its Relationship With Man And Values, In The Original Legal Texts Or In The Islamic Intellectual Inquiry, The Scholar Can Realize That Muslims Have Produced A Perception Of Development That Is Essentially Linked To The Quranic Text's Directives Urging Man To Act, Move, Act And Create. As Well As The Prophetic Year That Calls For Avoiding The Negative Question Of The Future, It Urges The

Positivity Of Working, Investing Effort, Time And Empowering Energy To Make The Future Which Means That Development Is Important And Responsible And Not A Gift Or A Giving, Progress Is Achieved Only With The Sum Of Viewing And Suffering, Leaving All The Negative Values That Disrupt Human Effort, Leaving It Dependent On Waiting, Laziness And Dependence.

Our Paper Is Based On The Fundamental Problem Of How We Can Understand The Results Of Sharia Sciences, Invest Them To Produce Optimal Theory Leading To Inclusive Growth And Full And Sustainable Development, Achieving The High Quranic Purpose Of Achieving Human Dignity, Freedom And The Best Ranks Of Existence. We Propose To Address This Problem In Keeping With The Importance And Specificity Of The Islamic Perspective When Raising The Issue Of Development, Its Challenges, Its Consequences And The Nature Of Its Relationship With Human Beings. At The Same Time, As The Means Of All Possible Development And Its Basic Generation At The Same Time, Then Emphasize That There Is No Development From The Point Of View Of Islam Except By Acting As The Ideal Value. And The Foundation Of All The Values Of Exchange, Consumerism, Vitality And Humanity, Besides That The Question Of Development In Islam Is At The Beginning And The End The Human Question, Its Responsibility And Production For Itself And For The World At The Same Time.

It Is Our Intention, Through Its Branches And Implications, To Push For Interaction With The Islamic Position On Issues Of Work, Efficiency And Justice And To Contribute To The Production And Distribution Of Wealth, In Order To Ensure Social Balance And Prevent All Kinds Of Injustice, Enslavement And Human Exploitation.

We Will Try To Dismantle This Problem By Drawing On A Set Of Methodological Guidance Based On The Historical, Statistical And Comparative Approach.

Keywords: Development / Growth / Human / Work / Creativity / Time / Justice.

مشكلة الدّراسة وتساؤلاتها

يتعلّق هذا البحث بمشكل التّنمية من وجهة نظر إسلاميّة وفي علاقة بمخرجات العلوم الشّرعيّة المختلفة كالكلام والفقه وأصوله والتّفسير والحديث.

أهداف الدّراسة

يتطلّع هذا البحث إلى المقاصد والأهداف التّالية:

- إبراز خصوصيّة الرّؤية الإسلاميّة للتّنمية وأسسها ونتائجها.
- بيان أنّ التّنمية نتاج الجهد والسّعي والإرادة الإنسانيّة نحو تحقيق الأفضل والأمثل في هذا العالم.
- التّأكيد على ارتباط التّنمية في الإسلام بقيم الحرّية والعدالة والتّضامن.
- الإشارة إلى أنّ التّنمية من منظور إسلاميّ لا تفهم إلّا في سياق الجمع بين الحقّ والواجب.

أهمّية الدّراسة

تتنزّل هذه الدّراسة في سياق الجدل الدّائر اليوم حول أفضل الطّرق لتحقيق التّنمية وفي ظلّ تصاعد وتنامي موجة التّركيز على النّجاعة والمردوديّة وإهمال القيميّ والإتيقيّ والإنسانيّ، إذ تحاول هذه الدّراسة أن تكشف عن أنّ نظرة الإسلام للنّموّ والتّنمية بقدر ما تركّز على النّتائج الماديّة الّتي يقتضيها الاستمرار في الوجود، فإنّها تهتمّ أيضا بضمان كرامة العامل وتحويل نتائج التّنمية بما يخدم العدل والمساواة والوحدة الاجتماعيّة.

منهج الدراسة

تستند هذه الدّراسة إلى آليّة التّحليل والتّفسير المرتبطة باستنطاق النّصوص الشّرعيّة وقراءة المنتج الفقهيّ والكلاميّ في مسألة التّنمية، ثمّ المرور نحو استنتاج أسس المنظور الإسلاميّ للتّنمية ومقارنته بالمناويل التّنمويّة الأخرى من جهة التّقارب والاختلاف.

مصطلحات الدّراسة

يبقى لكلّ بحث علميّ مجاله المتميّز الّذي لا يرتبط فقط بجدّة الإشكاليّات الّتي يطرحها أو بالرّهانات النّظريّة والعمليّة الّتي يستبطنها، وإنّما أيضا بالشّبكة المفهوميّة والاصطلاحيّة الّتي يستخدمها، وقد وجّهنا اهتمامنا في هذا المبحث نحو مصطلحي "النّمو" و"التّنمية" وما يتفرّع عنهما من مفاهيم أخرى مثل القيم والمنفعة والعمل والإبداع والتّغيير، وما يتّصل بهذه المفاهيم من مصطلحات شارحة أو مدعّمة مثل مفهوم الحرّية والعدالة والنّجاعة، وكذا ما يتّصل بخصوصيّة هذه الدّراسة مثل مفاهيم النّصّ الشّرعيّ أو السنّة أو الفقه أو الكلام، وكلّ هذه المفاهيم كانت خادمة لبحثنا في أسسه وافتراضاته ونتائجه.

المقدّمة:

عادة ما يتمّ النّظر للإنسان من جهة كونه هذا الموجود الّذي لا يكتفي بمجرّد الإندراج أو الحضور في هذا العالم مثل ما هو الشّأن لأشياء الطّبيعة أو للحيوانات، إنّ مختلف البحوث المعنيّة بالشّأن الإنسانيّ تلتقي حول ثابتة رئيسيّة هي أنّ هذا الكائن هو من يصنع حياته، ويحاول أن يتجاوز كلّ ما تقدّمه الطّبيعة في شكله الخامّ، ويحرص على إعادة إنتاجه ارتباطا بما يرغب فيه وما يسعى إليه في سياق حرصه المستمرّ على المحافظة على البقاء [1].

إنّ هذا التّحديد للإنسان بوصفه موجودا منتجا وعاملا هو ما يدفع باتّجاه النّظر في الدّوافع الّتي حدته لذلك، والنّتائج الّتي تترتّب على مساعيه المختلفة في سياق علاقته بالعالم وبغيره من بني جنسه، وهو ما يشكّل المدار الرّئيسيّ للبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي باتت تفكّر بشكل واسع في مسألة "التّنمية" وارتباطها بكفاءات الإنسان من ناحية وغاياته المختلفة من ناحية أخرى، الأمر الّذي يولّد مجموعة كبيرة من الإشكاليّات النّظريّة والعمليّة المتّصلة في جوهرها بقضايا إنتاج الثّروة وتقسيمها وارتباطاتها المباشرة بالواقع الاجتماعيّ للنّاس وواجباتهم والقيم الّتي يطمحون إلى تأسيسها[2].

واليوم تزداد مسألة "التّنمية" حضورا في ظلّ خيبات وتراجعات يكشف عنها وضع النّاس الآن، حيث تواجه البشريّة راهنا مفارقة كبيرة من ناحية يتعاظم الإنتاج وتتحقّق الوفرة، ومن ناحية أخرى تتوسّع أشكال الاستغلال وتتفاقم مظاهر البؤس وتزداد آليات الهيمنة على الشّعوب، ممّا يقود الفكر الإنسانيّ إلى التّظنّن على مقالات "التّنمية" الشّاملة والعادلة وعلى شعارات التّضامن الإنسانيّ وحقوق البشر في الاستفادة من خيرات الأرض الّتي تهيّأت للنّاس جميعا على قدر التّساوي في الانتماء للأسرة الإنسانيّة. إنّ هذه المفارقة هي الّتي تدعونا اليوم إلى إعادة النّظر في "طبيعة التّنمية" وأسسها، وتدفعنا إلى التّأكيد على ضرورة مراجعة

1ـ أُنظر هنا خاصّة التّعريف الّذي يقترحه "باروخ سبينوزا" للإنسان ككائن راغب وساع بكلّ جهوده للمحافظة على بقائه والاستمرار في الحياة، يمكن العودة هنا إلى **كتاب "الأخلاق" لـ"سبينوزا"، ترجمة جلال الدّين سعيد، دار الجنوب للنّشر، تونس، ص233-234.**

2ـ بدأ استشكال مسألة التّنمية وكيفيّة إنتاج الثّروة وعلاقتها بالمصلحة الفرديّة والجماعيّة مع عالم الاقتصاد الإنجليزيّ "آدم سميث" " Adam Smith" الّتي بلورها ضمن كتابه: "بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم"، حيث أكّد على أهمّية الدّافع الفرديّ للإنتاج مؤسّسا لتصوّر اقتصاديّ يعطي الأولويّة للمصلحة الفرديّة على حساب المصلحة الجماعيّة.

أُنظر هنا كتابه: "ثروة الأمم1: بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم، ترجمة حسني زينه، معهد الدّراسات الاستراتيجيّة، بغداد، أربيل، بيروت،2007م، ط.1. (كامل هذا الكتاب (الباب الأوّل) الّذي يمثّل الجزء الأوّل من الكتاب ككلّ وتحديدا الفصلين الرّابع والخامس من الصّفحة 35 إلى الصّفحة 70).

النّظريات المختلفة حولها سواء ضمن سياقاتها اللّيبراليّة أو فضاءاتها الاشتراكيّة أو أطروحاتها الجديدة، الّتي يطلق عليها اليوم تجوّزا "الطّريق الثّالث"[1].

إنّها مجموعة من التّصوّرات الّتي تحاول في الآن نفسه تحديد ضوابط "التّنمية" ونتائجها الاجتماعيّة، وهي النّظريّات السّائدة اليوم الّتي يتلقفها النّاس هنا وهناك ويمعنون في نقدها والدّعوة لمراجعتها وحتى استبدالها بتصوّرات جديدة، وضمن هذا الجدل الواسع وفي خضم هذا السّياق المتميّز بالاختلاف والتّناقض نرى من الضّروريّ طرح الرّؤية الإسلاميّة للتّنمية والعمل والإنتاج للتّفاعل والحوار، قناعة منّا بأنّ الإسلام دينا ومعتقدا وفكرا يمثّل إحدى وجهات النّظر الجديرة بأن يتمّ النّظر إليها وفهمها ووضعها موضع التّداول، خاصّة لكلّ من آمن بأنّ للمسلمين حضورا ومساهمة فاعلة في بناء الثّقافة الإنسانيّة وإنتاج الكونيّ الّذي نريده، أي هذه الوحدة الّتي لا تُبنى من خلال النّموذج الواحد ولا من خلال القناعة بأنّ الثّقافة الغربيّة هي وحدها الّتي تجيب عن كلّ أسئلة الإنسان وتساهم في حلّ جميع مشكلاته[2].

إنّ اعتقادنا بأنّ في الإسلام ما هو مفيد للبشر لا يعود إلى دواعي ذاتيّة أو نفسيّة ولا يبرّر بعقد التّعالي والاصطفاء، وإنّما يرتبط بفهم هادئ ومعتدل ومتوازن للرّؤية الإسلاميّة وخاصّة فيما يتعلّق بمشكلات "التّنمية" ومقاصدها الإنسانيّة وارتباطها الوثيق بالقيم والمبادئ.

سوف نجيب من خلال هذا البحث عن سؤال "التّنمية" في دلالتها وأسسها ومقاصدها من خلال التّوسّع في تأويل النّصوص الشّرعيّة، ومحاورة المنظومة الفقهيّة المتّصلة خاصّة بمجال المعاملات، وباستنطاق جزء من التّراث الكلاميّ ذي العلاقة بقضايا الفعل والحرّية والعدالة، وسوف نكشف عن أنّ "التّنمية" من منظور

1ـ نقصد بـ"الطّريق الثّالث" مجموع التّصورات الّتي تكشف عن محدوديّة التّصوّر اللّيبراليّ وسلبيّة التّصوّر الاشتراكيّ، فـ"الطّريق الثّالث" هو رؤية جديدة تجمع بين قيم النّجاعة المؤدّية إلى "التّنمية" وقيم العدالة والإنصاف الّتي يجب أن تكون نتيجة لكلّ فعل تنمويّ أُنظر هنا خاصّة:

- Rawls John : Théorie de la justice, édition Seuil, Paris, 1983, pp 90-91.

وأُنظر كذلك:

- Will Eric : Philosophie Politique, édition Vrin, Paris, 1956, pp 180-185.

2ـ الإدّعاء بأنّ الثّقافة الغربيّة ثقافة كونيّة هو ادّعاء قديم قد يعود إلى الاغريق أنفسهم ولكنّه يعاود الظّهور اليوم بأشكال أكثر صراحة وإمعانا في احتقار تجارب الشّعوب الأخرى، وهو ما يتجلّى خاصّة في ذلك النّصّ الشّهير لـ: "فرانسيس فوكوياما" الّذي صدر في تسعينات القرن الماضي، والّذي تضمّن دعوة للاحتذاء بالنّموذج الغربيّ الأمريكيّ لأنّه يجسّد أرقى النّماذج الثّقافيّة ويعكس نهاية التاريخ. راجع هنا: **فوكوياما فرانسيس: نهاية التّاريخ والإنسان الأخير ترجمة رضا الشّايبي، دار الإنماء القوميّ، باريس، بيروت، 1991م، (المقدّمة والفصل الأوّل كلّه من الصّفحة 23 إلى الصّفحة 80).**

إسلاميّ هي في الأصل تحلية للعالم من خلال إصلاحه والإضافة إليه وتجنّب الفساد والإفساد فيه، وتحلية للوعي بقيم المجاهدة والفعل والإبداع، إذ ليست "التّنمية" في تقديرنا إلّا حاصل الرّغبة الإنسانيّة في التّطوير والتّقدّم، فهي ليست إلّا نتيجة للعمل والإقبال عليه بروح الإبداع والتّجديد الّتي من خلالها يحقّق الإنسان سعادته بصلاح شأنه الدّنيويّ وفلاح مآله الأخرويّ.

1) في دلالة التّنمية بما هي حاصل العمل والمجهود

تستعمل كلمة "التّنمية" في سياق العلوم الاقتصاديّة والاجتماعيّة للدّلالة على جميع أفعال الإنسان وأعماله المؤدّية إلى تطوير واقعه وتحسين وضعه في العالم، فهي تدلّ على ما ينتجه الإنسان أو يطوّره أو يضيفه في هذا العالم، وقد تكون "التّنمية" بهذا المعنى نتاجا لأنشطة الكائن البشريّ في الكون المتّصلة ببذل الجهود المنظّمة والمنسّقة الّتي تفضي إلى نتائج ملموسة تتحقّق من خلالها فائدة الإنسان.

وقد نعني بـ"التّنمية" أيضا كلّ أشكال التّطوير للعقل والفكر، حيث تتّصل هنا بإنتاج القيم وتحسين الثّقافة وتجويد الحياة النّفسيّة للكائن البشريّ، وهذا يعني أنّ "التّنمية" لا تحصر فقط في السّياق الاقتصاديّ والإنتاجيّ، وإنّما تمتد لتشمل أيضا المجالات الفكريّة والذّهنيّة والواعية، وعليه فإنّ معناها الشّائع اليوم يتجاوز دلالة لفظة "النّموّ" الّتي تنحصر في إحراز نتائج كمّية محسوبة ترتبط أساسا بخلق القيم الاستهلاكيّة الّتي تستعمل في سياق حاجات الإنسان اليوميّة والمباشرة[1].

وعادة ما يتمّ استخدام مفهوم "النّموّ" ضمن السّياقات الاقتصاديّة البحتة الّتي تركّز على الزّيادة الكمّية في مستويات العيش والدّخل والإنتاج والرّفاهيّة، في حين يستعمل مصطلح "التّنمية" ضمن السّياقات الشّاملة الّتي تأخذ بعين الاعتبار المقاصد الاجتماعيّة والاقتصاديّة والبيئيّة والفكريّة، وهذا يعني أن لمفهوم "التّنمية" دلالات أكثر اتّساعا من مفاهيم "النّموّ" الّتي تبقى ذات ارتباط مستمر بقضايا المادّة والإنتاج، فـ"النّموّ" هو كلّ عمليّات تحويل الأشياء المرتبطة بحاجات محدّدة وبزمن معلوم، بينما تحيل "التّنمية" دائما إلى هذا التّطوير الهيكليّ والوظيفيّ الّذي يستهدف تغيير وتحسين قدرات الإنسان على المدى المستمرّ والدّائم، إنّ "النمو" بما هو عمليّة كمّية يمكن إخضاعه للتّدقيق والقياس في حين يعسر جدّا تحديد "التّنمية" وحصرها، وهذا يعني أيضا أنّ النّموّ يمثّل دائما طرفا من الفعل التّنمويّ وليس كلّه.

وإذا عدنا إلى النّصوص الشّرعيّة الإسلاميّة سواء في القرآن أو السنّة أو إلى كلّ تلك البحوث المتّصلة بفقه المعاملات أو علم الكلام، لوجدنا أنّ هناك تأكيدا على أنّ دلالة التّنمية تأخذ دائما صبغة كلّية ترتبط بكلّ أبعاد الوجود الإنسانيّ سواء تلك المتّصلة بما هو آنيّ وحاجيّ ومادّيّ أو المرتبطة بما هو قيميّ وأخلاقيّ وإتيقيّ، إنّ الإسلام في مختلف نصوصه التّأسيسيّة أو التّكميليّة (الشّارحة) يعتبر "التّنمية" نتاج ذلك الجهد

1. أنظر هنا:

85.-Jean-Baptiste Say: traité d'économie politique, édition Horace, Paris, sans, pp 84

والعمل المرتبط بغاية تحقيق حاجات المجتمع سواء في المجال الحيويّ المباشر أو في المجال النّفسيّ والفكريّ الّذي يجب أن يتحقّق في سلوك الأفراد وينعكس على الحياة الجماعيّة والمشتركة.

فالشّريعة الإسلاميّة لا تحثّ الإنسان على الانتفاع بما يوجد في الطّبيعة فقط، وإنّما تدفعه أيضا إلى تحسين ملكاته وتطوير قدراته وتجويد وسائله حتّى يكون قادرا على الاضطلاع بشكل إيجابيّ بمهمة الإستخلاف في الأرض، والّتي عمادها بناء الكون وتحسينه والمحافظة على جماله وتوازنه ودقّة نظامه قال تعالى:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [1]، ومن هذا المنطلق تتطابق الرّؤية الإسلاميّة للتّنمية مع التّصوّرات المعاصرة عند التّأكيد على خاصيّة الكلّية(الشّموليّة).

حيث لا نجد في الإسلام اختصارا للتّنمية في تحقيق النّتائج الماديّة بقدر ما نجد أيضا تأكيدا على أنّها هذا الفعل المؤدّي إلى تطوير الأبعاد الرّوحيّة والأخلاقيّة والفكريّة، إذ تمثّل التّنمية في الرّؤية الإسلاميّة مجموعة الأفعال المنسّقة الّتي تستهدف في الآن نفسه الأبعاد الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة من أجل بناء مجتمع متوازن يدرك أهمّية التّلازم بين القيم الماديّة والقيم المعنويّة [2].

وعلى الرّغم من تأكيد الإسلام نصّا وفكرا على الأبعاد الواقعيّة والشّموليّة للتّنمية، فإنّه قد قرّر أيضا أنّ الأمر يتعلّق أساسا بأنّ العمل والجهد والسّعي هو المحدّد الأساسيّ لكلّ فعل تنمويّ سواء تعلّق بإنتاج القيم الماديّة أو القيم الإنسانيّة والإيتيقيّة، إذ لا يحقّق الإنسان إلّا ما يثابر من أجله ولا يحصّل أيّ نوع من التّقدّم إلّا بمقدار ما يبذل من الجهد أو ما يستفرغ من الطّاقة، ذلك أنّ المنظور الإسلاميّ للتّنمية هو منظور يريد تحرير الإنسان من الكسل والتّواكل وانتظار الحلول.

وهو أمر يتّضح بجلاء عند العودة إلى النّصّ القرآنيّ ذاته حيث تتكرّر فيه الدّعوة إلى الحركة والفعل والنّشاط والعمل، أو يظهر بوضوح في السنّة النّبويّة القوليّة والفعليّة وما فيها من حثّ على ضرورة المبادرة والفعل وترك مظاهر الوهن والاستسلام والضّعف، أو ما تَرْشَحُ به نصوص الفقهاء الّذين يعتبرون العمل

1ـ هود/61.

2ـ مثل هذا التّأكيد على البعد الشّامل للتّنمية نجده في ثنايا النّظريات الفلسفيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة للفكر الغربيّ الحديث والمعاصر، الّذي ينظر للتّنمية من جهة بعدها الشّامل وارتباطها بمختلف حاجات الإنسان مثل ما هو واضح عند الفيلسوف الألمانيّ **"هيجل"** أو المفكّر الفرنسيّ **"جورج باتاي"**(ت1962م) أُنظر هنا:

- **Hegel: Principes de la Philosophie du droit, Gallimard, Paris, 1940, Paragraphes: 197-198.**
- **Georges Bataille: L'érotisme, éditions minuit, 1957, collection 18, pp 45, 46, 47.**

عبادة لا تقلّ قيمة عن أداء الأوامر الشّرعيّة، أو مثل ما يبدو واضحا في جدال المتكلّمين حول القدر والحرّية الإنسانيّة، حيث يتمّ التّأكيد على أنّ الإنسان هو من يخلق أفعاله ويتحمّل وحده مسؤوليّته في هذا العالم[1].

انطلاقا من هذه العلاقة الوطيدة بين "التّنمية" كنتيجة أو حاصل و بين العمل كدافع أو أساس، يصبح من الواضح أنّ المنظور الإسلاميّ للتّنمية يدعو إلى تحمّل جميع الأفراد أو قيامهم بواجبهم في عمليّة الإنتاج وخلق المنافع، حيث يطلب من الجميع أن يبذلوا الجهد الضّروريّ لتحقيق ما يسمّيه علماء الاقتصاد بـ"الكفايات المجتمعيّة"، والّتي تقسّم عادة إلى ما يعود إلى الحاجات الفرديّة الّتي تحقّق لبني آدم بقاءهم وجدارتهم بالاحترام، وأيضا حاجاتهم الكلّية والعامّة الّتي تساعد على بناء فضاء مدنيّ تتحقّق من خلاله الخدمات العامّة والمطالب المشتركة.

ولا يمكن لهذه الحاجات بنوعيها أن تتحقّق ما لم يندفع الأفراد إلى العمل وما لم يدركوا أهمّية الفعل وبذل المجهود، مع التّأكيد دائما على ضرورة أن يسير العمل ضمن سياقاته الإنسانيّة الّتي تجنّب الأفراد كلّ معاني الأنانيّة والتّواكل وتحقيق الثّروة بطرق غير شرعيّة، وكذلك الاعتراف بحقوق العاملين وتثمين جهودهم وحثّهم على العطاء والتّأكيد على تجنّب كلّ أشكال المبالغة في الاستهلاك دون ضوابط، ممّا يؤدّي إلى الإضرار بحقوق الأجيال القادمة في الاستفادة من جهود العاملين، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [2].

وعلى هذا الأساس تصبح "التّنمية" من منظور إسلاميّ نتاجا حقيقيّا لأفعال الإنسان وانتظام هذه الأفعال وخلوّها من جميع المعاني السّلبيّة، وارتباطها أساسا بذلك المنظور التّشريعيّ الّذي يعتبر أنّ تحقيق الحاجات الماديّة والأساسيّة، وتنمية الكفاءات الذّهنيّة والعقليّة المؤدّية لحسن معاشه هي الكفيلة بسلامة اعتقاده ودينه مثلما يشير إلى ذلك الغزاليّ (450هـ-505هـ) في قوله : "إنّ نظام الدّين لا يحصل إلّا بنظام

1ـ تكرّرت مادّة "عمل" في القرآن الكريم أكثر من 300 مرّة، وجاءت في أغلبها دالّة على معاني الفعل والمثابرة والسّعي، أُنظر **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمّد فؤاد عبد الباقي مادّة عمل، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1945م، ط.1، ص482-ص488**، واحتوت الأحاديث النّبويّة على أكثر من مناسبة فيها يتمّ التّأكيد على إيجابيّة العمل وقيمته مثل قوله صلّى الله عليه وسلّم لمن سأله عن موعد قيام السّاعة: "ماذا أعددت لها"(المقصود هنا حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوارد في صحيح البخاريّ: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أعْدَدْتَ لَهَا قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا مِن كَثِيرِ صَلَاةٍ ولَا صَوْمٍ ولَا صَدَقَةٍ، ولَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ. أُنظر **البخاريّ محمّد بن إسماعيل: الجامع الصّحيح، باب علامة الحبّ في الله، الحديث 6171، دار ابن كثير دمشق، بيروت، 2002م، ط.1، ص1541.)**، وركّز "المعتزلة" خصوصا على أنّ الإنسان مسؤول عن أعماله ومدعوّ إلى الفعل في هذا العالم إذا ما أراد بالفعل التّعبير في آن عن حرّيته وعن عدالة الله، (أُنظر خاصّة كتاب: **شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذانيّ، دار إحياء التّراث العربيّ،2016م.**)، واعتبر الفقهاء أنّ أصل الثّروة وعمادها هو العمل بمستوياته المختلفة وبعقوده المتنوّعة.

2ـ الأعراف/31.

الدّنيا، فنظام الدّين بالمعرفة والعبادة لا يُتَوَصّلُ إليهما إلّا بمعرفة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن، فلا ينتظم الدّين إلّا بتحقيق الأمن على هذه المهمّات الضّروريّة"[1].

وعليه يتمّ التّأكيد في الإسلام على أنّ "التّنمية" في مختلف أبعادها مرتبطة أساسا بالعمل، وهو ما يتجلّى في دعوة كلّ الأشخاص إلى الوعي بأنّ لهم واجبا يتمثّل في المشاركة الفعليّة في إنتاج مختلف الحاجات وتطويرها، وتحقيق الرّغبات المختلفة انطلاقا من اضطلاع كلّ فرد في المجتمع بدوره على أفضل الوجوه إذ "كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته"[2] كما جاء في الحديث النّبويّ المشهور، ثمّ إنّ العمل في الإسلام ليس واجبا مدنيّا واجتماعيّا فحسب بل هو أيضا واجب دينيّ ومقدّس يفضي إلى رضا الخالق عن عبده، حيث جاء في الحديث أنّه "من أمسى كالا من عمل يده بات مغفورا له"[3].

وعلى صعيد آخر لا يمكن للتّنمية أنّ تدوم وتستمرّ ما لم يحرص النّاس على تطوير طاقاتهم الإنتاجيّة وتحسين ظروف العمل انطلاقا أوّلا من التّحلّي بقيم الإتقان والمهارة وثانيا من خلال الابتعاد عن ظلم واستغلال الكادحين، ذلك أنّ شعورهم بالغبن قد يولّد لديهم الإحساس بالنّقمة ويضاعف داخلهم روح الكسل والتّواكل.

وعلى هذا حفلت النّصوص الفقهيّة بالتّأكيد على ضرورة التّعاقد بين من يَعْمَلُ ومن يُعمَلُ له سواء كان الأمر مرتبطا بالدّولة أو الأفراد، ولنا في المؤلّفات المتعلّقة بمسائل الخراج والزّكاة ومصارفها وإحياء الأرض الموات أكبر دليل على ذلك[4]، ولنا أيضا في ذلك الجدل الكلاميّ الواسع ما يؤكّد على أنّ "التّنمية" في دلالتها الإسلاميّة ليست مطلقا مجرّد تحقيق لما هو ضروريّ تطلبه الحياة، ولا تطويرا للقدرات العقليّة والذّهنيّة

1. الغزاليّ أبو حامد: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق عادل العوّا، دار الأمانة، بيروت، 1969م، ط.1، ص214.

2. البخاريّ محمّد بن إسماعيل: الجامع الصّحيح، باب كراهيّة التّطاول على الرّقيق وقوله عبدي أو أمتي، الحديث 2554، ص618.

3. المعجم الأوسط للطّبرانيّ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمين للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1995م، 289/7.

4. خلّف الفقهاء الأوائل إرثا واسعا في مثل هكذا مسائل، حيث قنّنوا العلاقات بين الفاعلين والمنتفعين والعاملين وأرسوا مبادئ كلّية لتنظيم عمليّات الإنتاج وتوزيع الثّروة وإخراج الزّكاة ورعاية المسنّين من أهل الذمّة. يمكن العودة هنا مثلا إلى أبي الفرج عبد الرّحمان بن أحمد بن رجب الحنبليّ وكتابه الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1985م، ط.1.

للإنسان فحسب، بقدر ما هي ممارسة تتأسّس على كلّ أشكال المقاومة والفعل والإنتاج المستمرّ الّذي يسهم في بناء الهويّة الإنسانيّة الّتي ترفض الخضوع وتمتنع عن الاستسلام واليأس.

إذ لدى المتكلّمين رؤية مخصوصة لمسألة الإستخلاف قوامها أنّ الإنسان لا ينوب عن الله في هذه الأرض إلّا انطلاقا من عمله المستمرّ ومثابرته الدّائمة، الّتي تؤكّد إرادة الله سبحانه في أن يجعل الإنسان وسط هذا العالم وداخل هذا الكون، يطوّره باستمرار ويستخرج منه كلّ ما يحتاجه ويطوّع المادّة فيه حسب اختياره وإرادته.

وهذا يعني أنّ "التّنمية" من منظور إسلاميّ هي حصيلة العمل المنظّم والجهد المستمرّ الّذي ينتصر على المثبّطات الذّاتيّة والموضوعيّة، الّتي قد تعيق الإنسان في تحقيق تنمية شاملة وعادلة ودائمة وإنسانيّة، من خلالها يتحقّق الفعل الإنسانيّ وينسجم مع الغايات الإلهيّة ويتّجه حثيثا نحو كلّ أشكال الرّفاهيّة والتّطوّر من دون إغفال للقيم والمبادئ، وهذا ما يجعل المنظور الإسلاميّ للتّنمية يختلف عن التّصوّرات اللّيبراليّة الّتي تعطي الأولويّة للفرد على المجموعة وتدعم فكرة تمرّد الفرديّة العينيّة، كما تختلف أيضا عن المنظور الاشتراكيّ الّذي يعطي الأهمّية للكلّ على حساب الفرد، فلا يثمّن الدّور الشّخصيّ ولا يستجيب لفطرة الإنسان الأولى[1].

وهكذا نتبيّن أنّ الإسلام لا ينظر للتّنمية إلّا بما هي حصيلة الفعل والمجهود، ولا يرى فيها إلّا فعلا إنسانيّا صرفا يرتبط برغبة الكائن البشريّ في البقاء والعمل على إنتاج عالم أفضل وأحسن، بناء على توجيه إلهيّ يجعل من الوجود الإنسانيّ حالة من التّواصل مع الكون وحركة دائبة من أجل الكرامة والحرّية، وحرصا على أن يكون المجهود البشري قصديّا لا عبثيّا، مصداقا لقوله تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[2].

وعليه يكون هدف "التّنمية" من منظور إسلاميّ التّأسيس للصّورة المشرقة للإنسان، الّذي يعمل من أجل أن تكون لحياته القيمة والدّلالة والمعنى وأن يكون جديرا بخلافة خالقه في الأرض، ومعبّرا عن قدرته على إنجاز هذه المَهَمَّةِ الّتي لم تسند لا للجنّ ولا للملائكة الّذين تساءلوا عن ذلك أو رفضوا هذا الأمر [3]، فصل

1ـ قارن هنا ما أوردناه مع ما يقرّره إبراهيم العسل في كتابه: التّنمية في الإسلام: مفاهيم مناهج وتطبيقات، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشروالتّوزيع، بيروت، لبنان، 1996م. ط.1، ص70.

2ـ القيامة/36.

3ـ لأنّ الإنسان هو المسؤول عن تنمية العالم واستغلال ما فيه يذكر القرآن الكريم بأنّ الملائكة قد تعجّبوا من مهمّة استخلافه على الأرض، وأنّ إبليس قد كابر معتبرا نفسه أفضل من بني آدم، والقرآن يحسم المسألة بإجابتين مختلفتين لكلّ واحدة منهما دلالة وقيمة، أمّا **الأولى** فهي الإقرار بأنّ الإنسان سيُسند بالتّوجيه الرّبانيّ ليكون قادرا على تحقيق "التّنمية" للطّبيعة الدّاخليّة والخارجيّة، وأمّا **الثّانية** فتشير إلى أنّ التّكبّر والاعتزاز بالذّات لا يمكن أن يكون أساسا لإفادة الآخرين وإنجاز "التّنمية".

فالإنسان هو من أنيطت بعهدته عمارة العالم وإكساء الحياة بالدّلالة والمعنى وتحقيق الخير لنفسه وللآخرين.

التّنمية في الإسلام إبداع وحرّية أو لا تكون

سبق وأن بيّنا أنّ الإسلام لا يقصر فعل الإنسان على إتيان المطلوب منه شرعيّا، بل أكّد أيضا على أنّ البشر قد خلقوا ليكونوا خلفاء الله في الأرض يعمرونها ويستفيدون ممّا فيها من خيرات، ويطوّرون ما هو موجود فيستخرجون منه ما يفيدهم لإشباع الحاجات المتنوّعة الّتي يقتضيها وجودهم، ولا شكّ في أنّ دعوة الإسلام إلى الفعل الإنسانيّ تأخذ بعين الاعتبار أن يكون هذا الفعل مؤسّسا للتّنمية، ومحقّقا للثّروة ومتّجها نحو تحقيق أوسع درجات الأمن والسّعادة، ولكنّه في الآن نفسه وجب أن يكرّس كلّ معاني الحرّية والإبداع، فالإسلام يتّجه نحو تنمية الوعي البشريّ وتطوير إمكانيّات الإنسان قبل أن ينطلق فعلا في أيّ عمليّة إنتاجيّة أو مواجهة مباشرة للطّبيعة، إذ الإنسان من منظور إسلاميّ هو غاية كلّ فعل تنمويّ، وحرّيته وإبداعه هما الشّرطان الضّروريّان لكلّ عمليّة تطوير وتقدّم ماديّ وقيميّ.

وعلى هذا الأساس لن يكون للتّنمية أيّ معنى إذا لم تأخذ في حسابها الإنسان من جهة كونه الفاعل والهدف في الآن نفسه، ولن يكون للتّنمية من قيمة إذا لم تتقدّم نحو ضمان حرّية هذا الكائن وفتح المجال أمامه للإضافة والتّجديد، وهذا ما نعنيه بقولنا أنّ "التّنمية" في الإسلام ليست سوى هذا الفعل الرّاشد وهذا التّوجّه الّذي يُبنى على ركيزتي الحرّية والإبداع[1].

علينا في هذا السّياق أن نركّز على المعاني المختلفة الّتي نريد إظهارها لمفهوم الحرّية كما هو بَيِّنٌ في القرآن الكريم وفي السنّة النّبويّة، ومن خلال مجهودات مفكّري الإسلام انطلاقا من مجالات العلوم الشّرعيّة المتعدّدة، فبالعودة لنصوص القرآن نجد أنّ التّحرّر هو أوّلا وبالأساس تجاوز للجوع والخوف قال

---

1. قد نلتقي هنا مع ما يقرّره "أمارتيا سان" في كتابه: "التّنمية حرّية"، حيث يلاحظ أنّه لا قيمة لتطوّر أو نجاعة اقتصاديّة من دون التّأسيس للحرّية كقاعدة محفّزة للفعل والإنتاج، وهو ما نراه متقاربا مع المنظور الإسلاميّ الّذي يعتبر أنّ حضور الإنسان في العالم هو قبل كلّ شيء حضور قيادة ومبادرة وتحرّر مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾(القصص/5) ، وهذا يعني أنّ كلّ تنمية لابدّ أن تمرّ أوّلا عبر تحرير طاقات الانسان وتخليصه من كلّ قيد يكبّل طاقاته الإنتاجيّة والإبداعيّة. يمكن العودة هنا لـ: **سان أمارتيا: التّنمية حرّية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 303، الكويت، ماي 2004م، ترجمة شوقي جلال، الصّفحات: 15 و49، و179، و329.** يمكن العودة أيضا إلى النّسخة الأصليّة باللّغة الإنجليزيّة:

- **Development As freedom by Amartiya Sen, Oxford University Press, New Delhi, 2000.**

تعالى:﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[1]، إذ عندما تحاصر المسغبة وكلّ أشكال الخوف الإنسان، فسوف تتعطّل قدراته عن الإنتاج أوّلا وعن الإبداع ثانيا، وعندها لن يتحقّق النّماء بمختلف أوجهه ولن يكون في مقدور المجتمع الإنسانيّ أن ينجز حركة التّغيير والتّقدّم الّذي يريد.

وعلى هذا الأساس ركّز فقهاء الإسلام على شرح مقاصد الزّكاة مبرزين أنّ الهدف الأرقى لها هو تحرير الإنسان من الفقر والحاجة، وهو مطلب أساسيّ من دونه لن تتمكّن المجموعات البشريّة من تأسيس قوى عاملة ومنتجة، وقادرة على تفعيل واستثمار ما خلقه الله تعالى من خيرات وأودعها في الطّبيعة والكون، فمن دون تجاوز عقبة الفقر ومن دون تقليص الفوارق المجحفة في الدّخل سوف يشعر الفقراء بأنّهم على هامش التّنمية، ويتحوّلون من هذا المنطلق إلى مقاومين للعمل والفعل ومعطّلين لحركة الإنتاج [2].

وعلى صعيد آخر توسّع المفسّرون للقرآن الكريم في شرح دلالة التّقوى أو البرّ معتبرين أنّ الله سبحانه وتعالى ربطهما بتجاوز أشكال الفقر والمساعدة على تقليصه، فالعطاء والصّدقات وإخراج الزّكاة كلّها أساليب لمعالجة مشكل الفقر، الّذي يمثّل في كلّ الأحوال مانعا حقيقيّا أمام كلّ منوال تنمويّ يريد أن يرتقي بالحياة الإنسانيّة ويطوّرها [3]، وعندما ننظر في جدل المتكلّمين ومقالاتهم نشهد خصومة حامية بين أهل الجبر وأنصار الحرّية من المعتزلة، وهو جدل يجعلنا نتبيّن أهمّية السّعي والفعل والجرأة في سياق تحقيق "التّنمية"، إذ على الإنسان أن يدرك أنّه معنيّ ببناء حياته وتنظيمها، وأنّه لا محالة مسؤول يوم القيامة عن كلّ ما فعل وما أحدث من خير ومنفعة أو ارتكب من شرّ ومفسدة.

وهكذا نتبيّن أنّ فهم مسألة "التّنمية" من منظور إسلاميّ يقتضي إدراك تلك العلاقة الحميمة والضّروريّة بين الفعل التّنمويّ بمختلف أشكاله وبين الحرّية بمختلف درجاتها، حيث تعطى الأولويّة الكاملة لمطلب

1ـ قريش/3-4.

2ـ إنّ مقاومة ظاهرة الفقر وتمكين الإنسان من الحدّ الضّروريّ للكرامة وشروط العيش هو ما يحوّله إلى مساهم حقيقيّ في "التّنمية"، ويمنع انخراطه في تيّارات التّهديم والتّعطيل ومنع التّطوّر من خلال تزايد نقمته على النّظام غير العادل، وانخراطه في كلّ أشكال المقاومة الفاعلة(بمعنى مقاومة واعية ينخرط فيها المهمّشون وتكون فيها قيادة) والسّلبيّة(بمعنى أفعال لا واعية تعبّر عن سخط المهمّشين وغضبهم وتكون في اتّجاهات مختلفة وغير منظّمة)، ومثل هذا الموقف نجده لدى عدد من المفكّرين المعاصرين أمثال **هيربرت ماركوز وخاصّة في كتابه: "العقل والثّورة: هيجل ونشأة النّظريّة الاجتماعيّة، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، 1970م، البابين الثّاني والثّالث تحديدا ص248-392".**

3 ـ يمكننا الإحالة هنا إلى بعض كتب التّفسير خاصّة فيما يتعلّق بتفسير وشرح الآية 177 من سوره البقرة والآية 271 منها والآية 60 من سوره التّوبة والآية 38 من سورة الرّوم. أُنظر على سبيل المثال هنا: **القرطبيّ أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ: الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الفكر للطّباعة والنّشر بيروت، 2019، ط.1، 184/1 وما بعدها، و252/2 وما بعدها، و ابن عاشور محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير لابن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، 1984، ط.1، 131/2 وما بعدها، و68/3.**

التّحرّر من جهة ما هو الخير الأسمى والمقصد الأعلى للمشاريع التّنمويّة، إذ عندما نتمكّن من تجاوز عقبة الجوع والخوف والفقر نؤسّس عندها لفعاليّة الإنسان وإيجابيّة سعيه وجودة إنتاجه، فالحرّية هي الأرض الصّلبة الّتي من خلالها تتحقّق المردوديّة وتتوسّع مبادرات الأفراد ويُبنى المنوال التّنمويّ المؤدّي لتحقيق الحاجات الحيويّة(الضّرورية: كالمأكل والملبس...) والإنسانيّة (الحرّية / الكرامة / السّيادة / الدّيمقراطيّة ...)، والمؤسّس لقيم العدالة والمساواة والضّامن للسّلم الاجتماعيّة من خلال البعد عن الاحتجاجات وأشكال الاضطراب والتّوتّر.

وهذا يعني أنّه لا تنمية إلّا بتحرير طاقات الإنسان وفتح المجال واسعا أمامه ليشارك في ذلك الأفق الإنسانيّ المرتبط بتكريم هذا الكائن ورفع درجته في هذا العالم، وعليه تقتضي "التّنمية" من منظور إسلاميّ التّغلّب على كلّ ما يضيّق على الحرّيات مثل الجهل والجوع والفقر، والتّقدّم نحو خلق فضاء أو مناخ يساعد الإنسان على إبراز طاقاته وتجسيد قدراته، وتجسيم حقّ كلّ فرد في المساهمة الفاعلة في الحياة الاجتماعيّة والمشاركة في إعمار الكون ومنع إفساده.

2) التّنمية ومطلب العدل والإنصاف في الإسلام

ليس في مقدور أحد أن يُنكر ما قامت عليه الشّريعة الإسلاميّة من دعوة واضحة إلى تكريس قيم العدل والمساواة والإنصاف بين النّاس في سلوكهم وعلاقاتهم وظروف عيشهم، وبين الإنسان وذاته عندما يتعلّق الأمر بحسن استثمار طاقاته وترشيد تعامله مع الزّمن والتّاريخ، إذ العدالة ليست قيمة مؤسّساتيّة ذات طابع تنظيميّ فحسب، بقدر ما هي أيضا قدرة على التّصرّف في الإمكانات الفرديّة واستغلالها على أحسن وجه على امتداد الحياة، وهذا يعني أنّ المشغل الأساسيّ هو أن يعيد الإنسان تمثّل حقيقة العدالة فيكتشف مداها العميق للارتباط بالحياة والنّاس والوجود الخاصّ، وهو ما يتجلّى في الأمر الإلهيّ الواضح:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1].

إنّ العدالة والإنصاف هي أهمّ غايات الحياة الإنسانيّة، ولهذا عدّها النّصّ القرآنيّ شرط إمكان الفعل الإيجابيّ وشرط صلاحيّة الوجود الخيّر والسّعيد وقوام كلّ فعل تنمويّ أساسه العمل الصّالح المرتبط أساسا بإدراك الفضيلة وترك الرّذيلة والاجتهاد في تجنّب كلّ ما يؤدّي إلى الظّلم بمعانيه المختلفة : ظلم الإنسان لنفسه حين يضيّع الزّمن فيما لا يفيد ويقضي العمر في اتّباع السيّئات، وظلمه للآخرين حين يعتدي عليهم أو يضرّ بمصالحهم أو ثرواتهم أو ممتلكاتهم، يقول تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[2].

إنّ هذه التّوجيهات القرآنيّة تؤكّد على ضرورة أن تتأسّس "التّنمية" بأبعادها الشّاملة على مبدأ العدل، الّذي يعني أوّلا وبالأساس إنجاز ما يعهد للإنسان من أدوار بكلّ إخلاص وإتقان وأمانة، فجميع الأشغال أو المهام الّتي تكوّن العمل لابدّ أن تقوم على أساس الاتّفاق والتّراضي والتّعاقد، ومن هذا المنطلق ذهب الكثير من المفسّرين[3] في شرح الآية 58 من سورة النّساء[4] إلى التأكيد على أنّ المعنى الرّئيسيّ للعدل هو أداء الأمانة على الوجه الأكمل، لأنّ ذلك هو أساس الفعل الإيجابيّ وقوام الوجهة الضّامنة لتنمية تعود على الجميع

---

1. النّحل/90.

2. المائدة/8.

3. راجع مثلا: تفسير التّحرير والتّنوير لمحمّد الطّاهر بن عاشور، 91/5 وما بعدها

4. المقصود قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾.

بالخير، استنادا إلى النّموذج الإرشاديّ الّذي يريده الله سبحانه لعباده، وانطلاقا من أنّ الإنسان هو وحده المسؤول عن أفعاله ولا يحتاج إلى أيّ نوع من المراقبة عدا وعيه بأنّ الله سبحانه يعلم جميع ما يفعل.

واعتبر الفقهاء أنّ عدم أداء الأمانة يترتّب عليه العقاب ويصبح بموجبه الإنسان مذنبا مهما كانت المبرّرات الّتي يتعلّل بها، وعلى هذا النّحو التقت غالب مخرجات العلوم الشّرعيّة في التّأكيد على أنّ اعتبار مبدأ العدالة والحرص على تجسيمه يعدّ مطلبا أساسيًّا من أجل تجسيد فعل تنمويّ أخلاقيّ وإنسانيّ، يأخذ بعين الاعتبار عدالة الإنسان مع نفسه وعدالته مع الآخرين، فـ"التّنمية" الّتي يريدها الإسلام هي عبارة عن مسار يحقّق كلّ أشكال التّطوّر في مختلف مجالات الحياة، ويؤسّس لواقع إيجابيّ يقوم على قواعد التّوافق والتّعاقد على مبادئ الحقّ والواجب، ذلك أنّ الفعل التّنمويّ أساسه العدل والابتعاد عن العبثيّة والخضوع للأهواء والنّزوات.

فالإنسان الّذي لا يراقب نفسه ولا يحسن تنظيم عمله ولا يتصرّف بعقلانيّة مع الزّمن والفرص المتوفّرة له لا يستطيع أن يكون فاعلا أو منتجا، حيث تطغى عليه مشاعر السّلبيّة والكسل ويُفَوِّتُ على نفسه الإمكانيات المتاحة للإنتاج والإبداع، والمجتمع الّذي لا يُوَازِنُ بين أفراده ولا يُساوي بين النّاس في فرص العمل والحقّ في امتلاك الثروة والمساهمة في خلقها، لا يمكن أن يُنتج مناخا دافعا على الفعل والعمل والتّطوير، ولذلك ذهب غالب المتكلّمين إلى اعتبار العدالة قيمة ماديّة وكذلك فكريّة، واعتبروا أنّ الخطاب القرآنيّ الدّاعي إلى تكريس العدل وتجسيده في الواقع المنبع الأساسيّ لكلّ تشريع يضمن حقّ الفعل وحريّة العمل، وبالتّالي المساهمة في البناء التّنمويّ المُقام على فتح المجال أمام الجميع للبذل والعطاء قال تعالى:﴿**لِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[1][2].

وفي ثنايا حديثهم عن المِلكيّة وشروط تحقيقها وحمايتها أشار الفقهاء في مختلف المذاهب إلى كونها حقّا للإنسان لا يوجد ما يمنعه في مختلف النّصوص الشّرعيّة، لكن هذا الحقّ لا يجب أن يُفهم على الإطلاق بل لابدّ أن يُدرك في سياق مجموعة من الشّروط الّتي تضمن المساواة بين النّاس وتمنع كلّ أشكال التّمرّد

1. الشّورى/15.

2. قارن ما قلناه هنا مع ما يورده عودة راشد الجيوسي في كتابه: الإسلام والتّنمية المستدامة: رؤى كونيّة جديدة تقديم الأمير الحسن بن طلال، سلسلة التّحوّل والابتكار، ترجمة جمانة وليد وآخرون، مؤسّسة فريدريش إيبرت، مكتب عمّان، الأردن، المملكة الأردنيّة الهاشميّة 2013م، ط.2، ص43-44.

الفرديّ، إذ لابدّ أن يُدرك الجميع أنّ للملكيّة مصادر معلومة ومضبوطة، وأنّه لا يحقّ لأحد تكديس الثّروة من دون أن يراعي الضّوابط الأخلاقيّة والدّينيّة، حتّى يكون التّملّك مبنيا على أساس العدل والبَلَاءِ (العمل) الحسن والاجتهاد، وأن لا يتعارض وحقّ الجميع في تحقيق حاجاتهم الضّامنة لكرامتهم.

إنّ المنظور الإسلاميّ للتّنمية رغم تأكيده على الفعاليّة والنّجاعة والعمل والملكيّة وتحقيق الحاجات الماديّة، فإنّه يضع في حسابه إعطاء القيمة للأخلاقيّ والإنسانيّ والعقلانيّ، وتوفير الرّفاه وسلاسة العيش للنّاس جميعا لأنّهم شركاء في سكنى الأرض وفي الانتفاع بخيراتها، الّتي لم تخلقها اليد البشريّة وإنّما استثمرتها واستخرجتها وأحسنت استعمالها.

وعلى هذا الأساس تصبح التّنمية من منظور إسلاميّ محاولة واتّجاها يعمل على تحقيق كلّ أشكال التّوازن بين الأهداف الجماعيّة والكلّية الّتي تهمّ الإنسان مطلق الإنسان، وبين مصالح الفرد ورغباته وأهدافه الخاصّة، إذ المطلوب هو أن ندرك أوّلا أنّ "التّنمية" هي قبل كلّ شيء استثمار كلّ الجهود الإنسانيّة من أجل الاستفادة بما في الطّبيعة لتحقيق خير الإنسانية كلّها، من دون أن يكون ذلك على حساب المشاريع الشّخصيّة والأهداف الخاصّة الّتي لا تتعارض وحرّية البشر وكرامتهم.

وهذا يعني أنّ المطلوب من أيّ منوال تنمويّ هو تحقيق أعلى درجات التّقدّم والتّحديث والتّطوير للواقع الإنسانيّ في دلالته الكلّية والفرديّة، والتّنمية وفق ما يراه الإسلام هي هذا المجهود الّذي من خلاله تتمكّن البشريّة جمعاء من إنتاج ما ينبغي لها أن يكون بالاعتماد على قدراتها الذّهنيّة والبدنيّة، وتمثّلها لنهج الخير والفضيلة انطلاقا من الاسترشاد بنور العقل وهداية الوحي، والاستفادة من سِيَرِ الأُمَمِ الماضية ونجاحاتها وخيباتها من خلال التّفاعل مع الطّبيعة[1].

1ـ هذا التّصوّر الإسلاميّ لعلاقة الماضي بالمستقبل يختلف مع ذلك التّصوّر الفلسفيّ اليونانيّ، وخاصّة لأرسطو الّذي يعتبر أنّ الماضي لا يستطيع أن يغيّره أحد وأنّ المستقبل هو ما تتمكّن البشريّة من بنائه وإنتاجه، فمن منظور إسلاميّ على الإنسان أن يعي بدقّة الماضي وأن ينطلق منه للبناء الجديد إمّا على نحو من التّطوير أو التّجاوز، فالإنسان صاحب هويّة مفتوحة على جميع مراحل التّاريخ وليس كائن الحاضر أو المستقبل فقط. لمزيد التّوسّع أُنظر هنا: **أرسطو: الأخلاق إلى نيخوماخوس، ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، الدّار العربيّة للكتاب د.ت، د.ط.**

الخاتمة:

وإجمالا يمكننا التّأكيد على أنّ مشكلة "التّنمية" وآليات تحقيقها والقيم الّتي تتأسّس عليها، يتصدّر اليوم قائمة الاهتمامات سواء في البحوث ذات المنزع الاقتصاديّ أو الاجتماعيّ أو داخل فضاءات الفكر الإسلاميّ المعاصر، الّذي يريد أن يُنجز حركة التّغيير ضمن أفق إسلاميّ بقدر ما يعود إلى الأصول فإنّه يأخذ أيضا من مستجدات الثّقافة العالميّة بمصادرها المتعدّدة والمتنوعة، ولقد قادنا هذا البحث إلى مجموعة من النّتائج الّتي نُحاول بيانها كالتّالي:

- من المتأكّد اليوم أن نفرّق بين دلالة "النّموّ" بما هو حالة تكثيف للمنتجات والقيم الماديّة المرتبطة بغائيات التّقدّم الماديّ والرّفاهيّة، وبين دلالة التّنمية بما هي حالة تطوير وتحرير لقدرات الإنسان المختلفة وكفاءاته المتنوّعة، في سياق يحترم القيم الرّفيعة ويراهن على الحقّ بالنّسبة للجميع وعبر كامل الزّمان.
- لا يرى الإسلام في "التّنمية" بمختلف أبعادها إلّا نتاجا للمجاهدة الإنسانيّة الواعية، وبما هي حالة إبداع تتجلّى في المحافظة على العالم وخيرات الطبيعة وحسن استثمارها، دونما غلو قد يقود إلى اللّا توازن وإفساد نظام العالم بما يعود سلبا على الإنسانيّة كلّها.
- لا معنى للتّنمية خارج مقتضيات الإنصاف والعدالة الّتي تعني تساوي فرص المشاركة في الإنتاج وبناء الثّروة، كما تعني العدالة في واقع العمل ذاته من خلال الاعتراف بكفاءة الفاعلين وقدراتهم وتثمين جهودهم، مثلما تعني أيضا الإنصاف في اقتسام نتائج العمل أي الثّروة وفق قاعدتي **العدالة التّوزيعيّة**(توزيع نتائج الثّروة حسب الجهود) و**العدالة التّعويضيّة**(جزء من الثّروة يُعطى لمن لا قدرة له على الإنتاج تعويضا له على ما خسره كأصحاب العاهات)[1].
- "التّنمية" ضمن الأفق الإسلاميّ فعل شامل ومتكامل يأخذ بعين الاعتبار تحرير الإنسان من الخوف والجوع وكلّ أشكال النّدرة، ولكنّه أيضا يتّجه نحو تطوير قدراته وتجويد إمكاناته ودفعه نحو الكدّ والبذل والمثابرة وحسن استثمار الزّمن، انطلاقا من ربط المجهود بالآنيّ والحاضر وأيضا بالآتي والمستقبل.
- "التّنمية" فعل إيجابيّ يحرّر الإنسان من قيود الطّبيعة وحتمياتها المختلفة، ويدفعه نحو الإضافة والإبداع انطلاقا من الوعي الكامل بأهمّية التّخطيط والتّنظيم والتّمكّن من آليات حسن التّعامل مع العالم، بما يجعل "**الأرض ذلولا**" وفق التّعبير القرآنيّ الّذي يستبطن معاني سيادة الإنسان على العالم الّذي يحويه ولا يحتويه.

1ـ هذا يحيلنا إلى القاعدة الأصوليّة الشّهيرة: "**الرّجل وبلاؤه والرّجل وحاجته**".

المراجع:

- **القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)**
- **ابن عاشور محمّد الطّاهر:** التّحرير والتّنوير لابن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، 1984، ط.1.
- **أرسطو:** الأخلاق إلى نيخوماخوس، ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، الدّار العربيّة للكتاب د.ت، د.ط.
- **البخاريّ محمّد بن إسماعيل:** الجامع الصّحيح، دار ابن كثير دمشق، بيروت، 2002م، ط.1.
- **الجيوسي عودة راشد:** الإسلام والتّنمية المستدامة: رؤى كونيّة جديدة، ترجمة جمانة وليد وآخرون، تقديم الأمير الحسن بن طلال، سلسلة التّحوّل والابتكار، مؤسّسة فريدريش إيبرت، مكتب عمّان، الأردن، المملكة الأردنيّة الهاشميّة 2013م، ط.2.
- **الحنبليّ أبو الفرج عبد الرّحمان بن أحمد بن رجب:** الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1985م، ط.1.
- **سان أمارتيا:** التّنمية حرّية، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد 303، الكويت، ماي 2004م.
- **سبينوزا باروخ:** الأخلاق، ترجمة جلال الدّين سعيد، دار الجنوب للنّشر، تونس.
- **سميث آدم:** ثروة الأمم1: بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم، ترجمة حسني زينه، معهد الدّراسات الاستراتيجيّة، بغداد، أربيل، بيروت،2007م، ط.1.
- **الطّبرانيّ:** المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمين للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1995م.
- **عبد الباقي محمّد فؤاد:** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1945م، ط.1.
- **العسل إبراهيم:** التّنمية في الإسلام: مفاهيم مناهج وتطبيقات، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1996م. ط.1.

- **الغزاليّ أبو حامد:** الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق عادل العوّا، دار الأمانة، بيروت، 1969م، ط.1.
- **فوكوياما فرانسيس:** نهاية التّاريخ والإنسان الأخير ترجمة رضا الشّايبي، دار الإنماء القوميّ، باريس، بيروت، 1991م.
- **القرطبيّ أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ:** الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الفكر للطّباعة والنّشر بيروت، 2019، ط.1.
- **ماركوز هيربرت:** "العقل والثّورة: هيجل ونشأة النّظريّة الاجتماعيّة، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، 1970م.
- **الهمذانيّ القاضي عبد الجبار:** شرح الأصول الخمسة، دار إحياء التّراث العربيّ،2016م.

➢ **الأجنبيّة**

- **Georges Bataille**: L'érotisme, éditions minuit, 1957, collection 18.
- **Hegel:** Principes de la Philosophie du droit, Gallimard, Paris, 1940.
- **Jean-Baptiste Say**: traité d'économie politique, édition Horace, Paris.
- **Rawls John:** Théorie de la justice, édition Seuil, Paris, 1983.
- **Sen Amartiya:** Development As freedom, Oxford University Press, New Delhi, 2000.
- **Will Eric:** Philosophie Politique, édition Vrin, Paris, 1956.

قيم المساواة في السنة النبوية وعلاقتها بالتنمية

الدكتوريوسف بن عبد الله الباحوث

كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية

yabahooth@uqu.edu.sa

ملخص البحث:

تطرق البحث إلى مفهوم المساواة في السنة النبوية ، وعلاقة قيمة المساواة بالتنمية ، ودلل الباحث بتطبيقات السنة القولية على المساواة ، وتطبيقات السنة الفعلية على المساواة . و يسلط البحث الضوء على بناء القيم الإنسانية للعدالة والمساواة في المجتمعات ، ليتضح كيف كان الإسلام الراعي الأول لبناء هذه القيم الراقية ، والتي بسببها تقدمت الحضارة الإنسانية في كل العصور. وخلص البحث إلى أن المساواة حاجة إنسانية جعلها الله منحة للناس عامة دون تمييز بسبب معتقد أو عرق أو لون. وهي قضية عامة، تمس جوهر الإنسان عامة ، والمسلم خاصة وبشكل مباشر . وهي من أسباب الكرامة والشرف الإنساني وهي حق أساسي يتقرر منذ ولادة الإنسان. كما أن السنة النبوية لها الجانب المشرق في المحافظة على حقوق البشر كافة ففيها الاتساع واستيعاب المستجدات . كما رسخت السنة النبوية مفاهيم المساواة في أرقى معانيها وجعلتها من مقاصدها الأساسية ، وتُعد المساواة في السنة النبوية بارزة في جميع الأدلة وبكل الأشكال وهي الأسبق من غيرها في تقريرها لحقوق الانسان وإنسانيته وكرامته. والمساواة ليست وليدة صراعات أو رغبات بشرية ، وهي مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية. كما أثبت البحث أن قيم المساواة من أبرز أهداف التنمية المستدامة للمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: المساواة – قيم – السنة – التنمية .

The values of equality in the Prophet's Sunnah and its relationship to development

Dr. Youssef bin Abdullah Al-Bahooth

Associate Professor, Department of the Qur'an and Sunnah

College of Da'wah and Fundamentals of Religion

Umm Al-Qura University - Mecca - Kingdom of Saudi Arabia.

Email: yabahooth@uqu.edu.sa

ABSTRACT :

The research touched on the concept of equality in the Prophetic Sunnah, and the relationship of the value of equality to development, and the researcher demonstrated the applications of the anecdotal Sunnah on equality, and the applications of the actual Sunnah on equality. The research sheds light on building human values of justice and equality in societies, to make it clear how Islam was the first sponsor of building these sublime values, due to which human civilization has advanced in all ages. The research concluded that equality is a human need that God granted to people in general without discrimination based on belief, race, or color. It is a general issue that directly affects the essence of the human being in general, and the Muslim in particular. It is one of the reasons for human dignity and honor and is a basic right determined from the birth of a person. The Prophetic Sunnah also has a bright side in preserving the rights of all human beings, as it is broad and accommodates new developments. The Prophetic Sunnah also established the concepts of equality in its highest sense and made it one of its basic goals. Equality in the Prophetic Sunnah is considered prominent in all evidence and in all forms, and it is more prior than others in its determination of human rights, humanity, and dignity. Equality is not the result of human conflicts or desires, and it is one of the purposes of Islamic law. The research also proved that equality values are among the most prominent sustainable development goals for societies.

Keywords : equality - values - Sunnah - development.

التمهيد:

يرتبط تقدم المجتمعات والدول ورقيها ارتباطا كبيرا بما تحمله من قيم ترسخت لدى ابنائها لذا فتنمية القيم والأخلاق من أهم ما ركز عليه النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل تكوين الفرد الصالح في المجتمع الراقي، وهذا هو المقصود بالتزكية في قوله تعالى ((هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢)).(1)

ولا ريب أن نهوض الأمة مرهون باستنطاق ذلك المنهج، وتفعيله على أرض الواقع في مختلف المجالات أصبح لازما علينا الكشف عن كنوز هذا المنهج ثم اسقاطها على الواقع المعاصر لتثبت فيه الروح وتعيد للأمة مجدها ورقيها.(2)

وكانت الأمم قبل الإسلام تعرف معنى العدل والظلم، ولكنها لا تعرف حدود كل منهما، فكانت تلك الحدود متداخلة، شأنها في ذلك شأن أكثر المعاني المجردة إذ ذاك، فإذا نظرنا إلى بني إسرائيل مثلاً كانوا ولا يزالون يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه.

فجاء الإسلام بقوانينه ومبادئه فأقرَّ المساواة بين الخلق جميعاً، وجعل لهم الحقوق والواجبات نفسها دون النظر إلى شعوبهم وقبائلهم، ولم يجعل الإسلام مقياساً للتفاضل بين الناس سوى التقوى والعمل الصالح. لذلك كان السنة المثل الأعلى في تطبيق مبدأ المساواة قولاً وعملاً.

والمساواة قضية عامة، تمس جوهر الإنسان عامة ، والمسلم خاصة وبشكل مباشر.

و يأتي هذا البحث ليوضح بالشواهد **(قيم المساواة في السنة النبوية وعلاقتها بالتنمية).**

إشكالية البحث:

- ما دور السنة النبوية في تعزيز قيم المساواة في المجتمعات؟
- ما دور القيم النبوية في تعزيز القيم؟.
- ما علاقة المساواة بالأمن والتنمية؟.

أهداف البحث:

- ✓ تحقيق علاقة القيم النبوية بمفهوم التنمية وبناء المجتمعات.
- ✓ تعزيز المساواة ومكافحة التمييز في المجتمعات.
- ✓ المساهمة في نشر ثقافة المساواة والعدالة.

أهمية البحث:

هذا البحث يسلط الضوء على بناء القيم الإنسانية للعدالة والمساواة في المجتمعات ، لنبين للمسلمين وغير المسلمين كيف كان الإسلام الراعي الأول لبناء هذه القيم الراقية والتي بسببها تقدمت الحضارة الإنسانية في كل العصور.

---

(1) سورة الجمعة 2

(2) الأساليب النبوية في تفعيل القيم الحضارية في المجتمع الإسلامي (67)

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمه ومبحثين وخاتمة

أما مقدمة وفيها حدود الدراسة وبعض التعريفات.

المبحث الأول: مفهوم قيمة المساواة

المطلب الأول: مفهوم المساواة في السنة النبوية.

المطلب الثاني: علاقة قيمة المساواة بالتنمية.

المبحث الثاني: تطبيقات السنة النبوية لمفهوم المساواة

المطلب الأول: تطبيقات السنة القولية.

المطلب الثاني: تطبيقات السنة الفعلية.

المقدمة:

كان الناس قبل الإسلام يعانون من تقسيم الناس وُفق طبقات بحسب مجموعة من المقاييس ، فجاء الإسلام ليحطم كل النعرات، وجعل المساواة سمة من سماته، وأصل من أصوله، وفي ظله تذوب فوارق الجنس واللون، وتتحطم صفة الحسب والجاه والسلطان، فلا تفاضل بينهم في إنسانيتهم، وإنما التفاضل يرجع إلى أسس أخرى ((فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ)) (1) ، وها هو صلى الله عليه وسلم يحذر من أمور الجاهلية، وذكر منها : **" الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ** ".(2)

وإذا رجعنا إلى تعريف المساواة في اللغة : فهي المماثلة والمعادلة ، وهي مصدر الفعل ساوى ، وكل شي ساوى شيئا حتى يكون مثله فهو مكافئ له .(3)

و يمكن تعريف المساواة بأنها: المساواة هي التمتع بجميع الحقوق دون التمييز بسبب الدين أو اللون أو اللغة أو الجنس أو المستوى الاجتماعي. ويمكن أن يقال : **" تَمَاثُلٌ كَامِلٌ أَمَامَ القَانُونِ، وَتَكَافُؤٌ كَامِلٌ إِزَاءَ الفُرَصِ، وَتَوَازُنٌ بَيْنَ الَّذِينَ تَفَاوَتَتْ حُظُوظُهُمْ مِن الفُرَصِ المُتَاحَةِ لِلجَمِيعِ** ".(4)

وعند الفقهاء لا يوجد معنى اصطلاحي خاص للمساواة ، فهم قد استخدموا لفظ المساواة بنفس المعنى اللغوي . لذلك يعدّ بعض الفقهاء أن المساواة هي أول الحقوق وأساسها.(5)

وفي العصر الحديث المساواة (Equality): هي التطابق والمماثلة بين الأفراد في الحقوق والواجبات بمقتضى القاعدة القانونية التي تنظم العلاقات الاجتماعية، وتحتل المساواة مكاناً مرموقاً ضمن المنظومات الحقوقية للدول المعاصرة لأنها تعد شرطاً للحرية.(6)

(1) سورة المؤمنون 101

(2) صحيح مسلم(934)

(3) مختار الصحاح(136/1)

(4)الإسلام والأمن الاجتماعي(95)

(5)معجم مصطلحات الفاظ الفقه الإسلامي 324

(6) الموسوعة العربية مهند نوح.

المبحث الأول : مفهوم قيمة المساواة

إن الأمم تتميز فيما بينها بالقيم والرقي والأخلاق ، والأمة الإسلامية تميزت بالرقي بأصل القيم والأخلاق، فالقيم هي المقاييس والمبادئ التي تستعملها للحكم على منزلة الشيء ، وهي المعايير التي نحكم من خلالها على الاشياء (1) ، وبناء القيم النبوية مرجعيتها الوحي الرباني الحكيم . وتعتبر القيم مكون رئيس في أخلاق ورقي الأمم والحضارات .

إن المساواة حاجة إنسانية جعلها الله منحة للناس عامة دون تمييز بسبب معتقد أو عرق أو لون.

وهي من أسباب الكرامة والشرف الإنساني وهي حق أساسي يتقرر منذ ولادة الإنسان.

وفي التشريع الإسلامي يتميز مفهوم قيمة المساواة بشمولية متكاملة وجماليات متعددة ، أذكر بعضها:

1. المساواة بين الرجل والمرأة فيما فرض لله تعالى على كلّ منها.
2. المساواة في الثواب والعقاب لكل منهما.
3. المساواة بين الزوجات لمن تزوج بأكثر من امرأة في حقوقهم الزوجية.
4. المساواة بين المختلفين في الجنس والعرق من حيث الحقوق الثابتة لكلٍّ منهما.
5. المساواة بين الأبناء في الهبة والوصية غيرها.
6. المساواة بين الخلق أمام القضاء، وإدلاء كل منهم بحجّته، وعقاب المعتدي أياً كانت مكانته.
7. المساواة في حقّ الكرامة الإنسانية.
8. المساواة في التعبير عن الرأي للمسلم وغيره.
9. المساواة في حق حفظ النفس والمال والعرض.
10. المساواة في العقاب حال الاعتداء على حرمات الله.
11. المساواة بين المسلمين في حقّ حضور الشعائر الدينية وأماكن العبادة.(2)

المطلب الأول : مفهوم المساواة في السنة النبوية

إن مبادئ الإسلام هي المصدر للمساوة والإنصاف والعدل وحفظ كرامة البشر جميعاً.

وللمساوة أهمية عامة وعلاقتها بالسنة النبوية التي لها الجانب المشرق في المحافظة على حقوق البشر كافة ((وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ)) (3) ، ففيها الاتساع واستيعاب المستجدات ..

وقد رسخت السنة مفاهيم المساواة في أرقى معانيها وجعلتها من مقاصدها الأساسية.

فمنذ بدايات الهجرة النبوية ، قام ميثاق المدينة الأول (1) بتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من ساكني المدينة، إذ كانت المدينة خليطاً من المهاجرين والأنصار واليهود والمنافقين .

---

(1) تعلم القيم وتعليمها(45)

(2) نضرة النعيم (2796)

(3) الأنبياء 107

وكانت صحيفة المدينة بمثابة إعلان دستوري عادل قائم على أساس المساواة بين أفراد المجتمع المختلفة فيما لهم حقوق وعليهم من واجبات.

وتُعد المساواة بين البشر على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيلاً في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره قائماً في الحضارات القديمة ؛ إذ كان سائداً تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها .

وكانت التفرقة تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية.

وفي العصر الحديث رفعت الثورة الفرنسية سنة (1789م) شعار المساواة (2).

وحينما تختلف أحوال الناس وأوضاعهم، فلا بد من وضع معيار للتفاضل؛ لأن المساواة المطلقة لا تكون إلا في الكيان الإنساني، والمشكلة تبدأ عند وضع هذا المعيار، بحيث لا يخل بمبدأ المساواة في ذاته، ويجعل التفاضل وسيلة نمو ورقي، وليس ذريعة للظلم والتفرقة بين الناس، وهذا ما جاء في الشرع الإسلامي، فقد ترك كل المعايير السائدة للتفاضل، كالقوة والضعف، والموقع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان أو الجنس واللون.

إن التقوى معيار الكرامة الإنسانية عند الله -عز وجل- ومع ذلك فهي معيار الصلاح في الدنيا، وهو معيار حقيقي وعملي؛ إذ إن صلاح الإنسان في دنياه يجعله أفضل لنفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه من غيره الذي لا يفيد نفسه ولا مجتمعه بشيء.

وقد هدم الدين الإسلامي بهذا المعيار الحقيقي الذي يرتقي بحياة الإنسان والمجتمع كل المعايير الزائفة التي أشار القرآن الكريم إلى الكثير منها، حيث يقول الله تعالى في الإنكار على أصحاب المعايير الزائفة في التفاضل: ((قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ)) .(3)

مما يدل على أنهم لم يؤمنوا؛ لأن مَن هم أقل منهم قد آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ((قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ)) .(4)

وأقامت الشريعة الإسلامية أصل المساواة في أحكامها، على النحو الذي يجعل هذا المبدأ وسيلة لرقي الإنسان، وتحصيل مصالح الحياة.

وهكذا يقيم الإسلام المساواة ويحترمها، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع، ولا غني وفقير، ولا قريب وبعيد أو مسلم وغير مسلم، ولا بين رجل وامرأة، فالشريعة الإسلامية لها ميزان واحد يطبق على جميع الناس.(5)

---

(1)البداية والنهاية (3/ 225)

(2) مساواة = موقع ويكبيديا

(3) سورة الشعراء 111

(4) سورة البقرة 13

(5) المساواة في الإسلام (36)

و تعتبر المساواة مقصد عام في الشريعة الإسلامية وهي من المقاصد الحاجية ، وهذا لا يقلل من رتبتها لأنها تعتبر متممة ومكملة للمقاصد الضرورية الأخرى .(1)

ومع ذلك أقر الإسلام بـ " **نفي المساواة** " بين الناس في قربهم لله ، فنفى أن يستوي من آمن بالله وأنفق ماله قبل الحديبية ، وبين من آمن وأنفق بعدها ، و بين المجاهدين والقاعدين بغير عذر ، وبين المسلمين وغيرهم ((أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)) .(2)

المطلب الثاني : علاقة قيمة المساواة بالتنمية

في عام (1965م) اعتمدت الأمم المتحدة الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ، دون تفضيل بسبب العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو غير ذلك من الأسباب .(3)

وقد جاء في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أنه :" لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وحقوقهم المتساوية هو أساس الحرية والعدل..." وأشارت **المادة الأولى: "يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء"**.

والمادة الثانية : " لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز، كالتمييز العنصري أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين ...الخ".

وتعد المساواة أمام القانون إحدى المبادئ الأساسية لليبرالية الكلاسيكية.(4)

وفي مجال حقوق الانسان قالوا : سنعمل من أجل تحقيق المساواة ومكافحة التمييز عبر القوانين والمؤسسات، كما سنشجع على الخطابات التي تدمج المساواة وعدم التمييز والقائمة على الحقوق .(5)

بل قيم المساواة من أبرز أهداف التنمية المستدامة.

ففي الخامس والعشرين من سبتمبر(2015) ، حدّد قادة العالم مجموعة من الأهداف التي من خلال تحقيقها سيتم القضاء على عدم المساواة ، وتحقيق الازدهار العالمي كجزء من برنامج (2030) للتنمية المستدامة.

وقد ضربت المملكة العربية السعودية أنموذجاً يُحتذى به في التنمية المستدامة ، وكفلت منذ توحيدها على يد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- للإنسان، مواطنًا كان أم مقيمًا، حماية حقوقه. وأكد النظام الأساسي للحكم على جملةٍ الأحكام الأساسية التي تهدف إلى حماية وتعزيز حقوق الإنسان.

---

(1) العدل والمساوة (50)

(2)سورة القلم 36

(3) مفهوم المساواة : المعنى والتطبيق.

(4) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان موقعة + ويكيبيا

(5) لمحة عن مفوضيّة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان

https://www.ohchr.org/ar/about-us/what-we-do/our-roadmap/enhancing-equality-and-countering-discrimination

ومنها: **الحق في العدل والمساواة والأمن واحترام الملكيات الخاصة.**

وقد نصت المادة الثامنة من النظام الأساسي للحكم على أن "**يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة، وفق الشريعة الإسلامية**".

كما نصت المادة السادسة والعشرون من النظام على أن "**تحمي الدولة حقوق الإنسان، وفق الشريعة الإسلامية**".

وتضمنت الأنظمة الأخرى كأنظمة التعليم والصحة والعمل والتأمينات الاجتماعية وغيرها من الأنظمة واللوائح على أحكام تفصيلية للمبادئ الواردة في النظام الأساسي للحكم.

و جهود المملكة العربية السعودية بارزة في مجال حماية وتعزيز حقوق الإنسان من خلال الأنظمة والقوانين الثابتة، وحفظ حقوق المرأة والأطفال وذوي الإعاقة والعمالة الوافدة.

كما اهتمت المملكة بعوامل المساواة في شتى المجالات (1).

في المقابل نجد أن عدم المساواة يمكن أن يكون مهدداً خطيراً للاستقرار الاجتماعي والسياسي. ولكن هناك إدراكاً متنامياً بأنها يمكن أن تهدد أيضاً النمو المستدام.

وقد أظهرت دراسة أجراها **صندوق النقد الدولي** : أن زيادة المساواة تزيد مدة فترات النمو الاقتصادي للبلدان أكثر .(2)

وقد عملت منظمة العمل الدولية مؤتمرا في موضوع **(أوجه انعدام المساواة)** وجعلوه حد التحديات الرئيسية في عصرنا .(3)

وتظهر **فوائد تطبيق المساواة في نقاط منها** (4):

1. تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم بين أفراده .
2. الشعور بالمساواة يقضي على الفتن الطائفية.
3. المساواة بين الرجل والمرأة بالتكاليف يجعل المرأة تشعر بقيمتها .
4. روح المساواة تقضي على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس.
5. يقضي على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم.
6. بالمساواة يطمئن كل فرد إلى عدالة الحكم.

---

(1)دليل المعلومات الحكومية للمملكة العربية السعودية - المنصة الوطنية الموحدة
https://www.my.gov.sa/wps/portal/snp/content/SDGPortal

(2) الموقع الرسمي لـ الامم المتحدةhttps://www.un.org/ar

(3) مؤتمر العمل الدولي الدورة (109) عام 2021 مكتب العمل جنيف .

(4) نظرة النعيم(2818/7)

المبحث الثاني : تطبيقات السنة النبوية لمفهوم المساواة

المتأمل لما تحمله لنا كتب السنة من صور مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في المساواة يرى فيها كمية زاخرة ، فالعبادات يظهر فيها الوحدة والمساواة بين جميع المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وبلدانهم.

فالشريعة جاءت بترسيخ مفاهيم المساواة في أرقي معانيها وجعلتها من مقاصدها الأساسية بحيث جعلت منها مكملاً وسياجا لكل الضروريات والمقاصد الأخرى. (1)

و قد طبقها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه منذ بعثته قولاً وعملاً ، وسار على نهجه صحابته من بعده ، الذين كانوا مفخرة الأمة.

وفي هذا المبحث نتناول لمحات من القيم النبوية لمفهوم المساواة.

ولعل مبدأ الحرية والمساواة كان معدوماً قبل الإسلام، يظهر ذلك جلياً فيما أفصح به جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عن حقيقة الإسلام، ومن جملة ما قاله للنجاشي "**أيها الملك، كنا قومًا أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ويأكل القويُّ منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه...**".(2)

وكانت العرب في الجاهلية يفرقون في الدية بين السادة والسُّوقة، فجاء الإسلام بإبطال ذلك ، قال ابن عباس رضي الله عنهما :" **كَانَ بَنُو النَّضِيرِ إِذَا قَتَلُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَدَّوْا نِصْفَ الدِّيَةِ، وَإِذَا قَتَلَ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَدَّوْا إِلَيْهِمُ الدِّيَةَ كَامِلَةً، فَسَوَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُمْ** ".(3)

وعندما حكي لنا القران الكريم أن بعض سادات قريش كانوا لا يرغبون بالمساواة مع صغار الصحابة فجاء الجواب بالوحي : ((وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ)) .(4)(5)

ولو نظرنا إلى جانب المعاملات لوجدنا السنة تعتني بقيم المساواة ، فقد أعلن نظام المساواة في الحياة الانسانية في خطبة الوداع وهي من أواخر الوصايا النبوية في حياته فقال عليه الصلاة والسلام : " **وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربًا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب** ".(6)

وجاءت السنة بالمساواة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود ، فقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ما كان عند الأمم السالفة من التفاضل في إقامة الشريعة ، حينما أهم قريشاً شأن المخزومية التي سرقت ، فكلمه أسامة بن زيد فقال صلى الله عليه وسلم " **أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم**

(1) العدل والمساوة (50)

(2) السيرة النبوية لابن هشام (265)

(3) سنن أبي داود (3591)

(4) سورة الأنعام 52-53

(5) سنن النسائي الكبرى (8163)

(6) صحيح مسلم (1218)

كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقتَ لقطعتُ يدها".(1)

فالمعيار في السنة النبوية أن جَميعُ النَّاسِ فِي الشَّرَفِ بِالنِّسْبَةِ الطِّينِيَّةِ إلى آدَمَ وَحَوَّاءَ سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَمُتَابَعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ متساوون بالْبَشَرِيَّةِ. (2)

بل الأمة كلها تُؤاخذ على ترك المساواة فقد قال عليه الصلاة والسلام :" **إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ**" .(3)

ولقد ذهب الإسلام في الحقوق مذهبًا أبعد ، إذ جعل كفالة العاجز عن الكسب حقًا مفروضًا يؤدي إليه من بيت المال، ولصاحبه كلّ الحق في أن يطالب به في حالة إذا لم يصل إليه ، ولا اعتبار لأي شيء آخر إلا اعتبار إنسانية وبشريته .

و لم تقتصر المساواة في السنة النبوية على الحقوق والواجبات والأحكام ، بل شملت العلم والمعرفة والدعوة أيضاً ، فقد **كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يدعو سادات «قريش» إلى الإسلام وهم يعرضون عنه ؛ فجاء ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، إِلَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَه رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: " أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ " فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ : ((عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ١)) .(4) (5)**

المطلب الأول : تطبيقات السنة القولية

جاءت السنة المطهرة بنشر السلام والإحترام للجميع بدون تفرقة بين أحد ، فقد جاء رجل يسأل أي الإسلام خير؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " **تُطعم الطعام ، وتُقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** ".(6)

وقد طبّق المصطفى صلى الله عليه وسلم مبدأ المساواة على نفسه، فلم يكن يحبّ أن يتميّز على أصحابه ، بل كان يرى أن القيام له من التعظيم الممنوع ، فكان يقول لأصحابه إذا قاموا له : "**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظّم بعضهم بعضاً**".(7)

و كانت العرب في الجاهلية يفرقون بين الرجل والمرأة ، بل انتشر عادة وئد البنات ، لكن حث الإسلام على العناية والرفق بهن ففي الحديث: "**من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله اللَّه الجنة**" .(8)

---

(1) صحيح البخاري (3475)

(2) تفسير ابن كثير(7/ 385)

(3)سنن ابن ماجة (2426)

(4) سورة عبس 1

(5) سنن الترمذي (3331)

(6) صحيح البخاري (6894)

(7) سنن أبي داود (5230)

(8)سنن أبي داود(5146)

و بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإسلام قد ألغى الجاهلية وما فيها من عنصرية ، ووضع معياراً واحداً فقط للتفاضل بين الناس، آلا وهو تقوى الله تعالى . حيث قَالَ : **" إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ (1) ، وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ"**.(2)

فالناس رَجُلانِ مؤمن تَقِيٌّ فهو الكَرِيمُ وإن لم يكن شَرِيفًا في قومهِ ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ فهو اللَّئِيمُ وإن كان رفيعاً في أهله.(3)

و أشار صلى الله عليه وسلم إلى تركيب المجتمع الإسلامي يداً واحدة، وعملاً واحداً ، ودماً واحداً ، وذمة واحدة للمجتمع بالتساوي، فقال :**" المسلمون تَتكافأ دِمَاؤُهُم: يَسعَى بذمَّتهم أدناهم، ويُجيرُ عليهم أقْصاهُم، وهم يَدٌ على مَن سِوَاهم"** .(4)

قال القرطبي:" وَإِذَا كَانُوا فِي الدِّمَاءِ سَوَاءً فَهُمْ في غير ذلك شي وَاحِدٌ.(5)

وأهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه احترام الانسان وتقدير كرامته دون النظر إلى لونه أو جنسه .

ففي حجة الوداع بين صلى الله عليه وسلم مبدأ المساواة ، وأن الناس كلهم سواء، وأن الفوارق الطارئة بين البشر ليس لها قيمة في ميزان الإسلام؛ بل القيمة والفضل فقط بالتقوى. فقال: **" يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، آلا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى".(6)**

وهو الذي قرره القرآن الكريم وهو تطبيق لقوله تعالى ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ)) .**(7) أَيْ: إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى لَا بِالْأَحْسَابِ ولا بالأنساب .**

وجاءت السنة بأن المفاخرة بالأنساب والاحساب ، والطعن في الأنساب من علامات الجاهلية (8) ، وهي تنافي المواساة ، ففي الحديث **" أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ "**.(9)

(1) عيبة الجاهلية : الكبر والنخوة . مختار الصحاح (222)

(2) سنن الترمذي (3955)

(3) غريب الحديث للخطابي (290/1)

(4) سنن أبي داود(2751)

(5) الجامع لأحكام القرآن (3/ 76)

(6) المسند (23489)

(7) سورة الحجرات 13

(8) صحيح البخاري (3637)

(9) سنن أبي داود(5611)

ومما يؤكد هذا المعنى السامي والبعيد عن الطبقيات و العنصرية : حينما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: " **خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَ أَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ** ".(1)

و"كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التقي النقي ، وَلَا أَعْجَبَهُ أَحَدٌ قَطُّ، إِلَّا ذُو تُقًى".(2)

و هذا ميزان الاعمال للمسلم ، فلن ينال رضى الله عزوجل بوراثة ولا امتياز في جنس أو قبيلة أو قوة بدنية أو مالية ، أو غيرها بل بالتقوى و الوقوف عند أحكام الشريعة والقدرة على تنفيذها.

وليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى ومقدار ما يحمله من إيمان وقرب لله ، ففي الحديث:

" ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذياً، بخيلاً جباناً ".(3)

فالناس كلهم كأسنان المشط ، فلم يقصر الإسلام المساواة على جنس أو قبيلة، ولم يقدم عربيًّا على عجمي، ولا أبيض على أسود.

بل الحساب في الأخرة على القلوب والأعمال بدون تمايز أو تفاضل إلا بالتقوى والإيمان والعمل الصالح : " **إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ** " .(4)

وفي لفظ :" **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْأَلُكُمْ عَنْ أَحِسَابِكُمْ وَلَا عَنْ أَنْسَابِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عند الله أتقاكم**".(5)

وحينما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: "أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ" قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: "فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ". قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: "فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**".(6)

فالْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، لا فضل لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى. وهذه من القيم العليا في السنة النبوية.

المطلب الثاني : تطبيقات السنة الفعلية

لم يفرق النبي صلى الله عليه وسلم في أداء الواجبات والنقاء والمحافظة على البعد عن المال الذي لا يحل بين أهل بيته و بين غيرهم ، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنه يحبو وهو

(1) المسند(27434)

(2)المسند (24400)

(3) المسند (17313)

(4) صحيح مسلم (2546)

(5) تفسير الطبري(89/26)

(6)صحيح البخاري (4689)

صغير وقد أخذ تمرة من تمر الصدقة، فلاكها في فيه، فقال له عليه الصلاة والسلام: **" كخ كخ، فإنا لا تحل لنا الصدقة "**.(1)

وتظهر المساواة مع الخدم والعبيد، فحينما تجادل الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري مع أحد العبيد ، فغضب منه وعيره بأمه ، فشكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي لابي ذر:

" يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".(2)

فانظر إلى هذه القيمة العليا في السنة كيف جعل العبد المملوك مثل سيده .

وفي تجسيد للمساواة وأن التميز بالتقوى فقط قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "**انظر، فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى** ".(3)

أما القضاء والتقاضي فيظهر فيه القيم العليا .

فمن قيم المساواة القضاء العادل بوجود الخصوم فقد :" **قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن الخَصمَين يقعُدان بين يدَي الحَكَمِ** ".(4)

و عند الفقهاء التسوية بين الخصمين سواء كانا مسلمين أو مسلم وغير مسلم لأن مقصد القضاء هو ارجاع الحقوق لأصحابها وضمان العدل واتباع الحق.(5)

ومبدأ المساواة حاضر أثناء التقاضي، فكان صلى الله عليه وسلم يقول **"إنما أَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ"**.(6)

واقتص النبي صلى الله عليه وسلم لجارية مملوكة: **فهذه عمة أنس بن مالك لطمت جارية فكسرت ثنيتها، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص** .(7)

وتتضح قيم المساواة في قصة رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ، فهم به الصحابة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" دعوه، فإن لصاحب الحق مقالا، ثم قال: أعطوه سناً مثل سنه ، قالوا: يا رسول الله، إلا أمثل من سنه، فقال: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء "**.(8)

---

(1)المسند (9308)

(2) صحيح البخاري (30)

(3)المسند(21407)

(4)سنن ابي داود (3588)

(5) المبادئ القضائية في الشريعة(123)

(6)صحيح البخاري(6967)

(7) صحيح البخاري (12)

(8)صحيح البخاري(2306)

بمعنى أن يتركوه ، ولا يتعرضوا له بشيء، فإن الله قد جعل لصاحب الحق سواء كان دائناً أو مؤجراً أو أجيراً الحق في المطالبة بحقه شريطة عدم التعدي على غيره.

وتظهر المساواة في تطبيق القصاص على نفسه فقد طلب صلى الله عليه وسلم ممن طعنه في خاصرته بعود أن يقتص منه :" **فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيئاً ، أقبل رجل فأكب عليه ، فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه ، فخرج الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعال فاستقد ، قال : بل قد عفوتُ يا رسول الله** ". (1)

وفي رواية أخرى: " **فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ**" .(2)

والناس سواسية عند النبي صلى الله عليه وسلم في قضاء حوائجهم ، وخاصة الضعفاء :" **فقد جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسولَ الله، إن لي إليكَ حاجةً، فقال لها: "يا أمِّ فلان، اجلسي في أيِّ نواحي السِّكَكِ شِئتِ، حتى أجلسَ إليكِ"، قال: فجلَسَت" فجلَسَ النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى قضت حاجَتَها** ".(3)

وفي تطبيق المساواة داخل بيته وبين زوجاته :" **فقد كَانَ صلى الله عليه وسلم: إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا** ".(4)

وقال لأم سلمة رضي الله عنها " **إن شِئْتِ سَبَّعْتُ عِنْدكِ وسَبَّعْتُ عِنْدهُنَّ**".(5)

وجاءت السنة بالأمر بالمساواة بين الزوجات : "**من كان له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**".(6)

أما المساواة في الأمور التي لا يستطيعها الإنسان مثل المحبة والميل القلبي ، فالزوج ليس مطالباً بها " **اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك والا أملك**" .(7)

بل كان يكون في بيته في مِهْنَةِ أَهْلِهِ (8) ، بدون تكبر أو تجبر .

ولذا قَالَتْ عائشة: " **مَا كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، كَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ** ". (9)

---

(1)المسند(11229)

(2)سنن أبي داود(5334)

(3)سنن أبي داود(4818)

(4)صحيح البخاري (2593)

(5)صحيح مسلم (1460)

(6)سنن أبي داود(2133)

(7)سنن أبي داود(2134)

(8)صحيح البخاري (676)

(9)صحيح ابن حبان (7324)

ومن قيم المساواة أن المرأة مساوية للرجل في التكاليف الشرعية إلا ما خُفف عنها الشرع في العبادات ففي الحديث :" **إِنَّمَا هُنَّ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**" .(1)

وفي الاستخلاف والتكاليف الإدارية فقد:" **اسْتَخْلَفَ النبي ابنَ أُم مكتوم وهو كفيف ضرير على المدينة مرتين** ".(2)

ومن قيم المساواة عنده صلى الله عليه وسلم حسن عشرته مع أصحابه، حيث :" **كان يجيب الداعي سواء كان رجلاً أو امرأة ، فقد لَقِيَ رَسُولُ امْرَأَة مِنْ قُرَيْشٍ تدْعُوهُ إِلَى طَعَامٍ** ". (3)

وإجابة الدعوة تدل على اهتمام بالداعي فقد :" **كان صلى الله عليه وسلم يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ المملوك** ".(4)

وكان يقول :" **لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**".(5)

وهذا إعلان منه لمبدا المساواة وعدم التفرقة بين المسلمين .

بل أهدى سلمان الفارسي رضي الله عنه طعاماً ، فقبله وأكله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ".(6)

ودَعَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم خياطاً لِطَعَامٍ صَنَعَهُ فأجاب . (7)

وهو يدل على تواضع النَّبِي صلى الله عليه وسلم إِذ أجَاب دَعْوَة الْخياط وَشبهه.(8)

بل في تطبيق العملي للمساواة في الملبس والشكل فقد :" **كان الأعرابي يأتي إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف النبي صلى الله عليه وسلم من بين أصحابه فيقول: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟** ".(9)

مما يدل على تواضعه صلى الله عليه وسلم وعدم تميزه بين أصحابه .

و كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَرْكَبُ الْحِمَارَ مثل أوسط الناس ويردف معه غيره كما في حديث :" **رَكِبَ صلى الله عليه وسلم علَى حِمَارٍ علَى إكَافٍ علَيْهِ قَطِيفَةٌ وأَرْدَفَ أُسَامَةَ وراءَهُ** ". (10)

فهذه مساواة للناس من وُجُوه ركُوبه الْحمار وركوبه على قطيفة وإردافه الْغُلَام .(11)

وحينما تنعدم المساواة حتى بين الأبناء ويُطلب شهادة النبي صلى الله عليه وسلم فيعتذر ويقول : " **فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**" .(1)

---

(1) سنن الترمذي(113)

(2) سنن أبي داود (4818)

(3)شرح مشكل الاثار (3005)

(4)سنن الترمذي (1017)

(5)صحيح البخاري (5178)

(6)المسند (22997)

(7)صحيح البخاري (2092)

(8)عمدة القاري (11/ 211)

(9)صحيح البخاري (63)

(10) صحيح البخاري (2987)

(11)عمدة القاري (14/ 240)

فانعدام المساواة تسمى : جور وظلم . بل و تؤدي أيضاً إلى عدم البر من الأبناء للأباء .

وكان صلى الله عليه وسلم يشارك الفقراء في جوعهم فعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه قَالَ: **" شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ حَجَرَيْنِ "**.(2)

و قال عتبة بن غزوان رضي الله عنه :" **وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا "**.(3)

بل كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَبِيتُ اللَّيَالِي المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا ، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ".(4)

وكان يشارك العبيد في طعامهم وجوعهم...

فحِينَما خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مهاجراً وَمَعَهُ **بِلَالٌ** ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **" لَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ "**.(5)

حتى أكل المصطفى صلى الله عليه وسلم مع مولاه أفضل طعام الطيور قال سفينة رضي الله عنه وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **أكلتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حُبَارَى ".(6)**

من قيم المساواة البارزة أنه لم يتميز صلى الله عليه وسلم عن الصحابة أو يحتجب عنهم ، فقد قال جَرِيرِالبجلي رضي الله عنه قَالَ: **" مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي "** .(7)

بل كان يداعبهم ويمازحهم حتى قَالُوا: **" يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا ؟ ، قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا "** .(8)

ومن قيم المساواة في التعليم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم بالغرباء وتعليمهم حتى أنه ترك الخطبة من أجل تعليمهم ولم يوكل إلى أحد تعليمهم ، قَالَ أَبُو رِفَاعَة رضي الله عنه: ...**أَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا "**.(9)

---

(1)صحيح مسلم (1623)

(2)سنن الترمذي (2371)

(3)صحيح مسلم(2967)

(4)سنن الترمذي(2360)

(5)سنن الترمذي (2472)

(6)سنن أبي داود(3797)

(7)صحيح البخاري (3035)

(8)سنن الترمذي(1990)

(9)صحيح مسلم (876)

بل كان صلى الله عليه وسلم يجلس متخشعا ليس كصفة الجبابرة والطغاة ، فكان يأكل على الأرض ولا يتكيء ويقول :" **لَا آكُلُ مُتَّكِئًا** ".(1)

و جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه يأكل مع أصحابه، فقال أعرابي: ما هذه الجِلْسَة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"إن اللهَ جَعلَني عَبداً كريماً، ولم يجعلني جبَّاراً عَنيداً".(2)**

ومع المساواة فلا تنافي أن نعطي كل ذي حق حقه، حتى جاء في الحديث : " **أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ**" .(3)

بمعنى: إذا أخطا الإنسان الشريف الوجيه في غير الحدود : فيحفظ عليه كرامته، وهي أعظم تربية له من أن يجلد ألف جلدة.

أما في حياة الصحابة رضي الله عنهم: فتتجلى قواعد إرساء المساواة في حياتهم بالمواقف العظيمة التي وقفوها : فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما تولى الخلافة يقول: " **الضعيف منكم قوي عندي، حتى يرجع حقه، والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه** " .(4)

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :" **الناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم، وهم عباده**" .(5)

ويقرر عمر رضي الله عنه الحماية القانونية، والمساواة أمام القضاء حتى لغير المسلمين فيقول لشاب استكبر على قبطي :" **متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!** ".(6)

وقد كان للفاروق عمر رضي الله عنه من احترام الضعفاء والخدم الشيء الكثير. (7)

" **وكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه لَا يُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ عَبِيدِهِ**".(8)

مع أنه من أغنى الصحابة فلا يميزه أحد معهم ، لأنه لا يتقدمهم، ولا يلبس إلا من لباسهم.

ولذا حرص الإسلام على القضاء على التفرقة العنصرية التي كانت تسود المجتمع الجاهلي وغيره، **فكان بلال العبد الأسود مؤذناً في الإسلام** .

و كان عبادة بن الصامت أسود اللون وقد أرسله عمرو بن العاص على رأس وفد للتفاوض مع المقوسس عظيم القبط.(9)

وبهذا يتبين أن المساواة ليست وليدة صراعات أو رغبات بشرية ، بل هي مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.

---

(1)صحيح البخاري (5398)

(2)سنن أبي داود (3773)

(3)سنن أبي داود (4375)

(4)البداية والنهاية (301/3)

(5)البداية والنهاية (35/7)

(6)مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي(99)

(7)مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي(101)

(8)الزهد للامام أحمد(198)

(9)فتوح مصر والمغرب(88)

الخاتمة:

1. المساواة حاجة انسانية جعلها الله منحة للناس عامة دون تمييز بسبب معتقد أو عرق أو لون.
2. المساواة قضية عامة، تمس جوهر الإنسان عامة ، والمسلم خاصة وبشكل مباشر .
3. السنة النبوية لها الجانب المشرق في المحافظة على حقوق البشر كافة ففيها الاتساع واستيعاب المستجدات.
4. المساواة من أسباب الكرامة والشرف الإنساني وهي حق أساسي يتقرر منذ ولادة الإنسان.
5. رسخت السنة النبوية مفاهيم المساواة في أرقى معانيها وجعلتها من مقاصدها الأساسية بحيث جعلت منها سياجاً لكل الضرورات والمقاصد الأخرى فبدونها لا يتم حفظ الدين وكذلك حفظ النفس والنسل و العقل و المال.
6. المساواة تعتبر شريعة سماوية قررها الخالق للإنسان منحة وهبة.
7. المساواة مقصد من مقاصد الشريعة وليست وليدة الصراعات والأهواء البشرية.
8. المساواة في السنة النبوية بارزة في جميع الأدلة وبكل الأشكال وهي الأسبق من غيرها في تقريرها لحقوق الانسان وإنسانيته وكرامته.
9. العدل أعم وأشمل من المساواة.
10. قيم المساواة من أبرز أهداف التنمية المستدامة.
11. ضربت المملكة العربية السعودية أنموذجاً يُحتذى به في التنمية المستدامة.
12. أوصي بالحذر من المحاولات التي يقصد بها تغييب معنى المساواة ومقاصدها الإسلامية أو عدم فهمها الفهم الصحيح.

المراجع:

1. الأساليب النبوية في تفعيل القيم الحضارية في المجتمع الإسلامي.آسامة عدنان وخضير باعلي . منشور في مجلة دراسات ، مجلد 47 عدد 3 عام 2020.
2. الإسلام والأمن الاجتماعي . محمد عمارة .ط الشروق
3. البداية والنهاية. ابن كثير. ط السعادة
4. تعلم القيم وتعليمها . الجلاد . ط .دار المسيرة .
5. تفسير الطبري. لأبي جعفر بن جرير .ط دار هجر .
6. تفسير القرآن العظيم . ابن كثير الدمشقي. ط الكتب العلمية
7. الجامع لأحكام القرآن . القرطبي. ط الكتب المصرية.
8. الزهد للامام أحمد بن حنبل . ط الكتب العلمية.
9. سنن ابن ماجة . ط دار إحياء الكتب .
10. سنن أبي داود. ط الرسالة.
11. سنن الترمذي . ط دار الغرب .
12. السنن الكبرى . النسائي . ط الرسالة.
13. السيرة النبوية لابن هشام . ط البابي.
14. شرح مشكل الاثار . الطحاوي . ط الرسالة.
15. صحيح ابن حبان . ط دار ابن حزم.
16. صحيح البخاري . ط. دار طوق النجاة.
17. صحيح مسلم . ط. دار إحياء التراث العربي.
18. العدل والمساواة دراسة مقاصدية . وجدان أبو سنينة . رسالة ماجستير. جامعة القدس .
19. عمدة القاري. العينى . ط دار الفكر.
20. غريب الحديث . الخطابي. ط . دارالفكر
21. فتوح مصر والمغرب. ابن عبد الحكيم . ط مكتبة الثقافة.
22. المبادئ القضائية في الشريعة الإسلامية . حسين عبد العزيز ال الشيخ . 1426 هـ
23. مختار الصحاح . الرازي . ط العصرية.
24. المساواة في الإسلام الطبعة الثانية لدار المعارف العربية أبريل سنة 1965.
25. مسند الإمام أحمد بن حنبل ط. الرسالة.
26. معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي . سائر يصمةجي . ط مكتبة نور.
27. مفهوم المساواة .المعنى والتطبيق https://almoslim.net/node/82342.
28. مناقب عمر بن الخطاب. ابن الجوزي ط.دار الكتب العلمية.
29. الموسوعة العربية . مهند نوح. موقعه بالإنترنت.
30. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ط. دار الوسيلة .

التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم
سورة يوسف عليه الصلاة والسلام أنموذجا

الدكتور يوسف ابن يعيش

المملكة المغربية

youssef.ibnyaich.80@gmail.com

ملخص البحث:

كانت الإشكالية ولا تزال تتمحور حول الآليات الكفيلة لتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة التي تضمن الحياة الطيبة في عالم أصبح جل من فيه يعيش معيشة ضنكا. لذا جاءت هذه الوريقات لتقدم لنا بعض الحلول التي تستند إلى أسس تصلح للانطلاق في هذا الحقل الكبير، وهي أسس ربانية المصدر شاملة المنفعة، ممكنة التطبيق.

الكلمات المفتاحية: التنمية الاقتصادية- يوسف عليه الصلاة والسلام – الآليات- الحياة الطيبة.

Economic Development Holy Qur'an, Surat Yusuf, may God bless him and grant him peace, is an example.

Dr. youssef ibnyaich

ABSTRACT :

Praise be to Allah, the Lord of all worlds, and blessings and peace be upon the sent one, a mercy to the worlds. To proceed:

The problem continues to revolve around the effective mechanisms for achieving comprehensive economic development that ensures a good life in a world where the majority live in difficult conditions.

Therefore, these pages have come to present some solutions based on foundations suitable for embarking on this vast field, foundations that are derived from a comprehensive and beneficial divine source, and are practical in their application.

Keywords: Economic Development- Prophet Joseph peace be upon him- Mechanisms- Good Life.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.(سورة الملك الآية: 15). والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ، فَلْيَغْرِسْهَا».(مسند أحمد:12902).

أما بعد: تعد التنمية الاقتصادية من المواضيع التي لاقت اهتماما متزايدا قديما وحديثا؛ لأن بقاء العنصر البشري مرتبط بمدى التكامل بين الغذاء الروحي والجسدي. فإذا كان للروح غذاء، فكذلك الشأن بالنسبة للجسد، وأيهما فقد حاجته فلا شك أنه سيصاب بالداء وسيكون مصيره حتما إلى الموت. وفي ذلك قتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق. لذا أَوْلى الإسلام التنمية الاقتصادية أهمية خاصة.

لهذا سعت هذه الدراسة إلى مناقشة مفهوم التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة ما يتعلق بأسس تلك التنمية التي بدونها يتحول المال من نعمة إلى نقمة بحيث يضحى عاملا في هدم الحضارات وقتل البشر.

إشكالية الموضوع وفرضيته:

إن الإشكالية كانت ولا زالت تتمحور حول أسس التنمية الاقتصادية التي تضمن الحياة الطبية في الحياة الدنيا، والجزاء الأحسن في الأخرى، لذا يمكن حصر لب الإشكالية في مستويين:

المستوى الأول: ما هي أسس التنمية الاقتصادية التي جاءت في سورة يوسف عليه السلام؟

أما المستوى الثاني: هل يمكن اعتبار الاستراتيجية التي رسمها يوسف نموذجا لتحقيق التنمية الاقتصادية المتكاملة؟

وبناء على ما ذكر اعتمدت الدراسة على الفرضية الآتية:

إن سورة يوسف حوت الأسس التي تحقق التنمية الاقتصادية المنشودة، ويعد يوسف عليه السلام النموذج الأمثل للقيادة الراشدة التي بها تنكشف الأزمات المالية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه محاولة لتحسيس الأمة الإسلامية بأهمية العودة إلى الوحي لحل المشكلات التي تجعل الحياة صعبة يوما بعد يوم. فلا يمكن التغيير بدون أسس، ولا يستشرف المستقبل بدون فهم الماضي.

كما أن البحث يقدم نموذجا لذوي الخبرات، والكفاءات المعول عليهم عند حدوث الأزمات.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

استخلاص الدروس والعبر من الخطة التي وضعها يوسف لتحقيق التنمية الاقتصادية ومواجهة الأزمات.

بيان أن ما يعرف اليوم باستشراف المستقبل يعد أهم قواعد التعامل مع الحياة ومعطياتها، حيث أصبح التنافس في مضمار المستقبل ميدانا للتقدم ومقاسا للقوة والتحكم في مصائر الشعوب، فالحياة لا تعرف التوقف عند من تقاعس أو ركن إلى الخنوع والتخلف، فالسير إلى المستقبل يخطو بوتيرة سريعة لا تعرف الكلل والملل في ميدان ما دون ميدان، واستشراف المستقبل بشكل صحيح يظل حاكما بالتقدم والتقهقر.

أسباب اختيار البحث:

إن الأمم الواعية هي التي تعرف قيمة تراثها، وتدرك أن حاضرها لا يمكن أن ينهض إلا على أساس مخزون ثقافتها. فلابد من فهم الماضي، لإصلاح الحاضر، واستشراف المستقبل.

فالتنمية ليست فقط من أجل البقاء على قيد الحياة، وإنما من أجل القيام بوظيفة العبودية والاستخلاف في هذه الحياة، والتنمية التي أساسها الوحي هي الطريق الوحيد لتحقيق ذلك.

الوقوف على عبقرية الإدارة الاقتصادية الراشدة التي أنقذت البشرية من الأزمة الاقتصادية.

خطة البحث:

اشتملت بعد المقدمة على مبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول فيه: تحرير دلالات الألفاظ.

المبحث الثاني درست فيه: أسس التنمية.

والخاتمة فيها: أهم النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول: تحرير دلالات الألفاظ

يعد منهج تحرير دلالات الألفاظ أساس تصور و فهم الموضوع المراد دراسته، إذ لكل فن مصطلحه يفهم في سياقه. وفي هذا المبحث إشارة إلى أهم معاني المصطلحات التي تعد أساس موضوع الدراسة، بدءا بمفهوم التنمية وما يتفرع عنها، وانتهاء بسورة يوسف وما يرتبط بها.

المطلب الأول: مفهوم التنمية الاقتصادية

من المفيد تحرير مصطلح التنمية الذي شغل الصغير والكبير، وأصبح عنوانا لكثير من الاجتماعات، والمؤتمرات. لذا كان لزاما الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح التنمية عموما، ثم التنمية الاقتصادية خاصة.

أولا: تعريف التنمية

التنمية لغة

التنمية مأخوذة من فعل نما. قال ابن فارس(1989): "النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة. ونمى المال ينمي: زاد(5-489).

وقال الخليل بن أحمد(د.ت): "نما الشيء ينمو نموا، ونمى ينمي نماء أيضا. وأنماه الله: رفعه، وزاد فيه إنماء، ونماه أيضا(8-384).

إذن التنمية في اللغة تدل على الزيادة، والارتفاع.

التنمية اصطلاحا

عرفت التنمية بتعريفات المختار منها:

التنمية هي: "التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاقتصادية والاجتماعية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها".(عبد الكريم بكار،1420هـ/1999م، ص: 9).

هي: "الزيادة المطردة في مجالات الخيارات والفرص المتاحة للفرد في تخطيط وممارسة حياته حسب آرائه الشخصية في السعادة ومطالب الحياة"(عبد الكريم بكار،ص:9).

وهي:"مجموعة الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع المسلم للقيام بأمر الله تعالى" (عبد الكريم بكار،ص:9).

ثانيا: تعريف الاقتصاد

أ – الاقتصاد لغة

يختلف معنى كلمة الاقتصاد في اللغة حسب السياق الذي تستعمل فيه. لذا سأركز على معنى الكلمة في سياقها المالي .

فالاقتصاد في اللغة مأخوذ من فعل:

قصد: القصد استقامة الطريقة، وقصد يقصد قصدا فهو قاصد. والقصد في المعيشة ألا تسرف ولا تقتر (الفراهيدي،د.ت،5-54و55).

ومن فعل: اقتصد. واقتصد فلان في أمره أي استقام.(ابن منظور،1414ه، 3-353).

واقتصد في النفقة: إذا لم يبذر ولم يقتر(الحميري،1999، 8- 5524).

وتوسط ولم يسرف؛ فالتوفير نتيجة منطقية لعدم الإسراف.(أحمد مختار عمر،1،2008-125).

إذن الاقتصاد في اللغة هو: التوسط، والقصد في المعيشة بين الإسراف والتقتير.(محمد حسن،2010م،4-1792).

والاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، وأصله القصد، وذلك لأن من عرف مطلوبه فإنه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب، أما من لم يعرف موضع مقصوده فإنه يكون متحيرا، تارة يذهب يمينا وأخرى يسارا، فلهذا السبب جعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي إلى الغرض.(الرازي،1420،12-399).

ب- الاقتصاد اصطلاحا

عرف الاقتصاد بتعريفات المختار منها:

أنه: رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين، والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما. العز بن عبد السلام(1991، 2-205). قال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. سورة الإسراء الآية: 29).

ثالثا: تعريف التنمية الاقتصادية

انطلاقا من المعنى اللغوي والاصطلاحي للتنمية والاقتصاد يمكن القول أن التنمية الاقتصادية هي: "مجموعة من الأنشطة التي تستهدف تحقيق قدر من الرخاء المادي المناسب لتفتح جوانب الشخصية الإنسانية، بما يؤهلها للقيام بحق الاستخلاف في الأرض".(عبدالكريم بكار،1999،ص:289).

فالتنمية الاقتصادية الصحيحة هي التي تساعد على خلق واقع اجتماعي يجعل هذا الأخير أقرب إلى الالتزام، وتحقيق الأهداف الكبرى في هذه الحياة على رأسها تحقيق العبودية لله عز وجل. وتحقيق ذلك راجع إلى أسس ينبني عليها الاقتصاد الإسلامي.

لذا عرف علم الاقتصاد بأنه: "علم يبحث في الإنتاج وفي توزيع الثروة وطرق استهلاكها ".(أحمد مختار،2008م،3-1819).

المطلب الثاني: التعريف بسورة يوسف

للتعريف بالسورة سأركز على:

أولا: سبب ومكان نزولها

نزلت سورة يوسف بكة فهي مكية.(ابن كثير،1999، 4- 365).

ونزلت جوابا لما سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم. عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ إلى قوله: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾.(صحيح ابن حبان:4319).

ثانيا: سبب تسميتها

وجه تسميتها ظاهر لأنها قصت قصة يوسف- عليه الصلاة والسلام ولم تذكر قصته في غيرها. ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر. وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتتحة بحروف الر.(التحرير والتنوير،د.ت،12-197).

وسميت بأحسن القصص: لأن الله عز وجل ذكر أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز المتكرر لمن تأمل (القرطبي،9،1964-118).

و ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها: ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ﴾.(سورة يوسف الآية: 111).

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم بعد الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (سورة يوسف الآية: 92).

وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة، انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير.(القرطبي،1964، 9- 120).

وفيها الدعاء بحسن الخاتمة، وجميل العاقبة، وطلب السعادة، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ (الفيروزآبادي،1،1996-256و257).

ثالثا: موضوع السورة

المتتبع لسورة يوسف عليه السلام يلحظ أنها تشتمل على:

مقدمة تمهيدية تتعلق بالقرآن، وبما قص الله عز وجل من قصص هو أحسن القصص، للدخول إلى قصة يوسق عليه السلام الرائعة مع أبيه يعقوب عليه السلام، وإخوته، ومع امرأة العزيز، وما جرى له بعد ذلك حتى صار له الكلمة الأولى بعد ملك مصر، وكيف حقق له الله عز وجل رؤياه التي رآها في صغره.

وتشتمل على خاتمة تبين أن إنزال هذه القصة على محمد صلى الله عليه وسلم من الشواهد على نبوته ورسالته للذين لم يستجيبوا بعد لدعوته من المشركين المعنيين بالمعالجة، ومع هذه المعالجة توجيهات وتدريبات للرسول صلى الله عليه وسلم وللؤمنين.(الميداني،2014،ص:596و597).

والسورة فيها من معاني التنمية المتكاملة: التنمية الإيمانية، الأخلاقية، الفكرية، والاقتصادية، التي بها تسعد الأمة في الدنيا وما بعد الدنيا، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

المبحث الثاني: أسس التنمية

إن الإسلام دين ونظام حياة؛ والمنهج الاقتصادي الإسلامي في التنمية جزء من منهاج متكامل للحياة؛ يجمع ذلك المنهج بين الماديات والروحانيات، ويوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ويقوم على العدالة في العلاقات بين الأفراد والمؤسسات. كما أنه يقوم على أسس تتفق مع فطرة الإنسان ووسطية الإسلام.

ووضع الإسلام أسسا للوصول بالقطاع الاقتصادي إلى الحالة المرضية. وفيما يلي وقفة تفقهية في سورة يوسف عليه السلام لاستنباط بعض تلك الأسس.

المطلب الأول: الأساس الإيماني

إن الاقتصاد الإسلامي في عملية التنمية يعطي الأهمية الأولى للجانب العقدي الإيماني؛ لأننا إذا أغنينا الحياة المعنوية خف الطلب على المال خصوصا إذا علمنا أن الإنسان لا يشبع منه، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ». صحيح البخاررري(6439).

فالتهافت على المال وكبت النشاط الروحي يؤديان بدون شك إلى شحن المجتمع بروح الحقد والحسد والشجع والعنف...(مدخل إلى التنمية المتكاملة،1999،ص:27و28).

وأمام هذا الوضع ليس أمامنا من حلول سوى أن ننمي داخل ثقافتنا قيم الإيمان بالله عز زجل، والإقبال على الآخرة. وكثيرا ما يقترن الإيمان بالله باليوم الآخر في القرآن الكريم، وذلك للعلاقة الوثيقة بينهما، كمل في قوله تعالى: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (سورة البقرة الآية: 126).

والإيمان بالله واليوم الاخر هما أساس المشروع الإصلاحي في منهج يوسف عليه السلام.

أولا: الإيمان بالله عزوجل

يقتضي الإيمان بالله في الجانب الاقتصادي أنه: وحده الرزاق، ذو القوة المتين يرزق من يشاء بغير حساب، وهذا بين في غير ما آية: قال جل جلاله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.(سورة الذاريات، الآية: 58).

وجعل سبحانه وتعالى الإيمان، والتقوى من أسباب الرزق. فلو آمن الناس واتقوا لفتح الله عليهم بركات، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.(سورة الأعراف الآية: 96).

قال القرطبي(1964):" فجعل تعالى التقى من أسباب الرزق"(6-241).

المتدبر للآية يلحظ أن المفتوح- وهو: قطر السماء، ونبات الأرض.(ابن كثير،1999، 3- 451) - موصوف بالبركة ليحصل به الانتفاع. وجاءت البركة بصيغة الجمع، والمقصود من الجمع تعددها، باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة.(ابن عاشور،984، 9 - 21).

وتنزع البركة مع وجود الفتح إذا غاب الإيمان، كما في قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾. سورة الأنعام الآية:44و45).

لما تركوا ما أمروا به على لسان رسلهم فتح الله عز وجل كل أصناف الأرزاق، رخاء الدنيا ويسرها: بدلوا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، على وجه الاستدراج.(الطبري،د.ت،11-357).

حتى إذا فرح هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السَّعة في المعيشة، والصحة في الأجسام؛ أتاهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون أن ذلك كائن، ولا هو بهم حالٌّ.(الطبري،د.ت،11-359 و360).

وكان عنصر الإيمان أساس المشروع الإصلاحي في منهج يوسف عليه الصلاة والسلام قبل وبعد التمكين له في الأرض.

سجن يوسف عليه السلام ظلما وعدوانا رغم الأدلة على براءته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾.(سورة يوسف الآية:35).

وفي السجن دعا إلى الإيمان بالله عز وجل قبل تأويل الرؤيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قالَ لَا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.(سورة يوسف الآية:36إلى38).

دعا يوسف عليه الصلاة والسلام أصحاب الرؤيا إلى الإيمان ليسعدا. وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الضالين، فإن الله يهدي قلبه، ويعلمه ما لم يكن يعلم، ويجعله إماما يقتدى به في الخير، وداعيا إلى سبيل الرشاد.

ثم أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما. مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾.(سورة يوسف الآية:39).

الواحد القهار الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه، ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هو جهل منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خلفهم عن سلفهم، وليس لذلك مستند من عند الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾.(سورة يوسف الآية:39).

ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه فقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَاّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.(سورة يوسف الآية: 3).

والذي دعا إليه يوسف عليه الصلاة والسلام من توحيد الله وإخلاص العمل له، هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه وبرضاه، ونجد هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف الآية:30).

ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلهذا كان أكثرهم مشركين.(ابن كثير،1419، 4- 333و334). مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.(سورة يوسف الآية: 103).

ولما فرغ من دعوتهما إلى التوحيد والإسلام لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه والإنصاف إليه شرع في تعبير رؤياهما. وهذا شأن المصلحين في كل مجال.

ويظهر من خلال تأويل الرؤيا لصاحبيه لم يتطلب كلاما كثيرا بل كلمات معدودة، بينما كان النصيب الأوفر للقضية المصيرية التي خلق من أجلها الإنسان وهي: توحيد الله عز وجل.

اتضح مما سبق أن الإيمان بالله عز وجل لا محيد عنه لكل تنمية خصوصا في المجال الاقتصادي؛ لأن ذلك يربي في الفرد الرقابة الذاتية التي تجعل المجتمع أقرب إلى الالتزام، خاصة إذا انضاف إليه الإيمان باليوم الآخر.

ثانيا: الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو: يوم القيامة وما اشتمل عليه من البعث والجزاء والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار.(ابن الملقن،2012،ص:105).

والإيمان باليوم الأخر أعظم باعث على تقويم سلوك الإنسان على المستوى الاقتصادي، بحيث نجد في القرآن الكريم إشارات صريحة وواضحة إلى علاقة المال باليوم الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.(سورة البقرة الآية:254).فيدرك المؤمن أن المال هو مال الله، والإنسان مستخلف فيه.

والإيمان باليوم الآخر يجعل المرء يكتسب المال من حله استجابة لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.(سورة البقرة الآية:168). وينفقه في محله، امتثالا لقوله تعالى: : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.(سورة الحديد الآية:7).

بهذا يجمع بين حسن التدبير، وتجنب التبذير مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.(سورة الإسراء الآية: 26و27). وقوله أيضا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. (سورة الفرقان الآية:67).

إضافة إلى ذلك يعد الإيمان باليوم الآخر من الأصول الاعتقادية التي تصرف الإنسان عن التكسب الحرام الذي أصله أموال الناس باباطل، والربا، والرشوة...زيادة على ذلك ينفق جزءا من ماله لأنه يعلم أن الآخرة لا مجال فيها للتنافس في الأموال، بل التنافس بحسب الثواب، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.(سورة البقرة الآية:245).

ويجمع تلك المعاني قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ».(سنن أبي داود:2417).

وأساس الإيمان باليوم الآخرة كان أساس العقيدة التي عاش عليها -يوسف عليه الصلاة والسلام- ومنطلق دعوته، ونجاح مشروعه التنموي. ﴿قالَ لَا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَاّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾.(سورة يوسف الآية: 37).

ولما اهتم يوسف في مسيرته الإصلاحية بالآخرة جمع الله له الدنيا والأخرى. قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ﴾.(سورة يوسف الآية:56 و57).

مكن الله له بتقريبه من الملك، قال الله عز وجل: ﴿وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.(سورة يوسف الآية: 54).

وإخراجه من السجن، ولقاء الأحبة ونجد هذا المعنى في قوله : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُوَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾.(سورة يوسف الآية:100).

قال القرطبي(1964) ومثل هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبه إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن مكنا له في الأرض أي: أقدرناه على ما يريد(9-217).

يتبين مما سبق أن الإيمان بالله واليوم الآخر هما جوهر التمكين وتحقيق التنمية، وغيابها يؤدي بدون شك إلى الانهيار وتوقف حركة التنمية الحقيقية التي يسعد صاحبها في الدنيا والآخرة.

وتتحقق التنمية الاقتصادية أكثر إذا اقترن الجانب الإيماني بالقيم الأخلاقية ؛ فالاقتصاد الإسلامي اقتصاد "قيمي""أو "أخلاقي". فلابد من حضور الأساس الأخلاقي لتحقيق التنمية المنشودة، لذا كان لزاما استنباط الأساس الأخلاقي من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الأساس الأخلاقي

إن الناظر في النصوص الشرعية يجد ترابطا بين الاقتصاد والأخلاق؛ لأن الاقتصاد الإسلامي هو اقتصاد ديني أخلاقي؛ يرتكز على الأخلاق الفاضلة والسلوك السوي المستقيم. واقتران القيم الأخلاقية بالمفاهيم الاقتصادية من أوجه الإعجاز في التشريع الإسلامي. وخير دليل قوله صلى الله عليه وسلم: «نِعم المال الصالح للمرء الصالح».(مسند أحمد:18485).

والأخلاق الفاضلة هي ركيزة أساسية للمسلم في كل معاملاته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا».(صحيح البخاري:3366).

فإذا طورنا النظام ومفاهيمه دون الإنسان ومفاهيمه فسرعان ما يتسرب الفساد من الإنسان إلى النظام، فيقوضه أكثر مما يتسرب الإصلاح من النظام إلى الإنسان فيصلحه؛ لأن الأنانية وحب الذات والجشع أقوى من نصوص القوانين والأنظمة ما لم تهذبها التربية الداخلية العميقة والأخلاق الكريمة المبنية على معرفة الله وحبه والخوف منه (سورة يوسف دراسة تحليلية، ص: 418) إن الآيات القرآنية الكريمة أشارت إلى جوانب أخرى ارتبط بها نجاح الخطة ارتباطاً مباشراً، وأهمها جانبان يجمعهما عنصر واحد هو العنصر البشري وعلاقته بنجاح الخطة.

إن الآيات القرآنية الكريمة في سورة يوسف أشارت إلى جملة من المعاني السلوكية التي كانت منطلق التنمية الاقتصادية للمشروع الاقتصادي اليوسفي. منها على سبيل المثال: الأمانة والصدق والاخلاص، والإحسان والعدل.

أولا: الإخلاص

إن الإخلاص أساس قبول الأعمال وسبب لكل خير وسر النجاح. وظهر إخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام في كل حركاته؛ في حواره مع امرأة العزيز والسجينين والملك ومع إخوته. لهذا وصفه الله عز وجل بهذه الصفة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. (سورة يوسف الآية: 24).

قال تعالى:﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.: بفتح اللام، وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. فأثبتت القراءتان مخلص لربه في طاعته، صادق الإخلاص في تصرفاته ومكسوباته. وهو مخلص(بفتح الام) من قبل ربه صفاه ونقاه من الشوائب، واختاره نبيا رسولا. ناجحا في تحقيق الأهداف بشرف وعزة. فأعطى يوسف عليه السلام كل ما لديه دون انتظار الثناء من الآخرين، ولسان حاله إن أجري إلا على الله. فالإخلاص شرط لازم للتنمية الاقتصادية النافعة.

ثانيا: الأمانة

تحدث القرآن الكريم عن الأمانة في أكثر من موضع لبيان أهميتها من جهة، وخطورتها من ناحية أخرى، وفي سورة يوسف قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) ﴾.(سورة يوسف الآية:54و55).

هذه الآية الكريمة وردت في سورة يوسف في سياق حديث الله عز وجل عن مرحلة ما بعد ابتلاء وتمحيص يوسف عليه السلام، وثباته في تلك المحطات التي سبقت تحمله مسؤولية خزائن مصر.

وقوله حفيظ أي: خازن أمين. ابن كثير(4،1999-395). لما استودعتني.الطبري(16-150).

اجعلني صاحب السلطة على التموين ووسائله في أرض مملكتك كلها بمصر؛ فإني حفيظ للأقوات، وحفيظ على وزن فعيل من صيغ المبالغة والتكثير أي: كثير الحفظ. ولأمانة يوسف جعله الملك صاحب السلطان المطلق على خزائن الأرض في مملكته.(الميداني.10،2014-690).

فالأمانة شرط لازم لتحقيق التقدم الاقتصادي. وصفة لازمة لكل مسؤول. ولابد من اقتران الأمانة بالعلم، فالآية واضحة في الربط بين الأمانة والعلم. والعلم هنا الكفاءة الاقتصادية كما هو مفهوم من سياق الآيات. ومتى وجدت الأمانة مع العلم تتحقق قيمة العدل الذي يعد ركيزة التنمية

ثالثا: العدل

العدل هو: أن يعطى كل ذي حق حقه، سوء أكان ذو الحق فرداً أم جماعة أم شيئاً من الأشياء أم معنى من المعاني، بلا طغيان ولا إخسار، فلا يبخس حقه ولا يجور على حق غيره

ويعد العدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، حتى جعل القرآن إقامة القسط - أي العدل - بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها، يقول تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..}(سورة الحديد الآية:25). (القرضاوي،د.ت،ص:192).

وسبقت الإشارة أن يوسف عليه الصلاة والسلام أصبح مسؤولا عن أموال الدولة لما اتصف به من الأمانة والكفاءة، فدبرها أحسن تدبير على أساس العدل؛ فالاقتصاد المنظم النافع هو القائم على قيمة العدل.

إن الناظر في سورة يوسف يجد أنه عليه الصلاة والسلام لم يغفل قيمة العدل، بل أعطاه عناية بالغة ومساحة واسعة، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾.(سورة يوسف الآية: 59).

جاء إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر عند حلول القحط بأرض مصر وما جاورها من بلاد فلسطين، وكان مجيئهم في السنة الثانية من سني القحط. وإنما جاء إخوته عدا بنيامين لصغره، وإنما رحلوا للميرة كلهم لعل ذلك لأن التزويد من الطعام كان بتقدير يراعى فيه عدد الممتارين، وأيضا ليكونوا جماعة لا يطمع فيهم قطاع الطريق، وكان الذين جاءوا عشرة.

ودخولهم عليه يدل على أنه كان يراقب أمر بيع الطعام بحضوره ويأذن به في مجلسه خشية إضاعة الأقوات لأن بها حياة الأمة. (الطاهر بن عاشور،13،1984-11و12). حتى لا يستفيد القوي ويهمل الضعيف

قوله: ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، أي: أتمه ولا أبخسه.(القرطبي،9،1964-221).

يوسف عليه الصلاة والسلام حقق ما يسمى بالعدل الاجتماعي في توزيع الثروة، وكان يراقب ذلك بنفسه حتى لا يسرقها القادرون وذوو النفوذ، فيأخذ المال بغير حق. فكان خير المنزلين: ينزل الممتارين في ضيافته لكثرة الوافدين على مصر. (الطاهر بن عاشور،13،1984-13).

وبقدر ما حث الإسلام على العدل حرم الظلم أشد تحريم، خاصة ظلم الأغنياء للفقراء. فحث الإسلام على الإحسان الذي يعد أساس التنمية الاقتصادية.

رابعا: الإحسان

الإحسان هو: الاحسان هو النفع على الحقيقة. (العسكري،1412،ص:41). وأحسنت كذا إذا أتقنته وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع.(ابن حجر،1،1390-120).

إنّ الإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به، وتقديم النفع للآخرين. وحث الله عز وجل على الإحسان في سياقات مختلفة ففي الجانب الاقتصادي الذي يهمنا قال الله عز وجل في قصة قارون: ﴿وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. (سورة القصص الآية: 77) ، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (سورة البقرة الآية: 195) . لقد تمّ الرّبط في هذه الآية الكريمة بين الإنفاق وهو المظهر الاقتصاديّ للإحسان وبين التّهلكة (خراب المجتمع) ، وسبب ذلك: إنّ المجتمعات الّتي تقوم على الاستغلال والاحتكار تفرز الطّبقيّة، وتبذر بذور الصّراع الاجتماعي في الدّاخل، وتؤدّى إلى الصّراعات العالميّة في الخارج، وينتج عن ذلك شقاء الفريقين جميعا، المستغلّون والمستغلّون، فالطّبقة الأولى تقع فريسة للغربة والعزلة من ناحية وفقدان المحبّة وشيوع النّفاق من ناحية أخرى، كما أنّه يتولّد لديها الشّعور بالخوف وعدم الأمان من ناحية ثالثة، أمّا طبقة المستضعفين فإنّها تقع فريسة لمجموعة من الأخطار أهمّها: كره الطّبقات العليا المحتكرة والحقد عليها من ناحية ثمّ الإحساس بالغبن والإحباط من ناحية ثانية، وأخيرا فإنّها تميل إلى الجريمة والاستعداد للعنف من ناحية ثالثة.

إن تمكن هذه الآفات الاجتماعية في كلتا الطبقتين هو التهلكة التي تشير إليها الآية الكريمة وتحذر منها وتدعو إلى معالجتها بالإحسان والإنفاق.(صالح بن حميد،د.ت،2-75).

ويعد يوسف عليه الصلاة والسلام النموذج الأمثل للإحسان، لذا جعل الله قصته أحسن القصص. وصف يوسف بالإحسان في مقتبل حياته لما بلغ أشده، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.(سورة يوسف الآية:22).

في هذه الآية إخبار عن اصطفاء يوسف عليه الصلاة السلام للنبوءة، وذكر هنا في ذكر مبدأ حلوله بمصر لمناسبة ذكر منة الله عليه بتمكينه في الأرض وتعليمه تأويل الأحاديث.(الطاهر بن عاشور،1948، 12-248).

ووصفه به وهو في السجن، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(سورة يوسف الآية:36).

وصفه الله تعالى به أيضا بعد التمكين والجلوس على خزائن الأرض، قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(سورة يوسف الآية: 56).

ووصف بالإحسان لما تعامل معه إخوته في التجارة قبل أن يعرفوه كما في قوله تعالى: ﴿قالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(سورة يوسف الآية: 78).

من أحسن أحسن الله إليه، وحقق التنمية، وهذا المعنى واضح في الحديث القدسي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله: «أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ.».(صحيح البخاري،2352).

فالإحسان إذن قيمة أخلاقية للتنمية الاقتصادية. يشمل الفرد والمجتمع والدولة والحياة بأسرها ولن تقوم تنمية راشدة إلا إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس، لأن صلاح البلاد والعباد مرتبط بفضيلة الإحسان، به يتماسك بنيان المجتمع وحمايته من الخراب والتهلكة ووقايته من الآفات الاجتماعية الناجمة عن الخلل الاقتصادي.

المطلب الثالث: الأساس الإداري

التخطيط أسلوب علمي وعملي للربط بين الأهداف والوسائل المستخدمة لتحقيقها ورسم معالم الطريق الذي يحدد القرارات والسياسات، وكيفية تنفيذها في محاولة للتحكم في الأحداث باتباع سياسات مدروسة محددة الأهداف والنتائج.(الساعدي،2013ص:114).

عرض القرآن الكريم في محكم آياته لوظائف الإدارة وأشار إليها في أكثر من موضع؛ لأن التخطيط السليم والإدارة الناجحة من الأسباب الأكيدة التي تتقدم بها الأمم.

إن التخطيط في المفهوم القرآني هو الاستعداد في الحاضر للمستقبل، لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص، آية:77).إنه توجيه رباني للتخطيط في هذه الدنيا لمقابلة مصير الآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال، آية: 60).

وهذه الآية دعوة للإدارة الإسلامية بالعمل والتخطيط والاستعداد بقوة لمواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته.(الصلابي،د.ت،ص:140).

وعندما نقرأ سورة يوسف نرى عبقرية الإدارة الاقتصادية الراشدة. كان بالتأكيد إحدى المعجزات الإنسانية في الاقتصاد التي يجب أن تدرس في الجامعات.

بعد تفسير يوسف عليه الصلاة والسلام لرؤيا الملك، أعجب هذا الأخير بتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام، وما أشار به من تدبير اقتصادي لحماية الشعب من الجوع في سنوات الجذب والقحط. بعد هذا قال للذين يوجه إليهم الأمر ائتوني بيوسف من السجن. (الميداني،2014ص:686).

مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.(سورة يوسف الآية: 54).

أسند إلى يوسف عليه الصلاة والسلام وظيفة تلائمه، وهذا وعد الله عز وجل له جزاء إحسانه في اختياراته وأعماله الصالحة الظاهرة والباطنة، مع وعده بالأجر العظيم يوم الدين (الميداني،2014،ص:685).

تولى يوسف وظيفة المالية والخزانة، كما قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) ﴾.(سورة يوسف الآية:54و55). علم الملك أنه اتصف بصفتين يعسر حصول احداهما في الناس، وهما: الحفظ لما يليه والعلم بتدبير ما يتولاه. صفة الحفظ المحقق للائتمان، وصفة العلم المحقق للمكانة. (توفيق،2015،ص:92).

تجاوز يوسف عليه الصلاة والسلام الرؤيا وتأويلها فوضع القواعد الأساسية للتنمية الاقتصادية لإنقاذ المملكة المصرية من الأزمة لاقتصادية المرتقبة. واجتهادا مني قسمت خطته إلى خمس مراحل(المخطط الاستعجالي الخماسي).

أولا: توقع الأزمة الاقتصادية

كانت بدايتها بالحوار الذي دار بين الملك وحاشيته بسبب الرؤيا التي رآها، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.(سورة يوسف الآية:43).

وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتعجب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة وكبراء دولته وأمراءه وقص عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك، واعتذروا إليه بأن هذه،﴿أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾،أي: أخلاط اقتضت رؤياك هذه،﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾، أي: ولو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط، لما كان لنا معرفة بتأويلها، وهو تعبيرها. فعند ذلك تذكر ذلك الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف، من ذكر أمره للملك، فعند ذلك تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، أي: مدة. فقال للملك والذين جمعهم لذلك ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾، أي: بتأويل هذا المنام،﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، أي: فابعثوا إلى يوسف الصديق إلى السجن. وذكر المنام الذي رآه الملك، فعند ذلك

ذكر له يوسف، عليه السلام، تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ما وصاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك.(ابن كثير،1999، 3-392).

ومما يدل على التنبؤ بالأزمة قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾.(سورة يوسف الآية: 48).

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾، يعني: السنين المجدبات، الصعاب. ﴿يَأْكُلْنَ﴾، مجاز، والمعنى يأكل أهلهن. ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، يعني: ما ادخرتم لأجلهن.(القرطبي،1964، 9-204).

بين يوسف عليه الصلاة والسلام أن مصر ستتعرض لركود اقتصادي. فلا بد من التخطيط وأخذ الحذر.

ثانيا: التشجيع على الإنتاج قبل حدوث الأزمة

أمر يوسف عليه الصلاة والسلام المجتمع بالعمل المتواصل دون توقف أو كسل، لأن المرحلة تقتضي ذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾.(سورة يوسف الآية: 48) أي: تزرعون كعادتكم بصورة متوالية متتابعة سبع سنين بدون توقف.(القرطبي،9،1964-203). كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى. والدأب: العادة.(الطبري،2001، 13-189).

فلا داعي للتأخير لأن مدة سبع سنوات طويلة. ويجب أخذ الأمور بأكثر جدية. وليس كما هو الحال بالنسبة للشعوب المتخاذلة والمتكاسلة. فأمرهم ببذل الجهود المضاعفة المستمرة لزيادة الانتاج، ليمكنهم من توزيعه في السنوات الجذب.(توفيق،2015،ص: 92).

وقوله: ﴿تَزْرَعُونَ﴾.(سورة يوسف الآية: 48) لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أي: ازرعوا، بشهادة قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾.(سورة يوسف الآية: 48).

قيل: ويخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه

قيل: وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه.(الهمداني،2006، 3-596).

قال القرطبي.(1964) هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شي من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية، ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده، من غير وجوب عليه.(9-203).

ثالثا: الادخاروعدم الإسراف

لا شك أن مواجهة الأزمات يتطلب خطة استثنائية، لابد من الاستعداد للبلاء قبل وقوعه، وهذا المعنى واضح في قوله: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.(سورة يوسف الآية: 48).يعني: فيخرج من سنبله لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل ، وهذا القول منه أمر.(الماوردي،د.ت،3-44).

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ)، أي: استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة، وهذا القول منه أمر (القرطبي،1964، 9-203).

وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد.(ابن كثير،1999، 4-393). أمرهم أن يحفظوا الأكثر ويأكلوا بقدر الحاجة.(السمعاني،1997، 3-36).

كل ما أردتم أكله فدوسوه ودعوا الباقي في سنبله حتى لا يفسد ولا يقع السوس فيه، لأن إبقاء الحبة في سنبله يوجب بقاءها على الصلاح.(الرازي،1420، 18-465).

قال الطاهر بن عاشور(1984) وكان ما أشار به يوسف- عليه السلام على الملك من الادخار تمهيدا لشرع ادخار الأقوات للتموين، كما كان الوفاء في الكيل والميزان ابتداء دعوة شعيب- عليه السلام، وأشار إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السوس الذي يصيب الحب إذا تراكم بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السوس، وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة.(12-278).

وتبين أن أفضل وسيلة لحفظ حبوب القمح في عصرنا هي أن نتركه في سنابله وكذلك الذرة نتركها في غلافها. وكان تعبير الرؤيا دقيقاً لأنه يريد أن يستبقي للناس حياتهم في زمن الجدب، ويستبقي لهم كذلك الضرع الحيواني، فتأكل الناس الحب، وتأكل الماشية التبن المتبقي، وكذلك ضمن الحق مقومات الحياة لكل ما يلزم للحياة. ونلحظ أن المأكول في هذه الآية هو القليل، أما الباقي فهو الكثير في سنابله، هذا في أيام الرخاء؛ فماذا عن أيام الجدب؟

رابعا: الأمربالإنفاق مع الحفاظ على ما يحتاج للزراعة

قال: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذلك سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾. (سورة يوسف الآية: 48) .

أي أن الناس ستأكل في أعوام الجدب الكثير من الحبوب التي في المخازن ويجب أن يحتفظوا بقليل مما يحصنون في هذه المخازن، وذلك لاستبقاء جزء من القمح للزراعة.(الشعراوي،1997، 6-2357).

والحفظ في السنابل يعلمنا قَدْر القرآن، وقدرة من أنزل القرآن سبحانه، وما آتاه الله جل علاه ليوسف عليه السلام من علم في كل نواحي الحياة، من اقتصاد ومقومات التخزين، وغير ذلك من عطاءات الله، فقد أثبت العلم الحديث أن القمح إذا خُزِّن في سنابله؛ فتلك حماية ووقاية له من السوس. .(الشعراوي،1997، 11-6977).

وهذه عملية اقتصادية تحتاج إلى تخطيط وتطبيق ومتابعة وحسن تدبير وحزم وعلم. لذلك كان مطلب يوسف عليه السلام فيه تأكيد على أن الواقع القادم سيأتي وفقاً لتأويله للرؤيا، فتقول الآيات: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.(سورة يوسف الآية:55). وهذا القول تأكيد لثقة يوسف أن القادم في هذا البلد يحتاج لحكمة إدارة، لا تبعثر ما سوف يأتي في سنين الخصب؛ لتضمن الاطمئنان في سنين الشدة، وتلك مهمة تتطلب الحفظ والعلم(الشعراوي،1997، 11-6998).

في هذه المرحلة يأكل الشعب من مخزون الدولة المدخر ، وعلى الإرادة حينئذ أن تحسن تلبية مطالب الناس من الأقوات المدخرة، بحسب حاجاتهم دون إسراف وبمقدار ما يكفي، ليكفي المدخر ما بقي من زمن القحط(الميداني، 2014،ص:682).

وأكل العجاف للسمان فيه: إرشاد إلى وجوب ادخار الأقوات الناتجات في سنوات الخصب بالمقدار الذي يكفي لميرة الناس في سنوات الجذب مع زيادات احتياطية للطوارئ غير المرتقبة. (الميداني، 2014،ص:681). وبعد العسر يأتي اليسر، حيث تعود الأحوال إلى ما كانت عليه قبل سنوات القحط. وفي هذا استشراف المستقبل.

خامسا: استشراف المستقبل.

مما لاريب في أن الله عز وجل استأثر بعلم الغيب، إلا من ارتضى من رسول، قال تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (26) إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.(سورة الجن الآية: 26و27).

وهذا لا يعني أننا لا نخوض فيما نستقبل، بل يجب ذلك وفق منهج يحترم النقل ويسدد العقل؛ لأن علم المستقبل محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها، والتعرف إلى مجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي، وملاحظة سنن الكون، والانطلاق من ذلك كله إلى استشراف المستقبل وصولا إلى طرح رؤية له.(الساعدي،2013،ص:20).

ونشأ هذا العلم في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعد أحد أهم التطورات التي حدثت في مجال العلوم الإنسانية في ذلك الزمن.(بلكا،1429،ص:29).

وبالرجوع إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية نجد أن هذا العلم ظهر منذ زمن بعيد، وما قصة يوسف عنا ببعيد، فكان عليه الصلاة والسلام يتنبأ بما يحدث في المستقبل بتقدير الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ﴾.(سورة يوسف الآية: 6).

ويلاحظ من تأويل الرؤيا أن يوسف عليه الصلاة والسلام توفرت لديه رؤيا مستقبلية وهي أساس القيادة. فيجب أن تتوفر في من يقومون على المناصب العامة القدرة على تكوين رؤى لقطاعاتهم واستشراف لما يكون عليه المستقبل في مجالاتهم، ووضع الخطط المناسبة للتحولات والأزمات المقبلة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.(سورة يوسف الآية: 49).

في هذه المرحلة تعود البلاد إلى سابق عهدها قبل سنوات الخصب الكثير والقحط الشديد، فيأتي بعد كل ذلك في هذا العام يغاث الناس بالأمطار على وفق سابق عهدهم، ويتمكنون من عصر ما يستخرجون به من شراب أو دهن أو غير ذلك مما ينتفعون به(الميداني، 2014،ص:683).

وهذا من رحمة الله عز وجل بعد العسر يأتي السير، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾. سورة الشورى الآية: 28).

خاتمة:

يمكن القول إن الدراسة قد توصلت إلى النقاط الآتية:

- أسس التنمية الاقتصادية في سورة يوسف متكاملة الأبعاد، ذروة سنامها الإيمان برب العباد.
- الأهمية الكبرى للأخلاق في التنمية وبقدر التمسك بها يكون الازدهار والتقدم. وإذا طورنا النظام وأهملنا الأخلاق فإن الفساد سينخر النظام. وفي هذا هلاك للحرث والنسل. فالتنمية الاقتصادية بحاجة إلى قيادة رشيدة من خصائصها الأساسية العلم والأمانة وإتقان العمل؛ لأن فائدة التغيير تزول إذا لم يكن هناك إنسان أمين.
- أهمية التخطيط في تحقيق التنمية لقد كان من ثمار تدبير يوسف عليه السلام وتخطيطه أن حفظ الشعب من الهلاك وفي هذا إشارات كي ندرك أن الإسلام لا يقوم على التخمين أو التواكل، ولكنه يهتم بأدق الأساليب وأعمقها في جوانب الاقتصاد أو السياسة أو غيرها وكان لهذا القصص أثره البالغ في بناء الدولة الإسلامية على أسس التخطيط والإدارة واستشراف المستقبل.
- الرغبة في الاصلاح أساس الإصلاح؛ ، لأن الملك توفرت لدية الإرادة السياسية في الإصلاح فسعى إلى يوسف عليه السلام صاحب الاختصاص، وهذا فرق بين المسؤول الذي يقدر الكفاءات ويستقطبها، وبين الذي يحارب الكفاءات ويضيق عليها.
- العنصر البشري أساس التنمية لذا وضع يوسف عليه السلام العنصر البشري في خطته بعد تعليمه.
- للتمكين في الأرض خصائص قيادية هي نتيجة العلم والحكمة والتمحيص والابتلاء والخبرة والممارسة.
- يوسف عليه السلام أول اقتصادي استخدم سياسات التحوط؛ بالتخزين والتوفير ومراكمة الموارد في أوقات الرخاء لتستخدم في أوقات الانكماش.
- إذا أغنينا الحياة المعنوية(التنمية الروحية) خف الطلب على المال الذي لا يشبع منه الإنسان حتى ولو امتلك واديا من الذهب لأحب أن يكون له واديان.
- سورة يوسف عليه السلام مدرسة للإدارة الناجحة في مجال السياسة الاقتصادية، والخطة المحكمة للحفاظ على أموال الأمة وتنميتها.

– إن العدالة الاجتماعية ساعدت بقدر كبير في التغلب على الأزمة حيث وجهت المساعدات لمستحقيها. وهذا يؤدي إلى بناء مجتمع متماسك يثق في أصحاب القرارات.

وفي ضوء النتائج السابقة، توصي الدراسة بالآتي:

- بالعودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فهما أساس التنمية المتكاملة. والأخذ بنظام الإسلام هو الضمان الوحيد لإنقاذ البشرية من شرور الأنظمة.
- بناء القدرات البحثية على مستوى مؤسسات الدولة، والاهتمام بالباحثين والأبحاث والنشر . المهني والعلمي النافع.
- الاهتمام بسورة يوسف على مستوى المؤسسات والجامعات ليطلع الطلبة والباحثون على عبقرية الإدارة الاقتصادية.
- إنشاء مراكز متخصصة تهتم بالتنمية الاقتصادية مستقاة من الشريعة الإسلامية.
- التأصيل الشامل للتنمية الاقتصادية من خلال رسائل علمية.

المراجع:

1- ابن الملقن(2012). المعين على تفهم الأربعين.(ط/1). مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع: الكويت.

2- ابن عاشور(1984). التحرير والتنوير.(د.ط). الدار التونسية للنشر:تونس.

3- ابن كثير(1999). التفسير.(ط/2). دار طيبة للنشر والتوزيع.

4- إلياس بلكا(1429).استشراف المستقبل في الحديث النبوي.(د.ط).دار الكتب القطرية.

5- توفيق خير الدين(2015).العولمة المالية ودورها في خلق الأزمات الاقتصادية رؤية شرعية اقتصادية.(ط/1).دار الفكر الجامعي: الاسكندرية.

6- الرازي(1420). مفاتيح الغيب.(ط/3). دار إحياء التراث العربي: بيروت.

7- رحيم الساعدي(2013).مقدمة إلى علم الدراسات المستقبلية.(ط/1).ابن النديم للنشر والتوزيع: الجزائر.

8- السمعاني(1997).التفيسر.(ط/1). دار الوطن: الرياض/ السعودية.

9- الشعراوي(1997).الخواطر.(د.ط). مطابع أخبار اليوم.

10- صالح بن حميد(1998). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول(1998).(ط/1). دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

11- صحيح ابن حبان.(2012).(ط/1).بيروت: دار ابن حزم.

12- الصلابي(د.ت). الدولة الحديثة المسلمة.(د.ط).دار المعرقة: بيروت.

13- الطبري(د.ت).جامع البيان.(د.ط).دار التربية والتراث: مكة المكرمة.

14- العسكري(1412). معجم الفروق اللغوية.(ط/1). مؤسسة النشر الإسلامي.

15- الفيروزآبادي.(1996). بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز.(د.ط). لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة.

16- القرضاوي(د.ت).ملامح المجتمع المسلم.(د.ط).

17- القرطبي(1964م). الجامع لأحكام القرآن.(ط/2). القاهرة: دار الكتب المصرية.

18- الماوردي(د.ت). النكت والعيون.(د.ط). دار الكتب العلمية: بيروت / لبنان.

19- مسند أحمد(2001).(ط/1).مؤسسة الرسالة.

20- الميداني(2014).معارج التفكر ودقائق التدبر.(ط/2).دار القلم: الكويت.

21- الهمذاني(2006). الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد.(ط/1). دار الزمان للنشر والتوزيع المدينة المنورة: المملكة العربية السعودية.

التفكك الأسري و أثره على الأسرة
وعلاجه في ضوء الكتاب والسنة: دراسة تحليلية

الدكتور مشعل عياده العنزي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت

meshalalenazi2016@gmail.com

ملخص البحث:

استعرض البحث الحالي إشكالية التفكك الأسري ومفهومه، وأسبابه وصوره في المجتمع الإسلامي، وآثاره المهددة لأمن واستقرار المجتمعات الإسلامية وكذلك آثاره السلبية التي تصيب الأسرة، يبدأ البحث بتعريف التفكك الأسري، الذي يشير إلى تدهور العلاقات والروابط داخل الأسرة. ثم استعراض العوامل المسببة للتفكك الأسري، ثم استعرض البحث أحد المفاهيم المرتبطة بالأسرة وهو مفهوم الأمن الأسري، وحاول البحث متابعة المعالجات التي قدمتها التشريعات لظاهرة التفكك الأسري من خلال تتبع ما جاءت به النصوص الشرعية في هذا الشأن.

الكلمات المفتاحية: التفكك الأسري- الأسرة – الكتاب – السنة.

Family disintegration and its impact on the family And its treatment in the light of the Qur'an and Sunnah

Dr. Mashal Eyada Elanzy

The Ministry of Endowments and Islamic Affairs

Kuwait

meshalalenazi2016@gmail.com

Abstract:

The present research investigated the issue of family disintegration within Islamic society, examining its concepts, causes, and forms, as well as its detrimental effects on the security and stability of these societies and its negative impact on family dynamics. The research began by defining family disintegration as the deterioration of relationships and bonds within the family unit. It then reviewed the factors contributing to this disintegration. Following this, the study addressed the concept of family security, which is closely related to family integrity. Finally, the research investigated the legislative responses to the phenomenon of family disintegration by analyzing relevant legal texts.

Keywords: Family – Disntegration- Impact- Qur'an- Sunnah

مقدمة:

تمثل الأسرة الخلية الأولى للمجتمع إذ تقوم بدور رئيسي في تثقيف وتنشئة الأفراد ليكونوا صالحين في المجتمع؛ فالأسرة هي المصدر الأول لتحقيق الأمن النفسي والاجتماعي وتلبية الحاجات وقد عرفت المجتمعات الإنسانية منذ أقدم العصور طريقًا واحدًا لتكوين الأسرة وهو الزواج، بحسبانه الرابطة التي يقبلها المجتمع بين الرجل والمرأة لإشباع رغبتهما الطبيعية في المعاشرة.

وقد أولى الإسلام نظام الأسرة الاهتمام الكبير والعناية الكافية، وأرسى قواعد البناء الأسري وحدد أهدافه، لكونه السبيل الشرعي الوحيد للقاء الرجل بالمرأة في عش الزوجية الصحيح، ولكون أن الأسرة تعتبر بحق أولى الوسائط التربوية التي تحتضن الطفل لحظة استقباله للدنيا لتكسبه أساسيات الحياة، ويعرف منها ما له من حقوق وما عليه من واجبات، ومنها تتكون مشاعر الألفة والأخوة الإنسانية، وتبذر البذور الحسنة، ولأن رعاية شأن الأسرة وأمنها هو في الأساس رعاية لشأن المجتمع وأمنه، ومتى اختل البناء الأسري اختل بناء المجتمع، ومع هذا الاختلال يصبح غير قادر على بلوغ غاياته وأهدافه ومواصلة المسيرة التنموية السليمة.

وتواجه الأسرة مشكلات عديدة تؤرقها، وتهدد استقرارها ومن بينها مشكلة التفكك الأسري مما يتطلب ضرورة مراجعة القيم التربوية، وكيفية تطبيق القيم الإسلامية على واقع الأسرة، ولذلك انطلقت هذه الدراسة في محاولة للبحث عن مفهوم التفكك الأسري وأسبابه وأثره على الأسرة مع محاولة تقديم ما يسهم في علاج تلك الظاهرة والحد من آثارها على الأسرة والمجتمع في ضوء الكتاب والسنة.

مشكلة البحث وأسئلتها:

اتسعت التحديات والمشكلات التي تواجهها الأسرة في كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بل وحتى الصحية في السنوات الأخيرة، وتفاقمت معها ظاهرة التفكك الأسري وخاصة في مناطق عدة سواء من العالم، والمنطقة العربية، حيث ازدادات معدلات الطلاق، والعنف والجرائم الأسرية؛ الأمر الذي يستلزم معه تحليل ظاهرة التفكك الأسري، والتعرف على أبرز أسبابها، ومعرفة سبل التصدي لها في ضوء القرآن والسنة، ومحاولة طرح الحلول لتلك الظاهرة.

ومن هنا ركز البحث الحالي على الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

كيف يمكن مواجهة ظاهرة التفكك الأسري والآثار المترتبة عليها في ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس كل من الأسئلة الفرعية الآتية:

السؤال الأول: ما طبيعة ظاهرة التفكك الأسري وأسبابها؟

السؤال الثاني: مفهوم الأمن الأسري وعلاقته بمشكلة التفكك الأسري؟

السؤال الثالث: ما الآثار السلبية لظاهرة التفكك الأسري؟

السؤال الرابع: ما المنظور الإسلامي للعلاقات الأسرية ودوره في مواجهة ظاهرة التفكك الأسري؟

أهمية البحث:

-**الأهمية النظرية:** ترجع أهمية الدراسة الراهنة إلى طبيعة موضوعها، وما يمثله من إضافة إلى المكتبة العربية، في ضوء الحاجة إلى تحليل طبيعة ظاهرة التفكك الأسري وأسبابها، ومؤشراتها، وكيفية التصدي لها.

الأهمية العملية: تعود إلى اشتداد الحاجة إلى مواجهة ظاهرة التفكك الأسري في ظل تفاقهما، وارتفاع نسب الطلاق، والعنف والجرائم الأسرية في المنطقة العربية، نتيجة ما تشهده المنطقة من تغيرات وتحديات، ولعل نتائج هذه الدراسة قد تفيد القائمين على شؤون الأسرة من التعرف على بعض سبل التصدي للآثار المترتبة على ظاهرة التفكك الأسري، وكيفية التقليل منها.

أهداف البحث:

✍ دراسة هذه الظاهرة دراسة واقعية.

✍ إيجاد الحلول لهذه المشكلة التي انتشرت بين المجتمعات الإسلامية حتى صارت ظاهرة عامة.

خطوات البحث:

تناول البحث العلاقة بين مقاصد التشريع في تشريع ما يحفظ الأمن الأسري من التفكك والانحراف، ويتكون البحث من أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التفكك الأسري.

المطلب الثاني: مفهوم الأمن الأسري.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على الأسرة بسبب التفكك الأسري.

المطلب الرابع: علاج التشريعات لظاهرة التفكك الأسري من خلال النصوص الشرعية.

الخاتمة

الإطار النظري للبحث:

المطلب الأول: مفهوم التفكك الأسري

إن الأسرة كما جعلها الله وأراد لها أن تكون هي محل السكن والسكينة، والدفء الاجتماعي والنفسي، ووسيلة المودة والإيثار، وموطن الرحمة والتراحم والإحسان والأرض المناسبة لزراعة بذور مستقبل حياة الإنسان السلوكية، وميدان التدريب على هذه المعاني الإنسانية الرفيعة، فالأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشارًا، فلا نكاد نجد مجتمعًا بخلو بطبيعته من النظام الأسري، إذ لا يمكن أن نتصور حالة المجتمع الإنساني إذا لم يكن منتظمًا في أسر.

من الثوابت المعروفة في تراثنا الإسلامي أن الإسلام الحكيم أَوْلَى نظام الأسرة الاهتمام الكبير والعناية الكافية، وأرسى قواعد البناء الأسري وحدد أهدافه، لكونه السبيل الشرعي الوحيد للقاء الرجل بالمرأة في عش الزوجية الصحيح، ولكون أن الأسرة تعتبر بحق أولى الوسائط التربوية التي تحتضن الطفل لحظة استقباله للدنيا لتكسبه أساسيات الحياة، ويعرف منها ما له من حقوق وما عليه من واجبات، ومنها تتكون مشاعر الألفة والأخوة الإنسانية، وتبذر البذور الحسنة، ولأن رعاية شأن الأسرة وأمنها هو في الأساس رعاية لشأن المجتمع وأمنه، ومتى اختل البناء الأسري اختل بناء المجتمع، ومع هذا الاختلال يصبح غير قادر على بلوغ غاياته وأهدافه ومواصلة المسيرة التنموية السليمة.[1]

فالأسرة النواة، هي محضن النمو والتنمية والتنشئة والتربية فمنها ينمو الفرد والمجتمع، وفيها تنمو الخصائص الفردية والاجتماعية، وتحدد قَسَمات الشخصية الإنسانية، وتزرع البذور الأولى لمستقبل الحياة السلوكية. وهي المركز الرئيس للتدريب على العلاقات الاجتماعية وتوريث القيم، والنقل الثقافي.

ويمكن الوقوف على تعريفات التفكك الأسري كما يلي:

أ- لغويًّا:

فكُّ الشيءِ في اللغة يعني: فصل أجزائه بعضها عن بعض[2]. وكلمة "أسر" في اللغة تعني الشد والربط، وفي المنظور الاجتماعي الأسرة تعني الرابطة الاجتماعية بين أفرادها، جاء في مختار الصحاح للرازي: "أسرة

---

[1] محمد أبو زهرة: محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي بالقاهرة، دون تاريخ، ص: 45 - 46

[2] مختار الصحاح لزين الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفي سنة ٦٦٦ هـ تحقيق يوسف الشيخ محمد الناشر المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مادة (ف ك ك) ج ١ ص ٢٤٢.

الرجل يعني رهطه لأنه يتقوى بهم".[1] وعليه فالأسرة بوجه عام تعني الجماعة التي يربط بين أفراده رابطة الدم

ب- اصطلاحيًّا:

قد حاولت الأدبيات وضع تعريف للتفكك الأسري في إطار تحديد معالمه كظاهرة وكمشكلة تقضّ مضجع المجتمعات، فعرفته بعضها بأنه: "اتجاه التفاعل بين الوحدات التي تتكون منها الأسرة ضد المستويات الاجتماعية المقبولة، بحيث يحول ذلك بين الأسرة وبين تحقيق وظائفها، والتي لا بد من القيام بها لتوفير الاستقرار والتكامل بين أفرادها".

ويعرف التفكك الأسري، على أنه انهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها عندما يفشل عضو أو أكثر في القيام بالتزامات دوره بصورة مرضية[2].

وعرفته دراسة أخرى بما يفيد أنه: وهن أو سوء تكيف وتوافق أو انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كلا مع الآخر، على أن الوهن لا يقتصر على العلاقة بين الرجل والمرأة، بل قد يصيب أيضا العلاقة بين الوالدين والأبناء[3]

كما يرى باحث آخر "إن مفهوم التفكك الأسري يقصد به أي انكسار أو عدم تكيف أو ضعف في الروابط التي تربط الزوجين بعضهما ببعض أو رباطهما بأبنائهما".[4]

ويمكن القول "إن التفكك الأسري عبارة عن أزمات ومشاكل تستولي على الأسرة فتؤدي إلى تمزقها وتجعل أفراد الأسرة يعيشون منفصلين".

إذا يمكن اعتبار التفكك الأسري على أنه فشل الأسرة في توفير المناخ المناسب الذي يساعد على تعليم الأطفال كيف يحققون التوازن بين الحاجات الاتصالية بين الآخرين والحاجات الاستقلالية، وهنا يكون الباب مفتوحًا لمختلف صور الاتصال الخاطئ والذي ينتهي باضطراب جو الأسرة وتحويلها لبؤرة مولت للإضرابات.[5]

---

[1] مختار الصحاح، المرجع السابق، مادة (أ س ر) ج 1 ص ١٨.

[2] سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص٢٥٨

[3] الشيخة العنود بنت ثامر بن محمد آل ثاني: التفكك الأسري.. العلاج والحلول، مشاركة ضمن كتاب الأمة، العدد83، السنة 21، ص: 123 - 124

[4] معن خليل العمر، التفكك الاجتماعي، الطبعة العربية الأولى، دار الشرق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة2005، ص209.

[5] سناء الخوالي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بدون سنة، ص263.

وبتأمل هذه التعاريف وغيرها يمكن الخروج بالملاحظات الآتية:

أن التفكك الأسري خلل تصير معه الأسرة عاجزة عن القيام بأدوارها الاجتماعية، من قبيل إشباع حاجات أعضائها العاطفية والنفسية والمادية، فيكون من نتيجة ذلك أن الجو العائلي يصير غير ملائم لتكوين سلوك سوري.

أن التفكك الأسري لا يعني حتمًا الفرقة الزوجية، فالفرقة قد تكون أثرًا من آثاره ليس إلا، وأن وصول الزوجين في علاقتهما من الشجار والخصام إلى حد تتعطل معه الوظائف كاف للقول بأنهما في حالة تفكك أسري ما دام ذلك الخصام والشجار يكتسيان طابع الديمومة ويؤثران على الوظائف الأسرية.

ذلك أنه لا توجد أسرة منسجمة ومتحدة في تنظيمها بشكل كامل، بل يمكن أن تحصل تعكرات لصفوها وكبوات لمسيرتها وتحديات مادية وعاطفية أثناء تفاعلاتها مع الأحداث اليومية التي تحيط بها أو التي تواجهها، فتسبب لها التوترات العلائقية والمنغصات الوجدانية والتقلبات المزاجية، إلا أن ذلك لا يستمر بشكل دائم، فهنا لا يمكن القول بأن هذه الأسرة في حالة تفكك خاصة إذا كانت تقوم بأدوارها بشكل مُرْضٍ.[1]

وأن الخلل والوهن المشار إليهما يمكن أن يصيبا الرابطة الزوجية ويمكن أن يصيبا رابطة الآباء بالأبناء، ففي كليهما يصدق القول بأننا أمام تفكك أسري، لأن الأسرة هي في نهاية المطاف: "رابطة اجتماعية تتألف من الزوج والزوجة وأطفالهم أو دون أطفال، كما قد تتكون من زوج بمفرده مع أطفاله أو بدون أطفال أو زوجة بمفردها مع أطفالها، وقد تتسع. لتضم الأجداد والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة وتحت سقف واحد.[2]

ويُعَدُّ التفكك الأسري بمثابة تفكك اجتماعي في كل الاعتبارات لأن الأسرة هي نواة المجتمع وأولى الجماعات الأولية فيه فإذا وهنت أو انفرط عقدها أثرت سلبًا على المجتمع العام؛ لأنها نواته التي تتضمن أدوارًا مكملة بعضها لبعض ولكل دور توقعاته التي حددها لها المجتمع.[3]

من خلال ما تناوله العلماء في مؤلفاتهم عند الحديث عن أنواع التفكك الأسري، نجد أنهم تعرضوا لصور عدة من التفكك الأسري، ومردّ هذا الأمر اختلاف وجهات النظر حول الطريقة التي أدت إلى التفكك

---

[1] عبد العزيز الشثري: الأسرة ودورها في التوحيد السلوكي للأحداث، مجال منشور بمجلة المنهل، الرياض، ذو القعدة 1420هـ، ص: 208.

[2] عبد العزيز الشثري: المرجع السابق، ص: 103 - وانظر: معن خليل العمر: التفكك الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2005، ص: 204.

(3) قليل محمد رضا: التفكك الأسري وعملية التنشئة الاجتماعية للطفل مقال نشر في مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 38 ص 27.

الأسري، فقد يحدث بصورة إرادية أو غير إرادية، وقد يكون التفكك كليًّا وقد يكون جزئيًّا، وقد يكون ماديًّا أو معنويًّا، وقد يصفه البعض بالتفكك القانوني أو التفكك الاجتماعي.

فقد يحدث التفكك الأسري؛ نتيجة جملة من العوامل الشخصية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، مع مراعاة أنه لا يحدث نتيجة عامل واحد، وإنما يأخذ طابعًا تدريجيًّا تراكميًّا، تحكمه عمليات متداخلة، يصعب فصل بعضها عن بعض، ومن هذه العمليات: العوامل المزاجية، التي ترجع إلى ارتباط مجموعة من الصفات الوراثية، التي تحدد ردود الفعل الانفعالية، والعاطفية عند الفرد، ومنها أيضًا: الأنماط السلوكية المتعارضة عند الزوجين، كمسائل الأخلاق الاجتماعية، وطرق التنشئة الاجتماعية، والتربية، واتخاذ القرارات، ومعاملة الآخرين، وما إلى ذلك، كما توجد عوامل أخرى تجعل الصراع مستمرًّا في نطاق الأسرة، وقد تؤدي في النهاية إلى تفكك الأسرة، أو انهيار الكيان العائلي.

ويمر التفكك الأسري بعدد من المراحل[1] يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1- مرحلة الكمون وهي فترة محدودة قد تكون قصيرة جدًّا بحيث لا يمكن ملاحظتها، والخلافات فيها سواء كانت صغيرة أو كبيرة لا يتم مناقشتها أو التعامل معها بواقعية.

2- مرحلة الاستثارة وفيها يشعر أحد الزوجين أو كلاهما بنوع من الارتباك وبأنه مهدد وغير قانع بالإشباع الذي يحصل عليه.

3- مرحلة الاصطدام وفيها يحدث الاصطدام أو الانفجار نتيجة للأفعال المترسبة، حيث تظهر الانفعالات المكبوتة لمدة طويلة.

4- مرحلة انتشار النزاع: إذا زاد التحدي والصراع والرغبة في الانتقام فإن الأمور تزداد حدة، ويؤدي ذلك لزيادة العداء والخصومة بين الزوجين والنقد المتبادل بينهما، حيث يكون هدف كل طرف هو الانتصار على الطرف الآخر دون محاولة الوصول إلى التسوية، وينظر كل منهما إلى نفسه على أنه الإنسان المتكامل على حساب الطرف الآخر، ويزداد السلوك السلبي، وإذا كان النزاع في البداية يتعلق بناحية معينة فإنه سرعان ما ينتشر ليغطي النواحي الأخرى المتعددة.

5- مرحلة البحث عن الحلفاء: إذا لم يستطع الزوجان حل المشكلة بمفردهما فإنهما يبحثان عمن يساعدهما في تحقيق ذلك من الأهل والأقارب والأصدقاء، وإذا استمر النزاع لفترة طويلة فإن القيم والمعايير التي تحكم بناء الأسرة تصبح مهددة، وهنا قد يلجأ أحد الطرفين أو كلاهما للحصول على

[1] (1) الشيخة العنود بنت ثامر بن محمد أل ثاني: التفكك الأسري.. العلاج والحلول، مشاركة ضمن كتاب الأمة، العدد83، السنة 21، ص: 9

إشباع من خلال المصادر الأخرى البديلة مثل التركيز على الاهتمام بالأطفال، أو المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والتركيز على النجاح في العمل على حساب الإشباع الذي يتحقق داخل الأسرة.

6- مرحلة إنهاء الزواج عندما يكون لدى الزوجين على الأقل الدافعية والرغبة لتحمل مسؤولية القرار المتعلق بالانفصال تبدأ إجراءات الانفصال، والتي تعني عدم التفكير في العودة مرة أخرى للحياة الزوجية، وهنا قد يوكل أحد الطرفين أو كليهما محاميًا لذلك ويلجأ للقضاء.

المطلب الثاني: مفهوم الأمن الأسري

إن الأمن هو من أهم وأبرز الحاجات الأساسية التي يرغب كل فرد في تحقيقها، فضلًا عن الأسرة والجماعة والمجتمع والدولة وفقا لما جاء به (ماسلو) في سُلم الحاجات، لأنه – أي: الأمن - الأساس للحفاظ على الحياة من الاعتداءات الخارجية أو الداخلية، إذ لا يمكن للفرد أن يستغني عنه، فالأمن يطمئن الفرد على حياته وممتلكاته، وكذلك يُطمئن الأسرة والجماعة والمجتمع، للمحافظة على حياة الأفراد وحماية الممتلكات العامة والخاصة، ونظرًا للمتغيرات المعاصرة التي استدعت إعادة النظر في المسالة الأمنية، كونها ضرورة يشترك بها أفراد المجتمع كافة وبالخصوص الأسرة، ومن ثم أصبح من الضروري إشراك الهيئات الرسمية وغير الرسمية، لا سيما المجتمعية منها في دعم الأجهزة الأمنية، من أجل تحقيق أهدافها في تحقيق وحفظ الأمن العام ومنها الأمن الأسري.

ويمكن الوقوف على تعريف الأمن الأسري كما يلي:

أ- لغويًا:

الأمن ضد الخوف، والمأمن: موضع الأمن، والآمن: المستجير ليأمن على نفسه[1]، والأمان والأمانة بمعنًى، وقد أمنت فأنا آمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان[2]، وأمن كفرح أمنًا وأمانًا بفتحهما، وأمنًا وأمنةً محركتين، وإمنًا بالكسر، فهو أمن وأمين كفرح وأمير، ورجل أمنةٌ كهمزة ويحرك: يأمنه كل أحد في كل شيء، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسمًا لما يؤمن عليه الإنسان.[3]

ومن خلال ما تقدم من معانٍ لغوية يتضح لنا أن كلمة الأمن لها عدة إطلاقات: فهي تعنى الطمأنينة وعدم الخوف، أو الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب، وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الغير.

ب- اصطلاحًا:

والأمن الأسري هو الأمن الشامل لجميع جوانب حياة الأسرة المادية والمعنوية أي يشمل أمن الأسرة في جميع الجوانب الحياتية والنفسية والمعيشية والصحية والثقافية، وأن تمارس حقوقها في أمن وأمان وهذه الجوانب تشكل منظومة متكاملة لأمن الأسرة فأمن الأسرة عملية ديناميكية مستمرة.[4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ١٠٧/١.

[2] مختار الصحاح، الرازي، ٢٠٧١/٥.

[3] الفيروزآبادي القاموس المحيط، ١٩٧/٤.

[4] أحمد الحسني عزيز الأمن الأسري المفاهيم - المقومات المعوقات مع دراسة ميدانية في مدينة صنعاء، بحث منشور، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (12)، المجلد (15)، أكتوبر 2016 م

وهو شعور أفراد الأسرة بالأمان والاطمئنان والحماية، وتمكينهم من ممارسة حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بأمان، بما يحقق لهم مكانة ودورًا فيه.[1]

فالأمن الأسري هو حالة من الاستقرار والسلامة والاطمئنان التي تعيشها الأسرة بين أفرادها ومع المجتمع.

والأمن كعملية مجتمعية متعددة الأبعاد والأشكال أوضحتها (سناء الخولي: 14) في الآتي: -

1- الأمن المادي: الذي يعكس حقيقة الإنسان البيولوجية التي تهدف إلى بقائه، واستمراره ككائن بيولوجي مثل حاجته إلى الأمن الغذائي من مأكل، ومشرب، وحاجته إلى ستر عورته بالملبس، تلك تستوجب على الأسرة المجتمع الإسراع إلى إشباعها بما يتفق مع الإمكانيات المتاحة بدون إسراف، أو تبذير، أو تغيير.

2- الأمن الاجتماعي: الذي يعكس حقيقة الإنسان الاجتماعية؛ لأنه عضو في جماعة أيا كان حجمها، ونوعها، والتي تحقق له الأمن الاجتماعي، والنفسي.

3- الأمن الفكري: الذي يعكس حقيقة الإنسان الروحية، والعقائدية، والعقلية؛ فهو فرد يمتلك ملكات عقلية واستعدادات يجب تسخيرها باستخدام الأساليب التي تحمي عقيدته، وأفكاره من أي مؤثرات فكرية داخلية، أو خارجية تزعزع وضع الفرد في الأسرة والمجتمع.

خصائص الأمن الأسري:

يُعَدُّ الأمن الأسري من أهم الحاجات الأساسية في حياة الأفراد، ويتميز بخصائص عدة منها[2]:

1- إنه أمن شامل لجميع نواحي الأسرة وأفرادها ويشكل منظومة متكاملة لجميع جوانب الحياة (الاقتصادية، السياسية، النفسية، الصحية، ...الخ) وهو كل لا يتجزأ، أي: إن الأمن الشامل يساوي استقرار الإنسان وسعادته.

2- يعد مقومًا أساسيًّا من مقومات حياة الأسرة وأفرادها، بل مقومًا من مقومات الأمن الاجتماعي للمجتمع الأكبر، وذلك لأن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع.

---

[1] خالد صلاح محمود الأمن الأسري في ضوء تحديات العصر الرقمي: دراسة تحليلية"، بحث منشور، المؤتمر الدولي الثالث - الأمن الأسري: الواقع والتحديات / أوراق بحثية مقدمة نحو أبحاث عابرة للتخصصات متعددة المقاربات، 20 - 22 يوليو 2019، إسطنبول، تركيا، المركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية

[2] عزيز أحمد صالح الحسيني، (1998)، الأمن الأسري (المفاهيم، المقومات، المعوقات)، جامعة الأندلس، كلية الدراسات العليا. العدد (13) المجلد (15) ص 103

3- من خلال الأمن الأسري يستطيع الأفراد ممارسة حقوقهم، ومشاركة المجتمع في التنمية أيًّا كان نوعها (اقتصادية، اجتماعية، ثقافية... إلخ) ويستطيعون أن يبرزوا قدراتهم وإبداعاتهم الفكرية والعلمية في مجال تنمية الأسرة، فضلا عن مجال تنمية المجتمع.

4- من خلال الأمن الأسري تتم المحافظة على بناء الأسرة وتوازنها من الخلل، وعلى العكس من ذلك ففي حالة وجود أي خلل في أحد عناصره ومقوماته، فإن ذلك له انعكاس سلبي على أمن الأسرة، وهذه تنطبق تماما على ما قدمته النظرية البنائية الوظيفية.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على التفكك الأسري

إن التفكك الأسري من أخطر الأمراض الاجتماعية التي تعصف بالمجتمع وتؤثر في تنميته وتحقيق أهدافه، بل قد يؤدي إلى تفكيك المجتمع وهلاكه، فللتفكك الأسري آثار سلبية كبيرة على جميع أفراد الأسرة وعلاقاتهم فيما بينهم، فتتأثر علاقة الآباء والأمهات بأولادهم، وعلاقة الإخوة ببعضهم، والأجداد بأحفادهم، وتشوب هذه العلاقات العديد من الخلافات، ويترتب على ذلك نتائج سلبية خطيرة، أهمها تحطيم الزواج والأسرة والروابط الأساسية، مع ما يصاحب ذلك من الخلافات والشقاق والعنف، مما ينعكس بشكل كبير على الأسرة بجميع أفرادها؛ الزوج، والزوجة، والأولاد، وكذلك على المجتمع بشكل عام.

فالتفكك الأسري يترك آثاره السلبية على الزوجين وأولادهم وعلى المجتمع بأسره، وبنظرة فاحصة مدققة على الجوانب الاجتماعية والتربوية والآثار المزعجة والخطيرة على المجتمع بصفة عامة، **يتبين أن الضرر يقع على أربع فئات:**

أولا: المرأة :

التي تحس بألم التفكك في المقام الأول، وخصوصًا إذا لم يكن لها معيل غير الزوج، أو مصدر رزق آخر هو العوز المالي، وزيادة الأعباء المالية على المرأة المطلقة، مما يجعلها من أكثر الأطراف تضررًا، من الناحية الاقتصادية، خصوصًا إذا لم يكن لها عائل آخر، أو مورد رزق آخر تعيش منه حياة شريفة كريمة، بعيدة عن المنزلقات اللاأخلاقية، التي لا يعصم منها إلا من رحم الله - تعالى -.

- ما ينتاب المرأة من الأفكار والهموم، وشعورها بالخوف والقلق من المستقبل، ونظرة المجتمع السيئة لها كمطلقة، فمعظم المطلقات يكنّ ربات بيوت، وبعد الطلاق يبدأ تفكيرهن في مستقبلهن يأخذ منحى جديدًا، فبعضهن يفكرن في العودة إلى مقاعد الدراسة، لإكمال تعليمهن الثانوي أو الجامعي، وبعضهن يتجه إلى التعليم المهني، لعل ذلك يدرّ عليهن دخلًا يحسن ظروف معيشتهن الاقتصادية، وبعضهن يتوجهن للبحث عن عمل، ليعتمدن على أنفسهن في توفير احتياجاتهن المادية، وبعضهن ليس لديهن مؤهل أو إمكانيات تساعدهن في العمل[1].
- المشاكل النفسية الناتجة عن الشعور: كالانطواء والعزلة، والسؤال الدائم لها عند خروجها من البيت لأي سبب كان، مما يؤدي إلى تقييد حريتها.
- قلة الفرصة المتوفرة لديها في الزواج مرة أخرى، لاعتبارات اجتماعية متوارثة من جيل إلى آخر، حيث تكون فرصتها الوحيدة في الزواج من رجل أرمل، أو مطلق، أو مسن، وبناء عليه؛ فإن مستقبلها غير

[1] علي بن راشد الدبيان: شقاق الزوجين الأسباب، الآثار العلاج، دار الثقافة، الدار العلمية الدولية، مصر، ١٩٩٨م، ص ١٦٤وما بعدها.

واضح، ومظلم، فتعود بعد الطلاق حاملة جراحها، وتصبح نتيجة للنظرة التقليدية من المجتمع لها عرضة لأطماع الناس، والاتهامات بالانحرافات غير الأخلاقية، بحجة أنها مطلقة، ولذلك عرف مجتمعنا جرائم الشرف ونسبها إلى المرأة، وجعلها مرتبطة.

- الشعور بالقلق تجاه الأطفال نتيجة تفتيت الأسرة وبشكل خاص في حال كانت الأم سببا في التفكك الأسري.

ثانيا: الرجل والتفكك الأسري :

تقع على الرجل تبعات كثيرة نفسية واجتماعية واقتصادية وآثاره وأمور أخرى كنتيجة للتفكك الأسري وتشمل:

- التأثر بالانفصال، وعدم السعادة وفقدانها مع أولاده إن كانوا في حضانته مع بعدهم عن أمهم.

- الضرر الواقع على الزوج المطلق من كثرة التبعات المالية، كمؤخر الصداق، ونفقة العدة، ونفقة حضانة الأولاد[1].

- الإصابة بالاكتئاب والانعزال واليأس والإحباط، وتسيطر على تفكيره أوهام وأفكار سوداوية، فتصبح أفكاره لا تتسم بالثبات، بل بالتقلب والتضارب، فضلًا عن التردد والبعد عن الأصدقاء.

ثالثا: الأبناء:

- غالبًا ما يكون الأبناء هم أكثر المتضررين من التفكك الأسري، خاصة إذا كان هنالك الكثير من المشاكل في العلاقة بين الوالدين والأقارب والأرحام كتغيير في العادات والروتين الذي ألفوه، فقد يؤدي التفكك الأسري لفرض واقع جديد يتطلب تنقل الأبناء بين منزلي الوالدين، وبالآتي يظهر الشعور بعدم الاستقرار، ويصعب عليهم التكيف مع الوضع الجديد.

- شعور الأبناء بالخوف وعدم الأمان، والتشتت، والتفكك الأسري، والاجتماعي.

- كما إن الأبناء الذين يعايشون تجربة التشتت والتفكك بين الأسرة يكونون أكثر عرضة للمشكلات السلوكية والأمراض النفسية، إضافة إلى المشاكل التي تتعلق بالتحصيل الدراسي، وغيرها من الصعوبات الاجتماعية العديدة، كالهروب من المنزل أو المدرسة، والانحراف والإدمان، والسلوك العدواني، ضد الآخرين.

[1] حسن محمود: الأسرة ومشكلاتها، دار الطباعة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة، ١٩٦٧م ص ٧١ وما بعدها.

- إن التفكك الأسري يترك آثارًا متعددة تتمثل في نواح كثيرة، منها: تربية الأطفال، وانحراف الأحداث، والفشل الدراسي، والسلوكيات غير الأخلاقية، وكلما زادت ظاهرة التفكك نقصت معها القدرة الكلية للمجتمع على تحقيق الإنجاز في مجال الإنتاج والخدمات، كما يزداد تأثير الأشخاص القادرين على السير بالمجتمعات البشرية نحو الاتجاهات التي تهدم مصالحها الجماعية العليا.

- وفي كثير من الحالات ينتقل الطفل من مقر الأسرة المتفككة ليعيش غريبا مع أبيه أو أمه فيواجه بذلك صعوبات كبيرة في التكيف مع زوج الأم أو زوجة الأب، وقد يقوم الطفل بعقد عدّة مقارنات بين والديه وبين الوالدين الجدد ممّا يجعله في حالة اضطراب نفسي مستمر يتحتم على الطفل وفقا لهذا الوضع الجديد أن يتكيف مع بيئات منزلية مختلفة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والمستوى الثقافي ممّا يؤثر على شخصية الطفل بدرجة كبيرة فيخلق منها شخصية مهزوزة غير مستقرة ومتأرجحة.

- يتحمل الطفل كالآباء تمامًا عبء التفكير الدائم في مشكلة الانفصال.

- يعقد الطفل مقارنات مستمّرة بين أسرته المتفككة والحياة الأسرية التي يعيشها كباقي الأطفال ممّا يوّلد لديه الشعور بالإحباط، أو قد يكسبه اتجاها عدوانيا تجاه الجميع وبالأخص أطفال الأسر السليمة.

- يتعرض الطفل للاضطراب والقلق نتيجة عدم إدراكه للأهداف الكامنة وراء الصراع بين الوالدين أو أسباب محاولة استخدامه – من قبل الوالدين - في شن الهجوم بعضهما على بعض واستخدامه كأداة لتحقيق النصر على الطرف الآخر. يؤدي هذا الاضطراب في مرحلة الطفولة إلى اضطراب النمو الانفعالي والعقلي للطفل فيبرز للمجتمع فرد بشخصية مهزوزة يعود بالضرر على المجتمع بأكمله.

- خيبة أمل الطفل في مصدر السلطة وهو الأب ومظهر العطف وهي الأم يدفعه إلى الانتماء العصابات التي يجد بينها الإشباع العاطفي الذي يفقده في أسرته وهذا يعرضه وخاصة في فترة المراهقة إلى حالات خطيرة من الانحلال الخلقي بسبب اهتزاز المثل العليا والقيم الأخلاقية في محيط أسرته.

- يتولد لدى الطفل شعور بالقلق والحيرة والحرمان من جراء الضغوط في الأسرة ويتعذر عليه إقامة علاقة عاطفية مع والديه وبالآتي يتعذر عليه إقامة علاقات اجتماعية مع الغير من أفراد المجتمع.

رابعًا: آثار التفكك الأسري على المجتمع:

لا تنعكس آثر مشكلة التفكك الأسري على أفراد الأسرة فحسب، بل تتعداهم لتمس بأمن واستقرار المجتمع بأكمله، لأن الأسرة هي النواة الأولى التي يتكون منها المجتمع، والمجتمع هو نتيجة ترابط، مجموعة

كبيرة من الأسر، وعند وقوع التفكك، تعاني هذه الأسر من اضطرابات عديدة تنعكس على المجتمع بأسره[1]، ومن ذلك ما يأتي:

- إن وقوع التفكك والانفصال بين الزوجين يؤدي إلى تنمية مشاعر الكراهية والحقد والبغضاء بين الطرفين، وعائلتيهما، مما يسبب مشاكل ويؤدي إلى وقوع المشاجرات وبالآتي عدم استقرار المجتمع.

- يتسبب التفكك في إحداث خلل كبير في كثير من القيم التي يعمل المجتمع على ترسيخها في أذهان أفراده وسلوكياتهم، كالترابط والتراحم، والتعاون والتسامح، ومساعدة من يحتاج إلى المساعدة، وغيرها من القيم الإيجابية المهمة في تماسك المجتمع واستقراره[2] وعن أبي موسى الأشعري – (رضي الله عنه)- أن النبي (ص) قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[3]، وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله (ص)"مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4].

- يسبب التفكك الأسري اختلالا في كثير من القيم التي يسعى المجتمع لترسيخها في أذهان وسلوكيات أفراده، مثل الترابط والتراحم والتعاون والمسامحة، وغيرها من القيم الإيجابية المهمة في تماسك المجتمع واستمراره.

- إن التماسك الأسري مطلب مهم للحفاظ على تماسك المجتمع والإبقاء على القيم السليمة ولهذا فان التفكك الأسري يعوق تحقيق الأسرة لرسالتها المجتمعية ويسهم في تصدع وحدة وقوة المجتمع والأسرة مفوضة لنقل ثقافة المجتمع إلى النشء وتبرز خطورة دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية يعكس ذلك مدى تأثير المشكلات الأسرية على المجتمع.

ويمكن تصنيف تلك الآثار على النحو الآتي:

- آثار نفسية: مثل شعور الأطفال بالنقص والاكتئاب وتدني الثقة بالنفس.

- آثار صحية: مثل اضطرابات صحية وجسدية ناتجة عن الضغوط النفسية.

- آثار تربوية: مثل تدني التحصيل الدراسي وانخفاض القدرة على التركيز.

---

[1] حسن محمود: الأسرة ومشكلاتها، دار الطباعة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة، ١٩٦٧م ص 7

[2] علي بن راشد الدبيان: شقاق الزوجين الأسباب، الآثار – العلاج، دار الثقافة، الدار العلمية الدولية، مصر، ١٩٩٨م، ص١٦٤

[3] صحيح مسلم، (٤/ ١٩٩٩)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥).

[4] صحيح مسلم، (٤/ ١٩٩٩)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦).

- آثار اجتماعية: مثل زيادة سلوكيات العنف والعصيان والتمرد على القواعد.
- آثار اقتصادية: مثل زيادة نسبة الفقر والبطالة بسبب عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي.
- آثار سلوكية: مثل تشوه العلاقات الاجتماعية والشعور بالإحباط وقلة الثقة بالآخرين.
- انعكاسات على المجتمع: مثل زيادة حدوث الجريمة وانحراف الأحداث

المطلب الرابع: علاج ظاهرة التفكك الأسري من خلال النصوص الشرعية

تطبيق أسس الشريعة الإسلامية في العلاقات الزوجية:

إن التطبيق السليم للأسس الإسلامية في تأسيس البيت المسلم وبناء دعائمه على القيم والمبادئ الإسلامية؛ كفيل بتجنيب الأسرة العديد من المشكلات؛ فالعلاقات الأسرية هي أكثر العلاقات الاجتماعية خصوصية وتماسك، لذلك حرص التشريع على توفير شتى السبل الميسرة لبقائها واستقرارها، وأول خطوات هذا السبل هي منح الحق في الاختيار لكلا الطرفين، عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال: قال رسول الله – (ص)-: ((لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ))[1]

كما حرصت الشريعة على تطبيق الأسس الإسلامية الكفيلة باستقرار الأسرة قبل تأسيس البيت المسلم، حرصت كذلك على حماية الأسرة واستيفاء الحقوق والواجبات داخل علاقاتها، وتنشئة أفرادها على القيم والمبادئ الإسلامية.

حيث تقوم الأسرة في الإسلام على جملة من الحقوق والواجبات بين أفرادها، فتفرض الشريعة السمحاء للزوجة حق المهر، والنفقة، والمعاشرة بالمعروف، والعدل بينها وبين من سواها من زوجات إن وجد وغير ذلك، وتعطي للزوج حق الطاعة والقوامة وغيرها، وتجعل حقوق أخرى مشتركة بينهما كحق العشرة بالمعروف.

ويتحقق من خلال أداء الحقوق والقيام بالواجبات والإحسان والعشرة بالمعروف والأمن والعدل والمساواة لأفرادها، كما تضمن هذه الحقوق والواجبات؛ ألا يعتدي طرف على آخر في الأسرة، ولا يجبر طرف الآخر على ما لا يرضاه إذا كان في ذلك مخالفة لحدود الله، بما يضمن أمن الأسرة واستقرارها، وضمن قاعدة عامة فحواها أن كل حق لأحد الزوجين يقابله واجب للآخر، وتبادل الحقوق والواجبات هو السبيل لاستقرار الأسرة وتجنب المشكلات قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: 228] [2]

إشباع الاحتياجات النفسية المختلفة للزوجين والأبناء:

نجده (ص) يدعو إلى كل ما من شأنه إشباع الحاجة للأمن داخل العلاقة الأسرية، فيؤصل (ص) مبدأ الرفق واللين في التعامل. فقد روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: ((دخل رهط من اليهود على النبي (ص) فقالوا: السام عليكم)) - يعني: الموت عليكم – ((قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام

---

[1] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، ج7، حديث رقم 69، ص30.

[2] أميره أحمد عبيد: المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، موقع المربي، http: //www.almurabbi.com/DisplayItem.asp?ObjectID=731&MenuID=2&TempID=2

واللعنة، فقال رسول الله (ص): مهلًا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟! فقال: قد قلت وعليكم))[1]، ويظهر الحديث السابق مدى رفق رسول الله (ص) بأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في رده اللطيف على تصرفها، وهو مبدأ أساسي في تحقيق الحاجة للطمأنينة النفسية للزوجة.

لذلك حرصت التربية الإسلامية على تحقيق الإشباع إلى التقدير والاحترام لأطراف العلاقة الزوجية، وقد ظهر ذلك جليا في تعامله (ص) وتقديره لزوجاته - رضوان الله عليهن - قال أنس (رضي الله عنه): بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي (ص): وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي. فقال النبي (ص): ((إنك لابنةُ نبِيٍّ وإن عمَك لنبيٌّ وإنك لتحتَ نبِيٍّ فبِمَ تفخرُ عليك؟ ثم قال: اتقي اللهَ يا حفصةُ))[2]

زيادة فرص وأساليب التواصل الجيد داخل العلاقات الأسرية:

ويقصد بالتواصل الجيد داخل العلاقات الأسرية أن تشتمل أنماط التحدث والحوار والتفاعل والمشاركة والتعليقات وردود الفعل.. وغيرها على تبادل وتقاسم المشاعر، وأن يكون أساسها الود والاحترام والإنصات والتجاوب الإيجابي[3]، ويأخذ التواصل أشكالًا عده لعل أبرزها:

أ - التواصل الوجداني. ب - التواصل العقلي.

ويتمثل التواصل الوجداني في رغبة الفرد على التعبير عن مشاعره الطيبة تجاه الآخرين، وقدرته على فهم مشاعرهم وتقديرها. فالتقارب بين الزوجين يضفي على العلاقة روح المشاركة والتعاون، بما يزيد من فرص الاستقرار والأمن النفسي والشعور بالراحة، ويخفف من ضغوط العمل ومسؤوليات الحياة، كما أنه يمد الزوجين بإشباع الشعور بالذات والانتماء والعطف والمودة؛ لذلك لا يعاني الزوجان القادران على التواصل الوجداني الجيد من صعوبة فهم الرسائل الانفعالية لبعضهما البعض، والعكس صحيح، فانعدام التفاهم يدفع الزوجين إلى تشويه تلك الرسائل بطريقة سلبية[4].

وقد ضرب لنا رسول الله (ص): أروع الأمثلة في التواصل الوجداني مع أمهات المؤمنين، عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: ((قال لي رسول الله(ص): إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ ورِضَاكِ قالَتْ: قُلتُ: وكيفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يا

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي (ص) - يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا، 496/12، رقم (6401)

[2] سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ج5، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل أزواج النبي (ص)، حديث رقم 3894، ص 709، حديث صحيح، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[3] بشير صالح الرشيدي وإبراهيم محمد الخليفي سيكولوجية الأسرة والوالدية، ص90.

[4] داليا مؤمن، الأسرة والعلاج الأسري، ص23 - 25.

رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: إنَّكِ إذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ: لا ورَبِّ إبْرَاهِيمَ قالَتْ: قُلتُ: أجَلْ، لَسْتُ أُهَاجِرُ إلَّا اسْمَكَ)).[1]

كما يتمثل التواصل العقلي بين أفراد الأسرة بالتحدث والتفاهم حول أمورهم المشتركة، والتعبير عن المشكلات اليومية المعتادة في الحياة، والحديث المشترك حول الاهتمامات والطموحات ورسم الأهداف المستقبلية، ويضمن التواصل العقلي - غالبًا - استمرارية العلاقة الزوجية بصورة أكثر هدوءً، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الانسجام الذي يقلل من فرص التصادم بأشكاله المختلفة.

[1] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، حديث رقم 2439، ص 1324.

خاتمة الدراسة ونتائجها:

في ختام بحث التفكك الأسري وأثره على الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، يمكن القول بـ:

- الإسلام يُولي قيمة كبيرة للأسرة ويحث على الحفاظ على الترابط والتواصل الجيد بين أفرادها. ويعتبرها من الأركان الأساسية للمجتمع وينبغي الاهتمام بها والمحافظة عليها من التفكك الأسري الذي مصطلحًا عصريا يعنى انحلال وخلل العلاقة الزوجية، بسبب فشل أحد أفراد العلاقة الزوجية بالقيام بمهامه.
- للتفكك الأسري عدد من الأسباب ويتجلى في عدة صورة قد تناولها البحث الراهن.
- للتفكك الأسري عديد من الآثار السلبي والنتائج المترتبة والتي تعود على الأسرة وأفرادها.
- سعت الشريعة الإسلامية والسنة النبوية لحماية الأسرة من خطر التفكك من خلال الأسس الشرعية التي جاءت بها الشريعة والتطبيقات العملية للسنة النبوية المشرفة.
- أظهر البحث أن أهم أسباب التفكك الأسري هي الخلافات والمشكلات الزوجية، وعدم التوافق بين الشريكين، وضعف الروابط العاطفية.
- تبين أن التفكك الأسري يؤثر سلبًا على الأبناء عاطفيًّا ونفسيًّا وتربويًّا، مما يؤدي إلى مشكلات سلوكية ونفسية لديهم.
- كشف البحث عن متطلبات الاستقرار الأسري الواردة في القرآن والسنة من حقوق وواجبات بين الزوجين وأهل البيت.
- ضرورة العمل على رفع الوعي الديني والأخلاقي داخل المجتمع والاستعانة بخدمات الإرشاد النفسي والأسري لعلاج مشكلات التفكك.

المراجع :

1- ابن منظور: لسان العرب متوفر على: https: //shamela.ws/book/1687

2- أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم، متوفر هنا: https: //shamela.ws/book/1727

3- أحمد الحسني عزيز (2016) الأمن الأسري المفاهيم - المقومات المعوقات مع دراسة ميدانية في مدينة صنعاء، بحث منشور، مجلة الأندلسي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (12)، المجلد (15).

4- الإمام محمد أبو زهرة: (1971)، محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي.

5- أميره أحمد عبيد: المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، موقع المربي، http: //www.almurabbi.com/DisplayItem.asp?ObjectID=731&MenuID=2&TempID=2

6- بشير صالح الرشيدي وإبراهيم محمد الخليفي: (2011) سيكولوجية الأسرة والوالدية، إنجاز العالمية للنشر والتوزيع، الكويت.

7- حسن محمود: (1967) الأسرة ومشكلاتها، دار الطباعة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

8- خالد صلاح محمود (2019) الأمن الأسري في ضوء تحديات العصر الرقمي: دراسة تحليلية"، بحث منشور، المؤتمر الدولي الثالث - الأمن الأسري: الواقع والتحديات / أوراق بحثية مقدمة نحو أبحاث عابرة للتخصصات متعددة المقاربات، 20 - 22 يوليو 2019، إسطنبول، تركيا، المركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية

9- داليا مؤمن (2008) الأسرة والعلاج الأسري، دار السحاب للنشر والتوزيع، ط. ٢. القاهرة.

10-زين الدين الرازي: (1999) مختار الصحاح تحقيق يوسف الشيخ محمد الناشر المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت الطبعة الخامسة.

11-سناء الخوالي: (دت) الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

12-سناء الخولي: (1979) الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

13- الشيخة العنود بنت ثامر بن محمد آل ثاني: التفكك الأسري. العلاج والحلول، مشاركة ضمن كتاب الأمة، العدد83، السنة 21.

14- عبد العزيز الشثري (1999) الأسرة ودورها في التوحيد السلوكي للأحداث، مجال منشور بمجلة المنهل، الرياض.

15- عزيز احمد صالح الحسيني: (1998)، الأمن الأسري (المفاهيم، المقومات، المعوقات)، جامعة الأندلسي، كلية الدراسات العليا. العدد (13) المجلد (15).

16- علي بن راشد الدبيان (1998) شقاق الزوجين الأسباب، الآثار العلاج، دار الثقافة، الدار العلمية الدولية، مصر.

17- الفيروزآبادي القاموس المحيط، https: //waqfeya.net/book.php?bid=3636

18- قليل محمد رضا: (2018) التفكك الأسري وعملية التنشئة الاجتماعية للطفل مقال نشر في مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 38.

19- محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري، متوفر هنا: كتاب صحيح البخاري - ط السلطانية - المكتبة الشاملة (shamela.ws)

20- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، متوفر على: https: //waqfeya.net/book.php?bid=1765

21- معن خليل العمر: (2005) التفكك الاجتماعي، الطبعة العربية الأولى، دار الشرق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

تقرير إخباري

عن المؤتمر الدولي: المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية

احتضنت كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان التابعة لجامعة عبد المالك السعدي بالمملكة المغربية المؤتمر الدولي: (**المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية**) المنظم من طرف مؤسسة منارات الفكر الدولية، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، ومركز هارت للدراسات والأبحاث الاجتماعية والتنموية أيام 18-19-20 يناير/كانون الثاني 2024.

وقد سعى المؤتمر إلى خلق فضاء علمي للنقاش والحوار بين ذوي الاختصاص حول اختيارات تفعيل البرامج التنموية ومناقشة عدد من القضايا والمشكلات التي تتصل بموضوع الانسان والتنمية؛ ودور هذه العلوم والمعارف في توجيه وضبط أهدافها وتحقيق مقاصدها ومواجهة التحديات المطروحة واقتراح سبل المواجهة ومسارات الحل.

وقد انطلقت الجلسة الافتتاحية برئاسة الدكتورة كريمة الوزاني مذكرة بأهمية المؤتمر وموضوعه ومكان انعقاده، مرحبة بالمشاركين والمشاركات، حيث تناول الكلمة في هذه الجلسة عميد الكلية المستضيفة الدكتور مصطفى الغاشي ثم رئيس المؤتمر ورئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم ثم الدكتور المعتصم الشارف المشرف العام ورئيس مركز هارت ثم أخذ الكلمة باسم اللجنة التنظيمية الدكتور سعيد عثماني، ثم كلمة باسم اللجنة العلمية تقدم بها الدكتور عبد الرحمن الزكريتي، ثم كلمة باسم المشاركين والمشاركات ألقاها الدكتور أحمد بن عبد الله الحصيني وكيل البحث والدراسات العليا بكلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد.

لتنطلق بعدها الجلسات العلمية الخمس التي شهدت تقديم 50 ورقة بحثية مع تقديم **37 مداخلة حضورية، و13 مداخلة عن بعد**، وبمشاركة أكثر من **70 مشاركا**. مع ورشتين تعليميتين موازيتين حيث أشرف الدكتور صالح الشتري على تأطير ورشة: (منطلقات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)؛ كما أشرف الدكتور سعيد عثماني على تأطير ورشة: (الجرائم الإلكترونية).

لتختتم فعاليات المؤتمر بجلسة ختامية ترأسها الدكتور محمد هنوش نائب رئيس المؤتمر؛ أخذ فيها الكلمة الدكتور محمد حيتومي باسم لجنة الجلسات العلمية، ثم كلمة باسم اللجنة التنظيمية ألقاها الدكتور محمد شرايمي، ثم كلمة باسم المشاركين والمشاركات ألقاها الدكتور صالح الشتري، ثم تقدم بعدها الدكتور عبد الله بربزي بقراءة التوصيات والبيان الختامي.

كما شهدت الجلسة الختامية **توقيع مذكرتي تفاهم** بين مؤسسة منارات الفكر الدولية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان ممثلة بنائب العميد الدكتور المعتصم الشارف؛ وبين مؤسسة منارات الفكر الدولية ومختبر الإنسان، المجال والتنمية ممثلا في مديره الدكتور عبد السلام بوغابة.

كما تم توزيع شهادات المشاركة على المشاركين، وشهادات الشكر والتقدير.

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation of Beacons of Intellect

المعارف الإنسانية والشرعية وسؤال التنمية

HART CENTRE

the world conference

Humanities and Religious Sciences and the Question of Development

Faculty of Arts and Humanities Tetouan
Kingdom of Morocco / 18-19-20 January 2024

Proceedings Book

Edited by:
Dr. Mostafa Ahmed El _Hakim
Dr. Khaled Salah Hanafy Mahmoud

Published by
The International Foundation of Beacons of Intellect
ISBN: 978-9920-28-789-0 / Legal Deposit : 2024MO4767

Copyright©2024